

العرب والروم

تأليف

ڤازيليف

ترجمه

الدكتور محمد عبد الهادى شعيره

راجعه

الدكتور فؤاد حسنين على

دار الفكر العربى


العرب والروم



تأليف

فازيليف

ترجمه

الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة

راجعه

الدكتور فؤاد حسنين علي

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

مقدمة

هنرى جريجوار

نرى من المقدمة التى تلى هذه ، وهى المقدمة التى وضعها أ . أ . ڤازيلييف فى أول الطبعة الأولى من كتاب « الروم والعرب » ، أن خمسا وثلاثين سنة انقرضت منذ نشر فازيلييف فى مجلد دراساته الرومية عن العلاقات الرومية العربية أيام أسرة عمورية ، قبل ظهور هذه الطبعة الفرنسية .

والغريب أن أصحاب العلوم الرومية والمؤرخين عامة انتظروا أكثر من ربع قرن قبل أن يترجم لهم كتاب حجة (أو كتاب كلاسيكى) كهذا هذا غريب ، ولكنه بَيِّنُ العلة . ونحن الذين قاموا بهذا العمل الحالى : نعلم الآن بعد المعاناة ، ما لقى قراء فازيلييف العديدون الذين خطر لهم من قبل ترجمة الكتاب أو تنقيحه من صعوبات ردتهم عن نيتهم . فإن مثل هذا العمل لا يقوم به إلا عالم واسع الاطلاع ملم بالعلوم الرومية والعربية معا . ولا يقوم به مترجم الا إذا عرف أيضا ما سبق اللغة الرومية وتاريخها الأدبى وحَصَّلَ هاتين الناحيتين الرومية والعربية ـ وكان ڤازيلييف يعرفهما معرفة تامة . ثم إن تقادم العهد زاد هــذا العمل وعورة حتى على من استكمل هذه الشرائط من الاختصاص . وذلك إن مصادر جديدة ظهرت لم يكن ڤازيلييف انهل منها ، فان المؤلف لم يعرف ميخائيل السورى إلا عن طريق الصورة الأرمنية فقط ، وعن طريق ابن العبرى الذى نشره الراهب شابو ، وأصبح ممكنا الآن استكمال الروايات التاريخية العربية وتصحيحها أو الأخذ فى سبيل استكمالها وتصحيحها فى مواطن كثيرة عن طريق ميخائيل فى صورته الأصلية ، أو بالأحرى عن طريق مصدره الذى هو دينيس التل مهرى . وكان من الممكن أيضا الاستزادة فى النقل عن طيفور وغيره . ثم إن ڤازيلييف يعترف بأنه لم يلجأ إلى الشعراء فى النقل ، مع أن شعراء القرن العاشر ضمنوا شعرهم إشارات كثيرة إلى الحرب الرومية ثم إن المصادر اليونانية نفسها أكثر عددا اليوم منها منذ ١٩٠٠ ،

وإن تكن تعد تامة بالنسبة للعصر المقصود ، وإن يكن فازيلييف قد استقصاها استقصاءا تاما بالغاً فى الدقة . ولعلنا قد تقدمنا الآن فى تقدير مختلف المؤرخين وأصبحنا لا نعد صاحب «صلة تيوفان» معتمدا على جنزيوس ، وإنما نعده معتمدا على مصدر مشترك بينهما رجع كل منهما إليه على طريقته . ثم إنه حين ظهرت الطبعة الأولى لم تكن طبعت سير القديسين ، على أهميتها القصوى ، مثل النصوص الخاصة بالشهداء الإثنين والأربعين وعدد آخر على شىء من الوفرة ، فى طبعات مرضية . ثم أنه لم يكن أحد فى سنة ١٩٠٠ يفكر فى الملحمة الرومية ، ولا فى مسألة الملحمة العربية كذلك ، أو بالأحرى فى ملحمة عمورية التى نشأت فى أثناء الأحداث التى يتعرض لها هذا الكتاب .

أما تضمين الكتاب تذييلات وتصحيحات ووقائع وأفكار عن طريق الاكتشافات والآراء الجديدة العديدة : فانه كان أمرا شاقا غير يسير ، على ما فيه من تعريض التوقيت والسرد الأصليين للتبديل ، وعلى ما فيه من تبديل الأحكام التاريخية الصادرة بالقياس إلى أمير من الأمراء ، أو إلى صفة عهد من العهود تبديلا أعظم خطرا ، ولكنا يجب أن نصرح أننا وجدنا عونا كبيرا فى هذا العمل من كتاب قيم هو كتاب ج . ب بيورى « تاريخ الامبراطورية الرومانية الشرقية » (بالانجليزية) . فإن هذا المؤلف كتب كتابة بعد فازيلييف بعشر سنين ، فاتيح له أن يستفيد من المصادر الجديدة الكثيرة التى ذكرناها آنفا ، واستطاع ذلك فأوضح فى هوامشه ومتونه عددا كبيرا من المشكلات الصغيرة التوقيتية أو الخاصة بضبط الأسماء أو الجغرافية . وأنا أعتقد أن جميع زملائى يتفقون معى فيما قلت من قبل فى مجلة بيزنطيون : أن المناقشة على أساس بيورى نعتمد على أرض يمكن أن تطأها قدم المشتغلين بالعلوم الرومية ، وقد اقتصرنا فى كثير من الأحيان على اتباعه ، والحق أن المرحوم بيورى ينبغى أن يذكر فى الصف الأول وفى منزلة الشرف بين من عاونوا فازيلييف .

وبقى شىء أقوله ما دمت بصدد Suum cuique : هو عرفانى لثلاثة علماء لم تكن هـــذه الطبعة الجديدة لتظهر بدونهم . وذلك أن الناشر ليس له مع الأسف كل الاختصاصات المطلوبة . فان كان قام بنفسه بترجمة الفصول الأخيرة وراجع الفصول

الأولى التى ترجمها تلميذه م . باكئيس . وإذا كان المؤلف أستطاع ان يلبس عصر آخر الاباطرة العموريين ثوبا على شيء كثير من الجدة فالفضل فى ذلك للابحاث التوقيتية والدراسات الخاصة بالملحمة الرومية ، وهى أبحاث دامت ثلاث سنين فى السيمنار الرومى فى المعهد الشرقى ، والفضل كذلك لابحاثه الخاصة وأبحاث طلبته فى عصر ميشيل الثالث . ومع ذلك فانه اضطر ان يلجأ لمعونة الاستاذين ك . نللينو ، م . كنارد التجاءً مستمرا لعدم المامه بالعلوم العربية .

وقد قرأ مستشرق رومه المجيد النسخة الفرنسية من فازيلييف من أولها إلى آخرها . ونحن مدينون له بعدد وافر من الاضافات فى المراجع ومن الانتقادات والتعديلات بشتى أنواعها . والواقع ان نللينو هو الحجة الثقة المشار إليه فى كل ما يتعلق بتاريخ فتح العرب للجزيرة الكبيرة لأنه هو الذى كلف أيضا باصدار طبعة جديدة حاوية للابحاث العلمية الاخيرة لكتاب حجة هو كتاب (أمارى) عن صقلية العربية . ولهذا كان يصلح فى دقته المشهوره الترجمات العربية الموضوعة فى التذييلات كلما ذكرت حوادث صقلية .

أما الاستاذ كنارد الاستاذ بكلية الجزائر فانه كان فى مشروع فازيلييف الجديد هذا : ــ الرجل الذى ساقه القدر . فانه لا تنسى قط ما احسسنا من دهشة وعرفان حين وجدنا فيه منذ سنين عونا خيرا وليس اقلنا استعدادا لابحاثنا الخاصة عن الملحمة الرومية التى تتصل اتصالا وثيقا بالملحمة العربية . وانا لندين له باكتشاف انحاء بكر خالصة على حدود التاريخ وشعر الملاحم ، فكل ما كنا نعلم قبله هو اننا نعرف على وجه التقريب ان رواية تركية متأخرة هى رواية السيد البطال تحوى عدة تلميحات إلى احداث القرن التاسع التاريخية ، لأنها تشير إلى امو بابك وثورته ، وقد اعتقدت انى احسنت التقدير حين قلت ان هذه الرواية أقرب إلى التاريخ مما كان يظن ، وانها قد ترجع إلى أصل عربى من القرن العاشر ، وكان الأستاذ كنارد قد وصل من ناحيته إلى نتائج متشابهة تقريبا . ولكنه لم يقتصر على الفروض ، بل اكتشف فى رواية الفروسية العربية المسماة بذات الهمة مادة وفيرة لا تزال ذاخرة بالتاريخ تحللت شيئا فشيئا فى ثنايا الاساطير وانتهت إلى آثار مثل السيد البطال بعد ان كان المستشرقون يعتقدون انها آثار لا تحد بمكان ولا تاريخ ، فان صحت لنا اكتشافات الاستاذ ماريوس

كنارد واعماله تكوين الملحمة ورواية الملاحم أو الفروسية ايضاحا واضحا . واثبتت انها صدى أدبى للحروب العربية الرومية . وقد قرأنا فى العدد العاشر من بيزنطيون (١٩٣٥ — الجزء الأول) مقالة الاستاذ ماريوس كنارد عن ذات الهمة . وليست هذه المقالة إلا مقدمة لبحث خاص عن الملحمة العربية سينشره كنارد فى آخر المجلد الثانى عن الروم والعرب . ونحن إلى ذلك نجد فى المجلد الحاضر آثار يديه فى كل مكان . وقد حرص على سلامة الترجمة نفسها وامانتها فى النقل عن الرومية . وقد ناقشنا على طريقة بيورى فى عدة مسائل متشابكة من التوقيت والطبغرافيا وحاجنا فى أكثر الأحيان . وقارن تراجم التذييلات بأصولها فى صبر وتدقيق عجيبين وقد فرضنا عليه أشق الأعمال ونرجو ان لا يكون آسفا على مجهوده ، لأنه جعل من النصوص العربية التاريخية المجموعة اداة تامة الوثوق يستطيع ان يلجأ إليها أصحاب العلوم البيزنطية عارفين واثقين .

وقد ضمنا هذا العنصر اليقيني ، وهو نوع من الضمان ، بما قدمه لنا الاستاذان نللينو وكنارد فيما يخص الامانة فى تراجمنا العربيه . وضمنا مثل ذلك بما قدمه لنا الأستاذ ارنست هونجمان فيما يخص القسم الجغرافى من هذا العمل . وبفضله يستطيع كتاب فازيلييف الجديد هذا أن يعتبر الكلمة الأخيرة فى التعريف باسماء الأماكن المجهولة ، وقد كتب الأستاذ هونجمان كتابا خاصا للحدود العربية الرومية ويظهر هذا الكتاب فى نفس الوقت مع كتابنا باسم الجزء الثالث من فازيلييف الجديد .

وهذان المجلدان هما بشائر المجموعة البركسليه (نسبة إلى مدينة بروكسل) ، والخطة ان تخرج هذه الطبعة الجديدة على ايدى فقهاء اللغة والمؤرخين ، وان تطبع كل النصوص التاريخية الخاصة بالتواريخ الرومية مزودة بالترجمات والتعليقات. واعتقد أننا قد حققنا امنيات الكثيرين إذ بدأنا بطبع مجموعة من النصوص العربية التى تعد فى الحقيقة تعليقا على تاريخ فازيلييف (وهو على وجه الدقة الجزء الأول من المجلد الحالى) وتعليقا على هوامش فازيلييف والملحقات الثمينة التى اضافها الاستاذ كنارد (وانظر خاصة الاخيرة منها فهى أكثرها أهمية ، وقد وصلتنا قبل الأمر بالطبع وهى الملحقات الخاصة بالحرب الروميه والشعراء العرب) . وكان كل ذلك غير معروف إلا على

وجه التقريب . . . . مع ان العلم به أمر حتمى لكل من يريد ان يعلق على مؤرخ من مؤرخى القرن التاسع والعاشر أو لمن يريد فقط اعادة طبعهما . وكان من الضرورى منطقيا ان يسبق طبع المجلد الحالى طبع جنزيوس وصلته بتيوفان . لأن المقارنة الدقيقة المستمرة بين المصادر الرومية والمصادر العربية هى وحدها التى تتيح تقدير الأولى قدرها طبقا للنهج الذى أوحينا به فى مقالة حـــديثة نشرناها فى مجلة بيزنطيون .

وكلماتى الأخيرة هى كما يجب ان يتوقع القارىء شكر حار متجه إلى المؤلف نفسه : ولو لم نؤت هذا الجهد الشاب الذى بذله ألكسندر الكسندروفتش ، ولولا نصح استاذيه الجليلين وعونهما إياه وهما فازيلييفسكى الخالد والخالد البارون روزن لو لم نؤت هذا لكنا حريين ان نظل عند ما نقله إلينا ڤايل . ولم يكن بيورى نفسه ، مع أنه غير مفتقر للمواضيع التى يكتب فيها ، ليفكر قط فى اختيار العصر العمورى وتحليله على طريقته المتعمقة . لو لم يمده فازيلييف بالمراجع العربية كلها تقريبا ويجعلها فى متناوله،ولا تناقض فى أن نقول انه لولا فازيلييف ١٩٠٠ وحركة البحث الكبيرة التى انشأها ويسرها لما عرفنا شيئا من الاكتشافات التى احدثت فى علمنا بتاريخ عصر من أمجد العصور نوعا من الثورة شملت كل شىء : من مسألة الملاحم إلى المسألة الدينية أومن أمر دجنيس أكريتاس إلى أمر فويتوس ، فانتجت لنا «صورة فرضية» عن السنوات الستين من القرن التاسع عشر : وهى ان الامبراطور ميشيل العظيم حطم العرب فى آسيا الصغرى ، وقمع بعض البلغار ، وأدخل بعضهم فى المسيحية ، وأرسل سيريل وميتود إلى المورافى ، ومَسَّح الروس بعد ان ردهم ، فاظهر بهذه الانتصارات المؤزرة وبمن احاطه من الرجال مثل برداس القيصر العظيم وفوتيوس البطريك الجليل : أنه فوق الكارولنجى لويس الثانى ، وأتاح ميشيل كذلك لكنيسته ان تلقى بقرار التحريم فى وجه البابى الرومى فى إباء .

بروكسل أول ديسمبر ١٩٣٤

مقدمة

الأستاذ ا ٠ ا ٠ فازيلييف

ليس العمل الحالى الا ابتداء ، جعلناه نموذجا — وفى اللفظ تجاوز — للابحاث التى قمنا بها فى موضوع العلاقات الرومية العربية . وكانت مهمتنا الاساسية ان ندرس علاقة الروم بالخلافة العربية عن طريق كل المادة التى فى متناولنا ، وكان طبيعيا ان يُستكمل المؤرخون الروم بالمصادر العربية التاريخية لأنها تمدنا فى كثير من الأحيان بمعلومات كثيرة جديدة أو ممتعة . وهذا العرض للحوادث السياسية بين عامى ٨٢٠ و ٨٦٧ — يعنى فى عهد الاسرة العمورية — هو موضوع المجلد الحالى . وكنا نود بطبيعة الحال الا نقتصر على النظر فى العلاقات السياسية والنضال الحربى . فلعل أكثر من ذلك متعة : البحث فى بناء هاتين الدولتين الداخلى وفى ثقافتهما وفى علاقاتهما المتبادلة ، فان دراسة البناء الداخلى عند الروم والعرب قد يوضح كثيراً من الظواهر فى تكوين بيزنطة القديمة . ولكن هذه مشاكل يجب فيما نرى الا نتعرض لها قبل ان نصل عن طريق المصادر كلها إلى معرفة تامة بالعلاقات الخارجية التى كانت بين بيزنطة والخلافة ، فان هذه المعرفة هى التى تصلح لأن تكون نقطة ابتداء لنا ونوعا من قاعدة ثابتة لابحاثنا نرتاد منها مشاكل أكثر دقة وأكثر تعقيدا وأكثر من غير شك متعة وهى المشاكل المتعلقة بحياة الامبراطوريتين الداخلية . ومع ذلك فاننا لسنا مقتنعين أننا استطعنا الاستفادة ، كما نرجو من كل المادة التى فى متناولنا . فلا شك ان أخبارنا العربية لا تزال ناقصة ، لأننا اقتصرنا على المؤرخين ، ولم نكد نلمس الشعراء ان صح هذا التعبير . وذلك لأننا لم نر فى أنفسنا قدرة على التعرض لهم . مع ان مستشرقنا المشهور البارون روزن يقول فى كتابه « الامبراطور بازيل قاتل البلغار » ان أشعار الشعراء العرب المعاصرين ذات قيمة كبيرة لحملة عمورية مثلا . (ص ٨١ / ٨٢) ولسنا نعتقد ان مثل هذه الآثار الشعرية جديرة بان تمدنا بحوادث جديده . ولكنها على كل حال ، رغم كل مقوماتها البلاغية . قد تبين لنا كيف يكون

صدى الأحداث المعروفة فى الشعر المعاصر .

ويتضمن الفصل الأول من هذا المجلدسردا للحوادث بين ٨٢٠و٨٦٧ . ويعرض الفصل الثانى من هذا الجزء للإمبراطور تيوفيل ، والثالث لميشيل الثالث ، وقد طبع فى السنة الماضية أولهما فى مجلة وزارة المعارف العمومية (١٨٩٩ — يوليه ص ١ — ٥٥) وثانيهما فى بيزنطينيسكى فريمنيك (المجلد السادس ١٨٩٩ ص ٣٨٠ — ٤٤٧) (وهما موضوعان فى الكتاب الحالى فى صورة أتم بعض الشىء) .

اما فى التذييلات فانا وضعنا ترجمات من المؤرخين العرب متصلة بالعصر المقصود بالدرس ليستطيع قارىء الجزء الأول دائما ان يجد ما يقابل ذلك من المراجع فى الجزء الثانى ولهذا وضعنا إلى جانب صفحات المراجع ما يقابلها من صفحات تذييلنا وميزناه بقوسين .

ونأسف لعدم استطاعتنا الرجوع إلى بعض كتب خاصة بجغرافية آسيا الصغرى وخاصة إلى كتاب تكرّم ى . ا سميرنوف فعينه لنا ، وهو كتاب غير منسوب لمؤلف الا من اسم مختصر هو «ن . ف .» واسمه «استعراض آسيا الصغرى فى حالتها الراهنة » (سانت بطرسبورج ١٨٣٩ / ١٨٤٠) فى مجلدين ، ثم اننا لم نستغل الأعمال الحديثة مثل بحث توماشيك « الطبغرافية التاريخية للفرات الأعلى وكبادوسيا الشرقية » (برلين ١٨٩٨) وهو مستخرج من كتاب تكريم كيبرت ، ومثل كتاب ليفيديس عن أديرة كبادوقيا ولوكاون Αἱ ἐν μονολίθοις μοναί τῆς Καππαδοκίας καὶ Λυκαονίας (قسطنطينية ١٨٩٩) وغيرهما . فان أيدينا لم تبلغ هذه الكتب إلا بعد ان تقدم طبع كتابنا تقدماً لا يمكننا من هذه الاستفادة ، وقد وقع فى الطبع بعد التصحيح اغلاط يمكن فيما نرى أن نعتذر لها بأننا كنا فى قسطنطينية بعيدين عن المطبعة وأننا اضطررنا أن نصحح مسودات المطبعة بطريقة غير متصلة . ولا نظامية على فترات متقطعة شديدة الإرباك .

وكان استادنا ف . ج فازيليفسكى المشرف الأول على جهودنا . وهو ليس بين الأحياء منذ مايو من السنة الماضية . وفى ذكراه ما يشجعنا على اهداء هذا الكتاب المتواضع له (فازيل جريجوريفتش) لأنه كان دائم الاهتمام به ، ولأنه رغم

مرضه حرص على الاحاطة به مخطوطا . ثم انا اذ نذكر بالعرفان الذى لا حد له ما كان استاذنا يبذل لنا من عون كبير واشارات قيمة وارشادات متصلة عن الطريق الواجب اتباعه ، وانا نذكر عامة كيف كان المرحوم استاذنا العزيز يشرك تلاميذه معه فى سخاء ، وانا نقدم عرفاننا الصادق العميق نصيبا للبارون فكتور رومانوفتش روزن الاستاذ بجامعة بطرسبرج ، وإلى نيقولا الكسندروفتش مدنيكوف الاستاذ بنفس الجامعة لأنهما تفضلا فى سخاء عجيب بالقيام بعمل هام هو مطابقة ترجماتنا العربية الناقصة وأصلحاها على المخطوط فبلغا بها درجة أعلى من الدقة والصحة .

وانه لا يجوز لنا الا ان نشكر بصفة خاصة كلية التاريخ والفلسفة بجامعة بطرسبرج التى تكرمت بطبع كتابنا هذا فى منشوراتها المسماة زابسكى (Zapiski) .

ونشكر أخيرا من كل قلوبنا ثلاثة رجال يستحقون التقدير على بلائهم فى موضوع بيزنطة والعرب وهم سيرج فيود وروفتش بلاتونوف الاستاذ بجامعة بطرسبرج وقد تفضل أثناء غيابنا فى قسطنطينية ، فتتبع سير الطبع وعجل ظهور كتابنا . وصديقنا العالم م.ى.س. سميرنوف الذى أمدنا بارشادات نافعة ، وزميلنا م . ل . بوداجوف الذى أصلح كثيراً من مسودات الطبع ،

بطرسبرج ١٩ يناير ١٩٠٠

مقدمه

كان عصر الفتوح الكبرى على يد الخلافة العربية فى القرن السابع . وحينئذ وضع المسلمون أيديهم على فلسطين وسوريا ومصر وكل الشاطىء الشمالى الأفريقى إلى المحيط الأطلسى ، ورفعوا علم الظفر على صخور جبال الطوروس السيسيلية ، وارتادوا آسيا الصغرى إلى البسفور ولقيهم هناك أسطولهم وتهددوا عاصمة الأمبراطورية الرومية نفسها أيام قسطنطين الرابع . ومنذ هذه الأزمان المتسمة بالبطولة لم تنقطع العلاقات بين الأمبراطورية الأرثوذكسية والأمبراطورية العربية وأخذت تنمو فى سرعة فائقة . ولكن الخطر الناشىء من إمكان العرب توسيع فتوحهم إلى ما وراء ذلك نحو الغرب انقشع بفضل حادثتين حربيتين . الأولى فى الشرق وهى الدفاع المجيد عن قسطنطينية أيام الأمبراطور ليون الثالث الأيسورى ، والثانية فى الغرب وهى الظفر المشهور الذى ذهب به شارل مارتيل فى بواتييه.[1]

ولكن هذين النصرين لم يورثا العالم أمناً تاماً ، وظل على الروم وعلى أهل الغرب كذلك أن يصطنعوا اليقظة وأن يراقبوا مراقبة غير منقطعة حركات جيرانهم الخطرين الاسلاميين .

ولكن هجمات العرب المستمرة على أرض الروم أخذت فى الحقيقة تتضاءل شيئاً فشيئاً خطورة على كيان الأمبراطورية نفسها بعد أن كان هذا الكيان فى كفة الميزان فى القرنين السابع والثامن . وذلك لأن الخلافة صارت تدريجياً إلى الاضمحلال والضعف . كما ظلت غزواتهم على اقتصارها فى الجملة على الأقاليم القريبة من الحدود تثقل كاهل الدولة وتسىء إلى رخاء أقاليمها وتقلل من قوتها المالية وتنقص من تعداد سكانها .[2]

ويتميز القرن التاسع فى تاريخ الخلافة بتضاعف العنصر العربى الخالص وبسيادة

(١) أنظر رانكه : تاريخ العالم (بالألمانية) مجلد ٦ جزء ١ ص ٣

(٢) أنظر ك : نيومان « موقف الامبراطورية الرومية قبل الحرب الصليبية » (بالألمانية) ليبزج سنة ١٨٩٤ ص ١٠ .

العنصر الفارسى أولا ثم التركى فى القسم الشرقى من الأمبراطورية ثانيا

فان العباسيين إنما هزموا الأمويين بفضل العنصر الفارسى الخراسانى . وكان هذا الإسم لا يشمل فقط الاقليم الذى يسمى بهذا الاسم فى عصرنا ولكن يشمل أيضاً إقليما آخر كبيراً إلى الشرق والشمال وكانت المدينة الرئيسية فيه مرو .(١)

وفى خراسان أخذت تقوم المعارضة للأمويين ، ولم تكن سياسية فحسب ولكن دينية أيضاً . فقد قام فيها حزب ساخط على سياسة الأمويين الدينيـة ، وذهب إلى عالمية الإسلام ، وكان شعاره أن « الاسلام لايفرق بين الشعوب »(٢)

ولنذكر هنا أن الحكومة الأموية كانت تتميز بصفتها المدنية وأن المسائل الدينية لم تكن تتناول من اهتمامهم إلا جزءاً يسيراً جداً .(٣)

وكان هذا الحزب الجاهد فى سبيل المساواة بين الشعوب فى الإسلام أوالمساواة بين الأعاجم(٤) والعرب يحمل اسم الشعوب . وكان حزباً نشيطاً مزهراً فى القرنين الثانى والثالث للهجرة وكان بعض رؤسائه يذهبون إلى القول بأفضلية الفرس على العرب(٥)

ولهذا اعتبر العباسيون أنفسهم حين اعتلوا العرش من صنيعة الفرس .

والواقع أن الفرس أخذوا فى هذا العصر يقومون بدور متزايد الأهمية فى حياة الخلافة ، واضطر العرب بعد ظفرهم الأول أن يطأطئوا الرءوس أمام المهزومين بالأمس وهم الفرس . أما الشام التى كانت ذات المكانة الاولى فى زمن الأمويين فانها خبت أمام العراق وعاصمتها ونزلت دمشق إلى مصاف المدن الإقليميـــة وحلت محلها بغداد .(٦)

ونحن نعلم مقـدار الخطورة التى كانت للبرامكة آخر القرن الثالث إلى أن قضى

---

(١) نولدكه : الخليفه المنصور ، مقالات شرقية (بالالمانية) برلين ١٨٩٢ ص ١١٥ . وأنظر كريمر: تاريخ الثقافة الشرقية . مجلد ٢١ ڤينا ١٨٧٥ ، ص ٣١٧

(٢) ج ڤان فلوتن : أبحاث حول السيادة العربية . أمستردام ١٨٩٤ ص ٢٨ و ص ٣٢/٣٣

(٣) الاعاجم يعنى غير العرب . ويطلق العرب هذا الاسم على الشعوب الأجنبية

(٤) جولدزيهر . نفس الكتاب ج ١ هالى ١٨٨٩ ص ١٤٧ .

(٥) جولدزيهر : دراسات محمدية ج ٢ . هالى ١٨٩٠ . ص ٣١ (بالألمانية)

(٦) كريمر : تاريخ الثقافة الشرقية . ج١ ص ١٨٣ (بالألمانية)

عليهم هارون الرشيد مع أن أسباباً كثيرة تجعلنا نقول أن هذه الأسرة بقيت وفية للزرادشتية ثم أن مانعلم من آراء أحد رؤساء العرب فى عصر تيوفيل (وهو الأفشين الفارسى الأصل وهو الذى سنلقاه كثيراً فى هذا الباب) أشد إثارة للتعلق. وقد كانت بعض الأسر تدعو علنا إلى إحياء العادات الفارسية [١]، ثم أن المراكز الهامة فى البلاط والجيش والحروب وإدارة الأقاليم كانت تسند إلى الفرس. [٢]

وكان العرب يدركون هذا. وقد لاحظ أحد كتابهم أن الامبراطورية الأموية كانت عربية وأن ملك العباسيين أعجمى خراسانى. [٣]

وقد جاء فى شعر منسوب إلى أحد الولاة أيام خلافة مروان الثانى آخر الأمويين «أهجر مكانك وقل سلام الله على العرب والإسلام».

ولم يكن إلا عهد المنصور ثانى خلفاء العباسيين حتى كنا نرى العرب ينتظرون الدخول على أبواب القصر دون جدوى على حين كان الخراسانيون يدخلون دون اذن ويخرجون منه كذلك هازئين بالعرب الأجلاف. [٤]

وقد كان النزاع المحتدم الذى شجر بين الأخوين الأمين والمأمون بعد موت أبيهم هارون الرشيد فى حقيقته طوراً جديداً من الحروب «بين القوميات» العربيـــة والفارسية ولـكن العرب هزموا مرة أخرى. [٥]

ولـكن الفرس اضطروا فى منتصف القرن التاسع أن يتركوا احظوتهم إلى عنصر أجنبى جديد هو العنصر التركى.

---

(١) دوزى : فى تاريخ الدين الاسلامى (بالفرنسية). ليدن ١٨٧٩ س ٢٣٠/٢٣١ ؛ بريمر تاريخ الحروب الثقافى فى أرض الاسلام (بالألمانية). ليبزج ١٨٧٣ س ٤١/٤٣ ؛ جولدزيهر . نفس الـكتاب ج ١ س ١٥٠ .

(٢) أنظر ج . فان فلوتن : أبحاث عن السيادة العربية س ٧٠ .

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٢ س ١٥٤ س ١٤ : عن مخطوط ذكره جولدزيهر فى كتابه المذكور ج ١ س ٥ ، ١٤٨ .

(٤) جولدزيهر : الـكتاب المذكور ١ س ٤٨ وأنظر كريمو تاريخ الثقافة الشرقية ١ س ٢٢٣

(٥) دوزى : فى تاريخ الدين الاسلامى س ٢٢٩ ونولدكه ، Der Islam (الاسلام) ، مقالات إسلامية س ٩١ وأنظر صفة الأخوين عند مولر : الاسلام فى الشرق والغرب ، برلين ١٨٨٥ مجلد ١ س ٤٩٩ ، وأنظر ر . جبريلى : ارث الرشيد والحرب بين الأمين والمأمون (بالإيطالية) فى ملخص جلسات R Accad Sincei Sc Morali السلسلة ٦ الجزء الثالث ١٩٢٧ س ١٩١ — ٢٢٠ .

وذلك أنه منذ منتصف القرن الثامن جرت عادة الخلفاء باتخاذ الأسرى الأتراك لا فى بلاط أمير المؤمنين فحسب بل فى البيوت الخاصة أيضا وواضح أن أحداً لم يكن يتوقع يومئذ أن يكون ذلك أمراً حاسماً فى كيان الخلافة أو أن الترك سيزعزعون أسس الأمبراطورية ويقودونها إلى الاضمحلال التام .(١)

والواقع أن العرب لم ينالوا قط ثقة العباسيين وأن الفرس فقدوها فكان من الطبيعى أن يحاول الخلفاء وضع ثقتهم فى عنصر جديد مؤيد لسلطانهم فكان هذا العنصر هو الترك بنوع خاص (٢)

وقد كان المأمون يحيط نفسه بحرس كبير العدد من أسرى الترك .(٣)

فلما كانت أيام المعتصم (٨٣٣ / ٨٤٢) أصبح الحرس كله ونخبة الجيش من الأجانب الترك والبربر . وبلغ عددهم فى أيامه ٧٠ ألفاً .(٤) ثم أن الخليفة منح الأفشين رئيس الترك وإيتاخ فى ٨٤١ و٨٤٩ حين قصدا مكة لتأدية نسكهما على رأس الحجاج : سلطة عليا على كل ما يمران به من الأقاليم ، وحمل أشناس إلى ذلك لقب سلطان .(٥)

أما فى أيام المتوكل (٨٤٧ — ٨٦١) فان نفوذ الترك أصبح حاسماً فإنهم أصبحوا كالحرس البريتورى فى الأمبراطورية الرومانية يعزلون الخلفاء ويولونهم ولا يتركون لهم إلا سلطانا « إسمياً » .

وفى أيام المعتز (٨٦٦ — ٨٦٩) فمن الأشياء ذات الدلالة هذه العبارة التى نجدها عند شعراء العصر (٦) « قيل لى لم تكثر غلق بابك عليك وأجيب أنى لا أجد فى الخروج متعة . فمن ألقى حين أنظر حولى ؟ قروداً عطيه سروجا » . وفى نفس الوقت قامت لامركزية جارفة ، إذ تحولت أكبر الأقاليم أهمية إلى حكومات ذاتية خاصة .

---

(١) كرباسك : البرديات الأولى المعروفة عند الترك . مأخوذة من مجموعة راينر ، فينا ١٨٨٧ ص ٩٣ ، جولدزيهر : الكتاب المذكور ج ١ ص ١٤٩ .

(٢) دوزى : فى تاريخ الدين الاسلامى ص ٢٤٧ .

(٣) كرباسك : الكتاب المذكور ص ٩٥ .

(٤) دوزى : فى تاريخ الدين الإسلامى ص ٢٤٧

(٥) سنوك هرجرونيه مكة : مجلد ١ هاج ١٨٨٨ ص ٤٥

(٦) جولدزيهر الكتاب المذكور مجلد ١ ص ١٥٢

وكانت سيادة الأجانب القساة الأجلاف مكروهة من الرعايا والحكام .

وحين مات المعتصم اختير الواثق لخلافته . وقد قال فى هذه المناسبة أحد الشعراء « مات خليفة فلم يحزن لأمره أحد ، وجاءنا خليفة غيره فلم يسر بأمره أحد »[١]

أما تاريخ الخلافة الدينى فى القرن التاسع فانه عظيم الدلالة ، ونحن لانحتاج إلى جهد كبير لندرك التشابه بين الحركة الايقونية الرومية وبين الميل لتغليب العقل فى الإسلام فى القرنين الثامن والتاسع . ومن رأينا أن دراسة هاتين الحركتين من ناحية أثر احداهما على الأخرى قد يؤدى إلى نتائج عظيمة الاهمية لتاريخ الامبراطوريتين الثقافى .[٢]

قد كانت دمشق المسرح الذى قامت فيه مناقشات دينية عديدة بين المسيحيين والمسلمين . ومن أكبر الخلافات التى قامت بين علماء الدينين تلك التى سجلها يوحنا الدمشقى وتيودور أبو قرة ، وهى معروفة ، وقد رأى البعض الآخر أن المذاهب الاولى الخارجة على الإسلام نشأت عن هذه المناقشات الدينية مثل الإرجاء والقدر[٣]

وقد ذهب البعض إلى الظن ان الامويين كانوا اسرة مدنية خالصة[٤] ، وأننا نلحظ فى شخص الخليفة العباسى ملك الامبراطورية وملك كنيسة الدولة (ان جاز التعبير) ، ومهما يكن من شىء فان الأسرة الجديدة (العباسية) ساهمت بنصيب أوفر فى أمور الامبراطورية الدينية .

---

(١) كريمر : تاريخ الثقافة الشرقية ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) أنظر ا . ا . فازيليف : تاريخ امبراطورية الروم . باريس ١٩٣٢ ج ١ ص ٣٣٣ ومابعدها .

(٣) كريمر : تاريخ الحروب الثقافى ص ٢ . وتاريخ الشرق الثقافى ٢ ص ٣٩٩ ومابعدها . ولكن أصل المرجئة والقدرية (وقد ورثه المعتزلة فيما بعد رأيهم) يجب أن يبحث عنه فى الإسلام فيحيه فان يوحنا الدمشقى لم يكن يهاجم الاسلام لاقناع المسلمين واهكن كان يقصد من ذلك أن يتجه الى المسيحيين ليحول دون تورطهم فى اعتناق دين الغالبين . برلين ١٩١٢ ص ١٠ ومابعدها . وأنظر عن القدرية ك . هـ بكر الدعاية المسيحية وبناء العقائد الاسلامية فى الكتاب التذكارى المهدى الى ا . جولدزيهر المجلة الأسيوية مجلد ٢٦ سنة ١٩١١ ص ١٧٥ ومابعدها وأنظر ا . جولدزيهر : الاتجاهات الاسلامية فى تفسير القرآن . ليدن ١٩٢٠ ص ١٩٢ وأنظر ا . فرتز : الاسلام والمسيحية فى العصور الوسطى (فى تاريخ الدعاية الاسلامية المكتوبة بالعربية ضد المسيحية) برسلاو ١٩٣٠ .

(٤) وفكرة تمدن الامويين فكرة بعيدة عن الدقة نشأت عند المتقدمين من المستشرقين ، فانه لم يكن قط الاسلام كنيسة بالمعنى المسيحى المفهوم ، ثم إن الاعتقاد بان الخلفاء كانوا كذلك بابوات الاسلام فكرة خاطئة . أنظر جولدزيهر — الكتاب المذكور مجلد ١ ص ٩٣ .

وقد مال المأمون فى غير مواربة إلى جانب المعتزلة وأصدر فى عام ٨٢٧ قراراً قرر فيه رسميا ان القول بخلق القرآن قول يجب ان يعتنقه جميع الناس[١] .

ومن قبل قاسى حماة الارثوذكسية الإسلاميه من جور الخلافة فاتجهت انظارهم نحو أموى اسبانيا (وهى بلاد امتازت دائما بالتعصب الدينى سواء فى سلطان الإسلام أو سلطان المسيحية[٢] بعده) وخاصة فى عهد هشام الأول الجليل (المتوفى عام ٧٩٦)، فاعتبرة مالك بن انس ، وهو أشهر فقهاء العرب ومؤسس أحد المذاهب الأربعة الارثوذكسية فى الإسلام، الخليفة الوحيد الذى يستحق ان يجلس على عرش الخلفاء[٣] ، ولكن آمال الارثوذكسية خابت[٤] .

ومن الملاحظات الشيقة فى القرن التاسع ان أكثر البلاد بعدا عن مكة كانت ترسل إليها أكثر الحجاج حماسا فبينما قبع سكان العراق فى عراقهم لما كانوا يتوجسون من الميول الفكرية السائدة ، كان سكان خراسان يبذلون كل الجهود الممكنة لبلوغ المدينة المقدسة ، ولا تزال هذه الظواهر بادية إلى ايامنا لم تكد تتغير فى صورتها[٥] .

ولكن اياما خيرا من الأولى بدأت تظل أنصار الارثوذكسية الإسلامية حين اعتلى عرش الخلافة الخليفة المتوكل فى ٨٤٧ ، وهو فى قول مولر من أبغض العباسيين وانحاز المتوكل إلى جانبهم ، وكان فى حاجة إلى حزب . وكان رد فعل ضد المعتزلة اقترن باشنع القسوة . فصدر فى ٨٤٨ قرار اعتبر القول بخلق القرآن مقالة كافرة[٦] .

---

(١) راجع و. باتون : أحمد بن حنبل والمحنة . ليدن ١٨٩٧ .وأنظر ا . جولدتسيهر = محاضرات ص ١١٤ وما بعدها .

(٢) كريمر : تاريخ الأفكار الرئيسية فى الإسلام = ليبزج ١٨٦٨ ج ٩ ص ١٠٧ ، وأنظر كذلك ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٣) دوزى : تاريخ المسلمين بالأندلس ج ٢ ليدن ١٨٦١ ص ٥٦ والطبعة الجديدة معادة ومنقحة بقلم ا . ليفى بروفنسال . ليدن ٣ مجلدات ١٩٣٢ ج ١ ص ٢٨٦ .

(٤) دوزى : فى تاريخ الدين الاسلامى ص ٢٣٧ .

(٥) سنوك هيرجرونيه : الكتاب المذكور ح ١ ص ٦١ .

(٦) التاريخ ٨٥١ الموجود بالطبعة الروسية نقلا عن مولر تاريخ غير صحيح والصحيح هو ٨٤٨ = ٢٣٤ هـ وأنظر فى هذا باتون : الكتاب المذكور ١٢١ — ١٢٢ ومقالة «محنة» فى دائرة المعارف الاسلامية ويرى آخرون أن ذلك كان فى أواخر حكم الواثق سلف المتوكل . أنظر مولر ج ١ ص ٢٥٤ وراجع كريمر : تاريخ الأفكار — ثدة فى الاسلام ح ١ ص ٢٤٥ .

ولكن هذه الاضطهادات لم توقف فى شيء من نمو حزب المعتزلة . الكبير أهمية ونفوذاً .

وظل الحزب ممثلا فى القرون التالية على يد ممثلين عديدين افذاذ[(١)] .

ويعتبر القرن التاسع أبهى العصور فى العلم والادب العربيين . ومع ذلك فان من الملاحظة ذات الدلالة ان دور العرب انفسهم كان ضئيلا ، وأنهم كانوا إلى حد بعيد عالة على الاجانب .

وتغلغل النفوذ الفارسى أيام العباسيين حتى فى الأدب . ومع ذلك ظلت اللغة العربية لغة الكتابة التى كان يتخذها الفرس أنفسهم . أما الأدب الفارسى المستحدث فلم ينشأ فى صورته الخالصة إلا بعد ذلك بقرنين ، فاغتنى الأدب العربى غنى عظيما بفضل الترجمات من الفهلوية ، ولم تلبث الإناقة الفارسية أن غزت شعر البداوة ، وأصبح من أمهر الرجال فى فقه اللغة العربية علماء من أصل إيرانى ، واقتبس مؤرخو العرب جزءاً من مادتهم من مؤرخى الفرس « الوسطاء » ولم يلبث الفرس أن أصبحوا أساتذة العرب فى العلوم الدينية والقانونية بعد أن كانوا تلاميذهم .

أما العلوم المدنية فقد كان جزء كبير منها فى يد الآراميين ، وقد كان على يديهم وصول تراث الثقافة الهلينية إلى العرب . وعلى الجملة كان هذا الإزهار فى الأدب العربى الشاسع وفى فروعه العديدة أيضاً يبدو قبل كل شيء استغلالا لمادة أجنبية على أيدى أجنبية وهكذا « عالجت اليونان وإيران والهند عقم العبقرية العربية » كما قال أحد مشهورى المستشرقين فى شيء من المبالغة [(٢)]

ويختلف العنصر العربى عن العناصر الأجنبية[(٣)] ، حتى فيما يتعلق بمعرفة اللغة العربية وفى الأبحاث الخاصة بالدين ؛ ولكن لاشك أن من الإفراط فى الغلو أن نؤكد أنه لم يكن من بين المسلمين الذين قاموا بشيء من بحث أحد من الساميين اطلاقا[(٤)]

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى مجلد واحد . فيمار ١٨٩٨ ص ٧١/٧٢ .

(٢) سيخاو : هند البيرونى . طبعة انجليزية بتعليقات وفهارس ، لندن ١٨٨٨ ج ١ مقدمة ص ٢٨ وراجع كريمر : تاريخ الثقافة الشرقية ج ٢ ص ١٥٨/١٥٩ .

(٣) جولدزيهر : الكتاب المذكور ج ١ ص ١٠٩/١١٠ ونستطيع أن نجد معلومات عميقة فى هذا الكتاب البارع الذى ألفه أستاذ بوداست المشهور جولدزيهر عن أثر الأجانب على العرب وأنظر خاصة فصل العرب والعجم ج ١ ص ١٠١ — ١٤٦ .

(٤) أنظر بول لاجارد : تواليف مجموعة ليبزج ١٨٦٦ ص ٨ ٠٥

ومما يكشف لنا عن تركز الطلعة العلمية فى القرن التاسع إنشاء حملات علمية بمعنى الكلمة . فان الواثق أرسل فى أيامه العالم العربى المشهور محمد بن موسى بإذن من الأمبراطور ميشيل الثالث إلى افسوس لزيارة الكهف الذى حفظ فيه رفات أهل الكهف السبعة الذين استشهدوا كما تقول الآثار فى اضطهادات ديسيوس . وأرسل الأمبراطور الرومى دليلا لصاحب العالم العربى ، ولقى الزائرون عند دخول الكهف خصياً على جمال بارع تهدد العالم بأفظع المحن إن مس جزءا من الرفات . ومع ذلك دخل محمد الكهف ورأى الرفات ولمس الجثة فلما خرج قال للحارس « كنا نظن أنك سترينا أمواتاً فى صورة أحياء ولكننا لم نر شيئاً من هذا . »[1] وقد يكون السبب الرئيسى فى حدوث هذه البعثة العلمية التى قصصناها ذلك الميل الاعتزالى الذى شمل الدين منذ عهد المأمون . كما نظم الواثق أيضاً حملة كبيرة رأسها المترجم سلام الذى كان يعرف ثلاثين لغة فوجه إلى آسيا الصغرى ليكتشف السور الذى بناه الاسكندر فيما تقول الآثار سداً بيننا وبين يأجوج ومأجوج ، ودامت الحملة ٢٨ شهراً . فلما عاد أعضاء البعثة كافأهم الخليفة ، وسلمه سلام بياناً وافياً عن الحملة [2] .

ونحن نعرف ماكان من مفاوضات متكررة دخل فيها الأمبراطور تيوفيل والمأمون أكثر من مرة فى أمرليون العالم الرومى المهندس الفلكى . وكان هذا الخليفة المتنور يتوق إلى رؤية ليون ولو لوقت محدود ليستفيد من علمه الواسع فى الرياضيات[3]

---

(١) ابن خرداذبه ج ١ دى غويه : مكتبة جغرافيي العرب مجلد ٦ ، ١٨٨٩ فى جنيف ص ١٠٦ و١٠٧ (نص عربى) وص ٧٨/٧٩ (نص فرنسى) ولا نرى أساساً يبيح لنا نفى الصفة التاريخية عن هذه الحملة . ولكن طابع ابن خرداذبه الأول وهو باربيه دى مينار (المجلة الاسيوية ١٨٦٥ ص٢٣) لايثق بصحة هذا الحادث ، على حين يثق به رامبو فى غير تحفظ . أنظر رامبو « الامبراطورية اليونانية فى القرن العاشر » باريس ١٨٧٠ ص ٥٣٥ .

(٢) ابن خرداذبة ط . دى غوية » ص ١٦٢/١٧٠ . المقدسى ط . دى غوية (مكتبة جغرافيي العرب ج ٣ ، ١٨٧٧) ص ٣٦٢/٣٦٥ . وأنظر جغرافية الأدريسى ترجمة ا. جوبرت ج ٢ باريس ١٨٤٠ ص ٤١٦/٤٢٠ . وأنظر ياقوت معجم البلدان ط . وستنفلد ج ٣ ص ٥٦/٥٧ وراجع دى غويه « سيرة يأجوج ومأجوج » ، Verslagen en Mededeelingen der Kon. Akademie van Wetenschaffen afdeeling Litter kunde, 3e reeks, Ve deel امستردام ١٨٨٨ ص ١٠٤ — ١٠٩ ،(٣) ولا نستطيع الأخذ برأى شبرنجر الذى يعد قصة سلام عن رحلته « بعمية شائنة » . أنظر شبرنجر « البريد وطرق السفر فى الشرق » فى « مؤلفات فى العلوم الشرقية » ج ٣ ليبزج ١٨٦٤ ص ١٥ .

(٣) صلة بتوفان : ص ١٨٥ — ١٩١ . سيد رونس ج ٢ ص ١٠٥/١٧٠ .

ولـكن هذا العصر المزدهر بنشاطه العلمي لم يدم طويلا . ولم يلبث أكثر من قرنين فلم يقارب القرن العاشر نهايته حتى تحول مركز الأدب عامة والشعر خاصة إلى غزنه في بلاط ملك كان ، بين ٩٩٧ و ١٠٣٠ ، أعظم ملك في الشرق وهو محمود العظيم . فأنشد الشعر في غرفاته وحدائقه أربعمائة شاعر على رأسهم : « عنصر » المشهور « والفردوسي » .[١]

وكانت الأسرة العباسية تتميز خاصـــة بفخامة بلاطها وغناه . وحبهم للترف والفخامة ، ونحن نعرف هذا الوصف الذي لا يخلو من بعض الغلو من غير شك وهو الذي يصف زبيدة امرأة هارون الرشيد مثقلة بالحلي المختلفة في حياتها العادية حتى كانت تضطر أن تستند إلى جاريتين لـكيلا يميل بها ثقل ملبوساتها الثمينة [٢] .

وأدت مثل هذه الفخامة إلى التقليد ، فرأينا في القرن التاسع عبد الرحمن الثاني الأموي في أسبانيا يحيط نفسه ببلاط عديد ويجمل عاصمته ويبني القناطر والمساجد والقصور ويزرع الحدائق الفخمة ويحمي الشعراء .[٣]

ولـكننا لا ينبغي لنا أن نعتبر هذا الترف في بلاط العباسيين من ناحيته السلبية فحسب . فإنه كان وسيلة غير مباشرة استطاع بها الخلفاء أن يبعثوا في التجارة حركة قوية . وللدولة العباسية من هذه الناحية مكانة معترف بها ، وخاصة بعد أن ابتنت في وسط أمبراطوريتها مدينة يهيؤها موقعها النادر في توفيقه لأن تصبح من أهم الأسواق ، وهي بغداد ، وقد بنيت على ضفة دجلة ووصلتها بالفرات قناة صالحة للملاحة ، وامتدت مواصلاتها إلى آسيا الصغرى وسوريا وبلاد العرب ومصر بينما كانت قوافل آسيا الوسطى تبلغ هذه العاصمة عن طريق بخارى وايران .[٤]

---

(١) سخاو : هند البيروني ج ١ مقدمه ص ٧ .

(٢) كريمر : تاريخ الثقافة . مقارنة بين أوربا والشرق ، فينا ١٨٧٦ ص ٢٧ .

(٣) دوزي : تاريخ المسلمين في أسبانيا . ج ٢ ص ٨٧ (الطبعة الجديده ج ١ ص ٣٠٨) .

(٤) هايد : تاريخ تجارة الشرق في العصور الوسطى . طبعة فرنسيه قام بها ف . رينو . ليبزج ١٨٨٥ ج ١ ص ٢٦/٢٧ . وراجع بكر . تاريخ الثقافة في الشرق ج ٢ ص ٤٧ و ٢٧٤ وأنظر لتاريخ بغداد في أثناء الخلافة العباسية ط ، ١٩٢٨ ص ١٥ وما بعدها . وأنظر سيلمون مقدمة لتاريخ بغداد ، ١٩٠٤ ص ٧٥ وما بعدها ، ولكاتب الحدادي ، تاريخ بغداد القاهرة ١٩٣١ في ١٤ مجلدا ج ١ ص ٦٦ وما بعدها

واقترن نمو التجارة بظاهرة شديدة الغرابة ظهرت في سياسة الخلافة النقدية . فإن الخلافة استخدمت عوضا عن الأساس الفضى أساساً ذهبياً فى القرن التاسع . فبينما كانت الضرائب تحصل من الأقاليم الشرقية بالدراهم الفضية فى القرن التاسع ، تحول الحساب فى عام ١٩١٨ بالدينار الذهبى .[١] ولم يحل الدرهم محل الدينار الا بعد ذلك .

وفى خلال القرن التاسع كله لم تكد تنقطع المصادمات بين الروم والعرب .

فاذا قرأنا مؤرخى الروم والعرب ووصفهم المعارك على وتيرة جافة ، وعدد القتلى وعدد الأسرى وذكرهم ذكرا كثيرا سكانا هلكوا ومحصولات بادت ومعاملات سيئة للأسرى ، فأنا قد لانرى فى هذا لأول نظرة الا الجانب القاتم من كل ذلك والا الناحية السلبية من العلاقات الرومية العربية .

والواقع أنه يوجد شيء غير ذلك . فإلى اتصال هذه المعارك بمايستتبع من علاقات ممتدة غير مقصودة بين شعبين كبيرين لايخلو من أثر على التطور الداخلى لدى كل من الامبراطوريتين . وإذا كانت التجارة قد تأتى فى المكان الأول من حيث هى عامل فى التطور الثقافى للشعوب فإن الحوادث السياسية أيضاً قد خدمت الثقافة فى كثير من الأحيان . اذ يتطاحن شعبان غريبان بدافع من طبيعة الأشياء فيتبادل المنتصرون والمنهزمون الأفكار الجديدة والعادات والأخلاق واللغات والآداب ، ولذلك كان يجب أن ينتج من ذلك حياة داخلية نشيطة [٢]

وانا لنجد فعلا فى حوادث الشرق الحربية فى القرن التاسع وقائع وعادات تعد مكونة لما تسميه اليوم القانون الدولى [٣]

ومن المحتمل جدا ان تكون العداوات بين عرب أسبانيا والفرنج فى جنوب الغال قد انتجت تغير نظام الامبراطورية الفرنجيـــة الحربى ، والواقع أننا نلاحظ بين

---

(١) أنظر فى هذا الموضوع بحث كريمر « حول ميزانية الدخل فى الامبراطورية العربية » فينا ١٨٨٧ (فى كتب الذكرى التى تصدرها أكاديمية العلوم القيصرية : قسم الفلسفة والتاريخ ج ٣٦) ص ٦ . ونحن نأخذ عن نسخة مستخرجه . وأنظر كذلك مؤلفات القسم الشرقى من الجمعية الأثرية الأمبراطورية ج ٤ سان بطرسبرج ١٨٨٩/١٨٩٠ . ص ١٣١/١٤٩

(٢) أنظر مثلا كريمر — التاريخ الثقافى للتبادل بين أوربا والشرق ، فينا ١٨٧٦ ص ١ .

(٣) أرق . نيش : حقوق الشعوب فى العلاقات بين العرب والروم . فى مجلة القانون الدولى والتشريع المقارن المجلد ٢٦ — ١٨٩٤ ص ٤٦١ ويوجد منه مستخرج (بروكسيل ١٨٩٤) .

٧٣٢ و ٧٥٥ تطورا سريعاً ونموا عظيما فى الخيالة الفرنجية حتى أخذت الخيالة تحتل المكان الأول تدريجياً وكادت آخر الأمر تقصى الرجالة عن الجيش . وقد نستطيع أن نعد ذلك من أثر الخيالة العربية (١)

ومن الشيق أن نلاحظ رغم هذه الحروب المتصلة أن علاقة العرب الشرقيين والروم فيما عدا الحرب لم تتميز قط بصفة الخصومة بل كانت اقرب الى التواد . وقد نستطيع ان نتخذ دليلا على ذلك من حملة افسوس العلمية التى عرضت لها آنفاً والتى كانت مختلطة رومية عربية ومن مثول ليون الفلكى الرومى فى بلاط الخليفة ببغداد .

والواقع أن بيزنطه كانت تحتفظ للعرب بمكان الصدارة بين جيرانها .

ثم اننا نجد فى البروتوكول الذى وضعه قسطنطين البورفيرى صيغاً ودية الى حد كبير معدة للقاء سفراء بغداد أو القاهرة (٢) ومن المراسيم التى وضعها أن يجلس « الأصدقاء » السراقنة فى مرتبة اعلى من « الأصدقاء » الفرنج ، ولسراقنة الشرق المرتبة الأولى بين كل السراقنة (٣)

وكان لابد أن يخضع الروم لتأثير الحضارة العربية الشرقية ولاشكال حكومتها العامة ، وقد كان العرب فى العصر العباسى لايستطيعون أن يتمثلوا السلطان محدودا بشىء (٤) وكان حاكم الاقليم او والى الجيش له السلطان الكامل طالما بقى فى ولايته

اما الأمبراطور كما يتمثله الروم فقد كان كذلك ملكا مطلقا ، ولكن التشريع الرومى كان يسعى لوضع حدود للسلطة الأمبراطورية (٥)

ولا يزال النظام الاوتوقراطى الى اليوم اقرب النظم الى فهم المسلمين وهو أسرع

---

(١) بروتر : استعمال الفرسان وأول اقتباسها . مجله مؤسسة سافينى لتاريخ القانون مجلد ٨ كراس ٢ فيمار ١٨٨٧ ص ١٣ و ١٥ وأنظر . هـ . برنر . الواضح فى تاريخ القانون . ليبزيج ١٨٩٢ مجلد ٢ ص ٢٠٧ .

(٢) قسطنطين بورفيروجنيت : مراسيم القصر البيزنطى ج ٢ فقرة ٤٧ ص ٦٨٢/٦٨٦ وأنظر خواص العلاقات بين الروم وعرب الشرق عند رامبو . الأمبراطورية اليونانية فى القرن العاشر . باريس ١٨٧٠ ص ٤٣٣ — ٤٣٥ .

(٣) المراسيم ٢٨ و ٥٢ ص ٧٣٩ . « ويجلس المشارقه قبل المغاربة » .

(٤) ويرجع هذا الى سنة مأخوذة عن محمد . ولكن هذه السلطه المطلقة لا تمتد إلى التشريع لأن اعتباره ناشئا عن الوحى جعله كافة (إلا من بعض النواحى الادارية) وقفاً على العلماء والفقهاء ، وهنا الفارق الكبير بين الخليفة والامبراطور الرومى . وانظر أيضاً نولدكه = فى خواص الساميين ، مقالات شرقية ص ١١ ولكن انظر شفولسون : الشعوب السامية . برلين ١٨١٢ ص ٣٧/٣٨ وراجع كريمر : تاريخ الثقافة الشرقية ج ١ ص ٣٨٥ وما بعدها ج ٢ ص ٦١ .

(٥) تجد معلومات ممتعة عن مدى السلطان الامبراطورى فى نقد بزابرازوف على كتاب جريبوفسكى =

عندهم قبولا [١] تلك قضية يسهل إثباتها .

أما اضمحلال الخلافة السياسى الذى بدأ منذ حكم المأمون والذى أدى إلى كثير من الاضطراب والحروب الداخلية فإنه لم يوقف ازهار هذه الآمبراطورية الداخلى إيقافاً تاماً ولم ينل منه ، وأصبحت التجارة العربية فى القرن العاشر مثلا تمتد من كوريه إلى أسبانيا وتتغلغل فى قلب روسيا .

وبينما كانت الخلافة تضمحل كانت الأمبراطورية الرومية تقيل نفسها من عثرتها . فإنا نستطيع أن نسمى عصر الأسرة المقدونية عصر « بعث » حقيقى لهذه الأمبراطورية . أما من النواحى الأخرى فإن بيزنطة القرن التاسع تشبه الخلافة فى أكثر من جهة .

فالعصر الايقونى الثانى [٢] يقابل فيما نرى النزعة الاعتزالية التى سار فيها الخلفاء ، وهو عصر انتهى برد فعل فى صالح الأرثوذكسية فى ٨٤٣ [٣] . ثم إن حركة البطريرك فوتيوس فى النصف الثانى من القرن التاسع أنشأت عصراً جديداً متميزاً فى نمو العلم والحضارة الرومية ، وكان البلاط الرومى يتميز كذلك بالترف ، ويتميز بالبهاء الشرقى الأصيل . ولكن هذا الترف الباذخ لم يكن يبلغ دخل الأمبراطورية كله ، وإنما كان بعض الدخل مخصصاً للحروب التى لا مفر منهـــا مع الشعوب المجاورة ولحاجات الدول الكثيرة [٤] .

= فى مجلة وزارة المعارف (بالروسية) مجلد ٣١٩ ، ١٨٩٨ — ص ٤١٠ وما بعدها . ولكن راجع سكاباﻻنوفتش = الامبراطورية الرومية والكنيسة فى القرن الحادى عشر . سان بطرسبرج ١٨٨٤ ص ١٣٢ — ١٣٣ (بالروسية) .

(١) سنوك هيرجرونيه = مكة ج ٢ ص ٣٢٧ — ٣٣٨ ويجب أن نلاحظ أن سنوك رأى مكة بعد الحرب الروسية التركية بقليل فى وقت كان التعصب ضد الموسكوفيين مطلق العنان ثم أن مسلمى الجزائر يبدون ازدراء كبيراً للنظام الجمهورى الذى وضعته الحكومة الفرنسية ، ويقولون تلك « حكومة الحمقى » ويبلغ الأمر ببعض الجزائريين أن يتحدثوا عن البرلمان ذى المائة رأس الذى يحكم فى حقيقة الأمر ويعقد جلساته فى باريس وهى جنة الدنسين ، وأن مصالح البلاد العليا تعرض فيه وتناقش فى ألفاظ نابية يتخللها من حين إلى حين طلقات نارية ثورية . المرجع الأول حسب الترجمة الانجليزية ليدن سنة ١٩٣١ ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(٢) هـ . جلزر . موقف بيزنطة السياسى والكنسى . بحث رقم ٣ المجموعة الألمانية لفقهاء اللغة والباحثين فى جيرا . ليبزج ١٨٨٩ ص ٣٣٠ . ونفسه = أصل نظام الأحناد (الثيم) الرومى ص ٨ .

(٣) نعتبر عام ٨٤٣ التاريخ الصحيح الذى أعيدت فيه الأرثوذكسية لا ٨٤٢ انظر ص ٤١٨ إلى ٤٢١ .

(٤) كرومباخر : تاريخ الأدب البيزنطى . الطبعة الثانيه ميونخ ص ٢٣ .

ورزقت الأمبراطورية على يد الأسرة العمورية ثلاثة أباطرة ذوو ملكات غير عادية . وأول ممثلي هذه الأسرة هو ميشيل الثانى ، وهو أجنبي من أصل وضيع « لا يحسن الإغريقية » ومعنى هذا أنه لم يتلق علماً (ولهذا سماه المؤرخون الأعجمي) . ولكنه لم يكن شخصية تافهة كما يصوره المؤرخون فى كثير من الأحيان ، فقد كان أول امبراطور « لاغنوسطي » اعتلى العرش الأمبراطوري[1] ، وكان من خطته أن يوفق فى حدود الإمكان بين الحزبين المتعارضين من الناحيه الدينية مدفوعاً إلى ذلك خاصة بالخطر الذى كان يتهدد الأمبراطورية أيام ثورة توماس . وقد فطن ميشيل إلى أن قوة هذه الحركة ترجع إلى عوامل أهمها أنها تعتمد على الحزب الأرثوذكسى ، وكانت تلك هى الخدمة الكبرى التى قدمها ميشيل الى بلاده[2] . وانهزم توماس وإن كان الروم اضطروا فى سبيل ذلك إلى أن يستعينوا بالحلف البلغارى . ومع ذلك فإن النزعات الدينية لم تهدأ قط .

أما الحوادث السياسية الأخرى التى وقعت فى عصر ميشيل الثانى فلم تكن فى صالح الروم . فلقد استولى العرب على جزيرة كريت الغنية وابتدأوا فتح صقلية . ولكننا يجب أن نعترف أن ميشيل لا يمكن أن يدان على أنه قصَّر فى بذل الجهد فى نزاعه الطويل مع توماس أو فى محاولته استعادة كريت . اما صقلية فإنه خلصها او كاد من المسلمين حين جاءه الموت .

وخلف ميشيل ابنه يتوفيل . وكان هذا الشاب الأمبراطور نشيطاً ذا مواهب خصبة ، تلقى علومه تحت إشراف رجل من أشهر رجال عصره وأكثرهم علما : وهو جان جراماتيكوس الذى أصبح فيما بعد بطريركا ، وكان يتوفيل مهيأ لرئاسة الحروب فقاد حملات صعبة طويلة أكثر من مرة . وكان لاهوتياً شديد الاهتمام بالمسائل الدينية فلم يكن ليهمل امر النزاع الدينى الذى لم يكن صادف بعد حلا . فانحاز يتوفيل إلى حزب وجعل من نفسه خصماً عنيداً للصور والرهبنه . ولهذا كانت معاملته الارثوذكس

---

(١) ترنوفسكي = الكنيسة اليونانية الشرقية فى عصر المجامع المسكونيه ، كييف ١٨٨٣ ص ٤٨٧ (بالروسية) .

(٢) أنظر التفاصيل ص ٢٢ وما بعدها فى الأصل الفرنسى .

على شيء من القسوة التي لم يلطفها في بعض الأحيان إلا نفوذ أستاذه المثقف جان جراما تيكوس عليه[١]. وكان تيوفيل ذا مواهب شعرية بارعة فزود الأدب الكنسي، رغم اضطهاده الصور، ببعض الأناشيد. ونحن نعرف انه كان يحب غناء الكنيسة، وانه كان في كثير من الأحيان يدير بنفسه الجوقة حين كانت تقوم بغناء مؤلفاته[٢]

وقد كان لثقافته يعرف كيف يقدر تحصيل رعاياه العلمي وكيف يكافؤهم؛ فعين ليون الفلكي العالم الروسي المشهور رئيساً لكنائس تسالونيك، وإن كان قد عينه في حقيقة الأمر بعد ان استقرت شهرته في بلاط المأمون. وكان تيوفيل شغوفا بالبناء تخلد ذكره ببناء جزء من سور قسطنطينية وقصر الصيف الواقع في برياس على الشاطيء البيبطيني في بروپنطيد[٣]

أما حياته الخاصة فكانت مثالية، وان مما يشهد له في ذلك امام الخلف وفاء امرأته القديسة تيودورا وإعجابها به وفاءاً وإعجاباً انجياه بعد موته من ارعاد الكنيسة به بعد موته. وقد اساء جلزر الحكم على هذا الملك العظيم العبقري الذى لا يقل عن باقي أباطرة الأسرة العمورية. والواقع ان أعداءه أنفسهم لا يجدون مفراً من الشهادة بعدله وأن اخترعوا قصصاً مفتراة تظهره في ثوب بغيض[٤].

وخلف تيوفيل ميشيل، وقد اساء المؤرخون فيه المقالة سوءاً عظيماً. وكان ميشيل الثالث ابن تيوفيل وخليفته تافها، لم يكن له اهتمام بشيء ولا بكرامة الأمبراطورية

---

(١) راجع فنلاى = الكنيسة والامبراطورية الشرقية. لندن ١٨٨٨ ص ١٢٠. وانظر حكماً حسناً على تيوفيل في كتاب لانسيا دى برولو = تاريخ الكنيسة في مقلة في القرون العشرة الأولى من المسيحية (بالايطالية ج ٧ بالرم ١٨٨٤ ص ٢١٤

(٢) ومن الأغاني الدينية المنسوبة لتيوفيل يذكر « ستخيرون » المؤلف لأحد الخوص من الفصح و « اخرج أيها الشعب » (باليونانية، أنظر الأصل الفرنسي) مع موسيقاها وقرار تردده الجوقة « امتدحوا كل عمل السيد والسيد »؛ في قانون البشارة. وانظر سيد رونس ح ٢ ص ١١٨/١١٧. (رونارس ح ١٥ و٢٧ ص ٣٦٦، ٣٥٧ وراجع رنوفسكى (الكنيسة الشرقية ص ٤٩٠ بالروسية) وكرست وپارانيكاس. منتخب الأغاني المسيحية الاغريقي، ليبزج ١٨٧١ ص٢٦ و٢٧ و١١٤ وص ٢٤٠.

(٣) واهل تيوفيل إنما حدد هذا القصر. أنظر كنداكوف: (الكنائس الرومية وآثار قسطنطينيه) من « أبحاث المؤتمر السادس للاثار في أودسا » (١٨٨٤) ج٣ أودسا ١٨٨٧ ص ١٨٤. بورى ص ١٣٣.

(٤) پاپارجوپولو: تاريخ الحضارة الهلنقية. باريس ١٨٧٨ ص ٢٣٧. ونحن نعرف الاشتباكات المريرة بين تيوفيل ومتود الذى أصبح بعد بطريركا وبينه وبين تيوفان مؤلف الأغاني وبين تيودورا

ومع ذلك فإن سياسة الأمبراطور الخارجية لقيت هزيمة مذلة بوجه خاص رغم ما بذله من جهود . فإن نصره عند أسوار زبطرة استتبع أخذ العرب بالقوة عمورية مهد أسرة عمورية . وأما صقلية فإن المسلمين واصلوا فتحها شبراً شبراً . وبقيت كريت تحت السيادة العربية . ثم إن المفاوضات التى ابتدأها تيوفيل مع البنادقة ولويس التقى وأمويى اسبانيا لم تنته إلى النتائج المرجوة .

وكان تيوفيل فى الأربع السنين الأولى من حكمه يعاصر الخليفة المأمون (٨١٣ - ٨٣٣) وكان هذا الملك يشبه فى نشاطه تيوفيل فى اكثر من جهة [١] فإن مثل المأمون كمثل تيوفيل فى الإهتمام بالمسائل الدينية واستثارة المعارضة بالتجديد فى الدين ، وكذلك اهتم المأمون كتيوفيل بالشعر وقد روى أن شاعراً جاءه ينشده قصيدة جديدة فلم يدهشه الا أن رأى الخليفة يأخذ احد ابياته ويرتجل ابياتاً اخرى عليه من عنده فى سهولة [٢] . وقد ألف المأمون بعض المؤلفات التيولوجية [٣] ، وفى عهده ازدهر البناء والفنون الأخرى وكذلك العلوم ، ولم يكن القصر الصيفى الذى ابتناه الأمبراطور الرومى الا محاكاة لقصر من قصور الخليفة .

اما الذى يحاكى المأمون فى اسبانيا فهو عبدالرحمن الثانى ، ونحن نعرفه وكان يحب الشعر كذلك ، فإن كان الشعر الذى ينسبه الى نفسه ليس صحيح النسبة دائماً ، فإنه لم يكن لهذا اقل اكراما للشعراء الذين يعينونه على التأليف [٤]

وخلف تيوفيل ميشيل وقد أساء المؤرخون فيه المقالة اساءة عظيمة وكان ميشيل

الكاتب وبينه وبين لازار المصور (تصوير الأيقونات) وكان ذلك من حماته عند باپاريجوپولو وهو معجب بتيوفيل متسامح معه . ولكن جلزر على ذكائه يقسو عليه فى كتابه : مختصر تاريخ قياصرة الروم ١٨٨٧ ص ٩٦٧/٩٦٨ (حسب كرومباخر = تاريخ الأدب الرومى . الطبعة الثانية) ويتبعه جون — بيورى (تاريخ الامبراطورية الرومية اضمحلالها وسقوطها ج ٥ لندن ١٨٩٨ ص ١٩٦ هامش رقم ٣٠ ولكنا نجد نظرة جديدة ترجع الى تيوفيل ما هو أهل له فى تاريخ الامبراطورية الرومية الشرقية ص ١٢٩ أنظر ش ديل (أسطورة الامبراطور تيوفيل فى كتاب تذكار كندا كوف ج ٤ ص ٣٣ — ٣٧)

(١) وانظر عن خلافة المأمون كتاب أحمد فريد رفاعى «عصر المأمون» فى ٣ مجلدات القاهرة ١٩٢٨ وراجع بيورى ص ٤٣٨ .

(٢) ميور : الخلافه قيامها واضمحلالها وسقوطها (الطبعة الثانية ، لندن ١٨٩٢ ص ٥٠٤ والطبعة الجديدة التى راجعها فير . ادنبرة سنة ١٩١٥ .

(٣) جولد زيهر . دراسات محمدية جـ ٢ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) دوزى : تاريخ المسلمين فى أسبانيا جـ ٢ ص ٧٨ والطبعة الجديدة ج ١ ص ٣٠٨ .

الثالث ابن تيوفيل وخليفته بهملين . فلم يهتم ميشيل بشيء ما ولا بكرامة الامبراطورية ولا بأمور الدولة ، وكان مجردا من الضمير والرحمة . وقد استحق فى التاريخ لقب « السكير » وقد قتله آخر الأمر بازيل المقرب اليه . أما ما كان « من حسن السياسة الداخلية ايام ميشيل الثالث فإن الفضل فى ايجاده وانمـائه يعود إلى نشاط البطريرك فوتيوس والقيصر برداس

فى مثل هذه العبارات كان تاريخ ميشيل المسكين يروى الى عهد قريب ، ولـكن الأبحاث الحديثة أعادت اليـه اعتباره ، فإنه أبلى بلاءا مشرفا فى مهمات شاقة اوفى مهمته بالشرق على الأقل

كان فقد كريت وصقلية يحمل على الاعتقاد ان مصير هذين الطرفين من اطراف الإمبراطورية سيصيب البليبونيز عاجلا[1] ذلك انه حين قامت ثورة الصقالبة الخطيرة فى البليبونيز فى ابتداء القرن التاسع حاصر الصقالبة باتراس وعقـــدوا حلفا مع السراقنه[2] ولـكن الثورة اخمدت ولم يسمع احـد بعد بنزول العرب فى اليونان ، طالمـا كانت أسرة عمورية حاكمة

وكان العرب منذ ظهورهم فى صقلية بدأوا فتحها بدءا سريعاً متقدمين من الغرب الى الشرق ، وجاهدوا فى حرب سجال اربع سنين (٨٢٧ - ٨٣١) ، ثم استقروا فى بالرمو ، واستولوا فى السنين العشرة التالية على اقليم غنى فى القسم الغربى من صقلية هو وادى مزارا ، وأسسوا هناك أولى مستعمراتهم ، ثم انه بين ٨٤١—٨٥٩ استولى المسلمون ايضا على وادى نوتو فى اقليم جبلى الى الجنوب الشرقى ، و ٨٦٠ أخمدوا ثورة المسيحيين الصقليين ، واتجه همهم بعد ذلك الى القسم الشمالى الشرقى من الجزيرة وهو وادى ديمون فافتتحوا منه مسينا[3] ولم يكن ، عندما ذهبت أسرة عمورية ، فى يد المسيحيين من المدن الصقلية الـكبرى الا سرقوصه ، ولم تلبث أن سقطت ايام

---

(١) ك . نيومان : مكانة بيزنطة فى العالم قبل الحروب الصليبية . ليبزج ١٨٨٤ ص ١١/١ .

(٢) قسطنطين بورفيروجنيت : الادارة الامبراطورية ف ٢٩ ص ٢١٧ وراجع س . ن . توموبولو « تاريخ مدينة باتراس منذ القدم الى سنة ١٨٢١ » أثينا ١٨٨٨ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ (اليونانية) .

(٣) أمارى : تاريخ المسلمين فى صقلية ج ١ فلورنسة ١٨٥٤ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ .

لانسيادى برولو : الـكتاب المذكور ج ٢ ص ٢٤٠ — ٢٤٧ . اد . هولم (تاريخ صقلية فى العصر القديم ج ٣ ليبزج ١٨٩٨ ص ٣٢٧ — ٣٣٣ .

بازيل المقدونى وكان طبيعيا أن يتجاوز العرب صقلية وأن يعبروا الى ايطاليا الجنوبية ؛ وكان السلطان الأمبراطورى بها ضعيفا فى القرن العاشر وتعتبر غزوات الأعداء للأراضى الرومية ذات أهمية عظمى (عن طريق غير مباشر) فى تاريخ اهل صقلية من الإغريق وتاريخ أهل جنوبى ايطاليا منهم . فإن سكان اهل صقلية اليونان ازدادوا فى النصف الأول من القرن السابع بوصول عدد من المهاجرين اتوا من الأقاليم البيزنطية التى طردهم منها الفرس والعرب . اما فى القرنين التاسع والعاشر فإن كالابريا ازدحمت بالمهاجرين الهاربين امام الغزاة[١] .

وقد منعت هذه الغزوات العربية اهل هذه الأقاليم البعيدة من الاشتراك فى أمور الأمبراطورية . ولهذا يلاحظ ان المجمع الثامن لم يشهده من أساقفتها إلا خمسة من كالابريا وأقل من ذلك العدد من صقلية[٢] .

ولم يكن يملك العرب فى ايطاليا الجنوبية فى القرن العاشر إلا بعض مواقع قليلة . ولهذا كان اثرهم فى تلك الجهة اقل منه فى صقلية ، اما المراكز الآهلة بالسكان من الجنس الإغريق . وهى المراكز التى نشأت فى جنوب ايطاليا . فإن أهلها وأرضها كانت تجمعهم اللغة والدين والتقاليد الثقافية ،[٣] وقد ظلت حياتهم تسير فى تطورها الطبيعى الخاص دون مؤثر خارجى . وقد امتد ازدهار هذه الثقافة هناك من النصف الثانى من القرن التاسع إلى النصف الثانى من القرن العاشر ؛ وكان مركزها الأديرة . فكان الرهبان يحفرون المغاور فى الجبال ويبنون الكنائس ويؤلفون جمعيات من النساك ويحيون حياة مثالية فى التقشف شبيهة بالحياة الناسكة القديمة فى مصر وفلسطين[٤]

---

(١) ال . فيسيلوفسكى . بوكاكى بيئته ومعاصروه ج ١ سان بطرسبرج ١٨٩٣ ص ٢١ (بالروسية)

(٢) أنظر ج . كان . ميناسى : كنيسة كالأبريا فى القرن الخامس الى لقرن الثانى عشر . نابولى ١٨٩٦ ص ١٠٥ (بالايطالية) .

(٣) ال . فيسيلوفسكى : الكتاب المذكور ج ١ ص ٢١ .

(٤) اف . سوكولوف : حال الرهبنة فى الكنيسة الرومية منذ منتصف القرن التاسع الى أول القرن الثالث عشر (٨٤٢ — ١٢٠٣) . كازان ١٨٩٤ ص ٥٧ (بالروسية) وانظر الآن مؤلفات طويلة مثل « ج . جاى » إيطاليا الجنوبية والامبراطورية الرومية (باريس ١٩٠٤) ولنفس المؤلف « مذكرات على الهلينية الصقلية » فى مجلة بيزنطيون ج ١ (١٩٢٤) ص ٢١٥ — ٢٢٥ ثم ج . رولفس : الوثائق التاريخية فى كالابريا ولوكانيا ج ٣ (١٩٣٣) ص ٦٧ ومابعدها و ٢٣١ وما بعدها .

ولا تزال إلى اليوم نرى فى إقليم أترنت حلايا محفورة فى الجبال ، ونجد فيها فى كثير من الأحيان آثار تصوير . ولا يزال الناس إلى اليوم يعرفون غارة سانتى بادرى حيث أثر ان ناسك ايطاليا الجنوبية المشهور القديس النيل عاش فى القرن العاشر .[١]

ومع أن الفتوح العربية فى منتصف القرن العاشر لم تكن تشمل قط مساحات واسعة ولا متصلة بعضها ببعض فى إيطاليا الجنوبية فان النفوذ السياسى الرومى فيها كان فى أشد التقلص . ولهذا رأينا الأمبراطور الجرمانى يأتى مرتين معيناً مدن ايطاليا الجنوبية على السراقنة .

وهكذا أصيبت سياسة الأسرة العمورية الغربية بهزائم كبيرة . أما جهود هذه السياسة فى مفاوضات الصلح مع البنادقة والفرنج والأمويين فى الأندلس فانها كما قلنا آنفاً لم تغن فى شىء ولم تعد الأمور إلى طبيعتها . وغدت كريت وصقلية بلادا مفقودة بالنسبة للروم ، أما احداهما فإلى ٩٦١ والأخرى فإلى غير رجعة

ولكننا قد نخطىء إن أوقعنا اللوم على الروم ونسبنا اليهم أنهم قصروا ولم يقاوموا عرب الغرب مقاومة فعالة . فإن الروم قد ثبتوا بقوة فى صقلية ولجأوا إلى الهجوم أكثر من مرة . وكان البلاط الرومى رغم انشغاله فى القرن التاسع بحوادث الشرق والشمال الحربية وبمشاكل السياسة الدينية المعقدة فى الداخل ، يفكر دون انقطاع فى هذا الاقليم الغربى البعيد . فأرسل إلى صقلية فى أول فرصة امدادا من السفن والرجال [٢].

وتدل كذلك سلسلة المحاولات التى بذلت لاستعادة كريت على نشاط الحكومة

ولكن الأسرة العمورية كانت مضطرة إلى « سلسلة المسائل » حسب قدرتها . فإن أهم ميدان لصراع الإسلام لم يزل آسيا الصغرى . فكان لابد من الاستمساك هناك وقد استطاعت الأسرة بلوغ ذلك .

فإن كان العرب استطاعوا التوغل إلى حد بعيد فى آسيا الصغرى وخربوا عمورية

(١) به . باتيفول : دير روسانو . باريس ١٨٩١ ص ٣ . وش . ديل « مختصر فى الفن البيزنطى » ط ٢ ص ٥٨٠ وما بعدها (والمراجع الحديثة أهمها . برتو . الفن فى إيطاليا الجنوبية ١٩٠٤) .

(٢) أنظر لانسيادى مرولو . تاريخ الكنيسة فى صقلية ج ٢ ص ٢٦١ — ٢٦٣ . ويسهب هذا الكاتب الإيطالى فى ذكر ما كان عليه سكان صقلية من الايمان المتين أثناء الصراع مع العرب .

الفصل الأول

الامبراطور ميشيل الثانى

(٨٢٠ – ٨٢٩)

ثورة توماس [١]

تعد ثورة توماس التى استمرت ثلاث سنين الحادث الرئيسى فى حكم ميشيل الثانى فهى التى فرضت على الامبراطورية سياستها الدينية ، ولعل فقد كريت وصقلية نتيجة من نتائجها . ولسنا نستطيع أن ندرس ثورة توماس كما ندرس كثيراً من الثورات الأخرى فى التاريخ الرومى : لأن الدور الأساسى فى الثورات الأخرى هو دور المطامع الشخصية والأثرة لادور النظرة الواسعة ولا الخطط الشاسعة ولا المشاكل الاجتماعية الكبرى . أما ثورة توماس فانها ذات أهمية كبيرة الخطر من نواحى ثلاث الاجتماعية والدينية والسياسية :

أما ناحية هذه الثورة السياسية فمهمة لأننا نلاحظ حلفا حقيقيا كاملا بين توماس والعرب . فلم يكن وجود الفرق العربية فى جيش توماس اتفاقا . ولم يكن دخولهم فيه رغبة فى السلب والغنيمة ، وإنما كان المأمون فى ذلك متبعا خطة دقيقة التحديد عدائية للروم (لم يدخل المأمون بغداد إلا فى ٨١٩ بعد أن هزم منافسة ابراهيم وكان ابراهيم قد نادى بنفسه خليفة) ؛ أما بعد هزيمة توماس فان الخليفة حقا أجل خطته بسبب الفتن الداخلية الخطيرة الناشبة فى داخل الإمبراطورية . ولكنه عاد مرة أخرى الى الحرب الجدية مع جيرانه الغربيين فى السنين الأربعة الأخيرة من خلافته.

ويدل الاتفاق بين الخليفة وتوماس من جهة أخرى على قوة هذا الأخير ، والواقع كما سنرى بعد أن توماس فى أول ثورته كان مُؤيَّداً من كل آسيا الصغرى تقريبا ،

(١) أنظر الآن عن ثورة توماس ج . ب . بيورى : تاريخ الامبراطورية الرومانية الشرقية ص ٤٦٢ — ٤٦٤ وصفحات ١١ و٤٦ و٤٨ و ٥٤ و ٨٤ و ٨٥ وما بعدها الخ ...

فى ٨٣٨ ، واستولوا على سمسون (اميزوس) الواقعة على البحر الأسود عام ٨٦٣ . وبلغوا سينوب ونيقو ميديا فإن هذه الفتوح لم تكن إلا عابرة وكان العرب يفتحون ثم ينسحبون فتظل البلاد المفتوحه فى قبضة الروم ، فلم نفقد أسرة عمورية فى نهاية الأمر شيئاً فى الشرق . وظل خط الحصون الثغرية أيام ميشيل الثالث نفس الخط الذى عرفناه حسب سردنا لحوادث الشرق أيام الأمبراطور تيوفيل .

وهكذا استطاعت أسرة عمورية صد اعتداء العرب سبعة وأربعين عاما واحتفظت بأراضى آسيا الصغرى كاملة .

فإن يكن التحريم الذى استهدف له ميشيل الثالث منع من احتفال المعاصرين نصر ٨٦٣ الاحتفال المناسب فقد آن الوقت لتصحيح هذه الحقيقة التاريخية اذ لما مات ميشيل الثالث فى ٨٦٧ مقتولا كان قد أخر الخطر الاسلامى قرنين . وكان خلفاؤه يستطيعون أن يعودوا إلى خطة هجومية . وإن إبادة جيش ملطية العظيم الذى كان يقوده عمر الأقطع تعد أكبر هزيمة لحقت الاسلام إلى العهد الصليبى . وقد تركت هذه الهزيمة أثرها الدامى فى الملاحم العربية . وبقى هذا الأثر إلى أيامنا فى الرواية العربية التركية المسماة السيد البطال وفى قصة من قصص الف ليلة وليلة . ولا تزال أسوار أنقرة تحمل نقش النصر (٦٥٩) الذى أمر به « الأمبراطور العظيم » ميشيل الثالث الآخذ بثأر الذل الذى نزل بعمورية [١]

وكان هذا العصر بحق عصر البطولة الرومية . وكانت العادة أيام بورفيروجينيت (وكان يبغض ميشيل) حين كان يراد الاحتفال بمحارب أن يقال « هو من الشجاعة بحيث لم يكن الملك ميشيل ليختار أى أحد غيره جندياً » [٢] . „Καὶ γὰρ τοιοῦτος ἦν ὁ ἀνὴρ οἷος ἕτερος ἐπὶ Μιχαὴλ βασιλέως οὐχ εὑρέθη στρατιώτης“

(١) هـ . جريجوار : النقوش الرومية التاريخية « فى مجلة بيزنضون جـ ٤ » (١٩٢٧ / ١٩٢٨) ص ٤٣٧ وما بعدها . أما عن العدل فى الحكم على ميشيل الثالث فانظر البيزنطيون فى جـ ٨ (١٩٣٣) ص ٥٣٤ . وانظر عن مدى الكارثة العربية فى ٨٦٣ م كنارد فى البيزنطيون جـ ١٠ (١٩٣٥) الملحمة العربيه .

(٢) صلة تيوفان ص ٣٧٤ .

وهى قوة كان لابد أن يحسب الإمبراطور حسابها . وهى ثورة لم يكن المأمون ليتردد فى التحالف معها .

أما سبب هذا الانتصار لتوماس فيرجع إلى الأحوال الدينية والاجتماعية فى ذلك العصر . حين استأنف الامبراطور الأرمنى الاضطهاد لم يكن حزب عباد الصور استطاع أن يسترد فى أيام قسطنطين وايرين قوته التى ضعفت أثر المدة الثورية الأولى (مدة القرن الثامن) . وكان هذا الحزب كثير الأنصار ، وكان لرؤساء ذوو حماس فى عقائدهم وآرائهم على استعداد للصراع ، فتهيأوا لمعارضة الأباطرة المعارضين للصور ، ولكن كان يعوزهم رجل تتجمع حوله العناصر الساخطة على الأحوال الدينية والسياسية ، وقد كان هذا الرجل هو توماس الذى ادعى أنه قسطنطين السادس ابن ايرين والذى جعل من نفسه نصيرا للصور[1] ولم يكد توماس يتقدم برئاسة قضية الصور المقدسة حتى اجتذب أنصارا عديدين وأثار اهتماما عظيما وتأييدا .

ولم تكن العوامل الدينية وحدها التى جعلت توماس قويا . لأنا نجد فى تاريخ ثورته أثرا من حركة اجتماعية . فان سكان آسيا الصغرى المجهدين بالضرس المستضعفين أمام جور الطغيان الرومى وتحكم الحكام والموظفين قدروا فى توماس محررا فدخلوا فى حزبه أملا فى تحسين مستقبلهم « فرفع الخادم يده فى وجه سيده والجندى فى وجه قائده والقائد فى وجه أميره »[2] .

وهناك فوق ذلك مسألة هامة ، فإن توماس عند بعض المؤلفين صقلبي[3] الأصل ونحن نعرف إلى أى حد كان سكان آسيا الصغرى من الصقالبة ذوى أهمية ونعرف :

---

(١) راجع حياة القديس تيوذور الاستودى حيث جاء عن توماس :

Καθήγετο τας ἱερᾶς εἰκόνας ἀποδέχεσθι τε καὶ προσκυνεῖν.

أنه يعتقد فى الصور المقدسة ويسجد لها .

(ماى مكتبة الآباء الجديدة جـ ٦ قسم ٢ فقرة ٦١ ص ٣٠٦ ، مينى الباترولوجيا اليونانية جـ ٩٩ ص ٣١٧ — ٣٢٠) .

(٢) أنظر صلة تيوفان ط . بون ص ٥٣ فصل ١٦ « ومنذ ذلك الوقت رفع العبيد على السادة والجند على القواد والقواد على الأمراء أيديهم وتهيأوا للثأر من دمائهم « بينما هاجت آسيا الصغرى كلها كالبحر

ἐντεῦεπθεν καῖ δοῦλοι ϰκτά δεσποτῶν καῖ στρατιῶτης κατά ταξεώτου καῖ λογαγος κατu στρατπγέτου τηυχειρὼ φονῶσαν καθώπλιξεν, καὶ πᾶσα τέως ἡ 'Ασία βυθιζομένη ϛατέστενεν.

(٣) أنظر ص ٢٥ من الأصل الفرنسى وما بعدها .

أن أصل ذلك أن الأباطرة نقلوهم اليها بالآلاف وكان المنقولون منهم فى آسيا الصغرى فى ٦٨٧ مثلا لا يقلون عن ٨٠ الف رحل[١] ولهذا يمكن أن نفسر إلى حد ما الاقبال منذ البدأ على الثورة والعدد الوفير من الأنصار بالدوافع القومية الصقلبية كما يقول اسبنسكى[٢] ولنسلم بهذا جدلا ولكننا سنرى أن توماس كان فى الحقيقة أرمنيا

ومن الواضح أن ما اتخذه توماس من وسائل الجهاد كان قويا بالقياس إلى امبراطور لم يكد يستقر على العرش بعد أن قتل سلفه، ولم يكن الا أجنبيا تقريبا أصله من مدينة عمورية فى آسيا الصغرى ولم يكن يبعث الثقة لا فى نفسه ولا فيمن حوله أما الى أى حد كان توماس مليئا بمهمته، وأى الأسباب أدت الى سقوط هذه الحركة المعقدة الهامة فهو ما سنجتهد فى ايضاحه حين سردنا الوقائع نفسها[٣]

أما السرد الذى بين أيدينا عن القسم الأول من حياة توماس الى عصر ميشيل الثانى فهو عظيم التناقض الى حد جعل بعض العلماء يفترضون وجود شخصين يحمل كل منهما اسم توماس[٤] . وأول المسائل الهامة التى تعرض لنا هى جنسية توماس[٥]

---

(١) ف لامانسكى : الصقالبة فى آسيا الصغرى وأفريقية وأسبانيا ص٣ (بالروسية) فى مجلة زابسكى قسم ٢ التى تصدرها أكاديمية العلوم الامبراطورية حـ ١٨٥٩ .

(٢) أنظر ت . اسبنسكى : مجمع قسطنطينية فى ٨٤٢ وإعادة الأرثوذكسية فى مجلة وزارة المعارف العموميه (بالروسية) عدد ٢٧٣ (١٨٩١) ص١٤٨ ولنفس المؤلف «نظرة فى تاريخ الحضارة الرومية» سان بطرسبرج ص٧١/٧٩ (بالروسية) وقد أوضح فيه أهمية ثورة توماس .

(٣) المصدر الأساسى لتاريخ هذه الثورة هو خطاب ميشيل الثانى إلى إمبراطور الغرب لويس التقى ، ويقص ميشيل فيه ثورة توماس قصصاً دقيقاً ولكنه لسوء الحظ شديد الاختصار . وقد طبعه ألبرت فيرمنجهوف فى Mon. Germ. Hist., Legum, Sectio III : — المجامع حـ ٢ قسم ٢ ط . هانوفر وليبزج ١٩٠٨ ص ٤٧٥ — ٤٨٠ وانظر كذلك جورج همرتولس الذى طبعه ميرالت ص ٦٩٥ — ٦٨٩ (٧٨٤ — ٧٨٨ فى ط . بون) = ليون النحوى ص ٢١١ — ٢١٢ (ما عدا الاقتباسات من الكتب المقدسة التى احتفظ بها جورج) = سيميون ماجستروس ص٦٢١ — والرد المفصل عند جنيزيوس ص٣٢ — ٤٥ . وفى صلة تيوفان نجد روايات عن الوقائع نفسها مخالفة بعض الشىء لروايات جنزيوس ، أنظر الفقرات ١٠ — ٢٠ ص ٤٩ — ٧٣ . سيدرونس جـ ٢ ص ٩١ — ٩٤ (حسب صاحب الصلة) . زوناراس الذى طبعه دندورف جـ ٣ ص٣٩٢ — ٣٩٧ الكتاب الـ ١٥ فقرات ٢٢ — ٢٣ (حسب سيدرونس) وأخيراً (وهو أحسن المراجع) شرد أعمال القديسين الاغريق (Acta graeca) القديسون داود وسيمون وجورج وطبعه هـ . دلاهاى فى Analecta Bollandiana حـ ١٨ (١٨٩٩) ص ٢٣١ — ٢٣٢ وص ٢٣٧ وهو يؤكد أن الحرب كانت أيام ايرين لا أيام نقفور .

(٤) مثل فنلاى . تاريخ اليونان ط توزر حـ ٢ ص ١٣٠ هامش ٢ .

(٥) أنظر بيورى أصل توماس الصقلبى (مقالة بالانجليزية) فى المجلة البيزنطية (الألمانية) جـ ١ =

وأما جنيزيوس فانه يسرد ثورة البطريق بار‌دانيوس الفاشلة أيام الامبراطور نقفور جنيكوس Genekos (٨٠٢ — ٨١١) . ويقول أن أحد الرهبان تنبأ بفشل بردانيوس وأنصاره الثلاثة ليون وميشيل وتوماس وبأن الأولين يحملان التاج الامبراطورى وأن الثالث ينادى به ولكنه يهلك بعد ذلك بقليل[١] .

وفى هذا المكان يقول جنيزيوس أن توماس أرمنى ولد على ضفاف بحيرة جازوروس[٢] .

ويقول جنيزيوس فى مكان آخر عند أول سرده ثورة توماس أيام ميشيل الثانى أن هذا « الطاغية » سيتى الأصل[٣] ، ويعنى هذا أنه يجوز أن نعده صقلبيا ويتأيد هذا بما جاء فى صاحب صلة تيوفان من اعتباره توماس صقلبيا[٤] « من أولئك الذين استوطنوا أناطوليا[٥] » والحسم فى هذا التناقض العنيف الذى وقع فيه جنيزيوس يأتينا من مصدر آخر معاصر لثورة توماس هو خطاب ميشيل الى لويس التقى — وفيه يشير ميشيل الى توماس فى عبارة غامضة « أنه تلميذ للشيطان القديم Antiqui diaboli discipulus ولا يساعد تاريخ سيمون ماجيستروس فى شىء على اجلاء هذه المسألة لأنه يقتصر على التأكيد أنه رومى[٧] .

= ١٨٩٢ ص ٥٥ — ٦٠ ت . أوسبنسكى : بحم ٨٤٢ بقسطنطينية فى مجلة وزارة المعارف العمومية عدد ٢٧٣ (١٨٩١) ص ١٤٤ — ١٤٦ .

(١) جنيزيوس ٨ — ٩ .

(٢) توماس الذى ولد عند بحيرة جازوروس والذى أصله رومانى (باليونانية) جنيزيوس ص ٨ . وجازيورا على نهر ايرس فى إقليم بنطس . أو فى جنوب شرق أماسيا وغربى كومانا (بيورى : الكتاب المذكور ص ٥٥ . والتاريخ ص ١١ هامش ٤ . أندرسون : دراسات بنطسيه جـ ١ ص ٢٤٩) ولا تزال البحيرة قائمة (جنوبى تورخال فى إقليم كاز — أوفا) .

(٣) عوسيتى من حيث الأصل (باليونانية) جنيزيوس ص ٣٢ .

(٤) راجع بيورى : الكتاب المذكور ، أى أنه صقلبى الأصل بتعبير آخر (بالانجليزية) ا . ا . كونك « مذكرات القائد التوبارك القوطى » وهى تجعله من صقالبه آسيا الصغرى (تورودى : أكاديمية العلوم جـ ٢٤ ١٨٧٤ ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٥) صلة تيوفان ص ٥٠ فقرة ١٠ « ويقال إنه خرج من أصل فقير غير معروف ويقال مع ذلك أنه من الصقالبة الذين ينزلون فى كثير من الأحيان فى أناضوليا » (بالأغريقية) .

(٦) Mone. Cerm الكتاب المذكور ص ٤٧٦ و ٤٧٨ .

(٧) سيمون ماجستروس ص ٦٢١ « هو رومى من أصل غير معروف» (باليونانية) وراجع جورج مرتولس ص ٦٩٥ « هو من أرض الروم » (باليونانية) ليون النحوى ٢١١/٢١٢ .

فاذا اتخذنا شهادة جنيزيوس الأولى أساسا وعرفنا أن كلمته سيتى تعنى كل جنس أعجمى فاننا نستمسك بأصل توماس الأرمنى . ولم يكن فى مثل هذا الأصل ما يعد عارا فاختلق أعداؤه أن أجداده على الأقل كانوا من أصل صقلبي وبالتالى وضيع .

من كان توماس قبل ثورته ؟ يحدثنا كتاب ميشيل الى لويس أن توماس كان فى زمن الامبراطورة إيرين يخدم بطريقا وأنه اتصل سرا بزوجة البطريق وذاع السر فهرب توماس عند الفرس (يعنى العرب) خوفا من العقاب وبقى فى الشرق إلى زمن ليون الأرمنى وارتد أثناء ذلك عن المسيحية . وبلغ حظوة كبيرة عند المسلمين بادعائه أنه قسطنطين بن إيرين[1] .

ولنلاحظ فى هذا السر ما يأتى :— (١) الخطاب لا يسمى البطريق الذى خدمه توماس (٢) توماس هو خليل امرأة البطريق حقيقة (٣) وقت إقامة توماس عند المسلمين غير محدد بالدقة (٤) لا يقال شيء عن مكانة توماس أيام ليون[5] لا يقال شيء عن اشتراك توماس فى ثورة بردانيوس أيام نقفور جنيكوس[2] .

ويسوق جنيزيوس روايتين مختلفتين فى مكانين من تاريخه فيقول فى المكان الأول أن توماس دخل فى خدمة البطريق بردانيوس أيام حكم الامبراطور نقفور ، ثم اتهم بمراودته امرأة سيده فهرب إلى الشام واعتنق الاسلام وأقام ٢٥ عاما مدعيا أنه قسطنطين بن ايرين . وتقول نفس هذه الرواية أن الإمبراطور هو الذى حرض توماس على الفسق حسدا منه للملكات بردانيوس[3] . وفى هذه الرواية تناقض بين العدد ٢٥ وتحديد حكم نقفور على أنه تاريخ هرب توماس إلى الشرق . لأننا إذا قدمنا هربه وجعلناه فى السنة الأولى من حكم نقفور (فى ٨٠٢) فاننا لا نجد مكانا نضع فيه الخمسة والعشرين السنة بين هذا التاريخ وقيام ميشيل الثانى فى ٨٢٠ ويضيف جنيزيوس بعد ذلك أن ليون حين نودى به امبراطورا عين توماس تورمارك الحلفاء[4] .

(١) Mon . Germ ص ١٣٧ .
(٢) أنظر بيورى المكان المذكور ص ٥٦
(٣) جنيزيوس ص ٣٥
(٤) أنظر بيورى الكتاب المذكور ص ٥٦

أما رواية جنيزيوس الأخرى فتأتى فى كلامه على ثورة باردانيوس أيام نقفور ، وفحواها إن اثنين من أعوان باردانيوس هما ليون وميشيل — اللذان يصيران بعد امبراطورين — تركاه وانضما الى حزب نقفور بينما بقى توماس وفيا له[١] .

وهكذا نجد رواية تقول أن توماس خدع باردانيوس وأخرى أنه بقى له عونا وفيا ، وليس بين الروايتين صلة الا أنه كان فى خدمة باردانيوس .

وإذا قارنا بين روايتى جنيزيوس ورواية ميشيل فى خطابه إلى لويس لاحظنا (أولا) إننا نعرف من جنيزيوس اسم البطريق المتروك على بياض عند ميشيل (ثانيا) أن جنيزيوس لا يتكلم إلا عن نية توماس فى أن يفسق على حين أن ميشيل يجعل هذه النية الآثمة حقيقة واقعة (ثالثا) أن إقامة توماس فى سوريا غير محددة الأمد عند ميشيل وهى محددة بخمسة وعشرين عاما عند جنيزيوس (رابعا) أن جنيزيوس يؤكد أن ليون الخامس فى أول حكمه جعل توماس تورمارك الحلفاء (خامسا) أن الدور الذى قام به توماس فى ثورة باردانيوس حسب رواية جنيزوس الثانية مناقض للدور المنسوب اليه حسب الرواية الأولى[٢]

وواضح أن سرد جنيزيوس أول مرة يكاد يطابق سرد الخطاب ، فاذا كان توماس كما يقول الخطاب قد دخل فى خدمة البطريق أيام ايرين فان ذلك لا يمنع أنه هرب فى عهد نقفور . أما أمر الفسق وإتيانه أو عدم اتيانه فسألة لا أهمية لها . أما السنون الخمسة والعشرون التى ذكرها جنيزيوس فإنا قد نفسرها بخطأ فى المخطوط أو سهو من الكاتب (ولكن راجع ص ٢٩ — ٣٠ من الأصل الفرنسى)

ونلقى هذه السنين الخمسة والعشرين كذلك عند صاحب صلة تيوفان ، وهو يستند إلى نفس مراجع جنيزيوس ، وهو يسوق كذلك روايتين عن حياة توماس قبل ثورته . ولكنه حين يذكر أن توماس دخل فى خدمة عضو من مجلس الشيوخ لا يذكر اسم هذا الأخير .[٣]

ويظن بيورى أن جنيزيوس وصاحب الصلة رجعا إلى مصدر واحد بعينه ليس

---

(١) جنيزيوس ص ٣٠٥ .

(٢) بيورى : الكتاب المذكور ص ٥٧ .

(٣) صلة تيوفان : ص ٥١ فقرة ١٠ «وجعل نفسه فى خدمة أحد أعضاء الشيوخ ووفله » (باليونانية)

فيه اسم عضو البطريق عضو مجلس الشيوخ ؛ ويرى أن جنيزيوس إنما أقحم اسم باردانيوس دون حجة وأن هذا الاقحام استتبع ذكر الأمبراطور نقفور وثورة بردانيوس التي كانت في أيامه .[1] ومفتاح العقدة عند بيورى هو ما يأتى « إن البطريق الذى هرب توماس من ثأره إلى سوريا ليس باردانيوس ، ويجب أن لا يغيب عنا أن توماس وقت ثورته فى ٨٢٠ كان بشهادة جنيزيوس وصاحب الصلة عجوزاً . فاذا فرضنا أنه كان فى الستين فى ٨٢٠ كان ميلاده كما يظن بيورى حوالى عام ٧٦٠ . فلما كان فى العشرين أى فى ٧٨٠ أيام ايرين دخل فى خدمة بطريق لم يلبث أن تركه هاربا إلى سوريا . فقضى بها ما بقى من حكم ايرين . فلما كان حكم نقفور رجع توماس إلى بلاد الروم واشترك فى ثورة باردانيوس فى ٨٠٣ . فإن كان هرب إلى سوريا فى ٧٨١ فإنه استطاع أن يقيم ٢٢ سنة قبل ٨٠٢ ولم نبعد عن السنين الخمسة والعشرين عاما التى يذكرها جنيزيوس وصاحب الصلة . ومن الممكن أن يكون توماس هرب مرة أخرى عند العرب بعد ثورة باردانيوس ولعل الخمسة والعشرين عاما تمثل مجموع إقامته فى أراضى الخلافة . وبهذه الطريقة يتلاشى تناقض المرجعين ، وخاصة إذا قبلنا أن اعتبار باردانيوس هو نفس البطريق الذى هرب من عنده توماس أمر نسجه جنيزيوس من خياله .[2]

وإلى هذه المتناقضات نستطيع أن نضم رواية ميشيل السورى البطريرك اليعقوبى الذى عاش فى القرن الثانى عشر[3] فهو يقول أن توماس اليونانى هرب إلى جوار الرشيد ثم بقى بعده فى بلاط المأمون[4] وهذا المصدر وإن يكن متأخراً الا انه يستحق

(١) بيورى : الكتاب المذكور ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) بيورى : الكتاب المذكور ص ٥٩ — ٦٠ ولكن حياة القديس داود تذكرنا أيضا باردانيوس (توركوس) .

(٣) وهو الآن معروف فى نصه الأصلى الذى نشره ج . ب . شابو ج ٣ ص ٣٧ (الكتاب السابع الفصل الثالث) وعلى أساسه غير صورى روايته « الأمبراطورية الرومانية الشرقية ص ٨٤ هامش ٢ » فيظهر أن توماس هرب أولاً حوالى ٧٨٨م وعاد فى ٨٠٣ لمساعدة باردانيوس ، وعلى هذا يمكن أن يقال عنه بحق أنه أقام ٢٥ عاماً عند السرافنة (جنيزوس نفس الوضع) وأرى أن هذا هو التفسير الصحيح للخمسة والعشرين عاما لا ما افترضته من قبل . نفس الوضع .

(٤) تاريخ ميشيل السورى ط شابو ج ٣ ص ٣٧ جريجوار أبو الفرج (ابن العبرى) التاريخ السورى طبعة بيجان باريس ١٨٩٠ ص ١٤١ وترجمة ا . ا . والبس بادج ، أكسفورد ولندن ١٩٣٢ ص ١٩٢ وهو يستقى معلوماته من ميشيل « وفى هذا الزمن استدعى المأمون توما » .

النظر لأنه حفظ لنا قطعا عن مؤرخين ضاعت آثارهم اليوم أو على الأقل اقتباسات منهم [١] . وإذا اتخذنا ميشيل السورى أساساً فإنا نلاحظ أن هرب توماس كان فى أيام خليفة هو هارون الرشيد يعنى بعد ٧٨٦ وهى السنة التى ولد فيها .

وتعد رواية ميشيل حاسمة . والواقع أن الحادث الأساسى وهو هرب توماس عند العرب منذ عهد أيرين يتأكد بمصدرين مستقلين عنه ومستقلين فيما بينهما استقلالا لا مطلقاً ، وهما حياة القديسين داود وسيميون وجورج المتيلينى وخطاب الامبرطور ميشيل للامبراطور لويس . ونضيف أن هذه الشهادات الثلاث تتفق تمام الاتفاق مع احدى روايتى جنيزيوس ومع مدة السنين الخمس والعشرين التى ذكرها جنيزيوس وصاحب الصلة فى تحديد زمن إقامة توماس عند العرب ، وإمام هذه الشهادة الرباعية يجب اعتبار اشتراك توماس فى ثورة باردانيوس أيام نقفور (جنيزيوس وصاحب صلة تيوفان) من قبيل الروايات المستملحة التى لا تقبل على أنها تاريخية . ونرى فى النهاية أن توماس لجأ الى العرب فى ٧٩٧ حين كانت ايرين تشمل ابنها المغلوب قسطنطين السادس برعايتها ولا شك أن ميشيل السورى يخطىء إذ يقول أن توماس كان يدعى أنه ابن قسطنطين الخامس [٢] . أما فرض بيورى (وهو أن توماس هرب مرتين مرة فى عهد ايرين ومرة فى عهد نقفور) فإنه لا يستند إلى أى نص .

كان ابتداء توماس أعمال العدوان منذ آخر حكم ليون : فأخضع أرمينيا وكادبلا البنطسية [٣] لاجند ارميناقوس ، وإن كان قد غلب واليه .

---

(١) ريت : « الأدب السوريانى » فى دائرة المارف البريطانية ط ٩ ج ٢٢ ص ٨٥١ — ٨٥٢ ونفسه « مختصر تاريخ الأدب السوريانى » (الانجليزية) لندن ١٨٩٤ ص ٢٥٠ — ٢٥٣ ألب . فيرت « مختارات من المؤرخين الشرقيين » (بالألمانية) فرنكفورت ١٨٩٤ ص ٦٢ وما بعدها .

(٢) كون توماس أدعى نفسه قسطنطين بن ايرين أمر يشهد به خطاب ميشيل الثانى (ولم يكن ليتجاهل مثل هذا) والمصادر الأخرى ومنها حياه القديسين داود الخ . والمصدر الوحيد الذى يعده خطأ ابن قسطنطين الخامس هو ميخائيل السورى . وها هو المصدر الاصلى من ترجمة شابو ج ٣ ص ٣٧ « وكان هذا منذ زمن هارون يقول عن نفسه أنه ابن قسطنطين . أبو الفرج فى الموضع المذكور « الذى أعلن أنه هو نفسه ابن قسطنطين الملك » تاريخ جوهانيس دياكون « وكان يؤكد عن نفسه أنه ابن قسطنطين Muratori, Scr rer. ital. I.I p. II p. 303; Mon. Germ. Hist., Scriptores rerum langobardi Carum p. 230)

وأنظر . . . . . تاريخ ميخائيل السورى ط شابو ج٣ ص ٣٧ ومع أن هارون صرف النظر عن ذلك (اعطائه جيشا) فإنه كان يكرمه لأنه ابن الامبراطور . أنظر أ . و . بروكس المجلة البيزنطية (بالألمانية) ج٣ (١٩٠٠) ص ٦٥٦ (ورأيه كرأينا) .

ثم قتل الامبراطور فى ٨٢٠ على يد مؤامرة ، وولى الامبراطورية ميشيل الثانى. واستغل توماس هذه الظروف فأخذ يصب عدوانه فى عنف ، واتجه بخططه إلى العاصمة . وكانت العوامل التى ذكرنا من قبل قد مهدت للثورة فى كل مكان ولم يكن يعوزه الأنصار . وكانت آسيا الصغرى كلها تقريباً منتصرة له ، ولم يبق إلا ، جندان على الوفاء للامبراطور هما جند ارميناقوس وواليه الاستراتيج أوليانس وجند الأبسقيون وواليه الاستراتيج كتاكيلاس [١]

وكان فى جيش توماس امداد من الشعوب القوقازية التى أخضعها من الايبيريين أو الجورجيين ومن الأرمن والأباج (الأبخاذ) [٢] .

وعقد توماس حلفا مع المأمون قضت شروطه أن يمد المأمون توماس بجيش قوى [٣] — وكان المأمون ينوى من جهته مهاجمة قسطنطينية نفسها [٤] . وكانت

---

(١) لم يبق إلا البياتوس استراتيج ارمنياقوس فانه قاد أصحابه للطاعة وكذلك كتاكيلاس استراتيج الابسقيون وظلا جميعا على الوفاء للملك ميخائيل » (باليونانية) أنظر صلة تيوفان ص ٥٣ ف ١١ .

(٢) أنظر ص ٢٠ ، ٤٧٦ Mon. Germ. Hist. « وخرج توماس بنفسه من أرض العرب ومعه سراقنة وفرس وأرمن وأفاج وبقيه الشعوب الأخرى » (باللاتينية) . جنيزيوس يتكلم عن هجوم توماس ويذكر فى عداد الجيش عدداً من الشعوب لم تكن موجوده فى ذلك العصر » من العرب والهندو المصريين والسريان والميديين والاباظ والزيخيين والايبريين والكابيريين والسلاف والاونوييں والبندليين والجيتيين ومن المانتيين واللاظ واللان والخلديين والارمن ومن كل الشعوب الاخرى » (باليونانية) جنيزيوس ص ٣٣) وأنظر غيرش : دراسات بيزنطية (بالالمانيه) ليبزج ١٨٧٦ ص ١٣١ . ويعتبر ا. كونك سرد هذه الشعوب صحيحا ويحاول تعريفها فالهند سكان الهند الصغرى المشهورة وهو اسم يطلق على بعض مناطق فى الجزيره العربيـة فى شماليها ، والسوريان هم النساطره أو الكرد (؟) والاباظ هم الابخاذ ، والزيخيون هم الاديغ أو الكيركتس أو شركس البنطس ، والايبيريون هم الجورجيون ، والكابيريون هم السابير من الهون لا الكابر والانيون هم من بقى من الهون على شاطىء البنطس ، والبندليو هم من بقى من القندال فى آسيا الصغرى ، والجيتيون (يعنى القوطيين فى آسيا الصغرى) ومن يساكنون المانتين وهم البوليسيون (البيالقه) والانتجان القاطنون فى فريچيا والايكاؤينون الخ . واللاظ والألان وهم لاظ جورجيار وأسيس إيران . والخلديون وهم كلدان البنطس راجع ا. كونك « مذكرات التورياك غوطى (كتب أكاديمية العلوم جـ ٤ ١٨٧٤ ص ١٣٢ — ١٣٣ (بالروسية) وأنظر بيورى ص ٨٩ هامش ٢ « الكابيريون هم فى الظاهر الكابار الترك أصحاب الامبراطورية الخزرية كما ترى فى ص ٤٢٦ بعد » ونرى أن هذا التعداد المسرف يحمل روح القصص والملاحم . ثم هلا يكون مرجع هذا التعداد شعر شعبى سياسى روجته الحكومة .

(٣) إذا اعتمدنا قول صاحب الصلة (فقرة ٣٤) فان جند توماس ازوروا منه واتهموه بأنه يفتح بثورته آسيا الصغرى للمسلمين ، فلجأ توماس الى التظاهر بالهجوم على الشام ارضاء لهم فرأى المأمون الصواب فى التحالف معه .

(٤) تاريخ ميشيل السورى ط . شابو جـ ٣ ص ٣٧ « يقول أنه حين مات هارون استدعاه المأمون

قوات عربية أخرى تهاجم الجزر الرومية الشرقية وشواطىء آسيا الصغرى، وأصبح هذا الحلف شرعيا بتتويج توماس أمبراطوراً على يد أيوب بطريرك أنطاكية[١].

أما الصعوبة المالية التي كان ينتظر قيامها أمام مثل هذا المشروع الواسع فأنها زالت منذ البدأ لأن توماس استطاع أن يستميل إلى حزبه جماع الضرائب الأمبراطوريين بآسيا الصغرى[٢].

ومن الصعب أن يتصور الإنسان لأول وهلة مشروعا أكثر حبكاً وأملك لوسائل التنفيذ. ومع ذلك فاننا إذا فتشنا الأشياء عن قرب ميزنا منذ البدأ عوامل الانحلال التي كانت أسباب الاخفاق. فان حلف توماس مع العرب أمده في الحقيقة بالقوة المادية، ولكنه من جهة أخرى أبعد عنه الحزب الأرثوذكسي الذي أيده على أنه

وبعثه بجيش إما ليفتح آسيا الصغرى ويسلمها له (فيما بعد) وإما ليوقع الاضطراب فيها بالحرب ؛ (التاريخ السورياني لأبي الفرج) وأرسل بجيش نحو القسطنطينية (بالانجليزية) .

(١) جيبربوس : وعقد محالفة مع الآجرنين وأعلن نفسه قائدهم وأخذ التاج الملكي من أيوب رئيس أنطاكية الديني (بطريركها (باليونانية) ويسمى صاحب الصلة البطريرك : يعقوب وهو خطأ (ص ٥٥ فقرة ١٢) أما سيدروس فيسميه أيوب (جـ ٢ ص ٧٨). وأنظر اتيخيوس السكندر (تاريخ سعيد ابن البطريق) وفي السنة الاولى من خلافة المأمون كان أيوب بطريرك انطاكيه في السنة الحادية والثلاثين من ولايته (ط شيخو .C.S.C.O كتاب العرب جـ ٧ ص ٥٧) . وقد حلف أيوب « تيودوربه وتولى العرش البطريركي من ٨١٣/٨٤٣ . لى كوين « الشرق المسيحي جـ ٢ باريس ١٧٣٠ ص ٧٤٧ أما ميشيل السوري فإنه يخلط في التوقيت ويقص الحكايه الآتية في أيام تيوفيل (ط شابو جـ ٣ ص ٥٧) « (في ٨٣١م) قصد المأمون صقلية فجأة وهو يدعى نفسه من جنس الاباطرة وطلب اليه أن يرفعه الى العرش فقبل المأمون قول هذا المدعى وأمر أيوب بطريرك الخلقدونيين في أنطاكيه أن يرسمه امبراطورا لأنه سمع أن الامبراطور لا يقام من غير بطريرك ، فلما قرأ عليه الادعية وضع على رأسه تاجا ذهبيا بأحجار ثمينة قيمته ٣٠٠٠ دينار فلما علم ذلك أهل قسطنطينية اجتمع أساقفتها وحرموا أيوب الشقي الذي كان من دينهم . أما الامبراطور الذي بدأ حكمه فانه لم يكسب شيئاً لأن أحداً لم يقبل عليه ، فبقي معسكراً سنتين في تليابي ثم اعتنق الاسلام على يد أبي اسحق (المعتصم) وكفر بالمسيح ودنس أسرار المسيحية » ولا شك أن هذه العبارة قد وقعت خطأ في هذا الفصل من تاريخ ميشيل السوري (عن حكم تيوفيل) أنظر بيوري « الامبراطورية الرومانية الشرقية ص ٨٩ هامش ١ » وهو يتساءل ان كان توماس هو قسطنطين السادس فكيف يرى من الضروري أن يتوج نفسه » وصعوبة هذا التتويج في أنطاكية لم يلاحظها أحد من المؤرخين على ما أعلم فان كان توماس يدعى أنه ابن قسطنطين (كما يقول ميشيل السوري) فان كل شيء يتضح » ويكون هذا التتويج شعيرة رسمية لازمة .

(٢) جيبربوس ص ٣٢ « واكتسب الى صفه عمال الضرائب العامه « وحول الى إدارته كل الموانئ الديوانية ووزع من الأموال على الجند فانضموا في قوة الى قيادته ضد ميشيل » (باليونانية)

حامى الصور والذى لم يكن يرتضى حلفه القريب مع الكفار . فلما تقدم توماس فى آسيا الصغرى محوطاً بجند مسلمين قل الحماس العام الذى كانت أثارته حركته قـلة ظاهرة[١] . وكان لهذا التحول فى شعور أنصاره أثر سيء على كل المشروع ، وكان سببا من الأسباب الرئيسية فى الاخفاق .

ولم يكن عند ميشيل فكرة صحيحة عن قوة خصمه الذى كان يجتاز آسيا الصغرى نحو قسطنطينية . فأرسل للقائه جيشاً صغيراً وقامت معركة انتصر فيها توماس . وقتل بعض الجيش المنهزم ولاذ البعض الآخر بالهرب[٢] . أما أسـطول « الأجناد البيزنطية يعنى الوحدة التى تقوم على حماية الأجناد الساحلية ، فانها انحازت إلى توماس وتلقت الأمر بالاجتماع عند جزيرة لسبوس . ولم يبق على ولائه لميشيل الا الاسطول الامبراطورى[٣] . وفى أثناء ذلك زاد توماس أسطوله زيادة كبيرة بإنشاء سفن حربية وسفن لنقل الخبز والخيل .

ومن الجلى أن ميشيل أدرك بعد هزيمته الأولى أنه أمام ثورة غير عادية . وأدرك إدراكا تاماً قوة توماس باعتباره رئيساً وزعيما لحزب الايقونات ، وهذه الصفة هى التى اهتم الأمبراطور بها ولها ، وكان يعرف أى أنصار ذوى كفاءة

---

(١) راجع فنلاى : تاريخ اليونان ط . توزر حـ ٢ ص ١٣٠

(٢) صلة تيوفان ص ٥٥ فقرة ١٣ .

(٣) جنيزيوس ص ٣٧ .

ولم يلبث كل الأسطول الرومى أن انضم اليه ما عدا المسمى بالأسطول الامبراطورى (باليونانية) وأنظر صلة تيوفان « ص ٥٥ عمود ١٣ » ، « وأصبح مسيطرا على أسطول الأجناد » ، وأنظر امارى « تاريخ مسلمى صقلية » . حـ ١ فلورنسه ١٨٥٤ ص ٢١٦ والطبعة الثانية حـ ١ ، قطانيا ١٩٣٣ ص ٣٤١ . والأسطول الرومى تألف من قسمين رئيسيين « الأسطول الامبراطورى » بمعنى اللفظ الضيق والأسطول الاقليمى وكان الأسطول الامبراطورى يعتمد على دخل الخزينة المركزية على حين كان الأسطول الآخر يعتمد على ميزانيات الاجناد وكانت الاجناد ترى من ضروراتها اتخاذ أساطيل . وكان رؤساء الأسطولين يسمون درنجار ، فلما كان القرن العاشر كان أمير الأسطول الاقليمى يحمل لقب استراتيج ، أما رئيس الأسطولين العام فكان يحمل لقب درنجار البحار .

وراجع أيضا ك . نيومان « البحرية الروميه » فى المجلة التاريخيه (الألمانية) مجلد ٤٥ (١٨٩٨) ص ٥ وأنظر Viz Vrem. Kulakovski ٩ (١٩٠٢) ص ١/ ٣٠ ، وأنظر بيورى : نظام الامبراطورية الإدارى (بالانجليزية) ١٩١١ ص ١٠٩/ ١١٠ .

و نفوذ كانوا يتبعون هذا الحزب فى آسيا الصغرى ، مثل أنصار البطريرك القديم نيقفور وكان قد نفى فى آسيا الصغرى ، فخاف أن يتحولوا إلى نصرة توماس ، ولهذا أسرع باستدعائهم إلى العاصمة وكان ممن لبى الدعوة تيودور الأستودى وأخوه نيقولا [١] .

وأحس ميشيل حينئذ بحاجته إلى إقرار السلام الدينى . ولهذا فكر فى ٨٢١ فى عقد مؤتمر دينى . ولكن أنصار الايقونات أعلنوا رفضهم الاجتماع مع الهراطقة ، وأعلنوا أن على الأمبراطور إذا كان يرى أن هذا الأمر لا يحل إلا عن طريق البطريرك أن يلتمس الحل من كنيسة روما العتيقة التى هى أولى الكنائس . والتى أسسها الرسول البطرسى [٢] . وهكذا باءت بالفشل محاولة الأمبراطور الاتفاق مع عباد الصور .

وفى أثناء ذلك كان توماس يرتكب خطأ استراتيجيا خطيراً ، وذلك أنه قصد قسطنطينية متناسيا أنه يترك وراءه فى آسيا الصغرى أنصاراً لميشيل مخلصين له أقوياء هم ألبيانس وكتاكيلاس أصحاب أجناد الأرمنياقوس والأبسقيون . فاحتل توماس

---

(١) حياة القديس تيودور الاستودى فى « Mai, Patrum Nova Bibliotheca حـ ٤ قسم ٢ عمود ٦١ ص ٣٠٦ = مينى P G مجلد ٩٩ عمود ٣١٧/ ٣٢٠ ، » وبما أن سلطته (أى توماس) كانت تمتد على اقليم آسيا الصغرى ، فقد صدرت حينئذ دعوة امبراطورية الى أنصار قداسة البطريرك نيقفور (المنفى) ليقدموا الى مدينة القسطنطينية ، ولم يصنع الامبراطور ذلك مداراة لهم ولكن خوفاً من أن يتحولوا الى حزب توماس . وذلك أنه شاع أنهم يعتقدون فى الايقونات ويعبدونها ، فقبل الأب تيودور هذه الدعوة » (باليونانية) .

وأنظر حياة القديس نيقفور الاستودى عند مينى P. G حـ ١٠٥ عمود ٩٠٠ » ولكن اتباع توماس المنتشرين كانوا حانقين على الدنيا كلها فأثاروا الحكام ولم يقبل (تيودور ولا نيقفور ولا نيقولا) حجة الامبراطور » (باليونانية) وأنظر الترجمة اللاتينية فى نفس الموضع عمود ٨٩٩

(٢) منسى ، مجموعة المجامع المقدسة حـ ١٤ ص ٣٩٩ — ٤٠٢ وانظر هرجنروتر . فوتيوس جـ١ ريجنبرج ١٨٦٧ ص ٢٨٥ — ٢٨٦ . وانظر هيفلى تاريخ المجامع (بالألمانية) الطبعة الثانية جـ ١ ، فرايبورج فى بريسجاو ١٨٧٩ ص ٣٨/٣٩ وأما بيورى فانه فى تاريخه يحقق هذه المشكلة العويصة يعنى المفاوضات بين ميشيل وأنصار الايقونات . ويظهر أنه وجد مشروعان لعقد مؤتمر أولها عام ٨٢١ وثانيهما بعد ذلك بثلاث سنوات فى عام ٨٢٤ ، فانظر بيورى ص ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ وهامشه رقم ٤ ص ١١٦ . أما عن تيودور الاستودى فانظر ن . جروسو : القديس تيودور الاستودى (بالروسية) ، ١٩٠٧ أما عن موقف ميشيل الثانى من المسألة الدينيــة فانظر جروسو ص ١٥١ وانظر هـ ٤ ص ٢١١ من بيورى . وأحدث منه . ف . دبروكلوفسكى : بيودور حـ١ . ١ أودسا ٣ ١٩ ، ص ٨٥٣ ومابعدها

بنفسه إقليم هلسبونت وعسكر بين سيستوس وابيدوس بجند كبير [١] واسند الدفاع عن آسيا الصغرى ومؤخرة الجيش إلى ابنه ، المسمى حظاً بقسطنطين ، ولكن هـذا الابن شغل نفسه بالتنبؤ والولائم والأحلام المنبئة بدخوله الوشيك إلى قسطنطينية مظفراً . فلم يكن إلا أن فاجأهم جيش البيانوس وهزمه وأخذه أسيراً . وأمر البيانوس بقطع رأسه وبعث بها إلى ميشيل فى قسطنطينية فبعثها هذا إلى توماس [٢] .

ولنلاحظ شيئاً وهو أن الامبراطور ومن بقى على الوفاء له من ولاة آسيا الصغرى ظلوا على اتصال رغم قيام توماس بينهم . ولم يوقف توماس موت ابنه . بل تبنى راهباً سابقاً هو أنستاس . وكان هذا الراهب فيما يقال سكيراً ذا منظر بشع [٣] .

وبذل توماس كل جهده لإستمالة سكان تراقية وضمهم إلى حزبه فعبر الشاطىء فى ليلة غير مقمرة [٤] عند مدينة هوركوزيون [٥] إلى تراقية . وكان ميشيل قد وجه قبل ذلك بقليل تصريحاً إلى سكان هذا الإقليم يوصيه فيه أن يثبت فى تمسكه بنصرته وأن يحبط ما استطاع محاولات الثائر . ولكن نفوذ توماس كان قد عظم فلم يكلفه الأمر إلا أن يظهر حتى يتبعه أهل الإقليم ، ونسوا مابذلوا من إيمان للامبراطور ، واتفقوا مع توماس على التضامن معه فى الهجوم على العاصمة .

وكان من حلفائه الصقالبة المقدونيون [٦] .

---

(١) ويقول جنزيوس « مع جيش لا حصر لعدده » (باليونانية) ص ٣٧ ويقدر صاحب صلة تيوفان العدد بمائتين ألفا وهو تقدير مبالغ فيه ثمانون ألف محارب (باليونانية ص ٥٥ عمود ١٣)

(٢) جنزيوس ص ٣٧ . وقسطنطين تيوفراست ص ٥٦ عمود ١٣ Mon. Germ. ج ١ عمر ص ٣٧٧ و ٣٠ وما بعده « كان له اثنان تبناهما أما أحدهما فقد قتله أنصارنا » (باللاتينية) .

(٣) أنظر جنزيوس ص ٢٩ وصلة تيوفان ص ٥٨ عمود ١٤ .

(٤) جنزيوس ص ٣٧ : وانتظر ليلة غير مقمرة (باليونانية) ولعل الاشارة إلى خسوف قمرى . وانظر قسطنطين تيوفراست ص ٥٧ عمود ١٣ : « إن ذلك كان فى وقت لم يكن القمر فيه مضيئا » (باليونانية)

(٥) Ὅρκος (جنيزيوس ص ٣٦) Θρκώσιον‘ (صلة تيوفان ص ٥٦ عمود ١٣) وهى على الأرجح (‘Ορκοσιον) بين پاريون ولمبساك حسب نيودور الاستودى Epp ج ١ ق ٣ ص ٩١٧ وهى نفس لوركو المذكورة فى كتب الانواء ، ويجعلها توماشيك (جلسات فينا ١٨٩١ ص ١٥) فى خليج صغير على شكل هلال قريب من شمال شرقى لمبساك . انظر بيورى ص ٩١ هامش ١ .

(٦) Mon. Germ الكتاب نفسه ٤٧٧ و ١٠ : التراقيون والتسالونيكيون ومن أحاط بهم من

وحول هذا الوقت أمر توماس الأسطول أن ينتقل من لسبوس إلى العاصمة، فوصل فى نفس الوقت الذى وصل فيه جيشه وكانت عدته عشرة آلاف رجل. عليهم جريجوار ابتيروتس وهو استراتيج سابق كان ميشيل قد نفاه فى جزيرة اسكيروس لولائه للامبراطور السابق ليون الأرمنى وظل هكذا إلى أن حالف توماس وتولى له هذا الجيش[1].

واستطاع أسطول توماس أن يبلغ قسطنطينية رغم وجود السلسلة الحديدية عند القرن الذهبى ووصل إلى مصب باربين، وهو نهر يصب مع نهر صغير آخر هو الكيدارس فى الشمال الغربى من القرن الذهبى عند مكان هو اليوم كورنيش مشهور يسميه الأوروبيون «مياه أوروبا الحلوة». وهناك كان اتصال قوات توماس البرية والبحرية[2].

وفى أثناء ذلك كان ميشيل قد استعد للدفاع، فاستطاع بفضل البيانوس وكتاكيلاس أن يستمد من آسيا الصغرى قوات كبيرة. وسهل له ذلك أن كثيرين من أنصار توماس كانوا ساخطين على رئيسهم لحلفه مع العرب ولأنه ترك آسيا الصغرى إلى تراقية، فتركوه وانضموا إلى حزب الإمبراطور[3].

ولم يلبث توماس نفسه أن بلغ قسطنطينية مع بقية جيشه: ثمانون ألف رجل[4] وبدأ حصارها براً وبحراً فى ديسمبر عام ٨٢١[5].

السلاف. ولا ذكر للبلغار فانهم ظلوا على الحياد ثم تدخلوا آخر الأمر ضد توماس. ولدينا فى جزء من نفس تاريخ ٨٢٠/٨٢١: وهو تاريخ يؤكد (؟) قيام صلح بيزنطى بلغارى. انظر بيشفليف Corpus رقم ٢٣

(١) أكثر التفاصيل عن جريجوار ولقبه وقرابتـه بليون الأرمنى (فانه يقال أنه كان ابن أخيه) موجودة عند صلة تيوفان ص ٥٧ و٦٢/٦٣ لا عند جنزيوس.

(٢) جنزيوس ص ٣٨: «واتصلوا برا وبحرا عند مصب نهر بربير (باليونانية) أما عن هذا النهر فانظر دبتيير: البسفور وقسطنطينية (بالألمانية) فينا ١٨٧٣ ص ٧ وبيورى نفس الكتاب ص ٩٣ هـ ٣: — كيات — هانة — سو، وراجع بيدكر ص ٢٢٠

(٣) جنزيوس ص ٣٨.

(٤) جنزيوس ص ٣٨/٣٩.

(٥) Mon. Germ تاريخ: نفس الموضع ص ٤٧٧ و ٥ وما بعدها «فى شهر ديسمبر من السنة الخامسة عشرة (باللاتينية) وهذا التاريخ الدقيق لم ينتبه له ميرالت فسجل كل الحوادث السابقة فى عام ٨٢٢ (ميرالت «خلاصة التوقيت الروى» حـ ١ ص ٤٠٧/٤٠٨) وانظر جنزيوس ص ٤٠: «وكان الوقت شتاء» (باليونانية).

وكان توماس يتوقع أن تفتح قسطنطينية أبوابها بمجرد اقترابه منها كراهية فى ميشيل ، فلم يتحقق له ماتوقع ، بل رأى نفسه يصطدم بمقاومة حادة

فاستقر فى دير كوسم ودميان الكبير (وكان يسمى الكوسميديون) وهو الدير الذى بناه بولان خارج أسوار المدينة وراء قصور البلاكرن ابان حكم تيودور الثانى فى القرن الخامس[١] . وهو يقع فى طرف القرن الذهبى قرب قصر بلاكرن . وقد حصن فيما بعد لتعرضه لهجات الأعداء [٢] . واستطاعت أقسام من جيش توماس كانت معسكرة على شط البسفور الأسيوى أن تحتل الشاطىء إلى إيكسان [٣] وتبلغ رأس هيرون عند الجزء الضيق من المضيق حيث تقع اليوم خرائب « قصر جنوه » بالقرب من أناضولى قوك وكان فى معسكر توماس آلات حصار عديدة مختلفة .

ورفع ميشيل علم الحرب على سطح كنيسة بلاكرن [٤] . ورأس إبنه تيوفيل موكباً ومعه « الصليب المحى » ورداء العذراء ، ودار حول الأسوار يسأل المعونة الإلهية انقاذ المدينة المحاصرة . ويبدو هذا الموكب المرح وفيه رداء العذراء أو ملاءتها شيئاً غير متوقع من امبراطور غير معتقد فى الصور ، وإنما يفسر ذلك على الأرجح بأن ميشيل كان يتحرى إصلاح الحزبين [٥] . وكان توماس مغتراً بعدد جيشه فابتدأ

---

(١) جنزيوس ص ٣٨ : « ونصب خيامه عند الأنارجير الجديد » : (باليونانية) : وقسطنطين تيوفراست ص ٥٩ عمود ١٣ : « عند بيت بولان حيث يوجد حرم أنارجير المبجل وقد بنى ليكون معبدا » . (باليونانية) أنظر دى كانج . قسطنطينية المسيحية ، باريس ١٦٨ الكتاب الرابع ص ١٨٢ ، وديتيير : البسفور وقسطنطينية فيينا ١٨٧٣ ص ٥٩ . كندا كوف « الكنائس الرومية وآثار قسطنطينية » فى أعمال المؤتمر الأثرى الرابع المعقود فى أودسا (١٨٨٤) أودسا ١٨٨٧ ص ١٢/١٣ (بالروسية) وفى أيام جستان الثانى وتيبير فى القرن الرابع بنيت كنيسة كوسم ودميان فى حى داريوم . انظر كندا كوف نفس الموضع : ص ٤٤/٤٥ أما عن خطة الحى وسورليون الذى يحميه فانظر بيورى ص ٩٤ وهامشها .

(٢) ح. ب . ريشتر : مصادر تاريخ الفن الرومى ح ١ فينا ١٨٩٧ ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٣) قسطنطين تيوفراست ص ٥٩ : وجال فى كل هذا الاقليم الى ايكساں وهيرون وما وراء هذه البلدات . (باليونانية) . وأنظر ديتيير ، فى نفس الكتاب ص ٧٦ ونعرف كذلك أن الروس استقروا كذلك عند هيرون فى سنة ٨٦٠ .

(٤) جنزيوس ص ٣٩ : ورفع ميخائيل على سقف كنيسة والدة المسيح علم الحرب ونصبه هناك (باليونانية) . وأنظر قسطنطين تيوفراست ص ٥٩

(٥) ومن الطريف أن نلاحظ أنه يندر أن يظهر الصليب كأداة فعالة للكرامات فى الحياة الواقعية وفى أدب الأرثوذكية الرومية الدينى . أما العذراء فانها أعظم منقذ للمدينة الامبراطورية وأغلى حسام لها

الهجوم وركز قوته ضد كنيسه بلاكرن ، واستخدم كل آلات الحصار . ولكن أنصاره لقوا من حدة المقاومة مالم تغن فيه أسلحة الحصار . فاضطروا إلى التراجع . أما الأسطول فكان قد تقدم نحو المدينة ، ولكن ريحاً مضادة أقصته عنها وأقبل البرد بعد ذلك فاضطر توماس إلى رفع الحصار ليتخذ معسكراً يمضي فيه الشتاء ، وتنفست المدينة المحاصرة الصعداء [١] .

فلما أقبل الربيع عام ٨٢٢ استأنف توماس حصار القسطنطينيه براً وبحراً وركز قواته الرئيسية هذه المرة أيضاً أمام بلاكرن . وتنص المصادر أن ميشيل كلف نفسه الاتصال بالثوار من فوق الأسوار ووعدهم العفو التام إن انضموا إليه ولكن هذه الدعوات لم تؤت شيئاً .

فأنشب الإمبراطور عندئذ المعركه بنفسه . وخرج جيشه من المدينة وهزم جند توماس، وكان أسطوله يمنى فى نفس الوقت بهزيمة بحرية وفجأة جنح فى فوضى عظيمة نحو الشاطىء وانضم قسم من بحارته إلى أسطول ميشيل ورفض القسم الآخر إنشاب القتال فى البحر وآوى إلى معسكر توماس . وكانت هذه الخسارة فى أسطوله ضربة مريعة [٢] .

كان منها منذ هجرة الأفار سنة ٦٢٦ — ولم تنتقذ العاصمة الرومية بالصليب إلا فى « ثورة توماس التى نعرفها الآن . ومع ذلك فان أثرا آخر كان يزاحم الصليب فى هذه المناسبة . فانظر اعتبارات أخرى طريفة عند ڤازيليف « أبحاث روسية بيزنطية » ح ٢ ، سان بطرسبرج ١٨٩٣ ص ٥٦/٥٤ (بالروسية) وأنظر حياة جورج الأميترى فانا نجد هذا القديس يخرج فى وجه السراينة متخذا المدينة وفى يده صليب (ڤاريليفسكى : نفس الكتاب ص ٤٠) أما عن راقصه الايقونات والصليب فانظرج مييه B.C.H. ٢٤ (١٩١٠) ص ٩١ — ١٠٩ ، ت . شمت : كنيسة نيقيه ص ٢٤ ومابعدها . وأنظر بيرانطيون ٥ ، ١٩٣٠ ص ٢٨٩ . ومن الطريف الذى له دلالته أن لا تعرض حياة تيودور الأودسى (وهى روايه من سير القديسين وضعت أيام ميشيل الثالث) للايقونات وان تطنب فى ذكر الصليب .

(١) جيريوس ص ٣٩/٤٠ قسطنطين تيوفراست ص ٥٩/٦١ والمسألة ملخصة فى الكتاب المقتبس فى تاريخ : Mon. Germ. نفس الموضع ص ٤٧٧ . وبقورى ص ٩٥ : « فى أثناء ذلك استغل ميشيل فتور العمليات الحربية تقوى حاميته إلى حد كبير . فاستطاع فى هذا الحصار الثانى أن يضطلع بأكثر من مائة من الاسوار وأن يخرج الى ما وراءها للقاء العدو . وفى هذه الحرب كذلك أجريت على الأرجح اصلاحات فى السور المنسوب إلى ليون . ولا يزال نقش بذلك محفوظا . ويستند بيورى على فان ميليجن » قسطنطينيه الروميه ، أسوار المدينه والمواقع المجاورة ، لندن ١٨٩٩ ص ١٠١ و ١٦٦ و ١٦٨ وأنظر الى الحوليات اليونانيه البيزنطية : ٥ و ١٥

(٢) جينزيوس ص ٤ ، قسطنطين تيوفراست ص ٦١/٦٢ عمود ١٥

وكان جريجوريوس بتيروس (وقد ذكرناه آنفاً) احد الذين انضموا للامبراطور فاجتاز تراقية وأصبح يهدد توماس من ورائه . ولكن هذا الثائر أثبت وقتئذ نشاطاً عجيباً . فلم يوقف الحصار وإنما سارع إلى لقاء جريجوار بقسم من الجيش فهزمه وأسره وقتله وعاد تواً إلى أسوار العاصمة وبعث كتباً إلى كل مكان تنبيء بانتصارات مزعومة كثيرة وعاد القسم الذى ظل على الوفاء من الأسطول . وكان حينئذ على الشواطيء اليونانية (وكان يشمل عدداً محترماً من سفن الحرب والنقل)[١] . الى حصار قسطنطينية ولكن الأسطول الأمبراطورى — مسلحاً بالنار الاغريقية — لقيه فى خليج بيريد[٢] على الشاطيء الشمالى من بحر مرمرة ، بين هبدمون والباب الذهبى ، وأوقع به هزيمة حاسمة . فأخذ كثيراً من سفنه برجالها والتهمت النيران سفناً كثيرة أخرى ، فلم يبلغ إلا عدد ضئيل من هذا الأسطول خليج بلاكرن . وهناك اتصل بحارته بجيش توماس البرى .

واستمرت عمليات الحرب حول قسطنطينية متساجلة النصر ولم تتحول إلى معركة حقيقية .

واقتصر الأمر على اصطدامات يسيرة كان ميشيل أو ابنه تيوفيل ينتصر فيها أحياناً بفضل جند البيانوس وكتا كيلاس (وكانوا وصلوا إلى المدينة منذ أول الحصار) . وكان توماس كذلك ينتصر أحياناً . وإنما صرف الأمبراطور نفسه عن إنشاب معركة حاسمة لأن الأكثرية العددية لا تزال فى صالح الثائر[٣]

وقد افترض البعض أن الروم بينما كانوا يقاومون توماس أمام قسطنطينية كانوا يحاربون حلفاء العرب فى آسيا الصغرى فى نفس الوقت ، وذكروا فى هذا الموقف بالذات هجوماً موفقاً شنه الإغريق على حصن ربطرة فى أقليم الثغور فهدموه وأسروا سكانه

(١) تقدر صلة تيوفان الأسطول بـ ٣٥٠ سفينه وهو تقدير مبالغ فيه على الأرجح (ص ٦٤ عمود ١٦) وجل ما عرف من أسطول توماس أمام قسطنطينية لم يكن إلا جزءاً فقط

(٢) جنزيوس « ص ٤١ » واشتبكوا عند المكان المسمى بوريدون . صلة تيوفان ص ٦٤ عند ميناء بوريدون قريباً من تراقية (باليونانية) وانظر بيورى ص ٩٨ هـ ٤ » ويتضح من عبارة عند يحيى الانطاكى أن بوريد مكان يقع على الشاطيء بين هبدومون (ماكرى كيوى) والباب الذهبى . وكان ميناء هبدومون شرقى القصر (كان يلى شرق الميناء مباشرة مكان اسمه كوكوبيون) ويتضح من هذا أن ميناء بوريد هو ميناء هبدومون .

(٣) صلة تيوفان ص ٦٤

واستاقوا ماشيته . فأمر المأمون بعد فيما يقال بترميم زبطرة وتحصينها[١] .

ولكن الواقعة ليست ثابتة فإن تاريخها عند البلاذرى متأخر عن ثورة توماس ومن الجائز أن يكون هذا المصدر العربى وميشيل السورى قد كررا ذكر أخذ المدينة على يد تيوفيل .

فى هذا الوقت كان امورتاج أو مورتاجون قد انصرف عن مطامع سلفه كروم فى أخذ قسطنطينية وكان فى أيام ليون الأرمنى عقد هدنة أجلُها ثلاثون عاماً مع الروم ، حمَلَـهُ عليها ما كان يلقى البلغار على حدودهم الشرقية من مشاكل[٢] . فى هذا الوقت أعلن امورتاج نفسه فجأة عدوا لتوماس[٣] .

والراجح أن امورتاج إنما كان يعمل على اتفاق مع ميشيل وأن ميشيل اتجه إليه يطلب نجدته حين أدرك صعوبة موقفه[٤] .

---

(١) بلاذرى ط . دى خوبه س ٢/١٩١ (انظر الملحق س ٢٦٩ من الأصل الفرسى) . البلاذرى هذه الواقعة فى عهد المأمون فى سنة ٢١٠ هـ (٢٤ ابريل ١٢/٨٢٥ ابريل ٨٢٦) وانظر كذلك سرد حملة تيوفيل سنة ٨٣٧ عند البلاذرى أيضا س ١٩٢ . ويميز تاريخ ميشيل السورى بين حملتين يونانيتين على زبطره . ولكنه يذكرهما فى حكم تيوفيل (ج ٣ س ٧٤ سنة ١١٤٠ ، ٨٢٩ س ٨٩/٨٨ سنة ١١٤٨ ، ٨٣٧) فيقول فى صيف ١١٤٨ سار مرة أخرى الى زبطره وانظر جريجوار أبو الفرج أو ابن العبرى . التاريخ السوريانى ط بدجيان س ١٤٨ ترجمة بدج س ١٣٥ سنة ١١٤٨ (٨٣٧) « وسار تيوفل مرة أخرى الى زطره » ونحن نميل الى رأى البلاذرى (٨٩٣/٨٩٢) لأنه معاصر .

(٢) أنظر سمسون : حولية امبراطورية الفرنج أيام لويس التقى ج ١ ليبزج ١٨٧٤ س ٢٢٣ .

(٣) نجد اسم امورتاج فى أحد عشر نقشا يونانيا أنظر بيشفليف Purvobulgarski Nadpisi وهو منشور فى Godisnik na Sofijskifa Universitet, مجلد ١٣ ق ١ ، ١٩٣٤ أرقام ١و٢و٣و٤ و٥و٦و٧و٨ و١٠و١١ و١٧ ، وأطرافها رقم ١١ وهو نقش تيرنوفو فى كنيسة الشهداء الاربعين وفيه ذكر لأغنية هذا الامير البلغارى وانظر زلاترسكى ، تاريخ ج ١ س ٣٠/٣٢٥ و ٤٧/٤٤٤ . وانظر جنيزيوس (س ٤١) وصلة تيوفان (س ٦٤ ع ١٢) فانهما يرسمان الاسم مرتاجون وانظر لرسوم هذا الاسم المختلفه . لاترسكى . تاريخ ج ١ س ٣/٢٩٢ هـ ٤ وكذلك بيشفلف مجوعةس ٦٦

(٤) نجد أن ميشيل اتجه إلى البلغار لينال معونتهم كما يقول المعاصر جورج همرتولس (س ٦٩٨ ع ٨) أما جنزيوس (س ٤٤/٤١) وكذلك صلة تيوفان (٦٥/٦٤) فيقولان ان اقتراح المعونة جاء من أمورتاج ، وأن ميشيل رفض المعونة وقدم الرفض حجة معقولة . ورغم ذلك تقدم أمورتاج فى أرض الروم وهزم توماس . وفى هذه المسألة ترجح لدينا شهادة جورج همرتولس لأنه معاصر . وقد نفسر سرد جنزيوس بأنه صدى لتفاخره القومى ، فانه كان يرى من العار أن يطلب الأمبراطور المعونة من أعجمى ، وأن يكون تدخله سببا فى نصر حاسم لميشيل ، وهو مما لاشك فيه ، وانظر هيرس ، ودراسات بيزنطية

واجتاز امورتاج أرض الروم ، فبلغ بحر مرمرة فى أسرع وقت ، ووقف فى سهل كيدوكتوس شرقى هرقله[1] .

واضطر توماس حين أتاه خبر الحملة البلغارية أن يرفع الحصار عن العاصمة وكان مستمراً منذ سنة كاملة[2] . واتجه للقاء أعدائه الجديدين ونشبت معركة ويرجح أنها لم تكن حاسمة[3] . واستقر بعدها توماس فى الجبال عازماً على استئناف لقاء البلغار ولكن هؤلاء قنعوا بما أحرزوا من نصف نصر ومن سلب عظيم وتركوا أرض الروم وعادوا إلى بلادهم[4] .

مثل هذا الحدث من تدخل خان البلغار فى حرب بيزنطية مدنية يبدو لأول نظرة أمراً تافهاً . ولكنا نرى أن هذا التدخل كان ذا أثر حاسم على الثورة . فإن توماس أجهد نفسه ليصد البلغار وأصبحت ثورته تسير نحو الفشل .

ولتدخل أمورتاج أثر آخر . وهو أن الحزب الأرثوذكسى انهزم فى شخص توماس . فلم تكن خدمة يسيرة تلك التى أداها ملك البلغار إلى الأباطرة وهى رفض

= (بالالمانية) ص ١٣٤ — وكذلك خطاب ميشيل الى لويس لا ذكر فيه لتدخل البلغار لأن من الجائز أن يعد ذلك دليلا على ضعف الامبراطور . وانظر أيضا بورى ص ١٠٠ وما بعدها وقد جاء عنده ، واصل الأمر أنه لم يكن يميل إلى عقد حلف رسمى مع البلغار وأنه اقتصر على أن يؤكد لهم أنهم إذا هاجموا توماس وأخذوا لأنفسهم سلبه اعتبرتهم الامبراطورية غير ناقضين للهدنة .

(١) ترسم المصادر الرومية الاسم كيدوتس وهو اختصار من أكيدوكدوس وهو اسم المكان جاء من اسم قناة عالية رومية مبنية هناك . أنظر Jireck جيرشك « طريق الجيوش من بلغراد الى القسطنطينية وممرات البلقان . براج ١٨٧٧ ص ١٠١ وأنظر بيورى » نفس الكتاب ص ١٠١ هـ فانه يقول : « أهم عبارة لتوقيع كيدوكتوس عبارة نقفور بريين ص ١٣٥ (ط . بون) : آن كومنين ج ١ ص ١٨ و ١٩ (ط . ريفرشيلد) فى وصف المعركة بين الكسيس كومنين وبريين ، وهذه هى العبارة مترجمة عن اليونانية فى السهول التى تحت كدوكتوس .

(٢) ج . همرتولس ص ٦٩٧ : وحاصر توماس الثائر قسطنطينية أو بالأحرى مدينة الله طوال سنة (باليونانية) ويقع أول الحصار كما نعرف فى ربيع عام ٨٢٢ وعلى هذا نستخرج أن تاريخ الحملة البلغارية هو ربيع عام ٨٢٣ وهو ما يتفق مع ترتيب الحوادث التالية . أما ميشيل السورى (ج ٣ ص ٣٧ شابو) فهو يزعم خطأ أن حصار قسطنطينية دام ستة أشهر .

(٣) ويذكر جنزيوس هزيمة أوقعت بتوماس (ص ٤٢) ويتبعه فى ذلك تيوفان (ص ٦٦ ع ١٨) . ويقول جورج همرتولس عكس ذلك « وهو أن توماس سار الى البلغار وقتل منهم كثيرين (باليونانية) ولعل الصواب فى جانب هذا المصدر المعاصر . والذى لاشك فيه أن البلغار لم ينتصروا كما يقول جيزيوس وصاحب الصلة وهو بما يتأيد أن البلغار لم يتدخلوا فى المرحلة الأخيرة من الثورة

(٤) جنيزيوس ص ٤١/٤٢ ، وصلة تيوفان ٦٤/٦٦ فصل ١٧/١٨ .

الايقونات إذ أوجد بتدخله هذا نهضة دامت بعض الوقت[١] .

فلما انتهى توماس من حملته على البلغار استقر بجنده فى ديابازيس فى غربى قسطنطينية[٢] . فى هـذا المكان عند مصب النهر الأسود (Μαυροποςαμον أو Μέλας ، أو بالتركية كراسو) مجتـمعاً مع نهر أثورياس قبيل مصبه فى بحر مرمرة ينبسط سهل كبير غنى بمراعيـــه اسمه سهل خيروباك وكان الرومان بنوا فى جزء المستنقعات من السهل قناة لا تزال قائمة إلى اليوم . وهى سرة أقليم ديابازيس (Διαβασις) حيث جمع توماس قواته وأغار على ما جاورها[٣] .

ولـكن توماس لم يعد يتمتع بما كان له قبل من سطوة . وأدرك ميشيل ذلك . فجعل على رأس جيشه أليبـانوس وكتاكليس وبعثهما إلى توماس . وكان توماس لا يزال يثق ثقة كاملة باخلاص جيشه فلجأ إلى الحيلة وتظم ما يأتى : (أن يتظاهر جيشه بالهرب فى أول المعركة ليكون ذلك مثارا لانتشار الفرق الأمبراطورية .

ولـكن جيش توماس كان ساخطا لأن قيامه بالحرب منذ ثلاث سنين[٤] دون الوصول إلى نتيجة ظاهرة أسامه وأبعده عن الأهل وأضاع أمله فى النصر فعزم الجيش على إنهاء ما يعانى من المشقات . فلما نشبت المعركة هرب حقيقة وترك توماس ولحق أغلبه بالأمبراطور واقسم له يمين الطاعة .

وأوى توماس بعد أن تركه جنده إلى أركاديوبوليس (لولى بورجاس اليوم[٥])

(١) أنظر ف . أوسينسكى : بجم ٨٤٢ بالقسطنطينية فى مجلة وزارة المعارف (الروسية) ج ٢٧٣ (١٨٩١) ص ١٤٩ فانه يقول : « أن تدخل البلغار وحده أطال لعشرين عاما حياه حزب رافضة الصور وأوقع الهزيمة بالعناصر المتنافرة التى كانت تجاهد لترفع عن نفسها ربقة الثقافة الهلينية .

(٢) جنزيوس ص ٤٢ وصلة تيوفان ص ٦٦ ف ١٨ : عند السهل المسمى بديابازيس على بعد مرحلة من المدينة الـكبيره (باليونانية) .

(٣) أنظر جيرشك : طريق الجيش من بلغراد ، بلغراد ص ٥٣ و ١٠٢ .وأنظر بيورى ص ١٠١ ه ١

(٤) جورج همرتوس ص ١٩٦ : « فى ثلاث سنوات » .... ص٦٧« وما أقاموا من زمن (تعربوا ثلاث سنوت) » (باليونانية) .

(٥) M. n. Germ. تاريخ : نفس الموضع ص ٤٧٧ « وحوصروا فى المدينة المسماه أركاديوبولس من اقليم تراقيـــة . وانظر جورج همرتولس ص ٦٩٨ ، وجنيزيوس ص ٤٣ . ويقول صاحب صلة تيوفان ادريانوبولس (باليونانية) ص ٦٨ ص ١٨ وانظر بيورى ص ١٠٣ ه

وتحصن ابنه انستاس فى حصن بيزا إلى الشمال الشرقى غير بعيد من أركاد يوبوليس .

سار ميشيل توا إلى أركاديوبوليس وقرر أخذها بالتجويع لعلمه أن المدينة لا تتحمل الحصار الطويل لقلة مؤونتها . ولكن الحصار استغرق خمسة شهور [١] فلما أخذ توماس المدينة طرد من أهلها كل من لا يستطيع حمل السلاح وأخرج منها مالا يصلح للأغراض الحربية من حيوانها . فتزايد السخط من هذه التدابير . ثم إن أهل المدينة أحسوا بندرة المؤن فأكلوا خيولهم التى قتلها الجوع وأكلوا الجلود وغيرها ، وعرفوا عجزهم عن تحمل مشقة الحصار فى المدينة بعد ذلك فهرب بعضهم خفية من الأبواب أو بالتدلى من الأسوار وانضموا للأمبراطور ومضى بعضهم إلى فيزا لدى انستاس بن توماس [٢] .

وانتهى الأمر بقيام مؤامرة فى أركاديوبوليس نفسها . فهجم أصحابها على توماس وقيدوه وسلموه إلى ميشيل حول منتصف أكتوبر سنة ٨٢٣ [٣] ، فقتله [٤] .

---

(١) صلة تيوفان ص ٦٨ ف ١٨ ، كتب ابن انستاز إلى أهل فيزا واتخذها مدينة له . (باليونانية) . ولدينا أختام محفوظة من القرن التاسع تحمل إسم فيزا . مثل ختم استاوريكيوس وهو اسباتير وطورمارك ومثل ختم رئيس أساقفة فى فيزا فى القرن الثامن أو التاسع . وانظر شلومبرجر « تاريخ سجلات الامبراطورية الرومية ، باريس ١٨٨٤ ص ١٦٩ و ١٧١ .

(٢) Mon. Germ. « تاريخ : نفس الموضع ص ٢٦ و ٢٧ وما بعدها « وفيه » أن نفس المدينة حوصرت خمسة أشهر (باللاتينية) .

(٣) جنيزيوس ص ٤٥ ، وقتل فى منتصف أكتوبر (باليونانية) وانظر صلة تيوفان ص ٧٠ ف ١٩

(٤) تقول المصادر الرومية والشرقية إن توماس قطعت أرجله ويداه ثم أجلس على خازوق ، جنزيوس ص ٤٤ ، صلة تيوفان ف ١٩ ص ٦٩ ، وتضيف سيرة داود Acta Davidisi إن عينيه سملت (ط . فان دى غين فى Anal. Boll جـ ١٨ (١٨٩٩) ص ٢٣٧ والنص هو ، وأخذ ميشيل الثائر توماس وسمل عينيه أولا ثم قتله على خازوق فخمدت حدة الحرب الداخلية . (باليونانية) ونجد مثل ذلك عند قسطنطين منسيس ص ٢٠٣ رقم ٤٧٤٦ وما بعده : وأخيرا أخذه حيا وفقأ حبة عينه وأخذ بذلك لألاء نورها ثم قطعه بعد ذلك بالسيوف تقطيعا شنيعا . وانظر كذلك الترجمة السلافية ص ١٦٣ (ط جوان بودجان) . وانظر تاريخ ميشيل السورى ط شابو جـ ٣ ص ٣٧ . وقطعوا يديه ورجليه وأجلسوه على حربة وهكذا كانت خاتمة توماس بن مسمار . وانظر ابو الفرج . التاريخ السوريانى ط بدجيان ص ١٤١ وترجمة بدج ص ١٢٩ . وانظر أسوليك وهو مؤرخ أرمنى من القرن الحادى عشر وهو يذكر ثورة توماس عام ٨٢٣ — ٨٢٤ ويذكر تعذيبه وقتله على نفس الطريقة ويضيف أن ميشيل أوقع بعد ذلك هزيمة بالأسطول العربى . وانظر التاريخ العام الذى ألفه اتيان أشوغك الداروني ترجمة ا . ديلوريه جـ ١ باريس

ومن أكبر المؤلفين الروم فى القرن التاسع الشماس أجناس مؤلف سيرتى تيراسيوس ونقفور، وقد هجا توماس هجاء لا يزال معروفاً واسمه (مآخذ توماس)[١]

وقامت بعد ذلك مباشرة مؤامرة شبيهة فى فيزا مطابقة للمؤامرة السابقة. وسلم انستاس للأمبراطور ولقى نفس مصير أبيه [٢].

ولكن مدينتين فى تراقية تقعان على الشاطىء الشمالى لبحر مرمره هما بنادوس (بانيزو) [٣]. وهرقلة [٤] بقيتا مواليتين لتوماس رغم قتله. فلما عرض عليهم التسليم والعفو إذا سلموا بمحض أرادتهم رفض أهل بنادوس وعزموا على المقاومة إلى النهاية، ولكن زلزالا وقع وقلب الأسوار فأخذت المدينة[٥].

= ١٨٨٣ ص ١٧١ وفى ترجمة أسوليك الروسية ترجمة أمين، موسكو ١٨٦٤ ص ٣٣٥) ذكر لهزيمة العرب فى كورنافا وأنقرة بدل هزيمة أسطولهم. وانظر التاريخ (المغربى) الذى كتبه جان الشماس وفيه سرد بجيب لموت توماس على الطريقة التى قتل بها أجور الأمير الروسى فى بلاد درفليان (ميراتورى Script. rer Ital جـ١ سم٢ ص٣١٢، ص٢٣٠ : ٤). Mon Germ. Hist. Script. rer langbardicarum.

(١) سويداس، قاموس: كتب . . . إجناتيوس الدياكر . . قصائد ضد توماس الثائر سميت مآخذ توماس. (باليونانية) وانظر فاذليمسكى. أبحاث روسية بيزنطية، طـ ٢ سان بطرسبرج ١٨٩٢ ص ٩٧ وانظر كرمباخر — ارهارد G. B. L. 2 ص ٧٢ رقم ٦ و٧١٦ وما بعدها. وانظر ٧٢٠ وانظر هيكل: محاضر الجمعية العلمية الفنلندية جـ ١٧ هلسنجفورس ١٨٨٩ (فى مقدمة حياة تراسيوس) ومما يذكر أن جنزيوس يستعمل نفس التعبير، مآخذ توماس (باليونانية) ولعل شعر أجناس أحد مصادره. وهو رأى أدونتز.

(٢) Mon. Germ.، تاريخ: نفس الموضع ص ٤٤٧، ٢٣ (اركاديوبوليس). أما عن حصار هذه المدينة فانظر جنيزيوس ص ٤٣/٤٥ وصلة تيوفان ص ٦٨ — ٧١ ف ١٩.

(٣) Mon. Germ. تاريخ: ص ٤٧٧، ٢٥، نادوس و٧٧ — ٣٨، بنيدوس. وانظر جنيزيوس ص ٤٥ وصلة تيوفان ص ٧١ ف ٢ : بانيون Πάνιον. وهى مدينة صغيرة تجارية سميت فى القديم ηπανιάς و Πανίας وسميت عند الروم Πάνιδος، πάνδος. وسميت عند المؤلفين الغربيين نيدو وبانديو وبانيدوك وبانيدور. انظر توماسشيك: سجلات شبه جزيرة هاموس ص ٣٣٢ فى محاضر الجمعية الفيلولوجية التاريخية لأكاديمية العلوم القيصرية فى فينا مجلد ١١٣ و١٨٨٦.

(٤) هرقلة هى بيرنته القديمة وهى اليوم قرية تافهة للصيادين (اسمها بالتركية اسكى ارجلى) محاطة بخرائب. وانظر جيرشك، طريق الجيوش من بلغراد ص ٥١/٥٢ و١٠١. وانظر توماسشيك، سجلات شبه جزيرة هاموس ص ٣٣٠ نفس الموضع المذكور فى الهامش السابق.

(٥) Mon. Germ، تاريخ، نفس الموضع ص ٤٧٧، جنزيوس ص ٤٥ صلة تيوفان ص ٧١.

ووفق الأمبراطور كذلك فى اخضاع باقى الشاطىء ، وخاصة هرقله دون أراقة الدماء (١) .

فلما عاد ميشيل إلى عاصمته عامل أنصار توماس معاملة رحيمة — شد أيديهم إلى ظهورهم وعرضهم على الناس فى السرك ثم نفى أشد الثوار عنفاً ولم يزد . وكان من الأسرى عرب (٢) . ومما يلاحظ أن العرب الذين أخذهم ميشيل أثناء الحصار ساعدوه مساعدة عظيمة فعالة فى نضاله مع توماس لأن الامبراطور وعدهم بالحرية. فلما انتهى نضاله مع توماس لم يف بوعده(٣) .

ولئن كانت الثورة قد أخمدت فى أوروبا إلى غير رجعة فإن أنصارا أوفياء لتوماس ظلوا قائمين بآسيا الصغرى (٤) — هم خوبرياس قائد قبالا وجزارينوس

---

(١) جنزيوس ص ٤٥ . صلة تيوفان ص ٧١ .

(٢) Mon. Germ. ، تاريخ : نفس الموضع ص ٣٤و٤٤٧ وقد جاء فيه . أما جميع العرب والأرمن وغيرهم ممن نجوا من الحرب فانهم أخذوا جميعا أحياء باللاتينية) .

(٣) تاريخ ميشيل السورى ج ٣ ص ٣٧ ، أبو الفرج تاريخ سوريانى ص ١٤١ (١٢٩) . وينسب هؤلاء المؤرخون النصر الحاسم على توماس إلى الأسرى العرب . وهو النصر الذى ألجأه إلى أحد الحصون ولعل الواجب أن يعد ذلك على الأرجح فكرة أسطورية مبتذلة .

(٤) وفى حياة القديس أنطوان الجديد (ὁ Νέος) معلومات طريفة عن قمع ثورة توماس فى آسيا الصغرى . كان انطوان أول حياته يسمى فى الحياة المدنية اخيوس (حكيم ؟) أو (جان) ، وكان من طائفة جديدة جرجية أصلها من فلسطين . وبلغ من المراكز مركز والى (ἐκ προσώπου) فى جند السبيريوت وقائد انطاكية وبفيليه ، وتقول سيرته أنه أعلن نفسه معارضا لتوماس وشن حربا على أنصار الغاصب . فلما أخمدت الثورة سار(جان)إلى القسطنطينية بدعوة من الامبراطور ميشيل الثانى . ثم دخل بعد ذلك فى الرهبنة . والظاهر (وإن كانت النصوص لاتقول شيئا) انه عزف عن القيادة لما رأى من سوء السمعة التى وصفت بها شدته فى قمع الثوار . والثابت على كل حال انه ما كاد تيوفيل (٨٢٧) يلى العرش ويبدى إرادته فى إصلاح بعض ما تورط فيه أبوه حتى حوكم حاكم انطاكية القديم رغم عزله على يد أنصار توماس السابقين ، واتهم بأنه انتزع أملاك توماس بغير حق.واضطر الوالى السابق (ἐκ προσώπου) أن يمثل أمام المحاكم فى قسطنطينية ، فسجن وأوذى ولم ينل من تيوفيل الافراج إلا بعد عناء ، وبعد أن ندم أنه إن كان أخطأ فانما كانت نيته خالصة للأسرة (انظر سيرة القديس انطوان ط . بابادربولس — كيراميوس فى Συλλογὴ παλαιῶν ج ٥٧ (١٩٠٧) ص ١٢٦ — ١٨٦ . فان دن فين : مجلة Byz. Zeitschr. ج ١٩ (١٩١٠) ص ٣٠٧ — ٣١٣ . ونجد كذلك فى سيرة القديسين اصداء أخرى لثورة توماس . مثال ذلك نيقتاس حفيد فيلاتير وكاتب سيرته ، كتب هذه السيرة فى ٨٢٢ فى كاريولس ، قرب جيتون مرتاً اسبرطه وكان منفيا بها على حد قوله . والراجح أنه من ضحايا قرار ميشيل الثانى الذى ارتأى فيه أن يحول الى أوروبا عباد الصور الذين يمكن أن ينتظر منهم تأييد توماس (مثل تيودور الاستودى نفسه) . أنظر مجلة بيزنطيون ج ٩ (مقدمة حياة فيلاتير للانسة فورى وم . لروا . ص ٩٦—٩٧) وقد وجد القس ف دفورنك فى حياة القديس جريجوار الديكابولى اشارة ما الى توماس (أنظر بيزنطيون ج ٧ ص ٦٤٤) .

السكوانى قائد سانيانا [١] — وقد استمروا ينهبون ناحيتهم حتى بعد أن أعلن لهم ميشيل موت الثائر .

ولكن الأمبراطور بعث من استطاع إغراء أفراد من أنصارهم فأغلقوا أبواب المدينة حين خرج منها رؤساؤها . فلما لم يستطع خيرياس وجزارينوس دخول المدينة توجها فارين إلى سوريا ولكنهما أسرا فى الطريق وأهلكا [٢] .

وهكذا انتهت ثورة توماس وهى من أهم حلقات تاريخ القرن التاسع وأطرافها ولم يبد فيها توماس كفء ليمثل الدور الذى وقع عليه . أما قسم من الناس فثار أملا فى تحسين مكانتهم الاقتصادية . أما الحزب الأرثوذكسى فكانت ثورته ضد التعصب الدينى الذى أبداه رافضة الصور ولكنه لم يستطع أن يحقق مطالبه الاصلاحية . ولهذا تحولت ثورة توماس شيئاً فشيئاً إلى ثورة من النموذج العادى الذى يكيفه عامل النهب والمصلحة الشخصية . فلما تعب الثوار أنفسهم من هذا النضال لغير غاية سلموا توماس إلى ميشيل [٣] .

وهكذا أيضا انهزم الخليفة المأمون فى شخص توماس . واتضح ذلك خاصة لأن الخليفة اضطر بعد ذلك أن يوجه كل انتباهه لمشاكل الخلافة الداخلية . وأراد ميشيل عام ٨٢٥ أن يصلح ماسببت الحرب المدنية من خسائر لسكان الامبراطورية فأوفد إلى الخليفة وفدا يطلب منه هدنة ، فرفض الخليفة هذا العرض و غار العرب على أرض الروم . ولكنهم دفعوا ثمن النصر وهو استشهاد قائدهم يقظان بن عبد الأعلى ابن أحمد بن يزيد بن أسيد السلمى .

ولكن نتيجة ثورة توماس كانت ضرراً على الإمبراطورية . فان أمرها لم يقف عند تخريب أكثر أقاليم الامبراطورية الرومية غنى ، ولا عند إيقاف التيار السياسى العام . بل تجاوز ذلك إلى إصداء تجاوب بها الغرب البعيد . وذلك أن عرب الأندلس وأفريقية استغلوا المشاكل الرومية الداخلية فافتتحوا كريت وصقلية .

---

(١) كيالا وسنيانا حصنان أولهما غير بعيد من تونيه وثانيهما غير بعيد من الحليس . أنظر قسطنطين البورفيرى : الأجناد ص ٢٨ ؛ إدارة الامبراطورية ف ٥٠ ص ٢٢٥ .

وأنظر أيضا رمزى : جغرافية آسيا الصغرى التاريخية ، لندن ١٨٩٠ ص ٢١٩ و٣٥٩ (الجمعية الجغرافيه الملكيه جـ ٤) وهو يبحث عن سنيانا فى جوار ششنير كيرو ويقول أن قبالا هى شيجلى (شمال غربى نمروبه) وانظر توما سشيك : طبوغرافيه آسيا الصغرى التاريخية من Sitzungsber. A. K. d. Wiss : فيينا ١٨٩١ ص ١٠٣ (كيالا) .

(٢) صلة تيوفان ص ١١ — ٧٢ ف ٢٠:٤

(٣) أنظر مقره رو. سكنة كتبها فنلى: تاريخ اليونان جـ ٧ ص ١٣٣ « لو أن توماس كان حقيقة رجلا ذا روح عظيمة لاستطاع أن يضع أسس النظام الجديد للامبراطورية الشرقية وان يحسب ما فيه من صرامة النظام المالى ويعرس فيه التسامح فى الا ور ويضمن به لكل طبقات الرعية دون ميز بين الأمم والشعوب : امن العيش وضمان طيبه . وأنظر أيضا بيورى ص ١٠٩ .

فتح كريت على يد العرب

ثار الناس فى أسبانيا فى أيام الحكم الأموى فى منتصف القرن التاسع (٧٩٦ — ٨٢٢) وقاموا بالثورة عدة مرات على الخليفة. وإنما دفعهم لذلك الفقهاء خاصة.

وطبقة الفقهاء فى ذلك العصر تشمل أكثر العناصر نشاطاً وأعظمها صخباً. وتمثل قوة يجب على الخليفة أن يحسب حسابها، فلما خاب أملهم فى التسلط على أمور الدولة وحال الحكم بينهم وبين ما أملوا تحول الفقهاء المعتزين بأنفسهم من علماء إلى فوضويين وأثاروا أهل قرطبة على الخليفة.

فقامت فى ٨٠٥ ثورة فى شوارع قرطبة ولكنها سرعان ما قمعت. فانضم أكابر العلماء والأشراف وقدموا الامارة إلى ابن شماس وهو من قرابة (الحكم). فتظاهر ابن شماس بقبول عرضهم ولكنه أفشى المؤامرة. وأصبح اثنان وستون متآمراً (وكانوا يمثلون أكبر الأسر فى قرطبة) ضحايا عدم تبصرهم. ثم ثار أهل المدينة فى السنة التالية فى ٨٠٥ حين خرج الخليفة من قرطبة ولكن سرعان ما قمعت حركتهم، وقطعت رؤوس الخطرين من الفوضويين أو صلبوا.

وفى ٨٠٧ وقعت حادثة محزنة دامية فى طليطله عاصمة الغوط الغربيين القديمة التى تميز أهلها دائماً بالشغف بالاستقلال. فوضع (الحكم) خطة شنيعة ثم أنفذها كما يأتى: تعاون عمرو حاكم طليطلة وهو طليطلى الأصل نال ثقة أهل المدينة مع عبد الرحمن ابن الحكم وكان ابن أربعة عشر عاماً يومئذ، فقدم الأخير بجيشه إلى المدينة ودعا أهلها إلى حفل فخم أقيم فى القصر المحصن. وكلما وصل مدعو تلقاه سيافون قائمون إلى جوار الباب فقطعوا رأسه وألقوه فى صندوق. وبقى هذا اليوم معلما فى التاريخ يوم الخندق. وحرمت طليطله بين يوم وليلة من أغنى سكانها وأكبرهم نفوذا وانحدرت إلى سكون حزين فلم يتحرك أحد للانتقام لهذا اليوم.

وأحدثت مذبحة طليطله هذه رعبا فى قرطبه بلغ من شدته أن هذه المدينة بقيت مسالمة سبع سنين. وتضاءل ذكرى الكارثة شيئا فشيئا. ولكن الحقد بين سكان قرطبه وجند الخليفة كان يزداد يوما بعد يوم. فلم يكن إلا أن قام عراك بسيط قتل فيه مملوك عاملا فقامت ثورة جديدة (عام ٨١٤). وانتصر أهل المدينة على الجند

المرسل لقمعهم وحاصروا القصر ولم يكن القصر ليقاوم طويلا . ولكن (الحكم) استطاع أن يثير حريقا فى الحى الذى كان يسكنه أكثر الثوار ، فلما رأى الناس النار أسرعوا لنجدة النساء والأطفال واستغل (الحكم) الموقف وأوقع الهزيمة بالثوار والتذبيح الذى لا رحمة فيه . وقرر الخليفة أن يمحو الحى الثائر محوا تاما ، فأمر أن من بقى من سكانه حياً يجب أن يخرج من أسبانيا فى مهلة قدرها ثلاثة أيام وأن يصلب من يبقى بعد انتهاء المهلة . فجمع المساكين ما استطاعوا من أموالهم وحملوا أطفالهم ونساءهم وقصدوا إلى شاطىء البحر فركبوا منه إلى الشواطىء الافريقية الغربية أو إلى مصر .

وكان الذين قصدوا مصر خمسة عشر ألفا ما عدا النساء والأطفال ، فاستقروا فى ضواحى الاسكندرية فى ٨١٥/٨١٤ (١٩٩ هـ) ولم تقاوم مصر نزولهم لأنها كانت فى حرب مع العباسيين . ووضع المنفيون أنفسهم أول الأمر فى جوار إحدى قبائل أفريقية الشمالية القوية ، ولكنهم ما لبثوا أن أحسوا بقوتهم وقدرتهم على الاستغناء عن البدو . وأدركوا انشغال المصريين باضطراباتهم فاستولوا فى ٨١٦ (٢٠٠ هـ) على الاسكندرية ورأسوا على أنفسهم أبا حفص عمر بن شعيب[1] . وفى هذا الوقت كان عبد الله بن السرى أعلن استقلاله بمصر

فلما استطاع المامون العمل بعث إلى مصر (٨٢٥) عبد الله بن طاهر بن الحسين

---

(١) دوزى : تاريخ المسلمين فى أسبانيا جـ ٢ ، ليدن ١٨٦١ . ص ٥٦ — ٥٧ . (ط ٢ ليدن ١٩٣٢ جـ ١ ص ٢٩٥ — ٣٠٧) . أنظر أيضا كندى : تاريخ السيادة العربية فى أسبانيا (بالاسبانية) برشلونه ١٨٤٤ جـ ١ ص ٢٠٢ — ٢٠٥ (جـ ٢ فصل ٣٦) . كاترمير ، أبحاث جغرافية وتاريخية خاصة بمصر جـ ٢ باريس ١٨١١ ص ١٩٧ . ڤايل : تاريخ الخلفاء ، مانهيم ، ١٨٤٨ جـ ٢ ص ٢٣١ — ٢٣٢ . أمارى : تاريخ المسلمين فى صقلية ، فلورنسه ، ١٨٥٤ ، جـ ١ س ١٦٢ — ١٦٣ (ط ، ٢ جـ ١ ، بالرم ١٩٣٣ ص ٢٨٩ — ٢٩٤) . ا . ميرسييه : تاريخ شمال افريقية (البربر) جـ ١ باريس ١٨٨٨ س ٢٧٢ — ٢٧٣ ، ماريالو جاسبا رميرو : مسلمو قرطبة فى الاسكندرية وكريت : فى Homenaje a P. Francisco Codera ، دراسات فى العلوم الشرقية ، سرقوصه ٤ ١٩ ، ص ٢١٧ — ٢٣٣ وذيل رقم ٤ (قسم من مخطوطة النويرى العربية فى أكاديمية التاريخ الملكية) وخاصة ص ٢٣١ — ٢٣٢ . والمقريزى ، خطط ط . ڤيت جـ ٣ القاهرة ، ١٩٢٢ س ١٨١ وما بعدها . أما مقال دائرة المعارف الاسلامية عن أبى حفص فهو صغير وأنظر الضبي : بغية الملتمس ، مدريد ١٨٨٥ ص ٣٩٤ وياقوت جـ ١ ص ٣٣٦ ، ووستنفلد : ولاة مصر (بالعربية) جوتنجن ، ١٨٧٥ جـ ٢ ص ٢٣٤ .

فقمع ثورة الثائر الذى كان من قواده قديما ، ثم طرد الأندلسيين من الاسكندرية[١]
حين وصل ابن طاهر إلى موضع القاهرة قدم أمامه أحد قواده لحرب ابن السرى
فانهزم . فبعث جيشا جديدا ألجأ عبيد الله إلى الفسطاط ثم حاصره فيها ابن طاهر
وحاول عبيد الله رشوة ابن طاهر ، فلما لم يستطع سلم على شرط العفو التام
(مايو — يونيه ٨٢٦) .

واعلم أهل أسبانيا أن طاهراً لابد أن يسير اليهم بجيشه عقب ذلك إن لم يتقدموا
بالطاعة فوافقوا وطلبوا الصلح على شرط أن يخرجوا من الاسكندرية وإن ينزلوا
إقليما يونانياً غير خاضع للاسلام . وهذه رواية الطبرى أما روايتى الكندى والمقريزى
فتقولان أن الأندلسيين اضطروا إلى قبول ذلك بعد أن حوصروا .

ومهما يكن من شىء فان الصلح تم (ربيع الأول ٢١٢ ، يونية ٨٢٧) واختار
الأندلسيين مقاما لهم إحدى الجزائر اليونانية الكبرى الغنية وهى كريت[٢] .

وكان العرب الشرقيون يعرفون كريت منذ القرن السابع ، حاصرها حينئذ
أسطولهم ثم انهزم بعد أن دمر قسم منه وأغرق ببحارته وبعد أن استولى الروم على
قسم آخر لم ينج الباقى إلا هرباً[٣]

---

(١) راجع عن ابن طاهر وسيرته : ابن خلكان . قاموس السير ترجمة دي سلان ج ٢ ، باريس ١٨٤٣ ص ٤٩ — ٥٣ .

(٢) طبرى ، ط . دى خويه ، ج ٣ ص ١٠٩٢ (أنظر ملحق الأصل الفرنسى ص ٢٨٧) فى سنه ٢١٠ هـ (٢٤ أبريل ٨٢٥ — ١٢ أبريل ٨٢٦) : وابن الأثير ط . تورنبرج ج٤ ص ٢٨١ — ٢٨٢ المقريزى ج ٣ ص ١٨٧ : الكندى ص ١٨٠ — ١٨٤ (راجع المقريزى ج ٥ ، ص ١٣٠) : ملحق ص ٣٩٤ من الأصل الفرنسى .

(٣) نستق ذلك من سيرة أندريه الاقريطشى الذى عاش فى القرن السابع . وقد جاء فيها :
« فان الهاجريين الأعين الذين جعلوا حربهم فى البحر ساقهم طيشهم بمراكب كثيرة الى جزيرة كريت المحبة للمسيح فحكم الله عليهم لظلمهم أن يهاجموا المسيحيين فى كريت ايكونرا كمن حكم على نفسه بنفسه . وكان لها حصنها المسمى حصن دريميوس ، وكان رجل من رجال الله يرعى شعبا عظيم التدين يأتى الحصن عادة ليدفع غارات الأعداء فظهر البرابرة وأقاموا عليه الحصار وأظهروا آلات كثيرة من آلات الحرب ولكنهم لم يصيبوا شيئا وأصابهم الهلاك جزاء على ما فعلوا ووقعوا فى الأسر ، وهاجمهم الذين يدعون الله بالسهام وكان القسيس يتجه بنظره الى الله كأنه سهم لايتحول (أنظر بابادوبولو — كيراميوس فى Ανάλεκια ίεροσολυμιτικῆς σταχυολοθίας ' بطرسبرج ١٨٩٨ ج٥ ص ١٧٧ . أنظر لوپارف : وصف بعض سير القديسين الروم (بالروسية) فى Vizantijskii Vremennik ج٤ (١٨٩٧) ص ٣٤٧ . وفى سيرة أندريه الاقريطشى ذكر عارض لغارات السراقنة على كريت جاء فى خطبته عن ظهور =

وفى اول القرن التاسع (فى ٨٠٥ أو ٨٠٧) حالف العرب الصقالبة واشتركوا معهم فى حصار تيراس فلم تبح المدينة إكراما لحاميها القديس اندريه [1] (صاحب الصدارة) [2] . والراجح أن هؤلاء العرب نزلوها فى إحدى غاراتهم على الجزر .

فكيف جاءت الاندلسيين فكرة الاستقرار فى كريت ؟ أما المصادر اليونانية فتصل بين هذه الفكرة وبين ثورة توماس التى تجمعت لها كل القوات البحرية الرومية عند قسطنطينية ولكن الحقيقة التى تفند ذلك الرأى هى أن الثورة كانت أخمدت قبل ذلك بأربع سنين .

وكان الأندلسيون قبل أن يتركوا مصر فى ٨٢٧ — ٨٢٨ [3] أغاروا مرات على كريت وعلى جزر أخرى يونانية . ففى عام ٨٢٦ (أو ٨٢٧) بعث العرب على كريت عشر سفن أو عشرين عادت بكثير من الأسرى والغنائم بعد أن عرفت المكان معرفة دقيقة [4] .

═ المسيح والقديس بازيل وكذلك فى خطبته عن القديس الرسول تيتوس . مينى : P.G ج ٩٧ ف ٩٣٢ وهكذا أدرك الشعوب الارثوذكسية الخوف . وقبلت الجزر انتداء نفسها وتعرضت لبطشهم ورأوا الكنيسة تسلب ايقوناتها على يد هؤلاء الرجال المبيرين الفوصويين وذاقوا تعذيبهم JnCircumcisionem Domini et in S. Basilium مينى .P.G ج ٩٧ ع ١١٦٨ : أن الله يحارب من أجلهم عملاق مصر ويفنى قبائل الجارية هاجر فى فيض من البؤس In Apostolum Titum .

(١) قسطنطين البوفيرى : الإدارة الامبراطورية ص ٢١٧ — ٢٢٠ ، وأنظر س . ن . توموبولو : تاريخ مدينة تيراس منذ القدم الى ١٨٢١ ، أثينا ، ١٨٨٨ ص ٢٢٦ .

(٢) وتذكر المصادر الرومية هذه الحملة : جنزيوس ص ٤٦ . أنظر سرداً كاملا لفتح كريت عند جنزيوس ص ٤٦ — ٤٨ وهو مستق من مصادر قسطنطين البوفيرى (ص ٧٣ — ٧٦ ف ٢١ ، ص ٧٧ — ٧٨ ف ٣) نفسها . ويأخذ سيدرونس ج ٢ ص ٩١ — ٩٣ من صاحب صلة تيوفان ويأخذ عن سيدرونس روناراس ط . دندرف ج ٣ ص ٣٩٧ — ٣٩٨ كتاب ١٥ ف ٢٤ . حياة القديس ميودور ط . و . ريجيل : منتخبات بيزنطية روسية ، بطرسبرج ١٨٩١ ص ٩ : جورج همرتولس ص ٦٩٩ : ايون النحوى ص ٢١٢ — ٢١٣ : سيمون ماجستروس ص ٦٢١ — ٦٢٢ وكلهم لايعدو ذكر فتح الجزيرة ، ويروى سيمون ماجستروس نزول أبى حفص فى كريت استنادا الى جينزيوس على الأرجح أنظر هيرش : دراسات بيزنطية س ٣٢٦ .

(٣) لا فى ٨٢٥ كما كان يعتقد من قبل . أنظر تعليقا الناشر الطبعة الثانية من كتاب أمارى : تاريخ المسلمين فى صقلية ، بالرم ، ١٩٣٣ ج ١ س ٢٨٦ هـ ١ وأنظر ص ٥٦ هـ ١

(٤) ويقول جنيزيوس حين يعرض لسرد الفتح ما يأتى : وفى السنة التى انتهى فيها عصيان توماس (باليونانية) (جنيزيوس س ٤٦) . وأنظر ص ٤٧ : ونشأ عن ذلك هجوم توماس ومفاجأة ═

وكان خصب الجزيرة ومواردها الطبيعية مما أرضى عنها المسلمين [1] .

فلما تعاقد العرب الأندلسيون مع ابن طاهر قادهم أبو حفص فى أربعين سفينة ونزلوا فى ٨٢٧ (أو ٨٢٨) فى خليج [2] سودا فى كريت . فلما وطىء الجيش أرض الجزيرة أذن له قائده بسلب الجزيرة اثنى عشر يوما

وكل الظواهر تدل على أن العرب لم يلقوا مقاومة عند نزولهم . ولهذا نفترض أنه لم يكن يوجد فى كريت حينئذ قوات حربية قوية . ونفرض فوق ذلك أن أهل الجزيرة كانوا حانقين على الحكومة الرومية لافتئاتها فى المسائل الدينية وعلى بطشها ؛ فلم ينظروا إلى الفتح العربى إلا على أنه أهون شر ، ولكنهم على أى حال لم يقاوموا العرب كما كان يتوقع منهم .

= أبى حفص . وأنظر صلة تيوفان ص ٧٣ ع ٢١ . وأنظر كذلك ص ٧٤ فقد ورد فيها :وحرمت (جميع الجزر) من حامياتها التى خرجت لمعونة توماس وسارت معه بحرا الى قسطنطينية (وكلام صاحب الصلة هنا عن الجزائر بصفة عامة) . سيدرونس ج ٢ ص ٩١ . زوناراس ، ج ٣ ص ٣٩٧ كتاب ٥١ ع ٢٤ . وحين يعرض جنزيوس للحملة الأولى على كريت يبدأ سرده بالطريقة الآتية : وفى نفس الوقت السالف الذكر . وهنا تسعفنا المصادر العربية بتاريخ لفتح كريت هو ٨٢٧ (أو ٨٢٨) . ولنلاحظ أن صاحب الصلة حين ذكر الغارة الثانية قال (ص ٧٥) ولما انتهى الشتاء وأبرق الربيع ، وبما أن ذلك يبيح لنا أن نضع الحملة الأولى عام ٨٢٦ فيكون وضع الحملة الثانية فى ربيع ٨٢٧ وتصور لنا المصادر اليونانية العرب قادمين من أسبانيا مباشرة الى كريت هاجرين بلادهم لجدبها وهو خطأ . أما عن أبى حفص وهل رأس الحملة الأولى (المصادر اليونانية تسميه (Ἀπχόχφ أو Αποχαψτις) كما تقول المصادر الرومية . والمسألة غير ذات أهمية . راجع هيرش : دراسات روميه ص ٢٥ — ٢٦ ، ١٣٥ — ١٣٦ وتضيف حياة القديسين داود وجورج ان عرب افريقية ازدادوا جرأة فى تخريب الجزر الرومية لأن ميشيل كان مشغولا بثورة توماس . وهجر سيبيون جزر الأرانب (لجوسان باليونانية : تافشان أداسى) لأنه توقع نزول العرب . ولكن الحقيقة ان « قبيلة المهاجرين لم تقم » إلا بعد انتهاء الحرب المدنية (Anal Boll. ج ١٨ ص ٢٣٧) .

(١) راجع مثلا صلة تيوفان ص ٧٤ فقد جاء فيها أنه يقال أن هذه الأرض لم تكن الا فيضا من العسل واللبن .

(٢) أنظر المصادر العربية عند كندى ، تاريخ السيادة العربية فى أسبانيا ، برسلوه ١٨٤٤ ج ١ ص ٢٠٦ وقد اعتمد كندى فى ذكر هذه الرحلة على مؤرخ عربى من مؤرخى القرن الحادى عشر اسمه أبو عبد الله الحميدى وتجد عنه فى ابن خلكان ترجمة دى سلان ج ٣ ص ٣/١ بعض المعلومات . راجع وستنفلد كتاب تاريخ العرب رقم ٢١٩ ص ٧٣ — ٧٤ انظر بركلمان تاريخ الأدب العربى ج ١ ، فيمار ١٨٩٨ ص ٢٣٨ ، ويقول الروم ان النزول كان فى خراكس Χᾶραξ .

وتذكر المصادر الرومية حين تعرض لنزول العرب فصلا شبه خيالى .

لم يكد جند العرب يبتعدون عن الشاطىء إلى الداخل قليلا حتى أمر أبو حفص بحرق السفن فلما رجع العرب إلى الشاطىء كادوا يثورون لما أحسوا من يأس خوفا على نسائهم وأطفالهم فهدأهم أبو حفص حينئذ وامتدح لهم غنى الجزيرة وجمال الكريتيات وصلاحهن للزواج[١] .

فلما استقر العرب فى الجزيرة ابتنوا حصناً حصيناً احاطوه بخندق عميق . فسمى لهذا بالخندق ومن هنا جاء كما نعرف الأسم الحديث كاندى[٢] .

(١) جنزيوس ص ٤٦ — ٤٧ صلة تيوفان ص ٧٥ — ٧٦ (سيدرونس ٢ ، ص ٩٣) كندى : تاريخ برسلونه ١٨٤٤ والطبعة الجديدة ج ١ ص ١٥١ ، وهو يذكر أنه قرأ نفس القصة عند الحميدى الذى أخذ عن ابن حزم . وقد لاحظ فازيلييف فى الطبعة الروسية (٤٧ — ٤٨ و ه ٢ من ص ٤٨ خاصة) أن النص الخاص بهذه المسألة فى ترجمة كندى الانجليزية نص على شىء من الاختصار (كندى ، تاريخ السيادة العربية فى أسبانيا ترجمة فوستر . لندن ١٨٥٤ ج ١ ص ٣٦٣) وإن نفس هذه النص اختفى من الترجمة الفرنسية لنفس الكتاب (م . دى مارل : باريس ١٨٢٥ ج ١ س ٢٩٧ . أما هيرن (دراسات بيزنطية س ١٣٦) فانه لاحظ كذلك ورود القصة فى نصين ، ولكن امارى لايرى فى القصة مايستحق التصديق إلا أن أبا حفص أحرق من المراكب ما لم يكن صالحا للملاحة ، أما باقى القصة فرجعه إلى خيال المؤرخين الروم (امارى : تاريخ المسلمين فى صقلية ج ١ ص ١٦٣/١٦٤ ، ط ٢ ج ١ س ٢٨٨ .

ويظهر أن كندى لم يستوثق وأنه خلط بين ما توهمه رواية عربية وبين رواية رومية وإن هذا الخلط جعل السردين متشابهين مما حدا ببيورى إلى القول بأن كلتا الروايتين الرومية والعربية أخذتا عن مصدر عربى واحد . ولكن نللينو يشك فى ذلك ويقول فى تعليق كتابى أرسله إلينا : إن صمت المصادر العربية إلى اليوم صمتا تاما وان ما تعرف عن طرق كندى وعن توثقه فى البحث يحملنا على أن نفرض أن كندى أخذ القصة من ترجمات لاتينية للتواريخ الرومية وان نسبها إلى مؤلف عربى . أما م . و . بروكس : المجلة الانجليزية التاريخية ج ٢٨ (١٩١٣) ص ٤٣٨ ليفرض أن مرجع كندى هو جيبون . أمام كنارد فيشك فى تفسيرى نللينو وبروكس ويروى أنه من الممكن أن توجد القصة فى كتاب كاتب عربى وذلك كما يقول لأن العبارة التى تسبق هذه القصة عند كندى خاصة بأبى حفص ومستقاة من كاتب عربى ! .

(٢) هويف : التاريخ اليونانى : ليزج ، ١٨٦٧ ص ١٢١ ، وقد أخطأ إذ جعل فتح العرب كريت عام ٨٢٣ ويعتمد امارى هذا التاريخ فى تاريخ المسلمين فى صقلية ج ١ ص ١٦٣ ولكنه يضع أمامه علامة استفهام ظلت باقية فى الطبعة الثانية ج ١ ص ٢٨٧ . وأما هرتزبرج (تاريخ اليونان منذ ضياع الحياة القديمة إلى العصر الحاضر ج ١ ، جوتا ، ١٨٧٦ ص ٢١٨) فيتبع هويف . أما ميرالت فيجعل التاريخ ٨٢٤ (ملخص التوقيت الرومى ص ٤١٠) أما التاريخ الحقيقى فيجب أن يكون ٨٢٧ ، انظر بروكس ، احتلال العرب صقلية . المجلة التاريخية الانجليزية ج ٢٨ (١٩١٢) ص ٤٣١ — ٤٣٣ فانه يفضل — اتباعا لميشيل السورى : تاريخ ٨٢٨ على تاريخ ٨٢٧ الذى يقدمه الكندى (ملحق بالذيل من الأصل الفرنسى ص ٣٩٤) .

وأخذ العرب تسعاً وعشرين مدينة لم تحفظ لنا أسماؤها واسترقوا سكانها ، ولم يسمحوا للمسيحيين بالاحتفاظ بدينهم إلا فى مدينة واحدة [١] . ويتضح من هذا أن أهل كريت إن كانوا أملوا أن يتحسن مصيرهم بالفتح الإسلامى فقد خاب رجاؤهم [٢]

وكان فقد مثل هـذه الجزيرة مع غناها وأهميتها مما لابد أن يثير نفس ميشيل إثارة قوية . فعمل جاهداً على فتحها . فنظم سلسلة كاملة من الحملات لم تفتح شيئاً . وبقيت كريت فى سلطان العرب إلى أيام الإمبراطور رومان الثانى — إذ فتح القائد المشهور الذى أصبح بعد ذلك الإمبراطور نيقفور فوقاص هذه الجزيرة وأعادها لإمبراطورية الروم فى ٩٦١

والراجح أيضا أن العرب حين استقروا فى كريت غزوا كذلك جزيرة ايجين . ونحن نعلم أن هذه الجزيرة نهبت وأن كثيرا من أهلها أسروا وأن كثيرا غيرهم قتلوا ، وممن قتلوا أخ القديسـة تيودورا التسالونيكية وكان شماسا . فهاجرت تيودورا عقب ذلك مع زوجها إلى تسالونيك [٣] . وظلت الجزيرة منـذ أن وقعت فى أيدى

---

(١) جنيزيوس ص ٤٧ . صـلة تيوفان ص٧٧ . ويسرد جنيزيوس ص ٤٧ — ٤٨ سلسلة من أسماء أمراء كريت (باليونانية) وهى أسماء أبى حفص ، وشعيب ، وعبد الله ، وشيركوه كما يعربها هويف فى التاريخ اليونانى (بالألمانية) ص ١٢٢ : ويقول جوتشميد فى تعليقـه على كتاب هويف فى Kl. Schr-hrsb. v. Buhl جـ ٥ ليبزج ١٨٩٤ ص ٤٣٤) إن الاسم سركونى هو الاسم الفارسى زركون . وأضيف إلى ذلك الأمير نصيرس Νίσιρισ المذكور فى سيرة القديس تيوكتيست فى Acta Sanctorum فصل ٤ ع ٢٧ و فقرة ٨/٩ ، وانظر بروكس فى نفس الموضع ص ٤٤١ وما بعدها .

(٢) ويذكر جنيزيوس سيريل ، أسقف جورتين وأنه استشهد ، قتله العرب أيام فتح كريت . ويذكر ما أثار دمه من كرامات فيما بعد ، ونحن نعرف هذا الاسم وشيئا قليلا عن سيرته : كان صاحبه أسقفا لـكريت استشهد أيام مكسميان أوداسيوس (أنظر Analeeta Sanctorum julii جـ٢ ص٦٨٢ — ٦٨٦ 8. cyrili episcopi et martyris forte Gortynae in Creta

ويروى بروكس فى مقاله المذكور ، ص ٥٥ — ٥٦ هـ ١) أن جنيزيوس إنما خلق الشهيد القديم خلقا وهو رأينا أيضا .

(٣) أخذنا هذه التفاصيل من حياة القدسة تيودورا التسالونيكية وهى تفاصيل طريفة . أنظر ڤازيليفسكى احدى مجاميع مكتبة لسينودات اليومانية (بالروسية) فى مجلة وزارة المعارف العمومية جـ ٢٤٨ (١٨٨٦) ص ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ . وقد نشرت هذه السيرة بعد ذلك عدة مرات نشرها ارسنى ثم كرتز (ارسنى فى Z tie. Prodvigi sv. Foodsry Solimskoj جوزيف ١١٩٩ ص ١١ — ٣٦ (وكرتز : رواية الأسقف جورجياس عن حياة القديسة تيودورا التسالونيكية وكراماتها وتنقلاتها مع تعليق ج . ستاورتايوس فى Mem· (Zapuski) Acad. Imp Sciences de st. Petead. السلسلة الثامنـة قسم التاريخ والفيلولوجيا جـ ٤ ، ١ ، ١٩٠٢) أما العبارات الخاصة بجزيرة ايجين عند كرتز ص١و٢ و ٢٤ =

الاسماعيلية خرابا إلى أوائل القرن العاشر[١] .

وأصيبت بمثل ذلك جزر أخرى من جزر الأرخبيل كانت من قبل كثيفة السكان ثم هجرت وبقيت خالية خلوا تاما بسبب الغزوات الآتية من أفريقية وكريت[٢] .

ومن المستحيل أن نحدد تاريخا دقيقا لغزوة من غزوات العرب على كريت ، الا أن نصا من سير القديسين كشف عنه الأب بيترس . وهو خاص بنقل رفات القديسين حسب رواية عربية يقول « أن المهاجرين بعد أن استولوا على كريت أغاروا على جزيرة أصحاب البقر » وقد قال البعض أنها جزيرة

= فهى : كانت الجزيرة المسماة ايجين من قبل من أشهر الجزائر العربية من حيث القوة ولكنها أصبحت بعد (بحكمة من حكم الله) صحراء حين وضعت فى ايدى الاسماعيلية » ولا يذكر المؤرخون الروم شيئا عن غزو العرب ايجين . ولكن هذه الواقعة مذكورة فى سيرتين أخريين غير سير تيودورا المذكورة آنفا . فقد جاء فى حياة القديس لوقا الهلادى المولود فى ٨٩٠ أن آباءه كانوا هاجروا من ايجين الى اليونان بسبب غزوات العرب المستمرة » أن أباءه جاءوا من جزيرة ايجين ... لأنهم لم يحتملوا غارات المهاجرين المستمرة فاضطر سكان الجزيرة نساءا ورجالا أن يتركوا أرض الآباء الحبيبة وأن يهاجروا وتفرقوا أفرادا الى البلاد المختلفة واتخذوا منها مواطنهم بدل موطنهم الأول (كريموس : دراسات فوسيديه ، مكان العبادة فى دير القديس لوقا فى فوسيد المعروف باسم ستيروتو ، أثينا ، ١٨٧٤ ص ١٣٢ (باليونانية) أنظر نص مينى P.G. ج ٣ ع ٤٤٢ — ٤٤٤ (لم تنشر الباترولوجيا الا نصاً غير كامل من السيرة ، وأما الأجزاء الناقصة فقد نشرها تينى فى anal. Boll ج ١٣ ص ١٢ — ٨١ وأنظر ١٠ . بيس فى هللينيكا (باليونانية) ١٩٢٨ ص ٣٧٧ وما بعدها . والنص اللاتينى الكامل منشور تحت يوم ٧ فبراير فى Acta Savctorum ج ٢ ص ٨٣ — ١٠٠ . ثم أن الواقعة التى نتكلم عنها مذكورة من ناحية أخرى فى حياة القديسة أتانزيا التى عاشت فى القرن التاسع . ويقال أن زوجها قتل فى غارة من غارات الموريسين يعنى المسلمين القادمين من شاطىء افريقية الشمالى حين أغار الموريسيون البربر على هذه الأقاليم فقتل زوج اتانزيا .

(١) ألفت حياة القديسة تيودورا التسالونيكية فيما يبدو لنا قبل ٩٠٤ . أنظر فازيليفسكى فى مجلة وزارة المعارف العمومية (بالروسية) ج ٢٤٨ (١٨٨٦) ص ٨٦ — ٨٧) وأنظر كرتز نفس الموضع .

(٢) ولدينا تفاصيل طريفة عن جزيرة پاروس مثلا فى حياة القديسة تيوكليت وأصلها من لسبوس : فى آخر القرن التاسع كان يقصدها الصيادون من الجزر الأخرى لصيد العنز المتوحش المكاثر بها ، وكانت الجزيرة مهجورة معروفة بحالتها تلك . (باليونانية) : ذكريات وعظية لثيوفل يوحنا (باليونانية) بتنيا، ١٨٨٤ ص ٨ — ٩ . أنظر ڤازيليفسكى : حياة سيمون مينافراست وأعماله بمجلة وزارة المعارف العمومية (بالروسية) ج ٢١ (١٨٨٠) ص ٤٠٣ — ٤٠٤ وأنظر خاصة هـ . دلاهاى فى مجلة بيزنطيون ج ١ ١٩٢٤ ص ١٩١ — ٢٠٠ من Acta Sanct كتاب ٤ ص ٢٢١ — ٢٣٣ وفى دراسات مهداة الى بيديز فى المجلة السنوية لمعهد التاريخ وفقه اللغة الشرقية فى بروكسل ج ٢ ١٩٣٤ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ . وقد كتب هذه السيرة أول مرة فى الربع الأول من القرن العاشر كتبها نيسيتياس وهو من قواد ليون السادس .

Zoov Bouvöζou وكل مانعرف عن جزيرة أصحاب البقر أنها غـــير بعيدة من مونمبــازى . ويقول الأب بيترس أنها قد تكون جزيرة بوياى Boïu قريبا من رأس ماليه[١] .

وفى تاريخ لايجاوز كثيرا عام ٨٢٨ أمر استراتيج أناطوليك . وهو الأسباطير الأول فوتيوس ؛ وهو الجد الثالث للامبراطورة زوى أم قسطنطين البورفيرى . أن يقصد الجزيرة وأن يعيدها إلى السلطان الامبراطورى[٢] .

فلما وصل فوتيوس إلى المكان أدرك أنه لايستطيع تحقيق عمل جـدى بقواته اليسـيرة . وشرح موقفه فى تقرير رفعه إلى الامبراطور وطلب فيه الأمداد . فأمد بجيش كبير كامل العدد على رأسه خيال الامبراطور وهو الامبراطور الأول داميان وانشبت القوتان المعركة . ولـكن العرب هزموهما وجرح دميـان وأسر . ولم ينج فوتيوس إلا بجهد — نجا فى قارب صغير لجأ به إلى جزيرة ديا الواقعة شمالى الخندق . ومن هناك أدرك العاصمة حاملا النبأ المحزن نبأ هزيمة الروم[٣] .

ولم يفقد فوتيوس رغم فشله هذا حظوة الامبراطور فان صلة تيوفان يروى أنه عين بعد ذلك لعمل هام هو استراتيجية صقلية

وبعد ذلك بقليل بعث ميشيل إلى كريت استراتيج جند سيبريوت الواقع جنوب

(١) انظر ما يقوله الأب بيترس فى Anal. Boll حـ ٣ (١٩١١) ص ٢٩٧ .

(٢) صلة تيوفان ص ٧٦ — ٧٧ ع ٢٢ (سيدرونس جـ ٢ ص ٩٣/٩٤) . زوناراس ط . دندورف جـ ٣ ص ٣٩٩ كتاب ١٥ ف ٢٤ . اما جنزيوس فلا يذكر شيئا عن هـــذه الجملة . قارن هيرس نفس الـكتاب ص ١٩٦ أما فازيليف فيجعــل محاولة فوتيوس عام ٨٢٥ أو أول ٨٢٦ مستندا على الحقائق الآتية (آ) أى صلة تيوفان تقول أنها حدثت بعد الفتح بقليل . لم تقع بعد ذلك بزمن طويل قط (ص ٧٦) (ب) إن المصادر العربية ترجح ان فوتيوس عين عاملا لصقلية فى ٨٢٦) فازليف الطبعــه الروسية ، انظر مورى ص ٤٧٩) ولـكن هذا الجدل يجب أن يعدل لأننا عرفنا تاريخ فتح صقليه الحقيقى (٨٢٧) والمصادر العربية يعنى ابن الأثير والنويرى لا تذكر فوتيوس وإنما تذكر قسطنطين (ولى صقليه فى ٨٢٦ — ٨٢٧ حسب ابن الأثير أو فى ٨١٦ — ٨١٧ حسب النــويرى . وهذا التاريخ الأخير مجرد خطأ) ولا محل مابدعوا إلى استخراج اسم فوتيوس من بعض روايات النويرى . قارن بيورى — نفس الموضع . والواقع أنه يستحيل تاريخ ولاية فوتيوس ، وليس لدينا أى إشارة عن الدور الذى قام به . قارن بروكس ، فى نفس المقالة ، المجلة الانجليزية التاريخية ١٩١٣ ص ٤٣١ — ٤٤٣ و هـ ١ من ص ٧٦ من النسخة الفرنسية من هذا الـكتاب .

(٣) بروكس نفس المقال ص ٤٣٧ ، وفيه يقول ان قطونه أو قطونه ليست إلا فوتيوس ، وراجع ص ٢١٤ والذيل ص ٢٧٦ و ٣١٥ من الأصل الفرنسى لهذا الـكتاب .

آسيا الصغرى[١] ، وهو كراتير ، بأسطول قوى مؤلف من ٧٠ سفينة لفتح الجزيرة . فلما نزل الروم الجزيرة قاتلوا العرب أشجع قتال من مطلع الشمس إلى مغربها ، فصمد العرب لهم صمودا قويا ، ولكنهم ضعفوا عند المساء ولاذوا بالهرب ، وتركوا للروم أسلحتهم وأسرى كثيرين . ولو أن الروم تبعوهم لكان من المحتمل جدا أن يستولوا على الخندق . ولكنهم ازدهوا بما أصابوا من نصر وأجلوا استمرار القتال إلى اليوم التالى ، واعتقدوا أن هزيمة العرب قد تمت . فقضوا الليل بين السكر والفرح ، ولم يفكروا قط فى حراسة معسكرهم . فاغتنم العرب ذلك وبيتوهم وهم غافلون غير محترسين فقضوا عليهم قضاءا يكاد يكون تاما . وهرب كراتير على سفينة تجارية . ولكن القائد العربى حين لم ير الاستراتيج بين القتلى علم بهربه وأمر باتباعه فادرك فى جزيرة كوس فأخذ وشنق[٢] .

وبعد ذلك بقليل على الأرجح (٨٢٨ — ٨٢٩؟) جمع الامبراطور أسطولا قويا لقائد اسمه أوريفوس Ωορύφος ، وأعطى كل مشترك فى الحملة أربعين قطعة ذهبية ، واستطاع الأسطول أن ينزل موفقا فى كثير من الجزر المحتلة وأن يحمل العرب على الخروج منها . ولكنه لم يستطع شيئا فيما يخص صقلية[٣]

ولا تذكر المصادر لنا شيئا عن محاولات أخرى قام بها ميشيل الثانى لاسترداد كريت ، وليس فى ذلك مايدهش فان السنين الأخيرة من حكمه ازدحمت بمسألة صقلية ، فقد ثار بها ايفيميوس ونزلت بها جيوش العرب ، فتحول نظر ميشيل عن كريت واضطر أن يركز كل جهوده لصيانة هذا الإقليم الغربى البعيد .

---

(١) ومنه بلاد انطالية وميرا فى ليسيا وانطاكيا الصغرى ، وسيبريا التى سمى الجند باسمها (كما يشرح قسطنطين البورفيرى (الأجناد ص ٣٨) ومنه كذلك رودس — أما عن كراتير فانظر بيورى ص ٢٩٠ هـ ١ .

(٢) جنيزيوس ص ٤٨ — ٤٩ . راجع سرد صلة تيوفان ص ٧٩/٨١ ع ٢٥ وسيمون اجيستروس ص ٦٢٣ وانظر صاحب الصلة وسيد رونس ج ٢ ص ٩٥ — ٩٧ . وانظر سيد رونس زوناراس ط . دندورف ج ٣ ، ص ٣٩٩ ، كتاب ١٥ ف ٢٤ . ولا تعنى المصادر بتأريخ هذه الحملة . وإنما توضع فى ٨٢٧ — ٨٢٨ لأن صاحب الصلة يصفها بعد سرد نزول العرب فى صقلية فى ٨٢٧ ولكن هذه الحجة أبعد شىء عن أن تكون حاسمة .

(٣) جنيزيوس ص ٥٠ صلة تيوفان ص ٨١ ع ٢٦ . سيمون ماجستروس ص ٦٢٣ — ٦٢٤ سيدرونس ج ٢ ص ٩٧ . زوراناس ج ٣ ص ٣٩٩ كتاب ١٥ ف ٢٤ . وتاريخ هذه الحملة غير محدود بالدقة ويجعله صاحب الصلة قبل فتح صقلية . وهو تاريخ غير دقيق لأنه لايحدد إلا النهاية التى يجد ان تؤرخ قبلها الحملة Terminus ante quem ولا يدل إلا على أن المؤرخ عرض لما يعرف عن كريت قبل أن يتكلم عن صقلية . أما الأشخاص الأربعة الذين يحملون اسم أوريفوس (ولعلهم شخص واحد فقط أو شخصان) فانظر بيورى ص ١٤٣/١٤٤ هـ ٧ وراجع ص ٢٩ . وأنظر بروكس : نفس المقال .

فتح العرب صقلية

استعد العرب استعداداً طويلا لفتح صقلية الذى بدأ أيام ميشيل الثانى . وكانوا يعرفون هذه الجزيرة معرفة تامة . فقد كانت سفنهم تغزو الجزيرة منـذ منتصف القرن السابع . ومع أن العرب تحاشوا فى عصر الخلافة الأول العمليـات البحرية إذ حرمهـا عليهم عمر تحريماً صريحاً . فإنهم بدأوا عملياتهم البحرية الـكبرى أيام الأمويين[١] . ولـكنا مع ذلك نعلم أن العرب غزوا فى البحر قبل أيام الأمويين .

فإنهم غزوا قبرص[٢] تحت أمرة معاوية فى ٦٤٧ ـ ٨ . وبعـد ذلك ببضع سنين فى ٦٥٢ على الأرجح أخذ مسلمو سورية رودس وكسروا تمثالها العملاق الذى كان إحدى العجائب السبعة فى العالم القديم وحملوه[٣] . وهكذا بدأ العرب الانسياح نحو الغرب بعـد عمليتهم البحرية الأولى بأربع سنين ، وقد ذكرنا من قبل هجوماً على كريت فى القرن السابع .

وأول غزوة على صقلية خرجت من شواطىء البحر الأبيض الشرقية ، ولعلها أبحرت من طرابلس الشام .

كان معاوية بن أبى سفيان وإلى سوريا فى وسط القرن السابع يريد توسيع رقعة الخلافة . ولعله كان مدفوعاً بمنافسته لوالى مصر عبـد الله بن سعد الذى حظى عند عثمان بما أصاب من نصر فى أفريقية . فنظم حملة بحرية رأس عليها معاوية بن حديج ، الذى اشتهر بعد فى حملة على النوبة .

---

(١) كريمر : تاريخ الثقـافة فى الشرق ج ١ فينا ، ١٨٧٥ ص ٢٤٦ . بلاذرى ص ١٥٢ وقارن فصوه ص ١٢٨ .

(٢) امارى : تاريخ المسلمين فى صقلية ، ج ١ ص ١٨٤ — ٣٨٥ . ماس — لاترى : تاريخ جزيرة قبرص ج ١ باريس ١٨٦١ ص ٨٦ — ٨٧ . ساكيلاريوس : قبرص ج ١ أثينا ، ١٨٩٠ ص ٣٩٥ (باليونانية) . بلاذرى ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) تيوفان : تاريخ ط. دى بور ج ١ ص ٣٤٥ . قسطنطين البورفيرى : إدارة الامبراطورية ص ٩٥ ف ٢٠ راجع أمارى : نفس الكتاب ج ١ ص ٨١ — ٨٢ (ط ٢ ج ١ ص ١٨٥ — ١٨٦) سيسيل تور : رودس فى الأزمنة الحديثة ، كمبردج ١٨٨٧ ص ١ ٢ بلاذرى ص ٢٣٦ . وهو جعل غزو رودس سنة ٥٢ (٦٧٢) ، طبرى ج ٢ ص ١٥٧ ونقل عنه ابن الأثير عام ٥٣ (٦٦٢) وقارن ذلك ب ـ ل . كتيانى : « توقيت » ج ٢ باريس ص ٥٧٧ ، ٥٨٨ .

ونزل العرب فى ٦٥٢ باسطول بسيط على شواطىء صقلية ، ولم يستطيعوا منازلة الحصون الرومية . وكان المسيحيون حينئذ يعرفون مناعتها واتصلوا بالبابا مرتان واجزارك راقنة اوليمبيوس .

ونعلم أن أمبراطور الروم قنسطان الثانى كان على نزاع مع البابا وأن الأمبراطور بعث اوليمبيوس إلى رومه لقتل مرتان . وكشفت المؤامرة فصالح اوليمبيوس البابا ورجع إلى صقلية ليدفع العرب . فاتهمه الأمبراطور بالخيانة[1] .

فى نفس الوقت نادى والى أفريقية جريجوار بنفسه أمبراطوراً وقامت العداوة بينه وبين العرب.ولم تتجاوز العمليات العدائيةفىصقليةهذه المرة دور اللقاءالسافه.فإن العرب لم يكونوا على ثقة بجيشهم القليل العدد . أما جيش اوليمبيوس فقد انتشر فيه الطاعون ومات منه اوليمبيوس نفسه . وفى هذه الظروف عزم معاوية على الاكتفاء من صقلية بالغنائم والأسرى وعاد إلى سورية، وكان القلق يساور النفوس بها على مصير الأسطول . فوصل الأسطول إليها سالماً بعد زمن غير طويل[2] .

ثم اغتنم العرب قيام اضطرابات فى صقلية إثر موت قنسطان مقتولا فى سرقوصة كما نعرف (عام ٦٦٨) . فخرج أسطولهم من الاسكندرية وعدده مائتا سفينة عليهم عبد الله بن قيس . وصاروا منذ ٦٦٩ يغزون فيخربون ويغنمون ويعودون[3] .

وأخذ عرب مصر حوالى ٧٠٠ جزيرة قوصرة (بانتلاريا اليوم) وهى على ٦٠ ميلا من صقلية وأربعين من أفريقية . وكانت تلك الجزيرة القنطرة التى قفزوا منها إلى صقلية[4] .

---

(١) اماری : نفس الكتاب جـ ١ ص ٦٩ — ٧٨ (ط ٢ جـ ١ ص ٨٩ — ١٠٠) ص ١٨٩ — ١٩٣٠١٩١ — ١٩٤ . ديل : دراسة الإدارة الرومية فى أحزاركيه راقنة ، باريس ١٨٨٨ ص ١٨٤ هارتمان . فى تاريخ الإدارة الرومية فى ايطاليا ، ليبزج ١٨٨٠ ص ١٥ — ١٦ .

(٢) اماری : نفس الكتاب جـ ١ ص ٨٨ — ٩٠ (ط . ٢ جـ ١ ص ١٩٥ — ٢٠٩ وهى طبعة مختلفة عن الأولى .

(٣) اماری : نفس الكتاب جـ ١ ص ٩٨ — ٩٩ (ط ، ٢ جـ ١ ص ٢١٥ — ٢٢٢) .

(٤) اماری : نفس الكتاب جـ ١ ص ١٦٥ — ١٦٦ (ط . ٢ جـ ١ ص ٢٩٠ — ٢٩١)

ونزل العرب مرات كثيرة فى صقلية فى النصف الأول من القرن الثامن ، ولم يكن النصر حليفهم فى كل مرة[١] . ثم فكر والى أفريقية عبد الرحمن وأخوه عبدالله عام ٧٥٣/٧٥٢ فى الاستيلاء جملة واحدة على صقلية وسردينية . ولكن اضطرابات قامت فى أفريقية وأتيح لحكومة الروم أن تحصن هذه الجزيرة وخاصة صقلية وأن تجعل بها أسطولا كافيا[٢] ولم يهـــدد العرب أمن الجزيرة بعد ذلك أكثر من خمسين سنة .

وفى سنة ٨٠٥ عقد والى أفريقية ابراهيم بن الأغلب مع بطريق صقلية قسنطين صلحا لعشر سنين . ولكن معـارضة ثارت فى وجه ابراهيم وظهرت أسرة مستقلة هي أسرة الأدارسة فى المغرب ، ولهذا لم يكن الصلح المعقود أمرا هاما . وفى أثناء ذلك كان أمويو الأندلس يخربون سردانية وكورسيكا . ولكن كان من حسن حظ صقلية أن الأمويين والأدارسة والأغالبة كانوا على عداء شديد فيما بينهم فلم يوحدوا جهدهم[٣]

وفى ٨١٣ عقـد الأغلبي أبو العباس بن ابراهيم صلحاً لعشر سنين واتفق مع بطريق صقلية جريجوار على تبادل الأسرى ، وتفاهم معه على ضمان الأمن للسلمين فى صقلية وللروم فى أفريقية[٤] . ونحن نعلم أن العلاقات التجارية كانت قوية بين الأغالبة وصقلية فى أول القرن التـاسع وأن بعض تجار العرب كانوا يعيشون فى تلك الجزيرة[٥] .

واستأنف العرب غاراتهم على صقلية رغم الاتفاق ، بين ٨٢٠ — ٨٣٠ ، وانتهت هذه المرة بافتتاح صقلية .

---

(١) قارن امارى نفس الكتاب ج ١ ص ١٦٨ — ١٧٤ (ط . ٢ ص ٢٩٢ — ٣٠٠)

(٢) امارى : ج ١ ص ١٧٥ (ط ٢ ج ١ ٢٩٩ — ٣٠٠) قرب مدينة كلتانيستا فى صقلية جبل اسمه جبـــل حبيب وهى تسمية حفظت اسم القائد العربى حبيب بن عبيد بن أبى عبيد الذى غزا صقلية ٧٤٠ ، واضطر سرقوسة على أن تدفع له الجزية . ا. ساليناس . جولات أثرية فى صقلية . أرشيف صقلية التاريخى ، السلسلة الجديدة ج ٧ (١٨٨٣) ص ١٢٠ — ١٢١ . ويلاحظ م . امارى بحق (ط . ٢ ج ١ ص ٢٩٩ ه ١) أن من الجائز أن يكون اسم جبل حبيب مأخوذا من اسم أى حبيب وأن يكون الفرض الذى فرضه ساليناس على غير أساس .

(٣) امارى ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ (ط ٢ ج ١ ص ٣٥٣ . ٣٥٤) .

(٤) امارى ، ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ (ط ٢ ج ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧) .

وتنقسم مصادر فتح صقلية إلى ثلاثة أقسام — (ا) المصادر العربية [١] ، (ب) المصادر الرومية (ج) مؤرخو الغرب اللاتين . ويلاحظ أن كتابة تاريخ الفتح الصقلى بتسلسله كما وقع فى الحقيقة أمر غير ممكن ما لم نستعن بالتواريخ العربية . أما المصادر الرومية واللاتينية فتذكر ثورة ايفيميوس ولا تذكر إلا واقعة الفتح بصفة عامة دون ذكر الترتيب فى استيلاء العرب على مدن صقلية [٢] . كما أن تاريخ تيوجنوست [٣] لم يصل الينا ، وهو فوق ذلك متأخر عن وقائع الفتح .

---

(١) وقد نشر أمارى المصادر العربية الخاصة بفتح المسلمين الجزيرة وترجمها الى الايطالية راجع أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، ليبزج ١٨٥٧ (النص العربى) والمكتبة العربية الصقلية ، الترجمة الإيطالية ، تورينو وروما ١٨٨١/١٨٨٢ مجلدان وذيل . تورينو ١٨٨٩ . وتوجد بعض إضافات أضيفت فى مجلدين اسمهما العيد المئوى لميلاد ميشيل امارى . بلرم ١٩١٠ .

(٢) أنظر مجرد الأشارة الى فتح صقلية فى حياة القديس تيودور ط . ريجل (منتخبات بيزنطية روسية بطرسبرج ١٨٩١ ص ٩ : Oratio Htistorica in festum restitutionis Imaginnm (Combe . fisius, Bibliothecae patrum novum auctarium ج ٢ باريس ١٦٤٨ ص ٧٢٢) ، وكذلك جورج هرتولس ص ٦٩٩ ميرالت : ليون النحوى ص ٢١٢ — ٢١٣ : سمون ماجستروس ص ٦٢١ . وصلة تيوفان ص ٨١/٨٢ ع ٢٧ وهو يسوق سردا مصبوغا بصبغة خيالية ولا يذكر إلا اسما جغرافيا واحدا هو سرقوصه . ولم يرجع إلا إلى تاريخ تيوجنوست وليس بأيدينا (أنظر الهامش الآتى) . وصاحب الصلة هو ملهم سيدرونس ج ٢ ص ٩٧ — ٩٩ . زوناراس ط . دندورف ج ٣ ص ٣٩٩/٤٠٠ كتاب ١٥ ع ٢٤ . وهو شديد الاختصار . أما عن المصادر الغربية فانظر يوحنا الشماس الأعمال الكنسية النابوليتية Mon Germ. Hist. Scoipt. rer langb. ١٨٧٨ ص ٤٢٩/٤٣٠) وقد تعرض هذا الكتاب لفتح الجزيرة على عجل ولم يذكر إلا أقليم بلرم (تاريخ سلرنو (برتز ج ٣ ص ٤٩٨) وفيه سرد ذو صبغة قصصية دون ذكر الأسماء الجغرافية .

(٣) تيوجنوست مؤلف كتاب هجاء وصل الينا (طبعة كرامر Anecdota Greaca ج ٢ ١٨٣٥ ص ١/١٦٥ . واختلف فى العصر الذى عاش فيه تيوجنوست . وفى صور كتابه اهداء شعرى الى امبراطور اسمه ليون . ويرى بعض العلماء أن المقصود ليون الأرمنى (أول القرن التاسع) مثل دانس دى ويلوازون Anecdota Gaaeca ج ٢ / البندقية ١٧٨١ ص ١٢٧ . فابريك : المكتبة اليونانية ط . هارل ج ٧ من ٣٥٠/٣٥١ واحدث من ذلك كرمباخر : تاريخ الأدب البيزنطى ط ٢ ص ٥٨٥ — ٥٨٦ . ويرى غيره أن المقصود ليون الحكيم (٧٨٦ — ٩١٢) مثل هيرش : دراسات بيزنطية ص ١٩٦ — ١٩٧ . وفى هذا الرأى لا يكون تيوجنوست من معاصرى ايفيميوس . وقد أيد كرمباخر الرأى العكسى فاحتج بجملة وردت فى صلة تيوفان هى : وكتب حينئذ كتاب تيوجنوست فى الهجاء (باليونانية) (صلة تيوفان ص ٨٢) . وأعتقد أن المقصود هو ليون الأرمنى . أما عن تيوجنوست فانظر بيورى ص ٤٧٨ . وهو يرى أن صاحب الصلة خلط بين المؤرخ والنحوى وأن الأمبراطور ليون المذكور فى كتاب الهجاء هو ليون السادس الحكيم وهذه النقطة الأخيرة ثابتة على أساس أبيات الإهداء . وكلمة « الآن » لاتدل على شئ . وعلى هذا تكون تاريخ تيوجنوست الذى هو مصدر صاحب الصلة تاريخا غير معاصر وهو تاريخ مملوء بالأساطير

وكان سبب ظهور الأسطول العربي على شواطىء صقلية فى ٨٢٧ الخلاف بين قواد الجزيرة الروم وهم قسطنطين وايفيميوس . وكان هذا الأخير يريد الاستقلال عن بيزنطه فجعل نفسه امبراطورا .

وتوقيت ابتداء الثورة مذكور فى المراجع ذكرا على شيء قليل من الوضوح . ويرجح امارى أن قواد صقليـــة ثاروا منذ أن حاصر توماس قسطنطينية . كما يفترض أن الثورة دامت من خمس إلى ست سنين ، ثم انقطعت ثورة صقلية حين تقدمت الجزيرة مرة أخرى بالطاعة . ومعنى هذا أن ثورة صقلية جاءت على دفعتين الأولى منذ قيام ميشيل الثانى إلى تعيين فوتيوس حاكما للجزيرة حول ٨٢٧ ، والثانية منذ أن بدأ فوتيوس يحاكم ايفيميوس إلى أن هرب هذا إلى افريقية . ولكن هاتين الفترتين لم تظهرا فى وضوح فى الرواية الشفـوية المختصرة التى تذكر الثورة . فأدمجتا فى فترة واحدة هى فترة ايفيميوس وهى الرواية التى نجدها فى مراجعنا [1].

وهذا التعليل تعسفى . والأصح أن نلتزم تاريخ ٨٢٦ — ٨٢٧ كتاريخ لثورة ايفيميوس . فليس هناك مايدعونا إلى القول بأن البطريق قسطنطين عدو ايفيميوس هو فوتيوس الذى بعث واليا على صقلية فى تاريخ غير محدود ، بعد فشله فى كريت . ويجب أن نلاحظ التوافق البالغ فى الادهاش ، ولعله مقصـود بين عمليات العرب الحربية ضد الجزيرتين الكبيرتين فى نفس عام ٨٢٧ .

حقيقة أن الحانقين من أهل صقلية (وميل هذه البلاد إلى التحرر من نير البلاط الرومى أمر ملحوظ قبل هذا الوقت) لم يكونوا ليجدوا فرصة لمحاولتهم الثورية خيراً من تلك التى حانت بثورة توماس وانشغال كل قوات الأمبراطورية بمقاومته . ولكن الحقيقة الواقعة أن فقد كريت وفقد قسم من صقلية لم يتبعا ثورة توماس مباشرة .

وها هو ما نعرفه عن فتح صقلية نلخصه كما يلى :

فى ٨٢٦ — ٨٢٧ اختار ميشيل الثانى قسطنطين سودا (سوديس؟) وجعله واليا على صقلية [2] .

---

(١) امارى : تاريخ ج ١ ص ٢٤٩ — ٢٥١ (ط ٢ ج ١ ص ٣٧٧ — ٣٨١)

(٢) ولنذكر ثورة بازيل فى ٧١٨ وليبدوس فى ٧٥٥ ، وقد قاستا فى صقلية راجع ف . جابوتو : ايفيميوس والحركة الانفصالية فى ايطاليا لبيزنطيه . دراسة ، تورينو ١٨٩٠ . ١٩/١ . طبع هذا الكتاب أولا فى Rassegna Siciliana (لوم) السلسلة ٢ ، ٤/٢ (٨٩

وفى ولايته التى كان أهل الجزيرة لها كارهين كان رجل اسمه ايفيميوس يقوم بدور ممتاز . كان قائد أسطول صقلية فغزا شواطىء أفريقية وانتهبها وأسر من أهلها وخاصة من تجار العرب[1] . ولكن الاستراتيج تلقى من الأمبراطور أمراً بالقبض على ايفيميوس وتعذيبه . والسبب فى غضب ميشيل المفاجىء مذكور فى المراجع الرومية واللاتينية . ولكنه يحمل لوناً من ظل الخيال . اذ يقال أن ايفيميوس أحب قبل ذلك بسنتين أو ثلاث[2] راهبة اسمها هومونيزا [3] ، وأنه تزوج بها رغم حرمة

---

(١) البطريق قسطنطين (ابن الأثير) البطريق قسطنطين (النويرى ذيل الأصل العربى ص ٣٧٩) وقد لاحظ من قبل كوسان دى برسفال أن الاسم فى النويرى مكتوب بشكل آخر قسطان وقسطنطان وفى مره أخرى قسطين(كوسان دى برسفال : تاريخ صقلية مترجما عن النويرى المؤرخ العربى ص ٤٠٤ ، وسنعتمد فى الاقتباس على الترجمة المتضمنة فى كتاب البارون دى ريدزل : رحلة فى صقلية واليونان الكبرى والشرق الأدنى ، باريس ١٨٠٢ ، وتوجد طبعة أخرى مستقلة) وهذه القراءة الأخيرة جعلته يقول أن الاسم المذكور فى النويرى هو فوتينوس ، وهو الذى هزمه العرب بعد أن فتحوا كريت بقليل ، وهو الذى تعين بعد استراتيج صقلية . راجع صلة تيوفان ص ٧٧ ف ٢٢ : وقد جاء فيه : ولكن لأنه (أى فوتينوس) نال الحظوه عند الأمبراطور عوضه الامبراطور عن ولاية كريت بولاية أخرى جعله مباشرة استراتيج صقلية (باليونانية . سيدروس ج ٢ ص ٩٤ . راجع فامن : تاريخ غزو السراقنة ايطاليا من القرن السابع الى القرن التاسع باريس ١٨٤٣ ص ١٩٠٥ . وقد رأى أمارى نفسه (تاريخ ج ١ ص ٢٥٠ ط ٢ ج ١ ص ٣٧٨) أنه هو فوتينوس وان كان فى ترجمته النص العربى كتب قسطنطين لسكيلا يبتعد عن النص (راجع تاريخ ج ١ ص ٢٤٦ ط ٢ . ج ١ ٣٧٤ م) . أما نحن فكما ترى فى المتن لا نقبل القول بأنه قسطنطين ولا بأنه فوتينوس وذلك لأنه لا فائدة من ذلك . فانه لا يوجد مصدر يذكر فوتينوس استراتيج صقليه وأى اتصال بينه وبين ايفيميوس . ولنورد كيف أدى الاستنتاج بعض المؤرخين إلى خلع اسم فوتينوس على هذا الاستراتيج فى سرد الثورة التى أخذ صاحب الصلة أخبارها واختصرها عن تيوجنوست (٨٢) ، ولا نشك فى أن تيوجنوست ذكره . وأما افترض أن يكون ما يخص كريت عند صلة تيوفان (٧٦/٧٧) وقوله أن فوتينوس ولى على صقلية مأخوذ من تيوجنوست بيورى ص ٤٧٩ : (٢) لأن هذا مستحيل وذلك أننا نعرف الآن تاريخ فتح الجزيرة (٨٢٧ أو ٨٢٨) ولم يكن ممكنا أن يعين فوتينوس على صقلية إلا ٨٢٨ ، أو على أقل تقدير آخر ٨٢٧ . مع أن الرواية التى نعارضها توجب أن يكون تعين استراتيج صقلية فى أول أبريل ٨٢٢ . وعلى هذا فليس قسطنطين ولا فوتينوس نفس شخص واحد .

(٢) ابن الأثير نورمبرج ج ٦ ص ٢٣٥/٢٣٦ ، امارى : المكتبة العربية الصقلية ، ترجمة ج ١ ص ٢٦٤/٣٦٥ . أنظر ذيل الأصل ٣٠٦ وما بعدها . النويرى عند امارى ، نفس الكتاب ج ٢ ص ١١٤ : كوسان دى برسفال ج ٤٠٤/٤٠٥ . وذيل الأصل العربى ص ٣٧٩ . ابن خلدون عند امارى نفس الكتاب ج ٢ ١٧٣ .

(٣) وفى رواية جان الشماس النابولى أن ايفيميوس هرب من افريقية فى ٨٢٦ مع زوجته وأولاده

ذلك [1] . ويقال فى مصادرنا الرومية [2] أنه اقترف هذا الأمر المحرم وحققه بالقسر على كره من الراهبة فى اتمام الزواج. فقصد أخواتها العاصمة وشكوا الامر إلى ميشيل ، فلما سمع شكواهم أمر استراتيج صقلية بتحقيق الأمر فان صدق الاخوات قطعت أنف إيفيميوس [3] . فلما علم إيفيميوس بالأمر شرح لأنصاره ما تهدده من خطر وكان أنصاره كثيرين وكان الأسطول خاصة فى جانبه . ويغلب أنه فى إحدى عوداته من حملة بحرية هاجم الجزيرة واستولى على سرقوصه فقاد الاستراتيج جيشاً لقمعه . ولكنه انهزم وارتد إلى قطانيا . وواصل ايفيميوس الهجوم فهرب الاستراتيج فأسر وقتل .

ثم أعلن إيفيميوس نفسه أمبراطورا . وجعل يعين أنصاره ولاة على أقاليم صقلية ومدائنها المختلفة . ولكن أحد ولاته خرج عليه . واسمه كما تذكره المصادر العربية بلاط ، وسنعود إلى ذكره ؛ وعاونه حاكم بالرم وهو ابن عمه فانضم إلى الحزب الأمبراطورى ، وقاد جيشا كبيراً للقاء قائده القديم .

= Mon. Hist: Script. rer. langb. ص ٤٢٩ . وقوله «وأولاده» تجيز لنا أن نجعل زواجه بين ٨٢٣ و ٨٢٤ . راجع جابوتو نفس الكتاب ص ٣٠ .

(١) تاريخ سلرنو (برتز ج ٣ ص ٤٩٨) وهو يذكر اسم هوموننزا فهل هو اسم علم وهل يجب أن نقرأ hegumenissa أو monazusa .

(٢) ويقول صلة تيوفان فى ذلك : وليس المثل ببعيد . فان ميشيل نفسه مثل على ذلك بزواجه من ايفروسين (صلة تيوفان ص ٨١ ، ٨٢ ، ١٧٩) .

(٣) صلة تيوفان ص ٨٢/٨١ (سيد رواس ج ٢ ص ٩٧) وقد غير (قامن) عرض سيد روانس وحوره : قامن : تاريخ غزو السراقنة ص ١٤٦ . مرسييه : تاريخ افريقية الشمالية ، ج ١ ص ١٨٨٨ ص ٢٧٨ — ولا قيمة الآن لما نجد فى التواريخ القديمة من عرض لثورة ايفيميوس ، سكورفانى : السيادة الأجنبية فى صقلية ، باريس ١٨٢٤ ص ١٠٩/١٠٨ . فنرش : ما فعل العرب فى ايطاليا والجزر المجاورة ليبزج ١٨٤٥ ص ٦١ وما بعدها ونجد عرضا سريعا لفتح (صقلية) أنظر الى موت ميشيل الثالث مأخوذا عن امارى وعن نص تاريخ كمبردج الأغريقى ولم يكن طبع بعد فى ١٨٨٤ : عند لانسيادى برولو : تاريخ الكنيسة فى صقلية فى القرون المسيحية الأولى ج ٣ بالرم ١٨٨٤ ص ٢٤٧/٢٤٠) ونجد كذلك عرضا موجزا لفتح العرب صقلية الى ٩٠٢ مأخوذا عن امارى عند ا. هولم : تاريخ صقلية فى العصر القديم ، ج ٣ ص ١٨٩٨ ليبزج ص ٧٣٣/٣٢٧ . وانظر أيضا ص ٥١٠/٥٠٩ .

وانتصر بلاط واستولى على سرقوصة فلما أعيت إيفيميوس الحيل استغاث بافريقية وأميرها زياد الله [١].

وقديماً ساق الايطالى جابوتو فى ذلك فرضاً مفرط الجرأة [٢].

« وهاك فرضه » فى ٨٠٣ استدعى الاستراتيج ميشيل إلى قسطنطينية ، فخلفه على الولاية قسطنطين الذى عاهد الأغالبة ثم خلف بعده جريجوار . ولا ذكر لعزل جريجوار . ويبنى جابوتو على هذا أن جريجوار كان استراتيج حين ثار ايفيميوس . ولعل جريجوار (الذى لم يكن من قبل لا يخفى نزعاته الاستقلالية) لم يرد تنفيذ الأمر الأمبراطورى بعقاب ايفيميوس . وفى هذه الظروف بعث ميشيل فوتينوس ففرق بين ايفيميوس وزوجته [٣].

وترأس الثورة التى اندلعت ميشسيل والى بالرم وثالث يسميه صاحب رياض النفوس وابن الأثير وابن خلدون وابن دينار القيروانى ، بلاطه ملك صقلية . ويفرض جابوتو أن ميشيل ليس إلا الاستراتيج الذى عزل فى ٨٣٠ . ولم يذكره فى أى مصدر أنه خرج من الجزيرة ، ولعله كان يريد استرجاع منصبه . ويفرض جابوتو أن (بلاطه) هو عين جريجوار ، ولعل ايفيميوس حين نادى بنفسه امبراطوراً جعله كيروبلاط (رئيس البلاط) . ومن هنا قال العرب بلاطه [٤].

ولكنا لا نرى ضرورة للقول بأن ميشيل والى بالروم أيام ايفيميوس (يعنى فى ٨٢٧) هو نفس استراتيج عام ٨٠٣ فهذه الفترة طويلة ، وقد كان ميشيل اسما كثير الذيوع ، أما الاسم العربى فإنا نعتقد أنه ليس اسم علم وإنما اسم منصب فعلا ، ولكن هل يجب أن نضيف هذا المنصب الى جريجوار على أن ايفيميوس عينه رئيسا للبلاط

---

(١) ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٦ ص ٢٣٦ وعند امارى . المكتبة ... ، ترجمة ج ١ ص ٣٦٥ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٥٦) . النويرى عند امارى ، المكتبة ، ص ٤٢٧ ترجمة ج ٢ ص ١١٤ (وذيل الأصل ٣٨٠) . ابن خلدون عند امارى ، ترجمة ، ج ١ ص ١٧٣ . ولا يذكر حان الشماس النابولیتى فوتينوس ولا قسطنطين ولكن جريجوراس : فيقول : (Script rer lang ص ٤٢٩) : وثار أهل سرقوصيه مع ايفيميوس على ميشيل وقتلوا جريجوراس .

(٢) ويقول جابوتو نفسه عما يقدم من فرض : أنه فرض جرئ . ويبدو لى هذا أساس كاف « جابوتو نفس الكتاب ، ص ٢٨ .

(٣) وهذا التفصيل موجود فى سرد قصصى الى حد كبير فى تاريخ سلرنو (برتز ج ٣ ص ٤٩٨)

(٤) جابوتو : نفس الكتاب ، ج ٢٨/٢٩ . وقد أشار امارى فى ١٨٥٤ الى امكان أن تكون لكلمة بلاطه اختصارا من كير وبلاطه (تاريخ ج ١ ص ٢٤٨ ، ط ٢ ج ١ ص ٣٧٦) .

ويرى (م . دفورنك)أن المنصب **ليس** منصب **كيرو**بلاط ، ولكنه منصب بلاطينوس وهو منصب ثابت الوجود فى **القرن** التاسع بالذات حسب صاحب صلة تيوفان (ص ١٧٧ و ٤٢٦) كان أبو **كوكواس** بلاطنيوس وحسب حياة قسطنطين (أحد مخطوطاتها **يذكر** منصب بلازا ويصححه دفورنك فيقول بلاطا) فإن صح تقدير دفورنك ، وهو فى **رأينا** راجح . فإنا نجيب بالنفى على السؤال الذى قدمناه آنفا ولا **يجب** أن **يكون** حامل اسم بلاطة عند العرب هو نفس جريجوار [١] ، والراجح أن صيغة هذا **الاسم** تحورت عن طريق الجمع بين معانى اللفظ وانصرف تجانس **اللفظ** الى سهل **بلاطه لتعيين** المكان الذى نشبت فيه المعركه (أنظر ص ٧٥ من **الأصل الفرنسى** لهذا **الكتاب**)

ومن الواضح أن سبب ثورة **ايفيميوس** ليس زواجه الروائى . فإنا ندرك أن السياسة كانت العامل الأول فى هذه المسألة ، اغتنم ايفيميوس ثورة توماس ونصر المسلمين فى كريت فقام بالثورة وكان **يعد** لها من غير شك منذ ٨٢٢ — ٨٢٧ فلما علم **ميشيل بغيته أمر** فوتينوس **بالقبض** عليه ، أما أفريقية التى طلبت ايفيسيوس معونتها **فإنها كانت** منذ النصف الأول من القرن التاسع فى حكم أسرة مستقلة تمام الاستقلال عن الخلافة **الشرقية** ، **ثم إنه منذ عام** ٧٦٨ — أسس أحد العلويين الباقين على قيد الحياة أول امبراطورية شيعية مستقلة فى هذا المغرب الأفريقى الأقصى غير بعيد عن فاس الحديثة (الأسرة الأدريسية) وفى آخر القرن الثامن عظمت الثورات فى القيروان فقام بقمعها أحد قواد الرشيد ، وهو هرثمة **بن أعين** ، ثم جعل على ولايتها ابراهيم ابن الأغلب وكان أبوه قتل فى احدى الثورات التى سبقت . فلما رجع جند الخلافة **استؤنفت الثورات** ، ولكن الوالى الجديد استطاع قمعها فعرض على الخليفة «سلطانه» أن يدفع مالا معلوما على أن يجعل ولاية أفريقية له **ولبنيه وراثة** ، وقبل هارون هذا العرض **وكان حينئذ مشعولا** يغزو الخزر وثورة فارسية عنيفة فنشأت فى عام ٨٠٠ فى تونس أسرة خاصة هى **أسره الأغالبة** ، **وكان** لها فى فتح صقلية الرومية الدور الأول [٢]

(١) ف . دفورنيك : أسطورة قسطنطين وميتود كما تراها بيزنطه . براج ١٩٣٣ ص ٩٤ومابعدها

(٢) ڤايل : تاريخ الخلفاء ج ٢ ص ١٥٣/١٥٤ . مولر : الاسلام فى الشرق والغرب ج ١ ص ٤٨٨ — ٤٨٩ . ميور : الخلافة ، ط ٢ لندن ١٨٩٢ ص ٤٧٥ . مرسييه : تاريخ افريقية الشمالية ج ١ باريس ١٨٨٨ ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

فلما بلغ إيفيميوس أفريقية عرض (على زيادة الله) الجـــزيرة على الشروط الآتية — أن يحكمها ايفيميوس مع لقب أمبراطور وأن يدفع جزيه للأمير الأغلبي وأن ينفذ المشروع بجيش الأمير الأغلبي(١) .

وقرر أن يعرض الاقتراح على أعيـان القيروان للمناقشة . وكانت المناقشـة عاصفة . ورأى الأكثرون أن نقض الصلح المعقود مع صقلية فى ٨١٣ غير عدل . ورأى قليلون منهم أن الروم سبقوا إلى النقض وأن أسرى المسلمين لا يزالون فى سجون صقلية كما يشهد إيفيموس .

وعرض الخلاف على قاضيين فى القيروان عظيمى العلم والشهرة والنفوذ فى ذلك الوقت هما أبو محرز محمد وأبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان(٢) .

فرأى الأول أن من واجب المسلمين قبل القيام بالغزو بذل الجهد لجمع معلومات أدق عن أحوال صقلية . ولكن خطبة حماسية ألقاها أسد على الحاضرين مفعمة باشارات إلى القرآن وحثـه على الجهاد فى غير تراخ ، حسمت الأمر (٣) . وتغلب التعصب الدينى مضـافاً إلى شهوات ومطامع إنسانية تغلبت على الحزب المعتدل ، واعتمد الأمير والجند والعامة مقالة أسد ، ووثقوا قدرته دون سـواه على تفسير أوامر الشرع (٤) . ومن الطريف أن نلاحظ أن اجتماع الأعيان لم يهدف إلى فتح الجزيرة وإنمـا لمجرد غزوها (٥) .

واستجاب زيادة الله لرغبة العامة فجعل على رأس الجيش القاضى أسد . وهو الذى جمع العزائم على القيام بالحملة . والتقاليد العربية لا تجمع بين القضاء وقيادة الجيوش

---

(١) ابن الأثير : ط . نورنبرج ج ٦ ص٢٣٦ . وعند امارى : المكتبة ، ترجمة ، ج ١ص٣٦٥ (ذيل ٣٥٧) وقد جاء فى صلة تيوفان ص ٨٢ ف ٢٧ : وعد أن يسلم كل صقلية وأن يدفع جزية كبيرة إذا اعترف به امبراطورا وأمده بالمساعدة (باليونانية) .

(٢) عن حياة هذا الأخير وأعماله أنظر امارى تاريخ ج ١ ص ٢٥٣/٢٥٥ .

(٣) رياض النفوس عند امارى ، المكتبة ، نصوص ص ١٨٢/١٨٣ ، ترجمة ج ١ ص ٣٠٤/٣٠٥ (ذيل الأصل ٣٤٠) النويرى عند امارى ، المكتبة ، نصوص ص ٤٢٧ ، ترجمة ج ٢ ص ١١٤ ١٠ (ذيل الأصل ٣٨٠) .

(٤) امارى تاريخ ج ١ ص ٣٦٠ (ط ٢ ج ١ ص ٣٨٩ — ٣٩٠) .

(٥) النويرى عند امارى ، نصوص ص ٤٢٧ . ترجمة ج ٢ ص ١١٥ (ذيل الأصل ٣٨٠) .

ولكن الأمير الأغلبي استثنى من ذلك أسداً . فجمع أسد بين القضاء ورئاسة الأسطول [١] المتجمع فى خليج سوسه .

وكان إيفيميوس هناك بسفنه ينتظر الرد على طلبه . وخرج أسد من القيروان فى موكب وعرض الجند وخطب فيهم [٢] . وإنما سار إلى صقلية خيار الجند ، وكان الجيش يتألف من العرب والبربر وأهل الأندلس وكذلك ، فيما يرجح ، فرس خراسان [٣] . وكان فى الجند علماء [٤] . وكانت عدة الجيش ١٠ آلاف رجل وسبعمائة فارس وسبعون أو مائة سفينة ماعدا أسطول أفينوس [٥] .

وخرج الاسطولان مجتمعين فى خليج سوسه فى ١٤ يونيه عام ٨٢٧ [٦] . وبلغ بعد ثلاثة أيام (١٧ يونيه) أقرب نقطة فى صقلية ، وهى مزارا ، وكان لايفيميوس بها أنصار . ولعلهم لم يقصدوا الليبية لأن حصونها كانت قوية [٧] .

وبقى أسد بعد نزوله ساكناً ثلاثة أيام ، ويغلب أنه كان ينتظر وصول سفن.

---

(١) رياض النفوس وروايته مرتفعة الى الفقيه المرى أحمد بن سليمان : عند امارى ، المكتبة ، نصوص ١٨٣ : ترجمة ج ١ ص ٣٠٦ (ذيل ٣٤١) . راجع أمارى ، تاريخ ، ج ١ ص ٢٦١-٢٦٢ (ط ٢ ج ١ ص ٣٩٠/٣٩١) .

(٢) راجع امارى : تاريخ ، ج١ص ٢٦٢/٢٦٣ (ط ٢ ج ١ ص ٣٩٢/٣٩٣) .

(٣) وعن هؤلاء : أنظر امارى : تاريخ ، ج١ص ١٤٢ (ط ٢ ج ١ ص ٢٦٦/٢٦٧) .

(٤) ابن عذارى البيان ط . دوزى ، تاريخ افريقية وأسبانيا المسمى بالبيان المغرب ، ليدن ١٨٤٨ و١٨٥١ حـ ١ ص ٩٥ : ترجمة فانيان ، وعند امارى ، المكتبة ، ترجمة ، حـ ٢ ص ٥ (ذيل الأصل ٣٧٤) .

(٥) رياض النفوس عند امارى ، المكتبة ، نصوص ، ص ١٨٣ ، ترجمة حـ ١ ص ٣٠٦ (ذيل الأصل ٣٤١) . ابن عذارى ، البيان ط . دوزى ، نص الكتاب ، حـ ١ ص ٩٥ . وعند امارى . ترجمة حـ ٢ ص ٥ (ذيل الأصل ٣٧٤) . النويرى عند امارى ، نصوص ص ٤٢٨ ؛ ترجمة حـ ٢ ص ١١٦ (ذيل الأصل ٣٨٠) . راجع امارى ، تاريخ حـ ١ ص ٢٦٤) .

(٦) والتاريخ الصحيح عند النويرى : السبت ١٥ ربيع الأول عام ٢١٢ هـ (امارى ، المكتبة ، نصوص ، ٤٢٨ ، ترجمة . حـ ٢ ص ١١٥ ، ذيل الأصل ٣٨٠) ويذكر الشهر لا التاريخ الدقيق عند ابن الأثير ط . تورنبرج حـ ٦ ص ٢٣٦ وعند امارى . المكتبة . ترجمة حـ ١ ص ٣٦٥ (ذيل الأصل ٣٥٧) . رياض النفوس عند امارى ، المكتبة ، نصوص ١٨٣ . ترجمة حـ ١ص٣٠٦ البيان ط ١ دوزى حـ ١ ص ٩٥ ، ترجمة فانيان . وعند امارى ، ترجمة حـ ٢ ص ٥ (ذيل الأصل ٣٧٤) ،

(٧) امارى تاريخ حـ ١ ص ٢٦٥ (ط ٢ حـ ١ ص ٣٩٥) .

أخرى[١]. ومن الظريف أن نلاحظ أن أول قتال قام به العرب فى الجزيرة نشب خطأ مع فرسان من أنصار أفيمسوس وهم حلفاء . فأسروا ولكنهم أطلقوا حين تبين الخطأ[٢] .

وسرعان ما قرر أسد أن يستقل بعملياته . غير ناظر لايفيميوس . وكان لا يثق ثقة كاملة فى صدق معونته . فلما بلغ الأمر مصافة الروم قال القائد العربى لحليفه إن المسلمين فى غير حاجة لأى معونة . وطلب لهذا أن ينفرد ايفيميوس بأنصاره أثناء القتال ، وأن يحملوا علامات مميزة ظاهرة تفادياً لخطأ جديد ، هى غصن موضوع على الرأس يميز أنصار ايفيميوس ومن باقى الروم[٣] .

وترقب المسلمون القائد الرومى الكبير الذى يسمونه (بلاطه) حتى قدم فى جيش كبير يفوق جيش العرب عدداً[٤] وصف جُنْدَه للمعركة فى سهل بلاطه وهو السهل الذى يزعم العرب أن اسمه مأخوذ من اسم القائد[٥] .

---

(١) امارى تاريخ حـ ١ ص ٢٦٥ (ط ٢ حـ ١ ص ٣٩٥) .

(٢) النويرى عند امارى ، المكتبة ، نصوص ، ص ٤٢٨ ترجمة حـ ٢ ص ١١٦ (ذيل الأصل ٣٨١)

(٣) رياض النفوس عند امارى ، نصوص ص ١٨٥ ، ترجمة حـ ١ ص ٣٠٨ (ذيل ٣٤٢) . ابن الأثير ط . نورنبرج حـ ٦ ص ٢٣٦ . وعند امارى ، ترجمة حـ ١ ص ٣٦٦ (ذيل الأصل ٣٥٧ النويرى عند امارى ، نصوص ، ٤٢٨ ، ترجمة حـ ٢ ص ١١٦ (ذيل الأصل ٣٨١) .

(٤) ويذكر مؤرخو العرب رقما مبالغا فيه : ١٥٠ ألف رجل . راجع رياض النفوس عند أمارى ، نصوص ص ١٨٤ ترجمة حـ ١ ص ٣٠٧ (ذيل الأصل ٣٤١) .

(٥) النويرى عند أمارى ، نص ص ٤٢٨ ، وترجمة ، حـ ٢ ص ١١٦ (ذيل الأصل ٣٨١/٢٨٠) ويختار أمارى من الأماكن العديدة التى تحمل فى صقلية اسم بلاطه وهى الكلمة اللاتينية Ptatea يختار أمارى رأس البلاط كما يسميها الادريسى ، وهى اليوم جرانيتولا ، أو بونتادى سوريلو وهى رأس واقع على بعد ستة أميال جنوبى مزاره مشرف على سهل فسيح (امارى تاريخ حـ ١ ص ٢٦٧/٢٦٦) ولكن راجع امارى : المكتبة العربية الصقلية ، ترجمة حـ ٢ ص ١١٦ هـ ١ : وفيه يقول أن بعض وثائق القرن الثانى عشر تسمى بهذه التسمية نفسها مواضع أخرى من وادى مزارة . أما فامين فيرى أن بلاطه تقابل ملاتانا (تاريخ غارات السراقنة ص ١٥٠) ويرى أمارى فى الطبعة الثانية من تاريخه حـ ١ ص ٣٩٧ هـ أنه يوجد سهل يحمل اسم بلاطه عند الخروج من مزاره نحو مرسالا ، وان المكان المفقود هو على الأرجح رحل : (قرية) بلاطه (القائمة الى اليوم على نهر بليس) غربى كورليون ، والاسم مذكور كذلك فى وثيقة مشهورة عربية لاتينية من عام ١١٨٢ ورسمه رجل البلاط (باللاتينية رهلبلاتا) وهى بحيث إذا خرج جيشان أحدهما من مزاره والآخر من بالرم فلا بد من التقائهما .

فلما علم أسد الخبر خرج عن مزاره فى شهر يوليه[١] ، وقصد الجيش الرومى ، وصف جيشه وانتظر هجمة العدو . وكان يتلو لنفسه فى صوت خافت أمام الجيش آيات من القرآن . ثم صلى وخطب الجند فحثهم على الجهاد ، وكان أول متقدم فى الروم ونشبت المعركة ، فهرب الروم وآب المسلمون بغنائم وفيرة وهرب (بلاطه) إلى قصريانه (كاستروچيوفانى) ولكنه لم ير فيها مايتوقع من الأمن فمضى إلى كالابريا حيث مات[٢] .

وخلف أسد بعد هذا النصر على مزاره أبا زكى الكنانى والياً عليها ومضى نحو سرقوصه . وكان عليه أن يعبر الجزيرة كلها من الغرب إلى الشرق . ومن الصعب تحديد طريق أسد تحديداً دقيقاً ، أنه تبع الشاطىء حتى بلغ مكاناً منه اسمه كنيسة ايفيمى[٣] . ويقول (أمارى) أنهما فينياس القديمة وهى ليكانا أو أليكاناليوم على مصب نهر سالسو[٤] . والمرحلة التالية أقل من الأولى تحديداً . وهى كما نقلها

---

(١) ويجعل أمارى هذه الواقعة فى ١٥ يوليه ويعتمد فى ذلك على تاريخ كمبردج الذى يجعل فتح الجزيرة فى منتصف يوليه . ويفترض أمارى أن هذا التاريخ انما اعتبر فى تاريخه أهم حدث فى الفتح وهو هذه المعركة (أمارى تاريخ حـ ١ ص ٢٦٧ هـ ٢ ط ٢ حـ ١ ص ٣٩٧) ولكن عبارة تاريخ كمبردج لاتتكلم فى الحقيقة عن احتلال الجزيرة ولكن عن وصول المسلمين إليها . راجع كواز — لوزى : تاريخ كمبردج عن صقلية والسراقنة ، كمبردج ١٨٩٠ (وثائق خاصة بتاريخ صقلية . السلسلة الرابعة بلرم ١٨٩٠) وقد جاء فيها باليونانية : وصل السراقنة الى صقلية فى ١٥ يولية (ص ٢٤) ويترجم أمارى هذه العبارة عن نص التاريخ العربى : « فى هذه السنة وصل المسلمون الى صقلية فى منتصف يوليه » (المكتبة ، ترجمة . حـ ١ ص ٢٧٧) . ورأينا أنه وقع فى هذه العبارة من التاريخ خطأ كتابى أو مطبعى فى قوله يوليه بدل يونيه ، وان لم يذكر اليوم . ويلاحظ نللينو أن المسألة يجب أن تدرس من جديد لأن الجزء اليونانى من التاريخ (المحفوظة بالفاتيكان) يذكر يوليه وان لم يذكر اليوم (كواز — لوزى ص ٩٨) ويذكر ابن سعد (عيد أمارى المئوى ، جـ ١ ص ٢٩٣ ، راجع ص ٣٠١ هـ ٤) شهر ربيع الثانى بدل الأول وهو يوافق شهر يوليه .

(٢) ابن الأثير . تورنبرج حـ ٦ ص ٢٣٦ . أمارى ، ترجمة ، حـ ١ ص ٣٦٥/٣٦٦ (ذيل الأصل ٣٥٧) النويرى عند أمارى ، نص ص ٤٢٨ ترجمة حـ ٢ ص ١١٦ (ذيل الأصل ٣٨١) رياض النفوس عند أمارى ، نص ص ١٨٤ ، ترجمة حـ ١ ص ٣٠٧ (ذيل الأصل ٣٤١) . ابن خلدون عند أمارى ترجمة حـ ٢ ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٣) النويرى عند أمارى . نص ، ص ٤٢٨ ، ترجمة حـ ٢ ص ١١٦ (ذيل الأصل ص ٣٨١) .

(٤) أمارى تاريخ حـ ١ ص ٢٦٩ هـ ١ (ط ٢ حـ ١ ص ٣٩٩ هـ ١) . كوسان دى برسفال (تاريخ صقلية (ص ٤٠٨) وفامين) تاريخ غارات السراقنة (ص ١٥٠) وكلها تقول كنيسة افيميا دون تحديد المكان . أما عن ليكانا فانظر ا. هاوى « مدن جنوبى إيطاليا وصقلية . لندن ١٨٨٣ ص ٤٠٩ .

(أمارى) إلى الايطالية « كنيسة الملكين [1] فلما اقترب أسد من سرقوصه عوم الروم على الوقوف فى طريقه . وصل أسد إلى مكان محصن هو قلعة الكراث ويرى (أمارى) أنها على الأرجح مدينة أكرا القديمة وهى تسمى اليوم قصر اكريدى (بلاتسو اكريدى) [2]

= مولتيدو » كتاب قرى مملكة إيطاليا . نابلى ١٨٧٣ ص ٣٠٧ (وقد ظهرت طبعه ثانية فى ١٨٨١) جيوردانى « فهرس عام لقرى مملكة إيطاليا ، ميلانو (١٨٨٣) ص ٢٢٤ — ٢٢٥ . فيتو أميكو » قاموس طبغرافى لصقلية مترجم عن اللاتينية ، علق عليه جيواشينو ديمارزو . بلرم ١٨٥٥ ج ١ ص ٦٠١ و ٦٠٢ . والأرجح أن يكون المكان كنيسة القديس ايفيميوس التى بناها فى صقلية البطريق تستاس بو نوماك أيام الأمبراطورة أيرين حول عام ٧٩٦ . والمروى أن يد القديس كانت مدفونة فى هذه الكنيسة ويذكر بارنيوس عن متافرلست العبارة الآتية الخاصة بشأن ايفيميوس (بارونيوس » الحوليات الكنيسة بارى ١٨٦٨ ج ١٣ ص ٣٠٨ (١٥) ويفرض البعض وجود خطأ ويميلون الى الاعتقاد بأن كنيسة سان ايفيميوس توجد فى كالابريا . راجع لانسيادى برولو ، تاريخ كنيسة صقلية ، بلرم ١٤٨٤ ج ٢ ١٩٣ هـ ١ . أنظر ابيفانيو (أنظر بعد فهو يفرض أن المقصود هو بنتيا العتيقة وهى قرب مزاره .

(١) وقد نظر كوسان دى برسفال الى رسوم الاسم المختلفة وافترض أنه يجب أن تكون المدينة الحديثة سنيا كا الواقعه على ساحل صقلية الجنوبى عند مكان قدم اسمه حمامات سلينونتينا . وهى موطن أول مؤرخ صقلى وهو توماسو فزيلو . راجع ملتيدو ونفس الكتاب ص ٥٧٩ جيوردانى نفس الكتاب ص ٤٢٢/٤٢٣ وقد قبل جريجوريو فى كتابه (Rerum arabicorum quaead histolriam spectant ampla collectio) بلرم ١٧٩٠) رأى كوسان دى برسفال دون تحفظ . النويرى ، تاريخ صقلية ص ٢٩/١ . ثم ان كان كوسان دى برسفال رجع عن رأيه (تاريخ صقلية عن النويرى ص ٤٠٨ هـ ١) فإن فابين أخذ به (نفس الكتاب ص ١٥١ . أما أمارى فيقول أن المكان المقصود هو رأس لابيترا دى سان نيقولا بين لكاتا وترانوفا ، وان اسمه رفوجيم جلاى Refugium gelae فى رحلات انطونين Intenerarium Antonini واسمه مرسى السوق عند الأدريسى . راجع أمارى تاريخ ج ١ ص ٢٦٩ هـ ١ (ط ٢ ج ١ ص ٣٩٩/٤٠٠ ولكن راجع وصف إيطاليا حسب كتاب الممالك للادريسى . والنص العربى مطبوع مع الترجمة ومع تعليق أمارى ، شياباريلى « رومه ١٨٨٣ ص ٦٥ » مرسى السوق وهى فى رأى أمارى ميناء سيروكو أو فلكونارا وهو فرض غامض . وأنظر ابيفانيو ، فانه يعود الى القول بأن المقصود هو سياكا .

(٢) ابن الأثير : تورنبرج ج ٦ ص ٢٣٦ . أمارى ، ترجمة ج ١ ص ٣٦٦ (ذيل الأصل ٣٥٧) النويرى عند أمارى ، نص ص ٤٢٨ ، ترجمة ، ج ٢ ص ١١٦ — ١١٧ (ذيل الأصل ص ٣٨١) . ابن خلدون عند أمارى ، ترجمة ج ٢ ص ١٧٤ . أمارى ، تاريخ ، ج ١ ص ٢٦٩ — ٢٧٠ (ط ٢ ج ١ ص ٣٩٩ — ٤٠١) . راجع هارى : مدن إيطاليا الجنوبية ص ٢٥٤ . مولتيدو : نفس الكتاب ص ٤٢٣ جيوردانى : نفس الكتاب ص ٣٠١ — ٣١١ . فيتو أميكو : نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٤٥ — ٢٤٩ وأنظر ملاحظة أمارى على اسم الاسم واشتقاقه وقوله بعد ذلك أن كراط جاءت من اكراى . وهى ملاحظات مقبولة . وأنظر ابيفانيو « كراتاس وأول عارة للمسلمين على صقلية ، بلرم ١٩٠٤ (م ٨ ص ٢١) وهو يقول أن تحديد أمارى لا أساس له . ويرى أن التحديد يجب أن يتجه الى الشرق ويقول أن خط سير أسد هو كما يأتى « بنتيا قرب مزاره سياكا والجبل الذى كان القدماء يسمونه كراتاس (عند كلتا =

وتلقى هناك وفداً رومياً جاء من سرقوصه يعرض عليه الطاعة ودفع جزية معينة على أن يوقف سيره . ووقف أسد فعلا عدة أيام [١]. ولعل الذى دفعه إلى ذلك رغبته فى أن يتهيأ لحصار سرقوصه الخطير . وأن ينتظر أسطوله وأن ينظم جيشه المثقل بالغنائم والأسرى مع نقص عدده نقصاً ظاهراً بسبب ماترك من حاميات فى طريقه . ولكن الروم إنما تقدموا بالطاعة ووقف القتال مكيدة . وأدرك أسد ذلك فى الحال . وأدرك أن مثل هذه الهدنة لاتفيد إلا أعداءه على الأخص ، وكانوا فى نفس الوقت يبذلون الجهد فى تحصين سرقوصة والحصون الأخرى ، وينقلون خزائن المدينة والكنائس والمؤن الوفيرة إلى أماكن محصنة . وعلم أسد فوق ذلك أن ايفيميوس قد خاب رجاؤه فيما طمح فيه وظل على صلة بالروم يحثهم خفية على مقاومة العرب فى همة . فلما تحصن أهل سرقوصة أعلنوا رفضهم دفع مابقى من الجزية المتفق عليها .

فى هذه الظروف استأنف القائد العربى سيره وتقدم إلى أسوار سرقوصة بعد أن انتهب سهولها [٢] . وكان أخذ قبل ذلك كما يقول ابن الأثير كهوفا عدة حول سرقوصة [٣] ، يعنى المحاجر الشهيرة وهى بارادينو ، سانتا فنيرا ، نافنتيرى ، راس بوتشيني وهى على بعد أكثر من ميل من الحدود الجنوبية لحي نيابوليس وأخرادين . وقد خربا قبل ذلك بقرون . وكان بين المحاجر والمضيق فى القرن التاسع حى محاط بسور يمتد على طول المسافة بين الميناءين [٤] . وكان مع أسد ثمانية آلاف أو تسعة

= بلوتا) . ولكن المستشرقين لايقبلون هذا التحديد لأنه لايتفق مع طريقة العرب فى نقل الاسماء الصقلية . وانظر فى مجلة الدراسات الشرقية (الايطالية) جـ ٨ روما س ٨٣٢ — ٨٣٣ أمارى تاريخ ط ٢ جـ ١ ص ٤٠١ هـ .

(١) ولعل أسداً انما تسلم مبلغ الخمسين ألف التى وعد بها فى ذلك الوقت . وهو ما يذكره حنا الشماس النابلى (باللاتينية) Script. rer langob ص ٤٢٩ . راجع أمارى تاريخ جـ١ ص ٢٧١ (ط ٢ جـ١ ص ٤٠١) .

(٢) ابن الاثير : ط . تورنبرج جـ ٦ ص ٢٣٦/٢٣٧ وعند أمارى ترجمة ١ ص ٣٦٦ (ذيل الأصل ٣٥٧/٤٥٨) ابن خلدون عند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٧٤ . راجع فامين : نفس الكتاب ص ١٥١ . أمارى ، تاريخ ، جـ ١ ص ٢٧١/٢٧٢ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٠٢/٤٠٣) .

(٣) ابن الاثير : ط . تورنبرج جـ٦ ص ٢٣٧ . وعند أمارى ، ترجمة ، جـ ١ ص ٣٦٦ (ذيل الاصل ٣٥٧/٣٥٨) .

(٤) أمارى : تاريخ ، جـ١ ص ٢٧٢ (ط ٢ جـ١ ص ٤٠٢/٤٠٣) .

ليس معهم آلة حصار واحدة ولا سفينة كبرى فلم يكن يستطيع أخذ مدينة محصنة عن طريق الهجوم . فجعل فى المحاجر جندا وأقدم الأسطول لحصر المينـاءين وقام بعدة هجمات وأحرق سفن العدو . وكان أسد يرى حصار المدينة برا وبحرا وينتظر لذلك وصول المدد من أفريقية . وفى أثناء ذلك انتشرت مجاعة شـنيعة أضرت المعسكر العربى . ولم يكن أقليم سرقوصة ليمد العرب بمؤونتهم لأن الروم كانوا قد جمعوا فى المدينة كل المؤن . فبلغ الأمر بالمسلمين أن أكلوا خيولهم .

وعم السخط فى الجيش وتقدم ابن قادم أحد الثائرين ومثل أمام أسـد نفسه . وتضرع إليه أن يتركوا سرقوصة ويعودوا إلى أفريقية . وقال أن حياة مسلم واحد أغلى من كل ثروات المسيحية . فلم يفقد أسد رباطة جأشه ، وأجاب ابن قادم فى حزم « لست ممن يأذنون للمسلمين الذين خرجوا للجهاد أن يرجعوا إلى بلادهم مادام لهم رجاء فى النصر » فلما رأى أسد الفوضى تعم الجند تهددهم بحرق السفن . ولولا حزمه وعزمه مااستطاع أن يخمد السخط فى سرعة . فأخذ ابن قادم وحكم بضربه بالسياط ليكون مثلا لغيره . فوقفت الفتنة [٢] .

وفى أثناء ذلك كانت حرب صقلية تزداد فى ظاهرها خطورة على الأيام . فقد وصل صقلية مدد من أفريقيـــة ومتطوعون أندلسيون من كريت [٣] . وأرسل

---

(١) ابن الاثير : ط . تورنبرج جـ ٦ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، ترجمة جـ ١ ص ٣٦٦/٣٦٧ (ذيل الاصل ٣٥٧/٣٥٨) البيان ط . دوزى ص ٩٥ . ترجمة فانيان . وعند أمارى ، ترجمة جـ ٢ ص ٥ (ذيل الاصل ص ٣٧٤) .

(٢) رياض النفوس عند أمارى ، نص ص ١٨٥ (ذيل الاصل ٣٤٢) . وهذه العبارة من رياض النفوس مسندة الى سليمان بن سالم وهى لا توصل بين سرد المجاعة والثورة وبين زمن أو مكان أو ظرف معين . ولـكن الظروف العامة المحيطة بهذا الجيش الجائع تجعلنا نحدد الواقعة بزمن حصار سرقوسه . راجع أمارى تاريخ جـ ١ ص ٢٧٣ هـ ٢ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٠٤ هـ ١) .

(٣) ابن الاثير : تورنبرج جـ ٦ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، ترجمة جـ ١ ص ٣٦٧ (ذيل الاصل ٣٥٧/٣٥٨) ولا ذكر فيه إلا للمدد المرسل من افريقية . النويرى ، عند أمارى ، نص ، ص ٤٢٩ ، ترجمة ، جـ ٢ ص ١١٧ (وذيل الاصل ٣٨١) . ابن عدارى : البيـان ط . دوزى ص ٩٥ ، ترجمة فانيان . وعند أمارى ، ترجمه ، جـ ٢ ص ٥ (ذيل الاصل ص ٣٧٤) . ويذكر الأخيران مددى افريقية والاندلس ويضيف ابن عزارى امداد بلاد أخرى . ومن الصعب أن نقول أن الامويين بالاندلس تضامنوا مع أغالبة افريقية ؛ ولهذا كان من الارجح أن نفرض أن الذين تضامنوا هم عرب كريت وان كنا لا نرفض تدخل بعض المغامرين من آسبانيا (سوزى ص ٣٠٠) .

الإمبراطور ميشيل من ناحية أخرى مدداً إلى صقلية وأقنع دوق البندقية جستنيانو أن يرسل إلى الجزيرة أيضا سفنا لحرب المسلمين[١] .

وفى البندقية كان الدوق انجاوا قد مات فى ٨٢٧ وقد تقدم به السن . فخلفه زميله جستنيان بصفته دوقا منفرداً ، ونفترض حتما أن للمعونة الحربية التى قدمتها البندقية لحرب صقلية كانت إحدى الشروط التى اشترطها الامبراطور ليوافق على اختيار جستنيان . ومن المحتمل أن البنادقة كانوا فى القرن التاسع ملزمين بمعونة الروم بسفنهم حيث تنشب الحرب فى المياه الايطالية[٢] .

ونشبت معركة جديدة تحت أسوار سرقوصة[٣] . وكان المسلمون قد أحاطوا أنفسهم بخندق جعلوا من ورائه خنادق أخرى عديدة . وكان ذلك خير وقاية من الفرسان . ومع أن الروم أنفسهم كانوا يلجأون إلى هذه الطريقة أو الحيلة الدفاعية فإنهم انخدعوا هذه المرة فهاجموا وأصيبوا بخسـائر فادحة . كانت الخيل تكبو والفرسان تسقط جماعات . فذبح المسلمون عدداً كبيرا من المسيحيين وضرب جند العرب الحصار حول سرقوصة[٤] بعد ذلك ، وتحرج موقف المحاصرين إلى حد كبير وأرادوا المفاوضة . فرفض المسلمون[٥] ولـكن طاعونا اندلع فى ٨٢٨ فى معسكر المسلمين مات فيه أسد ابن الفرات نفسه ، فدفن فى المعسكر[٦] .

(١) دندولس « تاريخ (chronicum) (ميراتورى Rerital. Script. جـ ١٢ ص ١٧٠) « وقد جاء فيه باللاتينية » فى عام ٧٢٨ ... وانظر أيضا جوهانيس « تاريخ البندقيـة (باللاتينية) (برتز Mon Germ. جـ ٧ ص ١٦) .

(٢) راجع جفرير : تواريخ بيرنطية جـ ١ تاريخ البندقية منذ تأسيسها إلى عام ١٠٨٤ ، جراز ، ١٨٧٢ ص ١٥٤/١٥٥ راجع أ. لنتز . علاقة البندقية ببيزنطة بعد سقوط الاجزاركيه إلى القرن التاسع ، برلين ١٨٩١ ص ٦٣/٦٤ .

(٣) راجع أمارى : تاريخ ، جـ ١ ص ٢٧٤ هـ ٣ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٠٥ هـ ١) .

(٤) ابن الاثير : ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٢٣٧ وعند أمارى جـ ١ ص ٣٦٨ (أنظر ذيل ص ٣٥٨) .

(٥) النويرى عند أمارى نصوص ص ٤٢٩ ، والترجمة جـ ٢ ص ١١٧ (أنظر الذيل ص ٣٨١) .

(٦) ابن الاثير : ط نورتنبرج جـ ٦ ص ٢٣٧ وعنـد أمارى جـ ١ ص ٣٦٧ (الذيل ص ٣٥٨) ولا يذكر إلا تاريخ ٢١٣ هـ . النويرى عند أمارى ، نصوص ص ٤٢٩ والترجمة جـ ٢ ص ١١٧ (الذيل ص ٣٨١) « شهر شعبان عام ٢١٣ (١٥ أكتوبر — ١٢ نوفبر ٨٢٨) . وتقول مصادر أخرى أن أسدا مات من جراحه » رياض النفوس عنـد أمارى ، نص ص ١٨١ ، والترجمة جـ ١ ص ٣٠٢ (انظر الذيل ص ٣٤٠) « شهر ربيع الثانى عام ٢١٣ (١٩ يونية — ١٧ يولية ٨٢٨) . معالم عند هوداس وباسيه « بعثة علمية فى تونس (١٨٨٢) ، الجزائر ١٨٨٤ ص ١٣٠ . أمارى « =

وتحول الحظ زمناً عن المسلمين بعد موت أسد فبق الطاعون يصيبهم وأخذ الرهائن الروم الذين جيء بهم من البلاد المتقدمة بمحض اختيارهم يفرون نحو مواطنهم[1] .

فى هذه الظروف الخطيرة اختار الجيش لنفسه قائدا هو محمد بن أبى الجوارى[2] ولم يستأذن فى ذلك الأمير الأغلبي زياده الله ، الذى كان نفسه فى موقف حرج[3] .

وفى أثناء ذلك وصل مدد جديد للروم من القسطنطينية والبندقية وقد ضعف العرب من الطاعون وعزموا على رفع الحصار . فأصلحوا سفنهم ورفعوا مراسيها ولكن مخرج الميناء كان ممنوعاً يحميه أسطول عدو قوى .

فلما رأى المسلمون استحالة مرورهم بجيشهم الصغير من وسط هذه السفن الرومية البندقية عادوا ونزلوا وأحرقوا سفنهم لكيلا يسلموها للمسيحيين وتوغلوا فى داخل البلاد

ولا بد أن نفرض أن تراجع جيش لامؤن له مثقل بالمرضى الكثيرين كان أمراً عسيراً على المسلمين[4] ، ولكن ايفيميوس كان رائدهم .

المكتبة العربية الصقلية ، يل تورينو ١٨٨٩ ص ١٤ . البيان ط . دوزى (ص ٩٦) وهو يضع موت أسد فى شهر رجب (١٥ سبتمبر — ١٤ أكتوبر ٨٢٨) . أمارى الترجمة جـ ١ ص ٥ (والذيل ص ٣٧٤) . ابن خلدون عند أمارى ، الترجمة جـ ٢ ص ١٧٤ وقارن أمارى تاريخ جـ ١ ص ٢٧٥ هـ ٥ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٠٦ هـ ٣) . فامين . نفس الكتاب ص ١٢٥ : وهو يقابل تاريخ النويرى .

(١) البيان : ط . دوزى ص ٩٦ ترجمة فانيان وعند أمارى الكتاب جـ ٢ ص ٥/٦ (الذيل ص ٣٧٤) .

(٢) ابن الاثير : ط تورنبرج جـ ٧ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، الترجمة جـ ١ ص ٣٦٧ (الذيل ٣٥٨) . نويرى عند أمارى ، النصوص ص ٤٢٩ الترجمة جـ ٢ ص ١١٧ (الذيل ص ٣٨٢) البيان ط . دوزى ص ٩٦ ترجمة فانيان ، وعند أمارى ، الترجمة جـ ٢ ص ٦ (الذيل ٣٧٤) .

(٣) وفى هذا الوقت كان الشاطىء الافريقى بين أوتاك وقرطاجنة موضع غارات الإيطاليين : ومنهم بونيفاس الثانى دوق لوق وأخوه بيرانجيه ، وادواق غيرهم من توسكانيا . وكان لا بد أن تحول هذه الأحداث نظر زياد الله عن المسائل الصقلية . قارن أمارى ، تاريخ ، جـ ١ ص ٢٧٦/٢٧٨ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٠٧ — ٤٠٩) بيمر مولباخر سجلات القياصرة أيام الكارولنجيان ، انسبروك ، ١٨٨١ ص ٣٠٢ (سنة ٨٢٨) .

(٤) ابن الاثير : ط تورنبرج جـ ٦ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، الترجمة جـ ١ ص ٣١٧ (الذيل ٣٥٨) النويرى عند أمارى النص ص ٤٢٩ ، الترجمة جـ ٢ ص ١١٧ — ١١٨ . وهو يذكر مددا جاء من قسطنطينية (الذيل ص ٣٨٢) . وفى هذا الوقت نضع الموقعة التى يذكرها جان فى تاريخ البندقية « وهى طلب ثان من الامبراطور موجه الى البندقية لترسل له سفنا » (برتز : Mon. Germ. جـ ٧ ، ص ١٦) .

واتجه العرب نحو الشمال الغربى حتى بلغوا مكاناً يسمى مينيو (ميناى قديماً) وهو مكان على مسيرة يوم من سرقوصة يفخر بحماية القديسة أجربين[١] .

واستسلمت مدينة ميبو بعد ثلاثة أيام ووقف الطاعون واستعاد الجيش شجاعته واستولى فريق من الجيش العربى على مدينة جيرجنتى على الشاطىء الجنوبى لصقلية على حين ترك باقى الجيش حامية فى مينيو ومضى فى طريقه إلى الشمال الغربى فوصل إلى قصر يانه[٢] (Castrum Ennae) وإقليمها الصخرى وهو خير الحصون الطبيعية فى العالم كله[٣] .

وهناك هلك الرجل الذى أثار هذه الحملة العربية الحاسمة فى أمر صقلية ، وهو ايفيميوس هلك بمكيدة دبرها له أنصار الأمبراطور

فإن أهل قصريانه أظهروا رغبتهم فى مفاوضته للاعتراف به أمبراطوراً ، والاتفاق معه ومع العرب فى كل شىء . وطلبوا يوماً للتفكير . وكان لقاء آخر فى اليوم التالى . وصل إليه أهل المدينة فى الموعد المحدد وقد أخفوا سلاحهم تحت ثيابهم فلما لقوا ايفيميوس سجدوا له كما يفعلون للأمبراطور وقبلوا الأرض . وفى

---

(١) أنظر عن اجربين : سيرة القديسين Acta Sanctorum يونيه ، ج ٤ ص ٤٥٨/٤٦٧ استشهدت اجربين فى رومه أيام الأمبراطور فاليريان على الأرجح (وقد حكم الى عام ٢٦٢ ثم نقل جثمانها الى صقلية ودفنت فى مينو Acta Sanctorum ، يونيه جـ ٤ ص ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٧ ؛ وفى الأناشيد الدينية المقررة ذكر لهزيمة العرب الذين هاجموا حرمها بنسب شرفه وفضله لها « فانها ظهرت على شكل حمامة تحمل الصليب فأبادتهم » قارن النشيد السابع من الأناشيد الدينية المقررة ، فقد جاء فيه « الحمامة الذهبية ، المتدرعة بالصليب سلاحا ، أبادت الهاجرين الذى اقتربوا ليلا من حماها ، ونجت المؤمنين من مذابحهم ، الشهيد (نفسه ص ٤٦٣) وقارن المديح : واجترأ الهاجريون على اقتحام حماها فحقتهم بإبادة تامة (نفسه ص ٤٥٨) وقارن أيضا ص ٤٦١ . ومن الصعب استخلاص قضايا تاريخية من هذه العبارات المؤلفة فى عصر متأخر . أنظر عن هذه الأسطورة ، أمارى ، تاريخ حـ ١ ص ٢٧٩ (ط ٢ حـ ١ ص ٤٨/٤١٠) . لانسيا دى برولو : تاريخ كنيسة صقلية حـ ٢ ، بلرم ١٨٨٤ ص ٣٣٨ . أنظر الأسقف سرج « فوقيت دينى عام للمشرق (بالروسية) حـ ٢ موسكو ١٨٧٦ ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .

(٢) ابن الأثير : ط . تورنبرج حـ ٤ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، الترجمة ط ١ ص ٣٦٧ (الذيل ٣٥٨) النويرى عند أمارى ، النصوص ٤٢٩ ، الترجمة حـ ٢ ، ١١٨ (الذيل ٣٨٢) ابن خلدون عند أمارى ، للترجمة حـ ٢ ، ١٧٥ .

(٣) هير « مدن إيطاليا الجنوبية وصقلية ، ٤٦٠ ، قارن فيتو أسيكو » قاموس طبوغرافى (بالايطالية) حـ ١ ، ٣٨٢ — ٣٩٢ (فى كلمة Enna) .

نفس الوقت وثب جماعة على ايفيميوس من ورائه فقتلوه ولم يكن معه إلا جماعة يسيرة [١]

والرواية الرومية لهذه الواقعة تؤكد أن الذين قتلوه أخوان (ويظن البعض ظناً راجحاً أنهما من أصهاره) وأن سوقوصة كانت مكان القتل وتقدم إليه الأخوان العازمان على قتله وتظاهرا بتقديم الاحترامات الامبراطورية فلما حنى الامبراطور رأسه رداً عليهما جذبه أحد الأخوين من شعره وقطع الآخر رأسه [٢] .

وليس بين السردين تناقض مطلق كما نرى . وذلك أن جعل مكان القتل سرقوصة مجرد خطأ وقع فيه مؤرخو الروم وتصحيحها ظاهر فى النصوص العربية المفعمة بالتفاصيل الدقيقة عن إخضاع المدن الصقلية المختلفة[٣] . وإذا ألقينا نظرة شاملة على محاولة ايفيميوس الفاشلة فيجب أن نعترف منذ أول الأمر بصبغتها السياسية . أما الروايات التاريخية الرومية الغربية التى تروى قصة ايفيميوس فإنها تحتوى على الأرجح على نصيب ما من الصحة ولكنها لا تفسر المعنى الأساسى من هذه الثوره . وهو معنى يجب الالتفات إليه فى مخاطرة ايفيميوس لأن البعض ذهب إلى حد اعتباره زعيما قومياً إيطالياً حقيقياً ممهداً لمثل حركة الريزرجيمنتو[٤] .

ويقول جابوتو وهو إيطالى « إن تاريخ الجزيرة قَسى فى الحكم على ايفيميوس ، وظلمه لأنه لم يفهم مثله السامى . ولم يتبين لديه الشعور السياسى القومى الايطالى الذى كاد يدفعه بقدر ما كان هذا الشعور يدفع النـاس يومئذ . ولُعن ايفيميوس زمناً

---

(١) النويرى عند أمارى ، النصوص ص ٤٢٩ — ٤٣٠ ، الترجمة ج ٢ ، ١١٨ (الذيل ٣٨٢) ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٦ ، ٢٣٧ وعند أمارى ، الترجمة ج ١ ، ٣٦٧ (الذيل ٣٤٩)

(٢) صلة تيوفان ٨٢ — ٨٣ ع ٢٧ (سيدرونس ج ٢ ص ٩٨ — ٩٩ .

(٣) يروى أمارى موت ايفيميوس جامعا القضايا التى رواها مؤرخو العرب والروم (تاريخ ج ١ ص ٢٨١ — ١٨٢ ط ٢ ج ١ ص ٤١١ — ٤١٢ .

(٤) أنظر جابوتو : ايفيميوس وحركة إيطاليا الاستقلالية عن الروم (بالايطالية) . تورينو ١٨٩٠ . وأنظر نقد هذا الكتاب : كيبولا : فى المجلة التاريخية (بالفرنسية) ج ٤٨ (١٨٩٢) ص ١٢٩ . ومما جاء فى النقد « أن نظرية جابوتو جريئة » . ج . ب . بيورى سياسة الأمبراطورية الرومانية البحرية الخ (فى العيد المئوى لميلاد ميشيل أمارى ، يلزم ١٩١٠ ج ٢ ص ٢٦/ ٢٧) . وهو يوافق موافقة تامة رأى ڤازلييف ضد جابوتو . قارن أمارى ، تاريخ ط ، ٢ ج ١ ص ٢٨١ ، ١ هـ .

طويلا لأنه استعان بالأجانب ورمى بالخيانة[1] . أما الكتّاب الذين دافعوا عنه فإن بعضهم جعل منه بطل رواية ونزع منه بغير حق شرف الزعامة الوطنية . أما البعض الآخر فيقلل من أهمية حوادث ٨٢٨/٨٢٥ ويرى أن هذه الحركة مجرد ثورة حربية قام بها خاطرون . ونزع عن ايفيموس كل صبغة سامية وباعث نبل [2] . ولكننا تبين من دراسة شخصيته أنها شخصية حالم يدافع عن مثاله وهو مثال رجل يناضل فى شجاعة فى سبيل استقلال وطنه ويحيى التقاليد السياسية التى ترمى إلى جعل إيطاليا أمبراطورية مستقلة سميت فى هذا العصر بالأمبراطورية الرومانية الايطالية Impero Romano Italiano [3] .

ويقول جابوتو أيضاً : إن ثورة ٨٢٨/٨٢٥ الصقلية ذات صبغة قومية لأنه كان يراد حينئذ فصل الجزيرة عن الأمبراطورية الرومية وجعلها دولة مستقلة . وكانت هذه الفكرة هى الدافع المحرك لايفيميوس . ولكنه هزم كما هزم أسلافه . وذلك لأن الاتفاق بين العناصر الوطنية الصقلية والمرتزقة الشرقيين لم يدم ولم يكن ليدوم . ولا ينزع استصراخه العرب شيئاً من سمو أخلاق ايفيميوس ، ولا شك أن شخصيته تسمو بما استلهمت من نبل الحس وسمو المثل وبما اكتنفها من هالة الوطنية ومن الحب والحسرة[4] .

والواقع أن الصورة التى يرسمها جابوتو عن ايفيميوس تبينه بطلا قومياً . ولكننا للأسف لا نستخرج من النصوص شيئاً من هذا ولا ما يجعل من ثورته على الأقل ثورة إقليمية كالتى نجدها بوفرة فى التاريخ الرومى . وإنما أراد ايفيميوس اغتنام الفرص وخلع ميشيل وجعل نفسه أمبراطوراً فنجح بعض الزمن . أما أن نضيف خطة اوسع مدى وأعمق فى أصولها فأمر مستحيل بالفعل . فإن استعانته بالعرب ووعده إياهم بالجزية واعترافه بسيادة الأغلبيــة أمور لا تتفق مع النموذج المنتظر من بطل قومى ، ثم إن ايفيميوس قبل بغير عنــاء الموقف المزرى الذى وضع فيه

---

(١) أنظر مثلا منلاى، تاريخ اليونان ط. توزر ج ٢ ص١٣٧ «أن فتح صقلية سهل بفضل خيانة ايفيميوس

(٢) جابوتو : نفس الكتاب ص ٦/٥ . راجع أمارى تاريخ ج ١ ص ٣٨٢ (ط ٢ ج ١ ص ٤١٢)

(٣) جابوتو : نفس الكتاب ص ٧/٦ .

(٤) جابوتو : نفس الكتاب ص ٣٢/٣١ .

منذ وضع الجند العرب أقدامهم على أرض صقلية . فمن المستحيل أن نضفى عليه لقب بطل قومى ، لأن اسمه سيبقى دائماً متصلا بفتح المسلمين الجزيرة وبأنه هو الذى دعاهم

ولهذا لا يعد ايفيميوس فى التاريخ الرومى إلا شخصية مبتذلة . أما العناصر الروائية التى تبرزها التواريخ الرومية والغربية فليس لهـا فى حقيقة المسألة إلا معنى ثانوياً . ثم إن إشارة جابوتو إلى رغبة ايفيميوس فى إعادة الأمبراطورية الرومانية الغامضة إشارة لا نعرف نحن عنها شيئاً . ومما يؤسف له أنه لم يقدم لنا عنها أى إيضاح .

أما القائد الرومى الجديد تيودوت وكان أجدر من ولتهم بيزنطة القيادة فى هذه الحرب [١] فإنه لم يكد يصل بجيشه من قسطنطينية [٢] حتى صاف العرب فى معركة كبيرة تحت أسوار قصريانه . فهزم واضطر إلى الالتجاء إلى المدينة المحصنة ذاتها وترك للعرب فى ميدان القتال أسرى كثيرين منهم تسعون بطريقا [٣] .

واستمر الحصار وبلغ من ثقة العرب بأنفسهم أن أخذوا فى ضرب عملة فضية باسم زيادة الله وقائدهم فى صقلية محمد بن أبى الجوادى [٤] وقد مات فى أثناء الحصار فاختار الجيش زهير بن جوط خلفاً له [٥] .

وفى هذه الأثناء تفوق الروم وغلبوا بعثا عربياً خرج على عادته للبحث عن مؤن

---

(١) أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٢٨٣ (ط ٢ جـ ١ ص ٤١٣) قارن خاتما من القرن التاسع نقش عليه تيودوت الحاكم البطريق الأمبراطورى الأسباطير الأول والى صقلية ، عند شلمبرجر تاريخ الأختام فى الأمبراطورية الرومية ص ٢١٥ .

(٢) وإذا صدقنا نص النويرى أمكننا أن نعتقد بوجود ألمان (؟) فى الجيش مع بعض تحفظات لغوية أثارها الناشر جـ ١ ص ٣٧٥ — ٣٧٦ هـ .

(٣) النويرى عند أمارى ، نصوص ٤٣٠ ترجمة جـ ٢ ص ١١٨ (الذيل ٣٨٢) قارن ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٦ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، ترجمة جـ ١ ص ٣٧٦ (الذيل ٣٥٨) .

(٤) أمارى ، تاريخ جـ ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ (ط ٢ جـ ١ ٤١٤ — ٤١٥ ، ٤١٧ .

(٥) ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٦ ص ٢٣٧ وعند أمارى ، ترجمة جـ ١ ٣٦٨ (ذيل ٣٥٨) النويرى عند أمارى ، نصوص ص ٤٣٠ ، وترجمة جـ ٢ ص ١١٧ : وهو يروى موت بن الحوارى أول عام ٢١٤هـ (١١ مارس ٨٢٩ — ٢٧ فبراير ٨٣٠) (الذيل ص ٣٨٢) . ابن خلدون عند أمارى ، ترجمة جـ ٢ ص ١٧٥ .

ثم إن تيوديت أحرز فى اليوم التالى نصراً ثانياً قتل فيه نحو ألف مسلم وتتبع الباقين إلى تحصيناتهم . وتحول العرب لجأة من محاصِرين إلى محاصَرين .

وعزم العرب على الفرار ليلا ولكنهم وقعوا فى حبائل مكيدة. وذلك أن تيودوت قدر مثل هذا العزم فأخلى معسكره ليلا فلما دخله العرب وجدوه خالياً . وبينما هم فى عجبهم من ذلك هاجمهم تيودوت من كل ناحية وفقد العرب خلقاً كثيراً وانحاز من نجا منهم إلى مينيو وحاصرهم فيها الروم حتى بلغ بهم الأمر أن يأكلوا دوابهم والكلاب .

ولما علمت بالخبر حامية جيرجنتى الصغيرة خربت المدينة ولم تأنس من نفسها قدرة لإغاثة مينيو فرجعت إلى مزاره . ولم يبق بعد ذلك للمسلمين إلا بلد مزاره ومينيو يفصلهما عرض الجزيرة . والمواصلات بينهما غير آمنة مارة بين شعب عدو . أما مزاره فقد صمدت . أما مينيو فكانت تسير نحو الاستسلام لما كانت تقاسى من المجاعة . وهكذا حين جاء صيف ٨٢٩ أى بعد سنتين من نزول أسد بمزاره ، كان المتوقع الظاهر أن تنتهى العمليات الحربية والاحتلال العربى[١] . ولكن المسيحيين رغم انتصاراتهم الظاهرة كانوا قد ضعفوا ولم يستطع تيودت إتمام حصار مينيو . وفى هذا الوقت مات ميشيل الثانى (اكتوبر ٨٢٩) وخلفه على العرش ابنه تيوفيل[٢] .

* * *

(١) ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٦ ص ٢٣٧ — ٢٣٨) ابن خلدون عند أمارى ، ترجمة ج ١ ص ١٧٥ وعند أمارى ، نصوص ص ٤٣٠ ، ترجمة ج ٢ ص ١١٨ (ذيل ٣٨٢) ، ابن خلدون عند أمارى ، ترجمة ج ٢ ص ١٧٥ . قارن أمارى تاريخ ج ١ ص ٢٨٥ — ٢٨٦ (ط ٢ ج ١ ص ٤١٥ — ٤١٦) .

(٢) عن حكم ميشيل الثانى وعن ثورة ابفيميوس خاصة وفتح صقلية فانك تجد من غير شك معلومات تستطيع أن تستقصيها من قصيدة شعرية ، تنبؤية (١٨٠ بيتا) شديدة الغموض ولكنها مفعمة بالاشارات وقد وجدها ميركاتى فى مكتبة الفاتيكان تحت رقم Cod' Vatic 1234 (القرن العاشر) . ويروى سيميون ماجستروس (ص ٦٢٢) وصلة تيوفان ص ٨٧٧ ، وغيرها الأبيات الثلاثة الأولى منها . قارن : أبحاث المؤتمر الدولى الثالث للدراسات الرومية ، أثينا و ١٩٣٢ ج ١١١ وما بعدها .

الفصل الثانى

الامبراطور تيوفيل

(٨٢٩ - ٨٤٢)

حوادث عام ٨٢٩

الحدود العربيـــة الرومية

اعتلى تيوفيل العرش شابا عام ٨٢٩ فى وقت كانت حرب صقلية تتطلب جهود الجيش الامبراطورى .

وكان عرب كريت كذلك عظيمى الخطر . ونحن نعلم أنهم غزوا شواطىء آسيا الصغرى بمجرد موت ميشيل ، وخربوا الجزء البحرى من جندتراسيزيان ، واقتادوا أهل الناحية أسرى واستطاع العرب التوغل إلى جبل لاتراس وهو مشهور بأديرته فهاجموا من كان يعيش فيه من الرهبان وقتلوهم . وفى هذا الوقت هاجمهم فى البر حاكم الجند ، قسطنطين كنتوميت وكانوا قد بعـدوا عن سفنهم فذبحهم ذبح الأبقار [1] ولـكنا نجهل التاريخ الدقيق الذى وقع فيه هذا النصر .

---

(١) صلة تيوفان ص ١٣٧ ع ٢٩ . قارن دلاهاى : جبـل لاتروس وأديرته De Monte Latro eiusque monastriis فى مقدمة سيرة بولس الصغير اللاتروسى Analicta Bollandina ج ١١ (١٨٩٢) س ١٥ (وقد نشر نفس العالم هـذه السيرة مرة أخرى ضمن منشورات متحف برلين Kgl. Museen zu Berlin. Milet التى ينشرها ت فيجاند ج ٣ قسم ١ برلين ١٩١٣ ص ١٠١ ومابعدها ، قارن ص ١٧٩ وأنظر أيضا بيورى ص ٢٩٠ — ٢٩١ ويقول ليبو فى سرده هذه الحملة أن العرب نزلوا بتراقية وخربوها وأن بعثا من جيشهم اجتاز تراقية كلها وتقدم حتى بلغ جبل لاتروس « فى ميزياالسفلى » فنهب ديرا وقتل رهبانه (ليبو : تاريخ الأمبراطورية المتأخرة ط . سان مارتان ج ٣ ص ٩٢ — ٩٣ . وواضح أن ليبو فسر لفظ Θρακησιων بتراقية وأن كلامه عن ميزيا جاء من أنه لم يفهم العبارة اليونانية ومعناها بكل بساطة « ذبح ، أباد » . قارن ميرالت ج ١ ص ٤١٣ وهو يضع هذه الواقعة عام ٨٣٠ « هزم قسطنطين كنتوميت العرب الذين كانوا يخربون ميزيا . أما صحاب صلة تيوفان فيؤرخ الواقعة بإشارة أقل ما تكون الاشارة دقة : وحول هذا الوقت ص ١٣) ولـكن يؤخذ من عرضه بعد ذلك مباشرة لسرد هزيمة الأسطول الروى فى تازوس فى أكتوبر ٨٢٩ أن هذه الوقائع كلها كانت فى وقت واحد . بروكس : المجلة التاريخية الانجليزية ١٩١٣ » وهو يرى أن نصر كندوميت كان عام ٨٤١ .

ولكنا نعلم أن الأسطول الرومى لقى فى شهر اكتوبر ٨٢٩ الأسطول العربى قرب جزيرة تازوس وباء بالهزيمة[1] . وظل العرب بعد نصر سفنهم يخربون السيكلاد والجزر الأخرى[2]. وفى هذا الوقت وقع تخريب الأتوس، فهجره من كان فيه من الرهبان والمدنيين وبقى الأتوس زمناً خراباً[3] .

ويرى م . ا . و . بروكس (المجلة الانجليزيه ج ٨ (١٩١٣) ص ٤٣٣ - ٤٣٤) إن الذى أعاد كل الجزر إلى الروم (ما عدا كريت) هو أوريفاس .

وكان يهم الروم فى مثل ظروفهم الحرجة أن يتمسكوا بصلحهم مع العرب وهو الصلح المعقود منذ أيام هارون الرشيد عام ٨٠٧ (على أن نصرف النظر عن اشتراك العرب فى ثورة توماس)[4] .

ولكن الصلح نقض منذ السنين الأولى من حكم تيوفيل . وصار الخليفة المأمون (معاصر هذا الامبراطور) يهدد أرض الروم أربع سنين متواليات .

وقد اجتازت الخلافة فترة شديدة الاضطراب فى حكم المأمون (٨١٣ — ٨٣٣) .

من ذلك النزاع بين الأخوين ابنى هارون الأمين والمأمون ، وقد دام أربع سنين وانتهى بنصر المأمون . وأسخط هذا النصر الذى كان نصراً لخراسان والجيش

(١) صلة تيوفان ص ١٣٧ ف ٣٩ « وفى هذه السنة من حكم الامبراطور فى شهر أكتوبر من السنة الثامنة كانت معركة هزم فيها أسطول الروم فى جزيرة تازوس وأبيد عن آخره (قارن ميرالت ج ١ ص ٤١٣).

(٢) حياة القديسة تيودورا الامبراطورية ص ٧ مقدمة ٩، (ريجل: Analecta Byzantins-russica— بطرسبرج ١٨٩١) « جورج همرتولس ط . ميرالت ص ٧٠١ (٧٩٨ ط . دى بور) . صلة تيوفان ص ١٣٧ ف ٣٩ « وبعد ذلك استمر جيش الاسماعيلية ينهبون جزائر السيكلاد وكل الجزائر الأخرى»

(٣) بورفير أو سبنسكى « الشرق المسيحى (بالروسية) ج ٣ » اديرة أتوس ، كييف ١٨٧٧ ص ٨٤ وانظر أيضا ص ٣٤ .

(٤) أنظر طبرى ٣ ص ٧٣٠ عام ١٩١ هـ (١٧ نوفبر ٨٠٦ — ٥ نوفبر ٨٠٧) « ولم يغز المأمون صائفة بعدها إلى عام ٢١٥ (٨ فبراير ٨٣٠ — ١٧ فبراير ٨٣١) . قارن بيورى ص ٢٥٢ هـ ١ » وصمت المؤرخون الروم والعرب مما يثبت على الأقل أن العمليات الحربية فى حكم ليون كانت تافهة . ومع ذلك فيظهر أنه وجدت حروب لأن بين أيدينا إشارة إلى حملة شرقية قام بها الامبراطور . أنظر تيودور الاستودى . رسالة ٢١٣ (كوزا — ل) ص ١٨٠ — ١٨١ « وبعد خروجه غازيا (باليونانيــة) وفيها إشارة الى عام ٨٢٧ م . وفوق ذلك كانت النية متجهة الى حملة فى ٨١٦ م . أنظر Anon. B. ، حياة تيوفانس ٣٩٦ وانظر بارجوار : سار تيوفان فى مجلة Vizantisij Vremenik ، ج ٩ (١٩٠٢) ، ٨١/٧٣ .

الفارسي الجنس العربي سخطاً قوياً . ونشأ عن ذلك ثورة نصر بن شبث العقيلي عدو الفرس والشيعة وأحد أنصار الأمين من قبل . وانضم له قائد آخر من قواد الجند هو عمرو وظلا أربعة عشر عاماً يثيرون الارهاب على ضفتي الفرات . وكان شبث يتحصن فى كيسوم وسروج وعمرو فى سميط (وهو الذى يسميه الروم تيوفوب على الأرجح) ثم أغار الروم فى ٨٣٤ . وانتهت ثورة نصر بن شبث فى مارس ٨٢٥ (آذار ١١٣٦) بالاستيلاء على كيسوم وعلى نصر وبعث الثائر إلى المأمون فى بغداد مع كل أنصاره كما يقول ميشيل السورى . ويضيف هذا المؤرخ عن سلوك نصر مع المسيحيين بعض الملاحظات الطريفة فيقول « ولو أن نصراً كان طاغية فانه كان يحب المسيحيين ويفرض كل جزية قاسية على من يترك منهم دينه ، فكان يقول « ليس لى عندكم إلا الجزية وكل فرد منكم بعد ذلك حر فى اختيار عقيدته . وهكذا عاد الكثيرون من المساجد إلى الكنائس »[1] .

وكان على المأمون أن يواجه غير حرب مصر نضالا عنيفاً لقمع ثورة قامت فى آذربيجان عام ٨١٦ . وكان الثوار أتباع مذهب شيوعى هو الخرمية وعلى رأسهم

---

(١) عند نصر بن شبث العقيلى قارن ڤايل « تاريخ الخلفاء ج ٢/ ٢٠١ و ٣ وهى ضافية تشير إلى المراجع العربية . قارن سرد مفتل ميشيل السورى على الأخص لأنه كثير التفصيل ج ٣ ص ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٣٠ و ٣٦ و ٣٨ و ٤٦ و ٤٧ و ٥٢ و ٥٥ . ويذكر فى ص ٣٧ أن نصرا خالف ثائرا آخر اسمه عباس . وفى صفحة ٣٦ تفاصيل طريفة عن علاقة نصر بالروم (وهى تفاصيل يقال أنها معاصرة لثورة توماس ؟) ولما علم نصر الثائر أن المأمون ، ملك الطائيين ، تهيأ للقدوم إلى بغداد دعى كاتبه وهو مسيحى متعلم وأملى عليه خطابا للبطريق أمانويل (مانويل) كما لو كان يريد التحالف مع الروم . فلما علم الامبراطور ميشيل بذلك بعث رسله فوصلوا إلى كيسوم فوجدوا نصرا خرج إلى سروج . وبلغه الخبر وهو بها فجمع أنصاره وأعلمهم الخبر وخبر بقدوم رسل الروم فحنق الأنصار وقالوا « أتريد أن تغضب الله وترتد؟ حتى ملأوا نفسه حقدا فعل هذا الكلام فأرسل من قتل رسل الروم » . وانظر قوله ص ٣٨ عن نصر وعباس « وكان الثعبانان نصر والعباس يسودان على كل المنطقة الغربية ويذيقون الناس العذاب وكانوا يتحاضون على الشراب ويتنافسون فى القوة على احتماله » وكان ابن نصير يسمى منصورا (ص ٥٤) . ويظهر أن الملحمة الرومية قد حفظت ذكرى ثورة نصر هذه لأن منطقتها كانت منطقة البطل الروى (اقليم سميساط) . وكان نصير يرأس القيسية (ص ٣٠ — ٣١) ويذكر ميشيل كذلك حصار الرها على يد نصر وأصحابه (ص ٣٨) . ونحن نعلم أن مخطوط الاسكوريال يذكر أن أم الأمير ذكرت له ما يساورها من الخوف من القيسية على الرها . وفى الملحمة أيضا ذكر منصور وتصويره على أنه صعلوك خطير . ولنذكر فوق ذلك صعلوكا آخر من أعداء ديجينيس هو صنفولاس ويظهر أنه اسم لقبيلة عقولا با المذكورة عند ميشيل أكثر من مرة (ولعلها قبيلة بنى عقيل ، قبيلة نصر) .

بابك الفارسى . وكانوا يسكنون خاصة الأقليم الجبلى الواقع بين آذربيجان والديلم إلى همذان والدينور ، وكان كثير من قبائل هذه الناحية اعتنق آراء بابك وثاروا معه على المأمون [١] .

وتميزت هذه الثورة بحدتها وبتعصب الفريقين المتحاربين . وقد طالت عشرين سنة ولم تنته إلا بعد موت المأمون . وانهزمت فى أثناء ذلك جيوش الخليفة مرات وأباد بابك الجيش الذى بعثه الخليفة فى ٨٢٩ — ٨٣٠ كله مع قواده [٢] . وقد قورنت خطته بخطط هانيبال [٣] .

وفى أثناء ذلك الاضطراب الدامى اقتضت حرب مصر التى نشبت منذ ٨١٢ أن يرسل المأمون لقمعها فى ٨٢٩ أخاه وولى عهده أبا اسحق محمدا ، وهو الخليفة المعتصم بالله فيما بعد ، وسنرى بعد أن المأمون قصد مصر بنفسه بعد ذلك .

---

(١) ويسمى بابك فى كثير من الأحيان الخرمى أو الخرّمى بالتشديد والتخفيف وأصحابه يسمون بالخرمية أو الخرمية بمعنى الوضاح ، المنير . ويسمى الخرمية أيضا بالمحمرة يعنى الذين يلبسون الثياب الحمر تمييزا لهم عن أصحاب المذاهب الأخرى الذين يلبسون ألوانا أخرى « الأبيض والأسود والأخضر . قارن فلوجل : بابك أصله وظهوره (مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ج ٢٣ ص ٥٣٤) وأنظر عن بابك والخرمية مقالتى دائرة المعارف الاسلامية ولا يزال المؤرخون يرددون قول ڤايل (٢ ص ٢٣٥ هـ ٣) أن χορμασι الذين ذكرهم صاحب صلة تيوفان (ص ١١٨) فى كلامه على قمع الخليفة اياهم بمعونة لاجىء رومى هو منويل : هم الخرمية . والحقيقة أن المقصود فى هذه العبارة هم القرامطة وهم أصحاب مذهب معروف فى القرن العاشر وهو ما يثبت أن أسطورة منويل ترجع الى هذا العصر . قارن مجلة بيزنطيون ج ٨ (١٩٣٣) ص ٥٧٤ و ٧٧٤ وما بعدها . ويقول مؤرخو العرب أن ثورة بابك ذامت عشرين سنة وأن بابك ثار على المأمون فى ٢٠١ هـ (٨١٦/٧) وأنه صلب بسامرا فى ٨٣٨ . ومما يذكر أن ميشيل السورى لم يتكلم عن بابك إلا بعد ولاية تيوفيل . ولكن هذا الذكر ليس إلا لمحة تنظر الى الأشياء من عل : (٥٠ — ٥٢) . ويظهر أن صاحب صلة تيوفان كان يجهل العهد الأول من هذه الثورة ، وذلك لأنه يؤكد أن تيوفوب لجأ الى أرض الروم فى السنة الخامسة من ثورة بابك . ولكنا نقف عند التاريخ الذى يحدده الطبرى لوصول الفرس من أصحاب نصر (ولم يذكر نصيرا) ، فانه يقول : فى آخر عام ٨٣٣ بعد أن هزم بابك على يد اسحق ، لجأت فلول نصر الى أرض الروم . وعلى هذا تكون الحادثة وقعت عام ٤٣٤ . ونستطيع لذلك أن نفترض أن السنين الخمس التى يذكرها صاحب الصلة كانت محسوبة عند مصدره لا منذ ابتداء الثورة ولكن منذ ولاية تيوفيل . ومع ذلك فعبارة تيوفان تبدو من ناحية أخرى أسطورية لأنه يزعم أن الذى سار الى سينوب هو بابك وهو غير معقول (ولعله خلط بينه وبين تيوفوب؟) . ويقول ميشيل عن بابك أنه لجأ الى تيوفيل امبراطور الروم يطلب معونته .

(٢) ڤايل : تاريخ الخلفاء ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٣) قارن هـ . دعباشيان : تأسيس « دولة بقراط على يد أشوط بقراط » ، برلين ١٨٩٣ ص ٢ و ٤ .

وكان قيام الحرب فجأة على الحدود الرومية فى عام ٨٣٠ بالذات على حين لم تكن ثورة مصر أخمدت وعلى حين كان نصر الخرمية يهدد سلطان الخليفة فى فارس الشرقية

وكان العرب اهتموا اهتماما تاماً بتحصين حدودهم لما كان بينهم وبين الروم من حروب متصلة .

كان الجند المتاخم لأرض الروم يسمى العواصم [1] وعاصمته أنطاكية . ويشمل الجند عدا هذه المدينة مدينة أخرى سورية صغيرة واقعة على شاطىء الفرات الايمن وهى بالس (باربليسوس القديمة) ومدينة أبعد من هذه قائمة فى وسط الصحراء فى بقعة مزدرعة هى مدينة منبج ومدينة أعلى منها أيضا هى سمساط . وكان خط الحدود الفاصل بين الامبراطوريتين عبارة عن سلسلة من النقط المحصنه . وأهم هذه النقط مدينة طرسوس وتقع غير بعيد من ممر سيسيليا الجبلى وهو الممر الفاصل بينها وبين أرض الروم . وكانت طرسوس ذات أسوار مزدوجة وذات مؤن وافرة ومقرحامية كبيرة من الرجالة والخيالة وكانت فى نظر العرب آمن حصن يقى من غارات الروم . وهاهو تفصيل خط الحدود ابتداء من طرسوس : إلى شرقيها تقع أدنة على نهر سيحان (ساروس قديما) والمصيصة (مبسوسة قديما) على ضفتى جيحان (برماموس قديما) . وإلى الشمال الشرقى مرعش غير بعيد من جرمانيكيا القديمة) . وفى غرب الاكام الشمالى يقع حصن الهارونية الذى بناه هارون الرشيد [2] .

وفى شمال شرقى مرعش غير بعيد منها يقع الحدث (آدانا) [3] وشمال شرقى

---

(١) العواصم معناها (المدن) الحامية . ويقول قدامة بن جعفر وهو من كتاب القرن العاشر « سميت هذه المدن عواصم لأنها تعصم الحدود وتعبهنا على صد غارات الروم (قدامة ط . دى جويه فى مكتبة الجغرافيين العرب ج ٦ ص ٢٥٣ (النص العربى) وص ١٩٣ من الترجمة الفرنسية . وقارن مقالة ستريك عن العواصم فى دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ليدن ١٩١١ . بيورى ص ٢٤٤ وما بعدها وص ٢٤٩ خاصة (حماية العرب والروم الحدود) وأنظر المجلد الثالث من « سلسلة العرب والروم » تأليف هونجمان : « حدود الروم الشرقية » من ٣٦٣ — ١٠٧١ ففيه كل المراجع .

(٢) تقع الهارونية على ٢ كم شمال غربى يغشه ، أنظر ا . هونجمان فى O.LZ ١٩٣١ع ١٠٦٦ .

(٣) اختلف المحدثون على موقع الحدث (أدتا باليونانية) . قابل نفس الكتاب ج ٢ ص ٩٨) وهو يقول أنها بين مرعش ومنبج بمعنى إلى جنوبى مرعش . وقبل المؤرخون رأيه زمنا . أما العالم الانجليزى الشهير رمزى فقد اعتمد على المصادر الرومية للحملات العربية واستخلص منها أن الحدث يقع شمالى جرمانيكيا ، وهو تحديد أقل ضبطا من السابق . (جغرافية آسيا الصغرى التاريخيـة : لندن ١٨٩٠ ص ٢٧٨) . ويجعل المؤرخ جليكاس (بون ص ٢٨٨) جرمانيكيا هى نفس الحدث وهو خطأ ظاهر » (باليونانية :=

هذه تقع ملطية . وقد حصن هذا الخط بالحصون الممتدة من طرسوس إلى ملطية في السنين الأولى من خلافة هارون الرشيد[1] . وكان ارتفاع خراج هذا الجند تافهاً إذا قورن بنفقات الدفاع عنه . فقد كان ارتفاع خراج الثغور الشمالية بما فيه طرسوس وأدنه والمصيصة وعين طربة والهارونية وبلاد أخرى يبلغ ، حسب الوثائق العربية الرسمية ، مائة ألف دينار أو مليوناً ونصف مليون من الفرنكات الذهبية[2] ، تنفق على المشاريع العامة وأجور الجواسيس والبريد ومسالح الدروب في الجبال ومخاضات الأنهر والحصون إلخ . وكان لهذه المدن مرابطة كثيرة مخصصة لها . وبينما كان الدخل السنوي لا يتجاوز مائة ألف دينار كانت نفقات الطوائف والشواني براً وبحراً تبلغ مائتي ألف وثلثمائة ألف أحياناً يعني أربعة ملايين ونصف مليون من الفرنكات الذهبية .

= لأنهما مدينتان مختلفتان) قارن رمزي (نفس الكتاب: ص ٢٧٨) ولكنا نجد عند جغرافي العرب تفاصيل دقيقة عن موقع الحدث « فان ياقوت يقول » يقع حصن الحدث بين ملطية وسماط ومرعش من ناحية أرض الروم (ياقوت معجم البلدان ط . وستنفلد ج ٢ ص ٢١٨) . وهذا يثبت أن الحدث تقع الى الشمال من مرعش . وفي عبارة أخرى (ج ١ ص ٥١٤) يقول ياقوت أن بحيرة الحدث تقع على مقربة من مرعش والبحيرة تمتد من الحدث الى مسافة ١٢ ميلا في ناحية ملطية . والواقع أنه توجد قرب مرعش ثلاث بحيرات متصلة تقع شمال شرقي المدينة ، أنظر الخرائط في اطلس ستيلر وعند رمزي (نفس الكتاب) ويذكر ابن خرداذبة (ط . دي جويه : مكتبة جغرافي العرب ج ٦ ص ٩٧ (النص العربي) ، ص ٧٠ (الترجمة الفرنسية) أن الحدث على خمس فراسخ من مرعش . ونجد مثل ذلك عند قدامه بن جعفر (في نفس المكان والكتاب ج ٦ ص ٢١٦ (النص) وص ١٦٥ (الترجمة) . ويقول البكري وهو جغرافي عاش في القرن العاشر أن عربسوس (اليوم بربوظ في شمال مرعش) تقع مقابل الحدث . (معجم البلدان ط . وستنفلد . جوتنجن ١٨٧٦ ص ٦٥٧) . قارن جي نسترانج الأبريق تفريق عاصمة البوليسين . مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٦ ص ٦٤١ . وقارن اندرسون « حملة بازيل الأول على البوليسين في عام ٨٧٢ م : المجلة الكلاسيكية ج ١ (١٨٩٦) ص ١٣٨ » وهو يقول أنها تقع على آك — سو قرب اينكالى .

(١) قدامه . دي جوية . المكتبة (ج ٦ ص ٢٥٣ — ٢٥٤ (عربي) و١٩٣ (فرنسي) اصطخري المسالك . دي جويه « المكتبة ج ١ ليدن ١٨٧٩ ص ٦٥ و ٦٧ اصطخري كتاب المسالك ترجمة عن العربية موردتمان ط . همبرج ١٨٤٥ ص ٣٧ — ٤٦ قارن كريمر » تاريخ الثقافة في الشرق ج ١ ص ٣٤٩/٣٥٠

(٢) كان الدينار أول الخلافة عشر دراهم ثم اثنى عشر وأكثر . وعشرين أو ٢٣ أيام الرشيد و ٢٥ أيام المتوكل . ويقول قدامه أن الدينار كان يساوي ١٥ درهما في القرن العاشر . قارن كريمر . نفس الكتاب ج ١ ص ٣٦٢ كريمر « ميزانية الخلافة العباسية » نشرت في Denkschriften der philos. hist. Cl. d. Akad. d. Wiss. zu Wien عام ١٨٨٧ ج ٣٦ ص ٢٨٧ أما الدرهم فيساوي فرنكا ذهبيا تقريبا فاذا حسبنا الدينار ١٥ درهما والدرهم فرنكا حصلنا على ناتج هو ١٠٠ ألف دينار أو حوالى مليون ونصف مليون فرنك ذهبي .

وكان ارتفاع ثغور الجزيره وهى تشمل مرعش والحدث وملطيـة وبلاداً أخرى يبلغ ٧٠ ألف دينـار يعنى مليوناً وخمسين ألف فرنك ذهبي . وكان ينفق عليها ٤٠ ألف دينار وتخصص الثلاثون ألف الباقية لعطاء الجند ويزاد عليها كل سنة مائة وعشرون ألف على الأقل أو ١٧٠ ألف دينار فى الغالب . هذا عدا النفقات الطارئة المخصصة للحملات الطارئة . وهى نفقات تتناسب مع أهمية الحملة [١] .

ولـكن هذه النفقات كلها كانت شيئاً تافهاً إذا قيست بجملة ارتفاع الخراج الذى تجبيه الخلافة أيام المأمون . فقد كان ارتفاعه عام ٨٢٠ يتجاوز مليار فرنك من فرنكات ما قبل الحرب العالمية الأولى [٢] .

وكانت غارات العرب على أرض الروم فى الربيع وفى الصيف وفى الشتاء. أما غزو الربيع فيبدأ فى وسط مايو حين تقوى الخيـــل وتسمن من مراعى الربيع ويدوم الغزو ثلاثين يوماً يعنى إلى نصف يونيـه . وفى أثناء هذا الغزو تجد الخيول من مراعى الروم غذاء وفيراً هو بمثـابة ربيع ثانى لها . ثم يستريح العرب ويريحون خيولهم من منتصف يونيه إلى منتصف يوليه . وتبدأ حملة الصيف فى منتصف يوليه وتدوم ستين يوماً . أما حملة الشتاء فلا تكون إلا فى حالات الضروره القصوى ولم يكونوا فى أى حال يمعنون فى التوغل فى أرض العدو وكانوا يحرصون على أن لا تدوم أكثر من ٢٠ يوماً يحمل فيها الجند على خيولهم المؤونة الضرورية لهـذه الأسابيع الثلاثة . ويكون هذا الغزو عادة فى آخر فبراير والنصف الأول من مارس

حمـلة ٨٣٠

كان تعاون العرب مع توماس فى ثورته يدل على أن المأمون كان ينوى القيام بحركة

---

(١) قدامه : ط . دى جوية ص ٢٥٣ — ٤ عربي و ١٩٣/١٩٥ فرنسى .

(٢) قارن دى سلان « مذكرات عن قدامه وكتبه (المجلة الاسيوية ج ٢ ص ١٨٦٢ ص ١٨١) ويعتمد كريمر على توثق الجهشيارى فى أخباره فى كتاب الوزراء (مات عام ٣٣١هـ = ٩٤٢ — ٩٤٣) ليحدد ارتفاع الخراج أيام هارون الرشيد ويقول أنه بلغ ٥٣٠,٣١٢,٠٠ درهم قارن كريمر « ميزانية الدخل فى خلافة الرشيد حسب الوثائق المكتشفة حديثا = مباحث مؤتمر المستشرقين الدولى السابع ، قسم الساميات ، فينا ، ١٨٨٨ ص ١٢و١٣و١٤ . وقارن مطبوعات القسم الشرقى لجمعية الاثار الامبراطورية الروسية (بالروسية) ج ٤ ، سان بطرسبرج ١٨٨٩ — ١٨٩٠ ص ١٢٨/١٣١ .

هجومية يشنها على الروم . ولكن انهزام توماس واضطراب الخلافة منع المأمون من إتمام نواياه ، فلما قامت حرب صقلية وحولت انتباه الأمبراطورية وقواتها نحو الغرب عد المأمون ذلك فرصة مواتية . فابتدأ العمليات الحربية فى آسيا الصغرى رغم أن المشاغل الداخلية لم تكن انتهت بعد .

فلما قرر المأمون إرسال حملة الى أرض الروم ترك بغداد بعد ٣٠ مارس ٨٣٠ ، وخلف على بغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب ليكون واليها مدة غيابه وواليا على كل السواد وهو ما يسميه الترك اليوم العراق باسمه الفارسى القديم وهو يشمل حلوان ومدائن دجلة .

وأقام المأمون مدة ، أبريل — فى مدينة تكريت الواقعة على دجلة شمالى بغداد فروح بها بنته أم الفضل بمحمد العلوى[١] . ثم صعد على دجلة نحو الموصل واجتاز سهل الجزيرة من الشرق إلى الغرب ، ثم عبر الفرات ومضى من منبج إلى دابق [٢] فانطاكية والمصيصة وطرسوس [٣] . وكان قد اجتاز هذه المدينة الأخيرة لتكون مبدأ الحملة .

وحملة المأمون هذه متصـــلة بأول ذكر كان عن فرقة الصابئة الدينية فى شمالى الجزيرة . فان المأمون لاحظ فى حران فى شمالى الجزيرة فى أثناء سيره إلى طرسوس أناساً عجب لثيابهم وشعورهم الطويلة . وعرف المأمون أنهم ليسوا مسيحيين ولا يهودا ولا فرساً . وأنهم لا يؤمنون بالرسول ولا يدخلون فى أهل الذمة (الذين تعترف بهم الخلافة) فقرر ما يأتى : — أن يدخلوا الاسلام أو أحد الأديان التى ذكرها القرآن وألا أبيدوا . فدخل قسم من هؤلاء الحرانية فى الاسـلام أو فى المسيحية وترك بعضهم ثيابهم الخاصة وحلقوا شـــعورهم . ومنهم من آثر التمسك بعقيدته .

(١) الطبرى جـ٣ ص ١١٠٢ (الذيل من النسخة الفرنسية من هذا الكتاب ص ٢٨٧ — ٢٨٨) . قارن فايل : نفس الكتاب جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) دابق : مدينة واقعة على ٤ فراسخ من حلب . أنظر ياقوت جـ ٢ ص ٥١٣ .

(٣) المصادر العربية التى تذكر حملة المأمون الأولى هى الطبرى جـ ٢ ص ١١٠٢ — ١١٠٣ ابن الأثير جـ٦ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ وهو لا يضيف شيئا على تلخيصه للطبرى (الذيل ص ٢٧٢ فى النسخة الفرنسية لهذا الكتاب ص ٣٥١) . اليعقوبى ، تاريخ ط . هوتسما . ليدن ١٨٨٣ جـ٢ ص ٥٦٧ — ٥٦٨ (الذيل ص ٢٧٢) ونوجد إشارات موجزة فى كتاب دى جوية المسمى Fragmenta historicorum . ليدن ١٨٦٩ ، ص ٧١ ، ٣٢٤ ، ٤٦٤ (الذيل فى الأصل الفرنسى لهذا الكتاب ٣٧٠) .

فنصحهم بعض فقهاء العرب أن يتسموا باسم الصابئة الذين ذكرهم القرآن . وقد أنقذهم هذا النصح فى الواقع . وكان اسم الصابئة غير معروف إلى هذا الوقت فى الجزيرة[١]

وفى منتصف جمادى الأولى يعنى حول منتصف يولية[٢] سار المأمون من طرسوس ومعه ابنه العباس يصحبهم على الأرجح اللاجىء الرومى منويل[٣] لغزو أرض الروم . وكان فى جيش الخليفة من القواد أشناس وجعفر الخياط .

---

(١) قارن د . جولسون الصابئة والصابئية ج ١ سان بطرسبرج ١٨٥٦ ص ١٣٩/١٤١ .

(٢) طبرى ج ٣ ص ١١٠٣ (الذيل من الأصل الفرنسى لهذا الكتاب ص ٢٨٨) .

(٣) يذكر الطبرى اللاجىء الرومى منويل ، وأنه كان فى صحبة ابن الخليفة قبل دخول العرب أرض الروم . وأن منويل والعباس لقيا المأمون عند رأس عين . وهذا التفصيل ظاهر الرجحان أما اليعقوبى فيقول أن المأمون عند ما أخذ انقرة هرب منها منويل . وانقرة فى هذه العبارة صحتها قرة . ونحن نسلم عن طريق الطبرى أن المأمون أخذ قرة فى ٣١ يوليه ٨٣٠ ، وفى نفس السنة التى كان لقاء منويل والعباس للمأمون فى رأس عين حسب رواية الطبرى . وكان المفهوم إلى الآن من هذه العبارة « أن منويل هرب منها » أنه هرب إلى العرب . ولكنا نوافق م . كنار على أنها تعنى العكس ، وأن المقصود هروب منويل من صفوف العرب إلى الروم بعد أن صحب ابن الخليفه إلى حدود الروم . فإن صح ذلك كانت المصادر العربية متفقة تقريبا مع المصادر الرومية (جنزيوس ص ٧٢ — ٧٣) . وقد جاء فيه أن منويل هرب إلى الروم بعد أن صحب الخليفة إلى حدود الروم عند المدينة الصغيرة المسماة جيرون وهى حى من ضواحى الحدث . فهل وقع خلط بينه وبين قرة كما وقع خلط بين انقرة وقرة عند اليعقوبى ؟ وفى الأمر احتمالات عديدة « والراجح أن المصدر الرومى أصح . وفى هذه الحالة يكون توافق الأسماء دفع اليعقوبى على أن يجعل هرب منويل من الحدث — جيرون متصلا بأخذ العرب قرة عام ٨٣٠ . ومهما يكن من شىء فان توافق المصادر الرومية والعربية يؤيد تفسيرنا لعبارة اليعقوبى . ونضيف دليلا آخر حاسما مؤيدا لتاريخ ٨٣٠ كتاريخ لعودة منويل : — وهو أن ابن طيفور وهو مؤرخ لم يستشهد به للآن يقول ص ٢٦٤ أن العباس حين انتهى من حملته فى رمضان (٢٢ أكتوبر — ٢٠ نوفمبر ٨٣٠) ورجع إلى أرض الاسلام عن طريق درب الحدث خلف منويل على ولاية ما أخذه من الحصون . وكان منويل صحبه طول غزوه . ولكن منويل خدعه وطرد المسلمين الذين بقوا معه وأخذ خزائن سلاحهم وصالح الامبراطور (طيفور ، الذيل من الأصل الفرنسى لهذا الكتاب ص ٣٩٢) .

وعلى ذلك نضيف ما يأتى « (١) أن الأرجح كما يقول مؤلف مجهول ذكره صاحب صلة تيوفان أن منويل هرب من صفوف العرب لا أيام تيوفيل وأنما كان ذلك أيام أبيه ميشيل الثانى (٢) أن سرد الواقعة التى أنقذ فيها منويل قبل هربه (وهى رواية جنيزيوس وصاحب الصلة) لا يجب أن يعتد بها . ولكن مقارنة النصوص اليونانية جعلتنا نرى فى هذا السرد مجرد إشارة إلى سرد واقعة أخرى عام ٨٣٨ أنقذ منويل فيها تيوفيل فعلا (٣) يتضح من رجوع منويل آخر عام ٨٣٠ أن الروم وصلوا بين هذه العودة وبين سفارة جان النحوى الذى أرسله تيوفيل إلى الخليفه ليعلمه بولايته العرش . أما عن تفاصيل مسألة منويل فانظر المذكرات الاضافية ص ٤١٣ وما بعدها من الأصل الفرنسى لهذا الكتاب .

وأمر العباس منذ أول الحملة أن يسير نحو ملطية . فكان مجال عملياته مع منويل أقليم ملطية الحدث . وفى أثناء ذلك تقدم المأمون على الطريق المألوف فعبر درب سيليسيا ودخل أرض الروم .

ووقعت المصادمات فى كبادوكيا خاصة فى الجند المتاخم لسيليسيا حيث تكثر الكهوف الأرضية التى كانت ملجأ لأهالى الاقليم . وهذا الجند يسمى عند العرب بالمطامير[١] ولا نزال إلى اليوم نجد بكل بيت فى هاساكيوى مثلا طابقاً سفلياً محفوراً فى الصخور وهذه الغرف الأرضية متصلة فوق ذلك بممرات طويلة يمر بها الإنسان من بيت إلى بيت[٢] .

واستسلمت جملة من الحصون الرومية العاجزة عن مقاومة جيوش الخليفة . وأول ما استسلم ماجدة . وتقع فى إقليم المطامير الذى ذكرناه آنفاً[٣] . فلما أخذها المأمون حاصر حصناً آخر من حصون كبادوكيا هو قره[٤] فأبدى الحصن مقاومة

---

(١) ذات المطامير أو المطامير فقط وهو اسم اقليم على حدود سوريا الحربية (ياقوت ج ٤ ص٥٦٣) » وهناك تقع الحصون الآتية بليسه ، ملندسه ، قونيه ، ملكوبيا ، بداله ، بارنوا (؟) سايلون (ابن خرداذبة ، ط . دى جويه ج ٦ ص ١٠٨ و ٨٠) والكلمة العربية مطمورة وجمعها مطامير تعنى فى الأصل الكهف والحفرة والبئر والأبنية الأرضية تحت الحصون وهى التى يحبس فيها الأسرى أو العبيد المسيحيون » فارن دوزى « ملحق للقواميس العربية ج ٢ ص ٦ وانظر عن حصون المطامير هونجمان » « الحدود الشرقية » ص ٤٦ .

(٢) رمزى ، نفس الكتاب ص ٢٩٣ ، ٣٥٦ قارن ر . أوبرهمر ، هـ . زميرر « عبر سوريا وآسيا الصغرى ، برلين ١٨٩٩ ص ١٢٠ و ١٢٣ و ١٨ . ليون الشماس فى كلامه عن حملة نقفور فوقاس نحو دروب سيليسيا فى ٩٦٣ وهو يسمى سكان هذا الاقليم : ترجلوديت ، وهو يقول وفى سيره نحو كبادوكيا (باليونانية) (وهو شعب كان يسمى فى القديم تروجليد وهو يسكن فى كهوف وسراديب يدخل فيها كما لو كانت مخبأ وملجأ . (باليونية) .

(٣) ابن خرداذبه يقول ان من حصون كبادوكيا فى منطقة المطامير حصن ماجدة (ابن خرداذبه ط . دى خوية ص ١٠٨ ، ١٨٠) . ويقول المسعودى أنه يوجد غير بعيد من ثغور الشام هوى تحت الأرض يسمى ماجدة على ٢٠ ميلا تقريبا من حصن لؤلؤة (المسعودى : التنبيه والإشراف ، ط . دى جوية ، المكتبة ، جـ٨ ، ليدن ١٨٩٤ ص ١٧٨ . وانظر المسعودى ، التنبيه ، ترجمة كرادى ڤو ، باريس ١٨٩٧ ص ٢٤٢ .

(٤) ويذكر ابن خرداذبه قرة ضمن حصون كبادوكيا (ابن خرداذبه ص ١٠٨ ، ١٨٠) . وفى رأينا أننا نستطيع القول بأن حصن قرة هو الذى يذكر كثيرا لدى الكتاب الروم على أنه حصن كورن فى كبادوكيا . فمثلا نجد العبارة الآتية مشيرة إلى ليون الحكيم : وأخذ حصن كورن من كبادوكيا وهو الحصن =

حادة ثم أخذ يوم الأحد ٢٦ جمادى الأولى يعنى ٢١ يوليه . وخرب . وتوسل سكان قره للخليفة بالرحمة فأمنهم على حياتهم [١] .

ثم سلم حصن سندس [٢] إلى اشناس وحصن سنان [٣] إلى عجيف وإلى جعفر الخياط

= الذى كان فى يد المهاجرين (باليونانية) عن جورج همرتولس . ط . ميوالت ص ٧٧٥ (٨٥٥ بون) سيمون ماجستروس ص ٧٠٢ ؛ صلة تيوفاس ص ٣٩٠ ويقول قسطنطين البورفيرى فى كتابه عن الأجناد : وللأمبراطورية فى كبادوكيا الثانية ثمانية حصون ... الحصن المسمى قورن (قسطنطين ، الأجناد ج ٣ ص ٢١) وقد يجوز البحث عن هذا الحصن فى خرائب ڤيران شهر جنوب شرق أك — سراى وهى قولونية أرخيلاس القديمة قرب جبال حسن داغ . قارن رمزى (نفس الكتاب ص ٣٥٥ يورى ص ٤٣٧ هـ ٢) ونعتقد فوق ذلك أن اسم قرة معروف الى الآن فى نفس المنطقة . ففى خريطة كيبرت نجد على ٣٠ كم من ڤيران شهر مكانا يسمى قورى جنوب ملندزداغ ، أنظر هونجمان : الحدود الشرقية . ص ٤٥ هـ ٧ .

(١) مايئور (ذيل الأصل الفرنسى ٣٩٢) ، اليعقوبى ، تاريخ ج ٢ ص ٥٦٧ و٥٦٨ . ونجد فى نص اليعقوبى انقره بدل غره والأخيرة أصح . وهنا يأتى ذكر منويل عند اليعقوبى ، وهرب البطريق منويل فيها . (يعنى من قرة) ولكن أنظر المذكرات الإضافية ص ٤١٣ وما بعدها .

(٢) حصن سندس . وفى رأينا أنه هو الاسم الرومى سوندا أو سوندس (اليوم شهر الجديدة ؟) وهى موضع فى كبادوكيا كان دائما على جانب كبير من الاهمية لانه يقع حيث يتصل طريقا بورناسوس وأخيلاس ويتجها الى قيصريه . وكانت سوندس فوق ذلك المدينة التى يمر بها الطريق من جستينيانوبوليس موكيسوس الى طوانه ودرب كيليكيا الى جهة الجنوب . قارن رمزى . نفس الكتاب ص ٢٢٠ و٢٩٥ ويقول ڤايل أنه أرسل القائد اشناس إلى حصن سندس (سمندس ؟) (ڤايل ج٢ ص ٢٢٩) . ولكنه لا مبرر للغرض بأن اسم سمندوس مستتر وراء سندس لان الاسم الاول يقع بعيدا جداً الى الشرق أما سمندوس فهى عزيرة على نهر زمنتى أو قريبا منها .

قارن رمزى . نفس الكتاب ص ٢٨٩ — ٢٩٢ وقد فرض البعض بدون مبرر أن سوندس هى عين سكاندوس المذكورة فى حياة القديس سابا : — إن سابا سلم إلى أحد أعمامه وكان من علاماته الثلاثة أنه يسكن (فى قرية متلاصقة) وهى قرية تسمى سكاندو (باليونانيــة) : حياة سابا تأليف سيريل السيتوبوليتى عند كوبليه : المكتبة الكنسية اليونانية (Ecclesiae graecae monumenta) ج ٣ ، ص ١٦٨٦ س ٢٢ : ط . آف . پومبالوفسكى ، سان بطرسبرج ١٨٩٠ ص ١٢ (جمعية مجلة الآداب القديمة (بالروسية) ج ٩٦) . قارن رمزى نفس الكتاب ص ٢٩٥ وله فرض رفضه روج فى دائرة المعارف پولى — فيزوفا ج ٣ أ ع ٧٦٨ مقالة سوندا . وقد أراد البعض ، ولعلهم محقون ، أن اسم سوندس أصل اسم سوغانلى مديرى الحديثة يعنى وادى البصل الواقع جنوب شرق شهر الجديدة . قارن هـ . جريجوار فى B.C.H. ١٩٠٩ ص ٩٥ .

(٣) يقع حصن سنان على الأرجح قرب هرقلة والطوانة . ويروى ابن خرداذبه بيتا خاطب فيه شاعر مدينة أذنه : دونك جبال الروم وصخورها وتخاضى نهر سيحان ودروب سبسيليا التى تفاق الطريق وطوانه وهرقلة وحصن سنان (ابن خرداذبه ط دى جويه ص ٩٩ ، ١٧٢) ياقوت (٣ ص ١٥٥) وهو يقول باختصار : حصن سنان فى أرض الروم وقد فتحه عبد الله بن عبد الملك بن مروان » ونجد على خريطة ر . كيبرت بين حمص : ـ راسكراى قرية تسمى سيان ولعل هذا اسم الحصن لانه يجب أن يوجد فى هذه الناحية .

فى هذه الحملة الأولى التى أخذ فيها العرب قرة ، ذكرت المصادر العربية هرب منويل وكان البعض يوصلها بأمر إنقاذ تيوفيل بيد مانويل . ولكننا أثبتنا أن مانويل دخل عام ٨٣٠ فى أرض الروم وأن معركة ٨٣٠ التى يقال أن الامبراطور أنقذ فيها ليست إلا خيالا . فلما انتهى المأمون من حملته المظفرة هذه عاد إلى دمشق .

حملة ٨٣١

وكان تيوفيل حريصا على الانتقام لهزيمته التى أصابته فى ٨٣٠ فاغتنم ابتعاد عدوه الخليفة عن الحدود الرومية فسار فجأة مجتازاً جبال الطورس وقتل عدداً من سكان طرسوس والمصيصة . ومات من المسلمين فى هذه المذبحة نحو ألفين [1] وعاد الامبراطور بعد هذا النصر إلى عاصمته[2] .

ويقال إن فرقا أخرى من جيش تيوفيل سارت فى نفس الوقت نحو الشمال الشرقى من كيادوكيا وأوقعت بالعرب هزيمة هامة قرب حصن خرشنة مقر استراتيج الجند المسمى بنفس الاسم . وأسر من المسلمين ٢٥ ألفاً على قول صاحب صلة تيوفان[3] . وكان استراتيج خرشنة يومئذ رجلا اسمه إيدوكيموس [4] على ما يظهر

---

(١) الطبرى (٣ ص ١١٠٤) وابن الأثير (٦ ص ٢٩٥ وهما يقولان أن عدة من قتل من المسلمين بلغ ١٦٠٠ (الذيل من الأصل الفرنسى ٢٨٨) . قارن « تاريخ مجهول » ط . دى جوية (Fragmenta Hist. ص ٣٧٤) « ودخل امبراطور الروم أرض المسلمين وقتل من أهل طرسوس والمصيصة نحو ألفى رجل (الذيل من الأصل الفرنسى ٣٧١) .

(٢) صلة تيوفان ص ١١٤ « وعاد إلى العاصمة بانتصارات براقة » (باليونانية) .

(٣) صلة تيوفان ص ١١٤ ع ٢٣ (باليونانية) — وفى السنة التالية خرج تيوفيل بجيشه مرة أخرى وقصد خرشنة للانتقام من الانتصارات الأولى التى أحرزها العرب المتمالون المشجعون فلقيهم وأسر كثيرا منهم وغنم وأخذ نحو ٢٥ ألفا (باليونانية) .

(٤) ش . لوپارف « حياة القديس ايدوكيموس العادل ١٨٩٣ (اعلام الأدب القديم) (بالروسية ٩٦) ع ١٧ : — وغاب (عنى) أنه اختير لقيادة كبادوكيا وأقام فى خرشنة (باليونانية) قارن لوپارف قص الكتاب ص ٩/١١ . ڤازليفسكى : « مخطوط السينود الذى كتبه متافراست ، فى مجلة وزارة المعارف العمومية (الروسية) ١٨٩٧ يونيه ص ٣٩٢ — ٣٩٣ . ونحن نعلم أن العرب أخذوا خرشنة فى ٧٣٠ (تيوفان ط . دى بور ج ١ ص ٤٠٩) ويجب التمييز بين حصن خرشنة واقليمها . فالحصن يقع حسب م . ا . هونيجمان عند مسالم قلعة جنوب زيلى (زيلا) غربى سيواس . وهو مكان اعتقد رمزى أن اسمه هيبسيلى ولكن هيبسيلى « ايسالا » . ويقول م . ادونتز على العكس أن خرشنة هى هورسافا على ٢٠ كم من سيواس (على ضفة الهاليس اليسرى) » قارن مجلة بيزنطيون ج ١ ص ١ والمكان موصوف فى سيرة القديس مالينوس (ط . لى بيتى فى مجلة الشرق المسيحى ج ٧ ص ١٩١٢ ص ٥٥٠ وكان =

وقد كتب فى سجل فديسى الكنيسة فى القرن التاسع [1] . كما استقبل الامبراطور حين رجع إلى عاصمته استقبالا رائعا [2]

وحينما اقترب الامبراطور تيوفيل من قسطنطينية خرجت للقائه زوجته الاوجستا تيودورا وكانت خليفته على حكومة الامبراطورية أثناء غيابه وصحبها ماچستر المدينة وهيباركها وكل أعضاء مجلس شيوخ قسطنطينية . وقد لقيه هؤلاء الأعضاء على الشاطىء الأسيوى غير بعيد عن قصر هييريا الواقع على لسان من الأرض جنوبى

= هذا الحصن قاعدة قسم من جند الامنيا كيوس (كان أولا تورما ثم كليزورا مستقلة) . ثم رفعت آخر الأمر إلى جند وتاريخ هذا الرفع يقع بين ٨٦٣ و٨٧٣ وكتاب أوسبنسكى فى التكتيك (المكتوب حول ٨٥٦) لم يذكر خرشنة إلا على أنها كلتزورا (أنظر بنسيفيك فى مجلة Byz. neugr. jahrb. ، ج ٥ ١٩٢٧ ص ١١٩ ، ٦/١٥٥) وكان القائد على جند خرشنة فى معركة ٨٦٣ لا يحمل إلا لقب والى كليزورا (صلة تيوفان ص ١٨١ — ١٥ ، ١٨٣ — ٩) وفى نفس المرجع أن نفس والى الكليزورا هو الذى أسر ابن الأمير ، ومع ذلك فان چنيزيوس ينسب نفس هذا العمل إلى ميرارك اسمه مخايراس كان يقود قوة فى جند خرشنة (چنيزيوس ص ٩٧ — ٢) والراجح أن چنيزيوس حين يستعمل هذا اللفظ يقع فى خطأ اصطلاحى . وهو يذكر استبراتيج خرشنة لأول مرة فى عام ٨٧٣ أثناء الحروب مع البيالقة . أما فيما يخص ايدوكيميوس وهل كان حقيقة استراتيج خرشنة فإنه لا يمكن أن يكون معاصرا للامبراطور تيوفيل ، بل لنا أن نفرض أن رفع هذا القسم إلى استراتيجية لم يكن إلا مكافأة لجند خرشنة على ما أصابوا من نصر فى يوم ٨٦٣ .

(١) قارن أ . دمتريفسكى « وصف المخطوطات الدينية المحفوظة فى مكاتب الشرق الارثوذكسى ١٨٩٥ ج ١ : Τυπικα (الطقوس) : طقوس كنيسة قسطنطينية الكبرى فى القرنين التاسع والعاشر ص ٩٨ فى ٣١ يوليه : « ليوم أبينا القديس ايدوكيميوس الذى فى الكانيون » . ويرى الأستاذ كراسنو سيليفان أن كتاب الطقوس هذا ظهر حقيقة فى نهاية القرن التاسع « كراسنو سيليف » طقوس كنيسة آيا صوفيا بالقسطنطينية ، تاريخ من منشورات الجمعية التاريخية الفسيولوجية التابعة لجامعة روسيا الجديدة الامبراطورية ج ٢ القسم البيزنطى ج ١ ١٨٩٢ ص ١٦٥ (والكتابان المذكوران بالروسية) .

(٢) ولدينا وصف مواكب الظفر التى أعدت لتيوفيل عند عودته إلى عاصمته من حملاته المظفرة على العرب فى كتاب المراسيم الذى ألفه قسطنطين البيوفيرى (De Caerimoniis Aulae byz ص ٥٠٣-٥٠٨) ولم يستحق شرف مواكب الظفر إلا حملتين مظفرتين أيام تيوفيل إحداهما تلك التى نتكلم عنها وهى التى أغار فيها على طرسوس والمصيصة والأخرى نتحدث عنها بعد وهى حملة ٨٣٧ على زبطرة . والعنوان الذى اختاره قسطنطين لهذا الفصل يؤيد فرضنا « وهو موكب عودة الامبراطور تيوفيل حين انتصر عنوة فى سيسيليا على أهل طرسوس والمصيصة وادنه وايرينوپوليس وعين زربه وغيرها

خلقدونية [١] . وركع له الشيوخ وتمنوا له أمانى العودة . واستقبله فى قصر هيريا نفسه أكبر شخصيات المدينة . ونزل الامبراطور عن حصانه وتلقته الامبراطورة بالثناء .

وأمر تيوفيل أن يبقى السناتو معه فى هيريا أسبوعا انتظاراً لاستقدام أسرى العرب ليكمل بهم بهاء موكب الامبراطور حين دخوله العاصمة . ودعى نساء الشيوخ إلى هيريا مرضاة لتيودورا .

فلما مضت سبعة أيام انتقل الامبراطور بالبحر من هيريا إلى قصر القديس ماماس الذى كان يقع محل بيرا اليوم . فأقام به مع السناتو ثلاثة أيام ثم عبر القرن الذهبي ودخل قصر بلاكرن .

ومن هناك ركب فرساً وقصد بناء أعد له فى سهل مشرف على السرك [٢] . ووصل حينئذ أسرى العرب إلى كريزوبوليس (سكوتارى اليوم) فاقتيدوا إلى المكان الذى كان به الامبرطور .

وفى هذه الأثناء كان هيبارك قسطنطينية منصرفا إلى تزيين المدينة فجعلها كغرفة العرس [٣] ، وهو تعبير قسطنطين البوفيرى نفسه . وازدان الطريق من باب الذهب إلى خالق ، وهو المدخل الرائع إلى القصر الأكبر [٤] ، بالأقمشة المختلفة الألوان

---

(١) وهو اليوم المكان المعروف باسم فتراكى أو فنرباغچى على شاطىء بحر مره جنوب قاضى كيوى . قارن ج ١ بارجوار : Rufinianes Byzant.Zeitschr ج ٨ (١٨٩٩) ص ٤٦٧ وكذلك هيريا دراسات المعهد الأثرى الروسى بقسطنطينية ج ٤ قسم ٢ (١٨٩٩ ص ٦٥) .

(٢) « وجاء من خارج الاسوار فى الموكب المعد له إلى مرج مقابل للسرك » (باليونانية) (المراسيم ص ٥٠٤) ويترجم ويزكى هذه العبارة باللاتينية .

ولكن يجب أن نعترف أن هذا الوصف لدخول تيوفيل يصطدم بصعوبات طبوغرافية كبيرة . قارن بيلعايف ، بيزانطينا ج ١ ... بطرسبرج ١٨٩١ ص ٧٦/٨١ (بالروسية) .

(٣) وكان هيبارك المدينة أعدها وهيأها كما لو كانت حقيقة غرف عرش (المراسيم ٥٠٠ باليونانية) .

(٤) شالسكى بناء قسطنطين الأكبر ورممه انستاز ديكورس بعد حريق ثم أصلحه وجمله تجميلا كبيرا جستنيان الأكبر بعد ثورة نيكا وكان احترق أثناءها هو والأبنية المجاورة وكنيسة سان صوفيا . أنظر وصف شالسكى عند بليعايف فى مجلة بيزانطينا ج ١ ص ١٣١/١٣٤ (بالروسية) وهو يذكر الأغلاط الطبوغرافيه التى وقع فيها الاباري وناسباتس ، قارن ابن سولت ، قصر قسطنطينية الكبير ص ٤ — ١٩ ، ٢٧ — ٣٦ وغيرها .

والمشاعل والورود وغيرها من الأزهار . وزاد بهاء موكب الظفر الذى سار فيه تيوفيل وجود أسرى المسلمين والغنائم وآلات الحرب .

أما الامبراطور نفسه فكان يلبس نوعا من الشيت المشغول بالذهب ودرعا فوقه صيديرية [١] رائعة وتمنطق بسيف وجعل على رأسه تاجا مرصعاً بالأحجار الكريمة وأمسك فى يده اليمنى صولجاناً . وركب الكسيس موسيلى القيصر ولى العهد وهو صهره [٢] إلى جانبه على حصان أشهب عليه سرج من أغلى السروج . وكان على القيصر درع من الذهب ، وعلى ذراعه أساور كثيرة ، وعلى فخذيه شرائط الذهب ، وعلى رأسه خوذة مزينة بالذهب ، ومعه سيف ، وفى يده حربة من ذهب .

فلما اقترب الموكب من باب الذهب نزل الامبراطور عن حصانه وركع أمامه أكبر أعيان المدينة وقدموا له تاجا مرصعا بالأحجار الكريمة الثمينة . وتلقته أحزاب المدينة مرتلة أناشيد النصر . ودخل المدينة مع الامبراطور كل من اشترك معه فى الحملة . وكانوا يمتطون الجياد ويلبسون الدروع ويتمنطقون بسيوف الذهب ، ومشى قدام تيوفيل جماعة البريبوزيت والقبقلار ، ومشى خلفه على عشرة أمتار منه جماعة الأسباطير الخصيان .

واختار الجزء الذى يسمى سيجما [٣] من المدينة ثم اتخذ طريقه بعد ذلك نحو كنيسة القديس موكيوس وبلغ ميليون وهو يقع بين أوجستيون وشالكى وكنيسة أيا صوفيا [٤] وهناك ترجل الشيوخ وتقدموا الامبراطور نحو خزانة أيا صوفيا

---

(١) 'Επιλώρικον (المراسيم ٥٠٠) ويترجم ريزكى هذا اللفظ tunicam superinductum (تعليقات على المراسيم ص ٥٨٣) .

(٢) كان الكسيس موسيلى زوج بنت تيوفيل الخامسة وهى أصغر بناته واسمها مارى (صلة تيوفان ص ١٠٧ — ١٠٨ ع ١٨) . قارن دفورنيك : حياة القديس بارجوار الديكابولى وسلاف مقدونية فى القرن التاسع فى منشورات معهد الدراسات السلافية ج ٥ ، بارس ١٩٢٦ ص ٣٥ .

(٣) سمى المكان بهذا الاسم بسبب ثلاثة أبواب حربية اتخذت مداخل المدينة من الناحية الغربية . وسميت الأبواب بهذا الاسم لأن الجزء المجاور من السور يشبه حرف سيجما اليونانى . قارن موردتمان : تخطيط لطبوغرافية قسطنطينية ، ليل ١٨٩٢ ص ١٤ — ١٥ كندا كوف « الكنائس البيزنطية وآثار قسطنطينة » أبحاث مؤتمر أوديسا الأثرى السابع (١٨٨٤) ج ٣ أوديسا ، ١٨٨٧ ص ٥٤ (بالروسية) .

(٤) الميليون يقابل فى اللاتينية مليارى يعنى الحد الذى يحسب منه الاميال على الطرق البادية من رومة ، وهو فى قسطنطينية بناء قريب الشبه بقوس نصر ذى عقود على الجهات الأربع . ومن هذه العقود يمر الأباطرة فى عودتهم من الصلوات فيقفون تحتها لسماع أغانى النصر . "تاريخ بيجالايف : عن « أباطرة الروم وخروجهم من ٩٢" (بالروسية)

وترجل الامبراطور كذلك واجتاز الخزانة على قدميه قاصداً أيا صوفيا .

فلما صلى خرج من الباب الذى دخل منه وقصد شالكى وكان على أبوابها منصة وضع على أحد جوانبها أرغون من الذهب[١] وهو تحفة من الفن — وعلى الجانب الآخر عرش من ذهب مزين بالأحجار الثمينة وبينهما صليب كبير مرصع بالفصوص

فلما اتجه الامبراطور إلى العرش رسم علامة الصليب وصاح الناس «واحد هو القدوس» .

ثم بدأ بعد ذلك تشريف ممثلى المدينة . ففرق عليهم تيوفيل أساور الذهب مكافأة لهم (عطايا حربية) ، وشكر من خدمه ، وقص بنفسه إحداث الحملة . وحياه الشعب بأصوات مدوية ، ثم نزل الامبراطور عن عرشه ، وركب جواده ، وسار من بوابة أشيل وحمامات زيكسيب (وتقع غير بعيدة من شالكى) حتى وصل إلى حلبة السباق المكشوفة ، ومن هناك سار ماراً بالكاثزما (وهى على الأرجح الأقبية التى تحمل منصة الامبراطور وفى هذه المنصة يوجد عرش يجلس الامبراطور عليه ليشاهد السباق) وماراً بقصر دافنى ثم بكاثزما أخرى . فلما وصل ترجل ودخل قصره من باب سكيلا وهو اسم باب القصر[٢] .

وفى الغد أخذ فى توزيع الجوائز . فأسند إلى الكثيرين حرساً . ابتداء من المنداتور إلى البطريق . ووزعت الهدايا على سلطات المدينة وأهلها وأقيمت الألعاب الفخمة فى السرك وأعد موكب آخر لأسرى العرب والغنائم لإبهاج الشعب وظلت يد الامبراطور تسخو بالمكارم عدة أيام .

احتفل تيوفيل بغارته الموفقة على طرسوس والمصيصة هذا الاحتفال الرائع .

ومع ذلك فلم يمض إلا قليل حتى وجب استئناف الحرب وذلك أن المأمون حين علم بغارة تيوفيل المفاجئة دخل أرض الروم ودامت غارته من أول يوليه إلى آخر سبتمبر[٤]

---

(١) وعلى الناحية الأخرى وضع الارغن الذهبى المسمى التوما الأول (المراسيم ص ٥٠٦) .

(٢) أنظر مناقشة عن هذا المكان (وتحديده صعب جدا من الناحية الطبوغرافية) عند بيجالايف . بيزانطينا ج ١ ص ٨٢/٧٦ وهو يشير الى أخطاء العلماء الذين درسوا الموضوع قبله . وانظر محاولة اخرى لتعيين هذا المكان عند لاسكن : ملاحظات عن قسطنطينية القديمة (بالروسية) فى Vizantijski Vremennik ج ٦ (١٨٩٩) . قارن ابرسولت ص ٩٧/٩٩ .

(٣و٤) الطبرى ج ٣ ص ١١٠٤ : غزا المأمون ودخل أرض الروم يوم الاثنين ١٩ جمادى الأولى من هذه السنة وأقام بها إلى منتصف شعبان . و ١٩ جمادى الأولى يقابل ٤ يوليه ، ويقابل أول شعبان عام ٢١٦ = ١٣ سبتمبر (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٢٨٨—٢٨٩) .

وواضح أن نيوفيل لم يكن راغباً فى الحرب رغم انتصاره فى طرسوس والمصيصة. فلم يكد المأمون يجتاز الحدود حتى وصل إلى أدنه سفير روى عرض باسم الامبرطور على الخليفة خمسمائة أسير [١] . فلم يوقف ذلك المـــأمون . ووقعت حركات الحملة العربية الثانية فى نفس الأقاليم التى وقعت فيها عام ٨٣٠ تقريبا . وكان فى جيش الخليفة أخوه وخليفته فيما بعد أبو إسحق وأخوه العباس .

وقصد العرب نقطة هامة من كپادوكيا غير بعيدة من الطورس هى هرقلة كيبسترا . وكان هارون الرشيد أخذها عام ٨٠٥ ثم استردها الروم بعد . وكانت هذه المدينة فى العصر البيزنطى مقر كنيسة[٢] . فلما اقترب الجيش الاسلامى خرج سكان هرقلة اليه بالطاعة التامة .

ثم تفرق الجيش فرقا عدة [٣] . أما أبو اسحق أخ المأمون فإنه أخذ بجيشه حصوناً عده وخربها ولم يعرض لأهلها [٤] . وأغار المأمون بنفسه فى إقليم المطامير

(١) الطبرى ج ٣ ص ١١٠٤ « دى جويه « Fragmenta ج ١ ص ٣٧٤ — ٣٧٥ (الذيل من الأصل الفرنسى ٢٨٩ و ٣٧١) والقصة مشكوك فيهـا (مكررة) وانظر ذلك ص ١١٨ من الأصل الفرنسى .

(٢) وكانت مدينة كيبسترا تقع فى مكان كثير الماء مشهور بفواكهه وكان حصن هرقلة مجاورا له ويتألف من الاثنان اسقفية واحدة . ولا يزال الاسقف القديم متضمنا فى الاسم الحديث وهو ارحلى . قارن رمزى . نفس الـكتاب ص ٣٤١ . وانظر كذلك ياقوت ج ٤ ص ٩٦١ — ٩٦٢ . ابن خرداذبه ط . دى خويه ص ١٠٠ و ١٧٣ وأهمية هذه المدينة من الناحية الاستراتيجية منوه عنها عند سيسرون . قارن سيسرون Ad Famifiares ج ١٥ ص ٤ .

(٣) دى جويه : Fragmenta ج ١ ص ٢٧٤ (الذيل من الأصل الفرنسى ص ٣٧١) : وفى هذا النص العربى المجهـول مؤلفه أتم تفصيل وأرجحه عن حملة ٨٣١ وهو مطبوع هنـا . ومع أن دى جويه يفرض أن هذا المصـدر يرجع بالتقريب إلى القرن الثالث عشر الميـلادى وأنه متأخر عن حوادث القرن التاسع فإنه يرى أن الأصول التى أخذ عنها المؤلف المجهول أصول جديرة بأكبر العناية . ولهذا يقدم ما أخذه عنه على معلومات الطبرى . وتفاصيل الطبرى أقل ولـكنه لا يختلف عن المؤلف المجهول إلا فى دقائق هينـة . قارن دى جويه المقدمة ص ١ . ولـكن العالم الانجليزى بروكس : (٧١٦/٧١٨ حسب المصادر العربية ، مجلة الدراسات الهلينية ج ١٩) (١٨٩٩) ينسب نفس هذا التاريخ إلى النصف الثانى من القرن الحادى عشر .

(٤) ويقول مجهـول دى جويه أن أبا إسحق أخذ إثنى عشر حصناً لم يذكر إلا أولها وهو خرده (دى جويه Fragmenta ص ٣٧٤) (الذيل من الأصل الفرنسى ٣٧١) وهو المكان الذى يسميه ياقوت (حسب ابن الفقيه) جرديلية ويضيف أنه فى كبادوكيا وقد استطعنا تعيينه ويقول الطبرى أن أبا إسحق أخذ ٣٠ حصنا ومطمورة (الطبرى ج ٣ ص ١١٠٤) (الذيل من الأصل الفرنسى ص ٢٨٩) (قارن ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٧)

وظفر . وأغار يحي بن أكثم أحد قواده غارة [١] مظفرة أسر فيها أسرى كثيرين .

ولكن أكبر الظفر كان نصيب الجيش الذى قاده العباس بن الخليفة . فإنه فتح حصوناً فى كپادوكيا منهـــا انيجو [٢] وحصين[٣] والأخرب [٤] ثم لقى جيش الامبراطور نفسه . وقامت معركة بينهما كان النصر فيها للمسلمين . واضطر تيوفيل بعد الهزيمة إلى الارتداد وترك للعباس غنائم كثيرة [٥] .

---

(١) حملة الطوانه (الطبرى ج ٣ ص١١٠٤) (الذيل من الأصل الفرنسى ص ٢٨٩ وابن الأثير ج ٦ ص ٢٩٦ ؛ ويعارض ذلك ابن مسكويه (الذيل ص ٣٤٧) .

(٢) انتيجو أو انتيكو حصن فى كپادوكيا يذكره جغرافيو العرب . قارن ابن خرداذبه ط. دى جويه ص ١٠٨ و ١٨٠ ياقوت ج ٤ ص ٢٦ ويذكر مؤرخو الروم هذا الاسم أيضا وأهم من ذكره ليون الشماس : وهو يقول أنه فى٩٧١هرب برداس فوكاس إلى حصن الطوانه المسمى انتيجو(باليونانية) (ليون الشماس ص ١٢٢) قارن شلمبرجر ، الملحمة البيزنطية آخر القرن العاشر باريس ١٨٩٦ ص ٨٢ . قارن أيضا ص ٦٩٤ — ٦٩٥ . ويسمى سيدرونس المكان الذى هرب إليه برداس : تيربويون Τυρόποιον (سيدرونس ج ٢ ص٣٩٠) . ورمزى (الجغرافية التاريخيةص٣٥٥/٦ ، ١٤١/١٤٢) وهو يقول أن تيروپيون غير تيرايون . وهذان التعيينان غير راجحين . وكان فازلييف يعتقد أن التسمية العربية انتيجو والتسمية اليونانية τὸ τῶν ςυρἄννων أو حصن الطغاه يرجعان إلى تسمية واحدة ترجمت من لغة إلى أخرى وذلك أن لفظ طغى وطاغيه تعنى سلوك غير الحق هى أصل تسمية انتيجو . ولا يرى كارد أن يكون هذا الاشتقاق صحيحا . و لأرجح أن جنيزيوس أخذ عن ليون الشماس وأخذ على عاتقه القول بأن حصن تيرانون هو تيروپيون وهو تعيين ردده أتوليات . ونحن نعتقد أن تيرانون ليست إلا مجرد تصحيف من طوانون (الطوانه) ويقع العرب كذلك فى هذا التحريف فيقول طرانه بالراء بدل طوانه . وعلى هذا يكون حصن الطوانه أو انتيجو أو انتيكو هو على الأرجح حصن نجيده (ورسمه القديم نكيده وهى التسمية اليونانية τὴν ᾽Αντιγα مع تبادل فى الحروف .

(٣) هذا هو الاسم الموجود عند مجهول دى جويه (Fragmeata ص ٣٧٤) (الذيل الأصلى . فرنسى ٣٧١) وهذا الحصن القوى المطور يقع فى القسم الجنوبى من كبادوكيا فى سهل فيناسا غير بعيد من ساسيما وملاكوپيا . ويسميه الروم كاسن Κάϱιν ؛ أخذه العرب فى ٧٧٦ بعد أن دخنوا على من لجأ من سكانه . قارن تيوفان تاريخ ٧ دى بور ص٤٤٩ ، وجاء فيه أنه أغزاء مادى أباسلى الروم بقوة كبيرة ففتح مطمورة اسمها كاسن بالتدخين عليهـا وأسر أهلها ورجع . (قارن فايل نفس الكتاب ج٢ ص٩٧) . وكاسيس أو كاسن اسم تورما من كپادوكيا تابع لجند خرشنة أول القرن التاسع. قارن رمزى نفس الكتاب ص ٢٢٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٣ ، ٣٥٦ .

(٤) الأحزب والأجرب والأغرب والأحزم . قارن دى جويه Fragmenta ص ٣٧٤ (الذيل من الأصل الفرنسى ٣٧١) .

(٥) اليعقوبى تاريخ ، ط . هوتسما ج ٢ ص ٥٦٨ . دى جويه Fragmenta ج ١ ص ٣٧٥ (الذيل من الأصل الفرنسى ٣٧١) .

وقدر تيوفيل استحالة استمرار الحرب فبعث أحد أخصائه إلى الخليفة . ويقول كثير من النقاد أن هذا الرســـول هو جان النحوى ، وكان حينئذ يشغل مركز سينسيل[١] ، وحمله الامبراطور خطاباً . ويبدو لنا جان شخصية هامة من شخصيات هذا العصر . ولهذا نرى من حقنا أن نخصه بكلمات .

ولد جان بقسطنطينية . ونشك فى أنه سليل أسرة مشهورة . ولكنه كان على أى حال رجلا عظيم العلم ، اديبا ، ولهذا كرهه الكتاب ، وعدوه المحرك الأول للحركة الجديدة فى رفض الأيقونات أيام ليون الأرمنى ، وأخذوا عليه فى أول القرن التاسع اتصاله بالأرواح واتهموه باصطناع السحر والشعوذة والكهانة[٢].

ابتدأ جان حياة السياسة لأول مرة حين حمل لقب أناجنوست أيام ليون الخامس الأرمنى وعمل له فى نشاط عدة شهور هيأ له فيها حملة على عباد الصور[٣] .

ونعلم أن جان أصبح بعد ذلك رئيس دير البلاط وهو دير سرج وباكوس وحظى عند ميشيل الثانى حتى وثق به وجعل إليه تعليم ابنه تيوفيل ولى العهد . ثم أصبح سيسيل أيام بطركة انتوان . وكان الخطاب الذى حمله إياه تيوفيل يبدأ باسم الإمبراطور فأثار ذلك سخط أمير المؤمنين . فرد الخطاب دون أن يقرأ وقال لا أقرأ هذا الخطاب الذى بدأ فيه بنفسه . فكتب له تيوفيل خطابا ثانياً بدأه : إلى عبد الله أشرف الناس ملك العرب من تيوفيل بن ميشيل ملك الروم وعرض الامبراطور فيه ألف دينار ورد ٧ آلاف أسير مسلم كانوا بيده إذا رد له المأمون ما أخذ من

---

(١) ويقول نص اليعقوبى العربى كما أقره الناشر هوتسما أن رسول الامبراطور كان أسقفا (اليعقوبى ج ٢ ص ٥٦٨) . قارن فى ذلك تفاصيل أوفى فى الهامش المخصص لجان النحوى ص ٤١٧ من الأصل الفرنسى . فان كان الاسقف هو جان النحوى وإن كان جان لقب عند العرب منويل وليس هذان الفرضان صحيحين — فان الوفادة يجب أن تتقدم سنة على الأقل .

(٢) قارن . ت . أوسينسكى « البطريرك جان السابع النحوى والروس الدروميت عند سيميون ماجستروس » مقالة فى مجلة وزارة المعارف العمومية (بالروسية) ج ٢٦٦ (١٨٩٠) ص ٣ وكذلك نظرة إلى تاريخ الحضارة الرومية (بالروسية ، ساق بطرسبرج ١٨٩٢ ص ٦١ وما بعدها . (قارن الهوامش الاضافية ص ٤١٣ وما بعدها من الأصل الفرنسى) .

(٣) كاتب مجهول عند ابن برداس ص ٣٤٩ — ٣٥٢ (فى المجلد الذى نشر فيه كتاب ليون النحوى . قارن أوسينسكى نفس الكتاب ص ٣ — ٥ .

الحصون وهادنه خمس سنين[١] .

فلم يكلف المأمون نفســه الرد وارتد إلى مدينة كيسوم وهى من مدن الجزيرة ذات حصن قوى [٢] . والراجح أنه فعل ذلك لأن فصل الشتاء كان تقدم فأقام بها ثلاثة أيام ولقيه بها دنيس البطريرك اليعقوبى ثم سار المأمون إلى دمشق[٣] .

حمـــلة ٨٣٢

فى الفترة التى توسطت بين الحملة الثانية والثالثة سار المأمون إلى مصر لقمع ثورة بها وكان واليها حينئذ أبو اسحق أخ الخليفة .

ابتدأت الاضطرابات فى مصر منذ قام الخلاف بين المأمون والأمين (٨٠٩ — ٨١٣) وثار الجند المقيم بمصر على والى الأمين وبايعوا المأمون .

وافتتن أهل مصر السفلى فى ٨٣١ ، ورأسهم عبدوس الفهرى واستعان بالأقباط الساخطين وحالفهم . فسار المأمون من دمشق مع حرسه التركى فى ٢٤ يناير عام ٨٣٢ يوم الأربعاء ووصل إلى مصر فى فبراير [٤] .

ووصل إلى مصر حينئذ أحد كبار قواد عصر المأمون وهو الأفشين آتيا من برقه

---

(١) اليعقوبى جـ ٢ ص ٥٦٨ (الذيل من الأصل الفرنسى ٢٧٢ — ٢٧٣) : يذكر مجهول دى جويه هذا الخطاب ويصفه فى السنة التالية سنة ٢١٧ هـ قبيل حملة المأمون الثالثة (Fragmenta ص ٣٧٥) الذيل من الأصل الفرنسى ٣٧١) ، وكذلك ابن خرداذبه (دى جويه Fragmenta جـ ٢ ص ٤٦٤) (الذيل من الأصل الفرنسى ص ٣٤٧) .

(٢) يقول ياقوت «كيسوم بلد مستطيل من أرض سماط وبه سوق وحوانيت وأهله كثيرون وحصنه على تل (ياقوت جـ ٤ ص ٣٣٣) ويقول ابن خرداذبه ، دى جويه ص ٩٧ ، ١٧٠ » كيسوم بلد من ثغور الجزيرة . وإلى هذه المدينة يشير كتاب الحرب المنسوب إلى نقفور فوقاس ، وهو يقول عند كلامه على جبال الطوروس » وإلى جوارها جرمانيكا والحدث وكسيوم (llica ، De V ص ٢٥٠ طـ بون فى الجزء الذى نشر فيه كتاب ليون الشماس) ب . مورتز أبحاث سمينار اللغات الشرقية جـ ١ ، ١٨٩٨ ص ١٣١ — ١٤٣ .

(٣) ميشيل السورى جـ ٣ ص ٧٦ ، قارن نفس كسيوم السريانى فى جلابير — موترد : نقوش سوريا اليونانية واللاتينية ، باريس ١٩٢٨ ص ٦١ رقم ٥٨ ؛ وقارن طيفور بذيل الأصل الفرنسى ٢٩٣ .

(٤) طبرى جـ٣ ص١١٠٥ عام ٢١٦ : سار المأمون من دمشق الى مصر يوم الأربعاء ١٦ ذى الحجة وفى عام ٢١٧ وصل المأمون الى مصر فى شهر محرم (ص ١١٠) ويقول اليعقوبى أن المأمون دخل مصر فى ١٠ المحرم (اليعقوبى تاريخ جـ ٢ ص ٥٦٩) يعنى فى ١٦ فبراير ٨٣٢ (ذيل الأصــل الفرنسى ٢٧٣ وقارن ص ٢٩٣) .

وقد كان له بعد دور هام في حرب الروم والعرب . وشخصية الأفشين هامة لأنها تدل على نمو النفوذ الأجنبي نمواً طغى على العنصر العربي .

الأفشين صغدى الأصل من أقليم الصغد الإيراني . ولم يكن في حقيقته مسلما . وإن كان كذلك في الظاهر فانه كان يهزأ بالإسلام علنا . وقد عذب داعيين من دعاة الإسلام أرادا تحويل معبد وثنى إلى مسجد . وكان يحمل معه كتب الفرس . وكان أثناء صحبته الخليفة في حملاته يحلم بإعادة الامبراطورية الفارسية و « الدين الأبيض » ويهزأ بالعرب والمغاربة والترك المسلمين[١] . ومع ذلك فقد ظل الأفشين زمناً طويلا أوثق الناس عند الخليفة وولى الجيوش في كل الحملات الهامة .

ودام مقام المأمون بمصر سبعا وأربعين يوما من ١٦ فبراير إلى ٤ أبريل ٨٣٢ . فسار إلى دمشق فأقام بها عدة أيام ثم سار مسرعا إلى الحدود الرومية فاجتازها ووقف قريبا من أدنه[٢] .

ولجأ عرب مصر الثائرين إلى وضع الحرب . ولكن القبط واصلوا المقاومة في حزم غير مستمعين لنداء البطريرك وتهديد الأفشين ، فذبح بعضهم ونقل بعضهم الآخر إلى العراق . أما رأس الثوار وهو عبدوس الفهري فانه قتل[٣] .

واقتصرت حملة المأمون هذه المرة على عمليات حربية وقعت تحت أسوار حصن لؤلؤة[٤] .

---

(١) قارن جولدزيهر : دراسات إسلامية ج ١ هالى ١٨٨٩ ص ١٥٠ .

(٢) وهذه الوقائع مأخوذة من اليعقوبى تاريخ ج٢ ص ٥٦٩ . دخل المأمون مصر فى ١٠ المحرم وخروج منها فى ٢٧ صفر (ذيل الأصل الفرنسى) قارن بيورى ٤٧٤ — ٤٧٥ ولكن يجب وضع كيسوم بدل كاس وهو الصحيح .

(٣) قايل نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٤٢/٢٤٦ . مولر : الإسلام ج١ ص ٧-٥ المقريزى : خطط ط . ڤيت ج ١ : ص ٣٣٤ وما بعدها . وأنظر ص ١٣٤ مع أشاراتها إلى المؤرخين الآخرين .

(٤) مصادرنا عن حملة ٨٣٢ هى اليعقوبى تاريخ ج ٢ ص ٥٧٠ — ٥٧١ ، ومجهول دى جويه (Fragmenta ص ٣٧٥ — ٣٧٦) (ذيل الأصل الفرنسي ص ٣٧١ — ٣٧٢) . الطبرى ج ٣ ص ١١٠٩ : ابن الأثير ج ٦ ص ٢٩٧ وهو يذكر حصار لؤلؤة فى سرد مختصر يطابق ما قال اليعقوبى ومجهول دى جويه مطابقة تامة ويذكرها ابن قتيبه فى كتاب المعارف ط . وستنفلد ، جوتنجن ١٨٥ ص ١٩٩ . قارن قايل نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٤١/٢٤٢ . تاريخ ميشيل السورى ترجمة شابو ج ٣ ص ٧٤ . بازهيراس تاريخ سوريانى ط . بدچيان ص ١٤٥ .

وكانت لؤلؤة نقطة حصينة هامة ذات أهمية عليا . وهى تقع على الطريق المار بأبواب أو بدروب كيليكيا بين طرسوس والطوانة شمالى البـــدندن وعلى مسافة قريبة من الطوانه .

ويشرف حصن لؤلؤة على مدخل هـذا الدرب [1] . فإذا كان سرد حملة السنة الماضية إلى هرقلة والطوانة الخ . لم يذكر لؤلؤة فلعل ذلك لأن العرب استطاعوا اجتياز أبواب كيليكيا مع اجتناب المرور بلؤلؤة والحقيقة أن الطريق بعد البدندن بعدة أميال يفترق قرب مدينة صغيرة هى مدينة كابنا . فيؤدى فرع منه إلى الطوانة مارا بلؤلؤة ويسير الآخر نحو الغرب فى اتجاه هرقلة — كيبسترا . وبين هذه وبين الطوانة طريق يوصلهما . وكذلك استطاع المأمون أن يبلغ هرقلة فى عام ٨٣١ [2] .

---

(١) تقع لؤلؤة مكان فاوستينوبوليس التى بناها مارك أورليل تذكارا لامرأته فاوستينا التى ماتت بها . واسم المكان الحقيقى هالله . ومنهـا على الأرجح جاء اسم لؤلؤة . وكان الاعتقاد الى الآن أن لؤلؤة هى مدينة الصقالبة . وأن هذا الاسم جاء من أن العرب أقروا بها من انضم اليهم من السلاف أما عن انضمام السلاف الى العرب فانظر مثلا تيوفان عام ٦٦٤ :

انضم السلاف اليه (عبد الرحمن) وسار معه الى سوريا خمسة آلاف منهم فسكنوا فى أفاميه فى قرية سلفكوبول (تيوفان ، تاريخ ط دى بور جـ ٣٤٨) ، ويقول نفس المؤلف عام ٦٩١ : واستمال محمد « قائد الصقالبة حليف الروم فأرسل له كيسا مملوءاً ذهبا وأطمعه بالوعود الكثيرة وحرضه على الانضمام اليه مع عشرة آلاف من الصقالبة وهكذا كان هربه من صفوف الروم (تيوفان ص ٣٦٦) . وأنظر البلاذرى عن وضع العرب من جاءهم من الصقالبة على الحدود الرومية (البلاذرى الفتوح ط . دى جويه ليدن ١٨٦٥ ص ١٥٠ : واسكن محمد بن مروان الصقالبة فى الثغور . قارن لميانسكى : السلاف فى آسيا الصغرى وافريقية وأسبانيا ، سان بطرسبرج ١٨٥٩ ص ٢ — ٤ (بالروسية) وأنظر ياقوت جـ ٤ ص ٣٧١ عن لؤلؤة ، وإليك كيف يصف ابن خرداذبه (ط . دى جويه ص ١١٠، ١٨٢) : طريق أبواب كيليكيا عند لؤلؤة المقدم نحو آسيا الصغرى من دروب كيليكيا يجب أن يتجنب بعض مراحل منها مرحلة حصن الصقالبة وأن يمضى الى نهر البدندن ومنها يمضى بالدرب المسمى بذى القبين وهو درب يمتد على طول النهر وعلى النهر اثنتى عشرة مخاضة يعبرها المسافر فيصل الى نبع حار يحده تل يصعد اليه المسافر حتى إذا اجتازه وجد لؤلؤة أمامه » ولا تزال المنابع الحارة معروفة الى اليوم فى هذا الأقليم أنظر مثلا رمزى نفس الكتاب ص ٦٨ . ووراى : كتاب السياح فى آسيا الصغرى ، لندن ١٨٩٥ ص ١٦١ . ويؤخذ من عبارة هذا الجغرافى العربى أن حصن الصقالبة غير حصن لؤلؤة وأن البدندن يفصل بينهما على الأرجح . قارن ا . و . بروكس : حملة ٧١٦ — ٧١٨ حسب المصادر العربية مجلة الدراسات الهلينية جـ ١٩ ، ١٨٩٩ ص ٣٢ . أما عن موضع لؤلؤة فى نهاية دروب كيليكيا من ناحية الروم فانظر رمزى : المجلة الجغرافية ١٩٠٣ ص ٤٠١ — ٤٠٤ ، ونفسه : مجلة المراسلات الهلينية ١٩٢٣ ص ٨ وما بعدها ، لسترانج : أراضى الخلافة الشرقية ص ١٣٤ و١٣٥ و١٣٩ و١٥٠

(٢) أنظر الخريطة عند رمزى ، نفس الكتاب ص ٣٣٠ .

وفى ٨٣٢ ، حاصر العرب حصن لؤلؤة . فصمد مائة يوم[١] . ولم يستطع المأمون أخذه عنوة ولا صلحاً فعزم على الاحاطة به وأقام حوله حصنين جعل فى الأول أخاه أبا اسحق فأناب أبو اسحق عن نفسه محمد بن الفرج بن أبى الفرج بن أبى الليث بن الفضل وعهد بالثانى إلى جبلة[٢] . وأناب المأمون عن نفسه أمام لؤلؤة احمد ابن بسطام . وسار هو إلى سلجوس[٣] . وكان على القواد المحاصرين لؤلؤة جميعاً عجيف بن عنبسه ، ولكن الروم المحاصرين أفلحوا فى أسر عجيف وأبلغوا تيوفيل ذلك وطلبوا عونه ، فتقدم الأمبراطور إلى لؤلؤة . ولكن جند العرب الذين كانوا فى تحصينات المأمون هزموا الأمبراطور هزيمة تامة واستولوا على غنائم كبيرة .

فلما علم حاكم لؤلؤة بانهزام تيوفيل أيقن باستحالة الاستمرار فى المقاومة فأخذ يفاوض أسيره عجيفاً ويعده بالحرية على شرط أن يأخذ الأمان من المأمون . فأجابه عجيف فأطلق ووفى وسلم الحصن وسكنه المسلمون[٤] .

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١١٠٩ : ابن الأثير ج ٦ ص ٢٩٧ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٨٩ ، ٣٥١) اليعقوبى ومجهول دى جويه لا يذكران المدة . ويقول مؤرخ أرمنى متأخر من القرن الثانى عشر وهو وردان أن المأمون أخذ لؤلؤة بعد أن حاصرها سبعة أشهر وهو خطأ بين . ويجب وضع لفظ سنة بدل شهر . تاريخ عام ، وردان الكبير ترجمة روسية قام بها امين : موسكو ١٨٦١ ص ١٠١ وصاحب التصحيح هو : ن . أدونتز .

(٢) نجد هذا الاسم عند مجهول دى جويه ص ٣٧٥ ويذكر اليعقوبى (ج ٢ ص ٥٧٠) أن الذى قاد الحصنين هو أبو اسحق (ذيل الأصل الفرنسى ٣٧١ ، ٣٧٣) ولا يذكر الطبرى شيئاً عن هذه التحصينات (ج ٣ ص ١١٠٩) وكذلك ابن الأثير ج ٦ ص ٢٩٧) .

(٣) قارن ياقوت ج ٣ ص ١١٠ : وسلجوس حصن فى الثغور وراء طرسوس . ويقول ابن خرداذبه ط . دى جويه ص ٩٧ : سلجوس من ثغور الجزيرة وهكذا تتناقض معلومات المؤرخين والجغرافيين ، ولكن فازلييف يتبع قول ابن خرداذبه وهو أن سلجوس من ثغور الجزيرة . ولكن نجد عند البلاذرى (١٨٠ — ١٨١) ذكر سلغوس بدون تنقيط العين فهى على الارجح من إقليم الرها فى الجزيرة وليست من الثغور . فان كان الرسم سلغوس صحيحاً فانه منقول عن Σαλαιασσος وهى مدينة أخرى مختلفة فى بفلاغونيا تسمى سجالاسوس وهذا الرسم بابداله ثابت . قارن جلزر فى مجلة الدراسات البيزنطية (B.z. Zeitschr) ج ١٢ (١٩٠٣) ص ١٢٨ .

(٤) وهو ما يقوله اليعقوبى (ج ٢ ص ٥٧٠) ومجهول دى جويه (٣٧٥) ؛ وبقى عجيف شهرا أسيرا (ذيل الأصل الفرنسى ٢٧٣ ، ويذكر الطبرى (ج ٣ ص ١١٠٩) ؛ ابن الاثير (ج ٦ ص ٢٩٧) أن عجيفا بقى أسيرا ثمانية أشهر . قارن بيورى (ص ٤٧٤) . ولكن بيورى يجعل لتوقيت ميخائيل السورى أهمية كبرى (ص ٧٤) ويخرج منه الى القول بحصار سابق أقيم حول لؤلؤة فى ٨٣١ . وهو فرض لا أساس له .

فلما بلغ الموقف هذا الحد من التعقيد بعث تيوفيل إلى المأمون أحد أخصائه[1] وحمله خطابا عرض فيه الصلح وتبادل الأسرى . ونص خطاب تيوفيل ورد المأمون كما يذكره الطبرى طريف ولهذا نورده كاملا[2] .

أما بعد فان اجتماع المختلفين على حظهما أولى بهما فى الرأى مما عاد بالضرر عليهما

---

(١) فيما عدا وفاده عام ٨٣١ (أولها) (أنظر ص ١١٠ من الأصل الفرنسى) يوجد على الأقل وفادات ثلاث وقعت أيام تيوفيل . والعرب يذكرون (١) وفادة عام ٨٣١ بعد أخذ أنتيجو (٢) وفادة عام ٨٣٢ بعد أخذ لؤلؤة (٣) الوفادة بعد أمر عمورية لتبادل الأسرى . ورأس الوفادة الأولى أسقف — سفير بعثه لامبراطور ، والثانية رجل اسمه الفضل وزير الامبراطور (طبرى) ولكن ميشيل السورى لا يذكر إلا وفادتين . الأولى هى الثانية عند العرب وذلك أن الخطابات المتبادلة ، وهى خطابات ٨٣٢ دون شك ، ملخصة فى عبارة واحدة عند ميشيل (ص ٧٥) ثم أن هذه السفارة عند ميشيل تقع بعد أخذ لؤلؤة وعودة منويل إلى أرض الروم . أما السفارة الثالثة عند العرب وهى التى تلت أمر عمورية فان ميشيل يقول أن رئيسها كان رجلا يسمى بازيل وهو بطريق خرشنة . فهل نستطيع القول بأن بازيل هو الفضل رئيس الوفادة الثانية ؟ أما المصـــادر الروسية فانها تطنب خاصة فى ذكر وفادة چان النحوى (أنظر ص ٤١٧) وهى على الأرجح نفس الوفادة الأولى عند العرب . وهى لم تقع فى رأينا بعد أخذ أنتيجو ولكن أول حكم تيوفيل — ولنلاحظ أخيرا أن المسعودى هو الوحيد الذى يذكر وفادة رابعة نستطيع أن نضف إليها رقم ٢ ثان . أليست فى الحقيقة تكرارا للوفادة الثانية ؟ ولكن فازلييف لا يرى ذلك ويقبل رواية المسعودى . أنظر تعليقا ملحقا صافيا للاستاذ كنار ص٤٠٩ وما بعدها من الأصل الفرنسى .

(٢) نص خطاب تيوفيل ورد المأمون مذكوران عند الطبرى ج ١ ص ١١٠٩ — ١١١١ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٨٩ — ٢٩١) أما ابن الأثير (ج ٦ ص ٢٩٧ فيقتصر على القول بأن امبراطور الروم بعث خطابا طلب فيه الصلح فلم يجب إلى ذلك . والطبرى وابن الأثير يجعلان سفارة تيوفيل هذه فى طلب الصلح عام ٢١٧ هـ (٧ فبراير سنة ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣) . ويجعلها اليعقوبى فى عام ٢١٨ (٢٧ يناير ٨٣٣ — ١٥ يناير ٨٣٤) : « وصل إلى المأمون رسول ملك الروم يطلب الصلح وهدنة على أن يرد الأسرى فلم يقبل المأمون (اليعقوبى تاريخ ص ٥٧٣) (ذيل الأصل الفرنسى ٢٧٤) . ولكن هذا التناقض ظاهرى يمكن تصحيحه إذا تذكرنا ترتيب الوقائع فى حملة لؤلؤة . فنحن نعلم أن المأمون ترك مصر فى ٤ ابريل ٨٣٢ م وأنه وصل إلى أدنه من دمشق قبل نهاية ابريل أو أول مايو على الأرجح ومن هناك سار العرب إلى لؤلؤة فحاصروها دون أن يبلغوا شيئا ثلاثة أشهر (مائة يوم فى قول الطبرى وابن الأثير) ثم بدأ حصار لؤلؤة الحقيقى فى شهر أغسطس على الاقل ودام شهرا وأكثر (فى رواية اليعقوبى ومجهول دى جويه أن عجيفا بقى شهرا أسيرا) . ويتضح إذن أن وفادة تيوفيل للصلح لم تقع إلا فى آخر ٨٣٢ أو أول ٨٣٣ . ويزيد الوضوح حين نعلم أن الوفد أقام فى بلاط المأمون مدة طويلة . وهكذا نستطيع أن نوفق بين عام ٢١٧ المذكور عند الطبرى وعام ٢١٨ المذكور عند اليعقوبى . قارن بيورى ص ٢٥٥ (نص الخطاب ويلاحظ بيورى هـ ١) « فيقول » وهذه الوفادة هى التى يلخصها ميشيل السورى ص ٧٥ (٨٣٢م) وهو يقول أن المأمون تهدد الروم حين خرج منويل من خدمته وأن تيوفيل خاف من ذلك » ونحن نقول مثل بيورى أن السفارتين واحدة ولكنا لا نشاركه ثقته فى ميشيل السورى .

ولست حرياً أن تدع لحظ يصل إلى غيرك حظاً تحوزه إلى نفسك . وفى علمك كاف عن أخبارك . وقد كنت كتبت اليك داعياً إلى المسالمة راغباً فى فضيلة المهادنة لتضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد ولياً وحرباً مع اتصال المرافق والفسح فى المتاجر وفك المستأسر وأمن الطرق والبيضة . فإن أبيت فلا أدب الك فى الخمر ولا أزخرف لك فى القول فإنى لخائض اليك غمارها آخذ عليك أسدادها شأن خيلها ورجالها . وإن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة وأقمت بينى وبينك علم الحجة والسلام .

على هذا الخطاب الذى يفيض نبلا ورغبة واضحة فى وضع أوزار الحرب السنوية رد المأمون بخطاب ذى أسلوب خطابى بليغ فى نصه العربى ونصه .

أما بعد فقد بلغنى كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت إليـــه من الموادعة وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الأسارى ورفع القتل والقتال فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ فى تقليب الفكرة وإلا اعتقد الرأى فى مستقبله إلا فى استصلاح ما أوثره فى معتقبه لجعلت جواب كتابك لخيل تحمل رجالا من أهل البيان والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون فى ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ثم أوصل إليهم من الإمداد وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرتهم عليكم ، موعدهم إحدى الحسنين عاجل غلبه أو كريم منقلب ، غير أنى رأيت أن أتقدم إليكم بالموعظة التى يثبت الله بها عليكم الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفة فإن أبيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة . وإن تركت ذلك ففى يقين المعاينة لنعرتنا ما يغنى عن الإبلاغ فى القول والاغراق فى الصفة والسلام على من اتبع الهدى » .

والواقع أن هذا الخطاب . الذى عرض فيه على تيوفيل أن يدخل فى الإسلام لم يكن حريا أن يؤدى إلى سلام بين الملكين . فان المأمون كان قد جهز كل شىء لحمله على حصن عمورية وهى البلد التى خرجت منها الأسرة المالكة لعرش الروم . وكان المأمون يقول أنه ينوى بلوغ عاصمة الروم نفسها [١] .

(١) اليعقوبى ، تاريخ ج ٢ ص ٥٧٣ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٧٤) .

حملة ٨٣٣

لم يكن عند المأمون من الصبر ما يعينه على انتظار استسلام لؤلؤة . فإنه بعد أن أقام عليها مائة يوم عاد إلى سلغوس فأقام بها وقتاً ثم قضى الصيف فى الرقة ودمشق[١] .

وفى ٢٥ مايو ٨٣٣[٢] أمر ابنه العباس أن يقصد الطوانة . وكانت الحملات السابقة أضرت بها . وأمر العباس أن يبنيها ويحصنها ففعل . وبلغت مساحة الطوانة الجديدة ميلا عربياً مربعاً[٣] حولها سور امتداده ثلاثة فراسخ له أربعة أبواب عند كل باب حصن[٤] .

وفى أثناء ذلك كان المأمون يجد فى تجهيز حملة جديدة . فكتب إلى أخيه أبى اسحق أن يفرض أربعة آلاف رجل على أهل دمشق وحمص والأردن وفلسطين وأن يجعل لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين . وفرض البعث كذلك على مصر . وأخذ من قنسرين (خلقيس) والجزيرة وبغداد الف رجل . وسار قسم من هذه البعوث فلحق بالعباس عند الطوانة[٥] . وسار المأمون بنفسه على رأس جيش إلى أرض الروم .

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١١١١ . اليعقوبى ج ٢ ص ٥٧١ . مجهول دى جويه ص ٣٧٦ (ذيل الاصل الفرنسى ٢٩١ ، ٢٧٤ ، ٣٧٢) وهذا المؤرخ الاخير يخطىء إذ يجعل حملة المأمون على مصر بعد أخذ لؤلؤة . وقد قلنا من قبل أنها كانت بين الحملة الثانية والثالثة على آسيا الصغرى . ويذكر ابن قتيبة الرقة (ذيل الاصل الفرنسى ٢٦٧) .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١١١٢ ويقول ان العباس خرج للغزو فى اول جمادى ولا يقول أى جمادى هو الأول أو الثانى وقد رأينا أن نعين أول جمادى الاولى . لأن جمادى الثانية تبدأ فى ٢٤ يونيه . وهو وقت متأخر عن وقت الغزو العربى عادة (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٩١) .

(٣) الميل العربى يساوى نحو كيلو مترين ، وثلاثة تساوى ستة : وهى فرسخ .

(٤) أنظر الطبرى ج ٣ ص ١١١١ — ١١١٢ عن بناء الطوانه . ابن الاثير ج ٦ ص ٣١١ . ابن مسكويه ط . دى جويه ص ٤٦٤ ؛ وهو يردد ما قاله الطبرى وابن الاثير (أنظر ذيل الاصل الفرنسى ٢٩٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥١) . أنظر أيضا ابن قتيبة ط . وستنفيلد ص ١٩٩ والمسعودى مروج الذهب ط . باربييه دى منيار ج ٧ باريس ١٨٧٣ ص ٩٤ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٢٦٧ — ٧٢٩) . أما لليعقوبى ومجهول دى جويه فلا يذكران شيئا عن بناء الطوانه .

(٥) الطبرى ج ٣ ص ١١١٢ . ابن مسكويه ط . دى جويه ص ٤٦٤ — ٥٦٥ أنظر ذيل الاصل الفرنسى ٣٩٧ ـ ٣٤٧) ابن الاثير (ج ٦ ص ٣١١) وهو يوجز ما أطنب فيه الطبرى فى عدة كلمات يذكر فيها جمع الجند دون ذكر أى اسم جغرافى .

ولم يكن تيوفيل راغباً فى الحرب . فلم يكد المأمون يعسكر قرب نهر البدندن حتى بعث إليه تيوفيل رسولا حمله خطاباً عرض فيه على الخليفة أن يرد له نفقات حملته أو أن يرد له ما لدية من أسرى المسلمين دون فداء أو أن يصلح ما أفسد الروم من ثغور المسلمين على أن يضع المأمون الحرب [١] .

فصلى المأمون حتى إذا انتهى أجاب الرسول الرومى الجواب كالآتى - كما أورده المسعودى ، قل له (لملك الروم) أما ما عرضت من رد النفقات فإنى اتبع ما جاء فى كتابه تعالى على لسان بلقيس - وإنى مرسلة بهدية فناظره بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون [٢] ،

أما ما عرضت من فك جميع من فى أرض الروم من أسرى المسلمين فليس لديك إلا أحد رجلين — رجل أراد الله والدار الآخرة قد أناله الله ما تمنى أو رجل أراد عرض الدنيا فلن يفكه الله . أما ما عرضت من اصلاح ما خرب الروم من أرض المسلمين فانى أن خربت أرض الروم إلى آخر حجر لم يجز ذلك فى الثأر لامرأة عثرت بعقالها فصرخت وامحمداه وامحمداه ، ارجع إلى سيدك وليس بينى وبينه إلا السيف يا غلام أضرب الطبول ، ودخل المأمون أرض الروم وأخذ عدة مواضع حصينة ورجع إلى البدندن [٣] .

فلما بلغها بدأ ظهور الحمى وساقه المرض سريعاً إلى القبر . فمات فى ٧ أغسطس سنة ٨٣٣ بعد أن جعل الخلافة بعده لأخيه أبى اسحق الذى تسمى بالمعتصم ودفن المأمون بطرسوس [٤] .

---

(١) وجدنا هذا السرد الذى ينتهى بموت المأمون فى مروج الذهب ط . باربيه دى مينار ج ٧ ص ٩٤ — ١٥٦ ويروى المسعودى ذلك عن القاضى ابن محمد عبد الله بن احمد بن زيد الدمشقى (أنظر ذيل الاصل الفرنسى ص ٣٢٩ — ٣٣٠) .

(٢) القرآن س ٢٧ آية ٣٥ — ٣٦ .

(٣) أخذنا كل ذلك من المسعودى . مروج الذهب ج ٧ ص ٩٤ — ٩٦ وهو يقول أن المأمون فى حملته هذه عمد إلى سائر حصون الروم ودعاهم إلى الإسلام وخيرهم بين الإسلام والجزيه والسيف وذلل النصرانية ؛ فأجابه خلق من الروم الى الجزية . (ج ٧ ص ٩٤) (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٢٩) .

(٤) ذيل : نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٩٣ — ٢٩٤ . مولر «الإسلام ج ١ ص ٥١٥ ، موير»

ويطنب المسعودى فى وصف لحظات الخليفة الأخير وصفا بالغ التأثير — فتح المحتضر عينيه وبهما من العظم والكبر والاحمرار مالم ير مثله قط وأقبل يحاول البطش بطبيبه ورام مخاطبته فعجز عن ذلك فرمى بطرفه نحو السماء وقد امتلأت عيناه دموعا فانطلق لسانه من ساعته وقال يا من لا يموت ارحم من يموت وقضى من ساعته[1]

فلما مات المأمون بايع الجند المقيم بآسيا الصغرى العباس بن المأمون خليفة وكان منذ ٨٢٩ واليا على سوريا الشمالية والجزيرة وحارب الروم أكثر من مرة وكان حين مات أبوه عند الطوانة التى أمر بتحصينها .

(١) المسعودى : مروج الذهب ج ٧ ص ١٠٦ .

امور المشرق اول خلافة المعتصم

(٨٣٣ - ٨٣٧)

كان أول ما عمل المعتصم ان دعا العباس من الطوانه ، فتقدم العباس بالطاعة وتبعه من كان بايعه من الجند .

أما تحصينات الطوانه التي رفعت فإن المعتصم خربها فى نفس عام ٨٣٣ ، وأخذ كل ما أودع فيها من آلات وسلاح ، وآمر من كان نقله المأمون إليها بالعودة إلى بلادهم [1] وعاد المعتصم بعد ذلك إلى بغداد [2] .

ومضى السنين الأولى من حكمه فى سلام مع الروم لأنه وجه همه إلى الفتن الداخلية .

وفى آذربيجان ثار الخرومية وعلى رأسهم بابك ، فأرسل إليهم فى شتاء ٨٣٣ أمير بغداد اسحق بن ابراهيم فأهلك ٦٠ ألف فارسى فى همذان وهرب الخرمية الآخرون إلى الروم [3] مع رجل يسمى نصر ويسميه الروم تيوفوب .

---

(١) الطبرى جـ ٣ ص ١١٦٤ = ابن الأثير جـ ٧ ص ٣١٠ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ٢٩٢) .

(٢) والشك كبير فى أن عمر أو عمر الملطى ألجأ امبراطور الروم توفيل إلى الهرب فى غزوة غزاها عام ٨٣٥ ، ولعل ذلك تكرار لرواية ميشيل السورى جـ ٣ ص ٨٥ = ابن العبرى تاريخ سوريانى ص ١٤٦ — ١٤٧ ط . بدچيان .

(٣) كانت الحملة فى شهر ذي القعدة عام ٢١٨ = ١٨ نوفبر — ١٧ ديسمبر ٨٣٣ . الطبرى جـ ٣ ص ١١٦٥ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣١١ — ٣١٢) (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٩٢) . قارن قابل نفس الكتاب جـ ٢ ص ٢٩٨ . جورج همرتولس ص ٧٩٣ ط . بون . جنزيوس ص ٥٢ . سلة تيوفان ص ١١٢ — ع ١ — ٢٢ . سيد رولس جـ ٢ ص ١٢٠ . وعند جنزيوس وصاحب الصلة سرد مفصل أسطورى (وكل سرد منهما تختلف عن الآخر) يعرض الأصل تيوفوب وحياته الأولى (جنيزيوس ص ٥٣ — ٥٧ ، صلة تيوفان ص ١٠٩ — ١١٢ ع ١٩/٢٠) ومما يذكران نسبته إلى أصل ملكى الخ .. وفى السردين وقائع بعيدة التصور وفى السرد الأول واقعة وهمية هى أن الفرس وعلى رأسهم بابك انضموا للروم . فانا نعرف عن يقين أن بابك ظل قائما عشرين سنة فى فارس لم يغادرها . والنص الآخر ليس أكثر انطباقا على الحقيقة فانا نجد فيه أن الفرس لقوا تيوفوب فى حكم تيوفيل ولم يكن جاوز الثانية عشرة . فان كانوا لقوه أول سنة من حكم تيوفيل كما تجاوز سنة ٢٤ عاما عند موت تيوفيل . وهذا لا يستقيم لأنا نراه منذ حملات تيوفيل الأولى يتولى قيادة الجيوش . قارن هيرس دراسات رومية =

وفى أسفل العراق ثار الشعب الزيجانى (؟) من الزط فى ٨٣٥ ، فأخمد القائد العربى عجيف ثورتهم ؛ ثم نقلوا فيما بعد إلى الثغور الرومية فى عين ظربة [١]

= ص ١٣٩ — ١٤٠ . ت . لسبسكى — مجمل الحضارة الروميـة ، سان بطرسبرج ١٨٩٢ ص ٥٩ (بالروسية) وقد نقلنا هـذه الملاحظات عن طبعة فازلييف الأولى لهذا الكتاب . والواقع أن مشكلة تيوفوب التى اشتدت حيرة المؤرخين فيها مسألة أبسط مما تبدو لأول نظرة . فان تيوفوب غير معروف إلا فى المصادر الرومية ونصر غير معروف إلا فى المصادر العربية . ولـكن أعمال نصر هى نفس أعمال تيوفوب . ويقول ميشيل السورى أن نصرا لجأ إلى الروم قبل كارثة بابك بقليل ، وقبل حملة زبطره لأنه اشترك فيهـا . ولا شىء يدعو للشك فى هـذه الواقعة الأخيرة . وإنما شك بيورى لانه يخلط بين شخصين اسمهما نصر أحدهما ثائر عربى وثانيهما قائد بابك . ويذكر المسعودى من جهة أخرى أن تيوفيل أشرف على الهلاك فى الموقعة فأبلى نصر وانقذ حيـاة الامبراطور ونحن نعلم (١) أن تيوفوب حسب رواية اللاوجوتيت وصل إلى سينوب مع فرس تألف منهم فيما بعد جماعة خاصة فى الجيش الرومى (٢) أن تيوفوب (حسب صلة تيوفان واشارة تؤيد ذلك عند جنزيوس (ص ٥٢) أنقذ حيـاة الامبراطور توفيل . فان كانت الروايات الرومية تجمل الانقاذ أول حكم تيوفيل فذلك لأنها نجعل هـذا الدور لمنويل فى معركة ٨٣٨ . والواقع انه وقع خلط كثير بين منويل وتيوفوب (نصر) . لقد كان كل منهما شخصية كبيرة فى ناحية العرب ثم فى ناحية الروم . وكان لـكل منهما أسطورة ذات ملاحم عنـد كلا الفريقين . ولهذا خلطوا بينهما . ولـكن منويل أصبح عند الروم موضع القداسة فغطى على تيوفوب . أما الفرق بين نصر وتيوفوب فهو ان نصرا حسب ميشـيل السورى قتل فى معركة عمودية وانه قتل حسب جنزيوس وصلة تيوفان بأمر تيوفيل قبل موته أو قتل فى أوريفاس . وسبب هذا الغضب والقتل هو وقوف الفرس موقفا مريبا أو ثورتهم . ونفضل ارجاء الروايات الخاصة بتيوفوب ومناقشتها الى الآخر . ويجب الحذر المطلق مما يرويه جنزيوس وصاحب الصـلة عن مصدرهما فهو مملوء بالتناقض ، وانه لأساس الأسطورة القائلة بأن تيوفوب ولد بقسطنطينية وأن أباه رزقه من امرأة من نساء الشعب اتخـذ مقامه بالعاصمة . ويصدق بيورى هذه الرواية ولـكنا نفضل اعتبار اللوجتيت أحسن مصدر (قارن صلة جورج مونوماك ص ٧٩٣ ، بون) ويكفينا أن نقرأ عدة كلمات من اللوجوتيت لتتلاشى أخيلة جنزيوس وصاحب الصلة (كما هو الحال فى أمر منويل) وهو يقول ان تيوفوب جاء مع أبيه من فارس . ولا يمنع شىء من جعل تيوفوب ونصر شخصية واحدة إلا الرواية الرومية عن موت نصر وتقديم رأسه إلى تيوفوب . ولـكن ذلك أسطورة تحمل أثرا من شكلها الأول عند ميشيل السورى . فان نصرا قتل عند الأعداء وحملت رأسه إلى الخليفـة لا الى الأمبراطور . قارن جريجوار منويل وتيوفوب فى مجلة بيزنطيون ج ٩ (١٩٣٤) ص ٤١/٤٢) ص ٤١٣ من الأصل الفرنسى .

(١) الطبرى ج ٣ ص ١١٦٨ — ١١٦٩ = ابن الأثير ج ٦ ص ٣١٥ . (انظر ذيل الأصـل الفرنسى ص ٢٩٢ — ٢٩٣) . وانظر كذلك ميشـيل السورى ج ٣ ص ٨٤ فإن مؤداه أن سبب هزيمة روطايا هو استعمال الخليفه والى مصر . أما عن أصل الزط وحلقهم ومصيرهم بعد فانظر ثيورى ص ٢٧٦ هـ ١ . وانظر سخاو فى Sitz-Ber. Ak. Berlin ١٨٩٢ ص ٣٢٧ — ٣٢٩ وانظر فى الأصل الفرنسى ما قيل عن حملة رومية فى عام ٨٥٥ قصد بها الزط السـكنون فى عين ظربه.

ولم يستطع المعتصم توجيه جيوشه إلى بابك الثائر بأذربيجان منذ ستة عشر عاماً إلا فيما بعد .

ولم يكن بين الروم والعرب المشارقة لقاء إلى ٨٣٧ . ومع أن الخليفة كان وقتئذ غير مطمئن على عرشه ومع أن ذلك كان فرصة سانحة للهجوم عليه فإن تيوفيل لم ينتهز الفرصة لأنه كان يشن فى صقلية حرباً قاسية كانت دائرتها عليه دائماً . وفى هـذا ما يفسر ما رأينا من المحاولات المتكررة من قبل لعقد صلح مع العرب المشارقة . والراجح مع ذلك أنه لم يقم صلح رسمى بين المعتصم بعد خلافته وبين الروم . والثابت على كل حال أن النصوص لا تفصح [١] . وإنما كان الهدوء أربع سنين على الجبهة الشرقية بسبب المسائل التى شغل بها الطرفان . فلما انتهت تستؤنف العداء مرة أخرى .

حرب صقلية من عام ٨٢٩ — ٨٣٧

اتخذت حرب صقلية منذ السنين الأولى من حكم تيوفيل سيراً غير حميد للروم فقد تحرج موقفهم عام ٨٣٠ خاصة حين هاجم الجزيرة فى صيف ذلك العام أسطول اسبانى قوى من ناحية وأسطول أفريقى أرسله زيادة الله من ناحية أخرى فكان مجموعها ٣٠٠ سفينة [٢] تحمل من ٢٠ إلى ٣٠ ألف رجل [٣] .

جاء الأسطول الأسبانى لنهب صقلية مستقلا بعملياته ولم يأت معونة لعرب أفريقية . وكان قائده الأصبغ بن وكيل الملقب بالفرجلوس وهو بربرى من هواره وكان معه من الرؤساء سليمان بن عافية من طرطوزه [٤] .

---

(١) قابل مثلا (نقس الـكتاب جـ ٢ ص ٢٩٦ — ٢٩٧) وهو يذكر صلحا أو هدنة فى ٨٣٣ ويجعل سفاره جان النحوى حينئذ وليس هذا رأينا .

(٢) ابن الأثير : جـ ٦ ص ٢٣٨ ، أمارى المكتبة العربية الصقلية ، الترجمة الإيطالية ، جـ ١ ، تورينو وروما ١٨٨٠ ص ٣٦٨ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٥١) . البيان ط . دوزى ص ٩٦ وأمارى الترجمة جـ ٢ ص ٦ (الذيل من الأصل الفرنسى ٣٧٤) .

(٣) قارن أمارى : تاريخ المسلمين فى صقلية جـ ١ ص ٢٨٨ (جـ ١ ص ٤١٩ — ٤٢٠) .

(٤) النويرى ، أمارى فى المكتبة العربية الصقلية ، النصوص ، ليبزج ١٨٥٧ ص ٤٣٠ والترجمة جـ ٢ ص ١١٨ — ١١٩ (أنظر الذيل من الأصل الفرنسى ص ٣٨٣) .

ولكن العرب الأفارقة دعوهم للاتحاد فى حروب الروم فقبل الاسبان التعاون على شرط أن يكون الأصبغ رئيس الجميع وأن يمدهم الافارقة بالخيول فقبلت هذه الشروط . وظفر الأصبغ فى عملياته الأولى .

وقصدوا جميعاً مينيو . وكان القائد الرومى تيودوت يحاصرها وقتئذ فأنشبوا معركة هناك فى عام ٨٣٠ وهزموا الروم وقتل تيوديت نفسه وهو يحاول الفرار وسارعت فلول الجيش الرومى فاحتمت بقصريانه [١] .

وأحرق الأصبغ مينيو وخربها وقصد بجيشه كله مدينة غلواليه [٢] ولعلها كولونيانا المذكورة فى مراجل أنتونان وهى اليوم مدينة كلتانستا الريفية جنوب غربى قصريانه [٣]

ولكن المرض انتشر مرة أخرى فى الجيش الاسلامى أثناء حصار هذه المدينة الأخيرة فمات منه الأصبغ وعدة قواد آخرون فرفع الحصار لذلك .

فلما أدرك الروم الأمر هاجموا المسلمين وكانت بينهم وقعات دامية فقد فقد

---

(١) النويرى (أمارى النصوص ص ٤٣٠ ، ترجمة ج ٢ ص ١١٩) وهو يجعل هذه الهزيمة فى شهر جمادى الثانية عام ٢١٥ = ٢٦ يوليو — ٢٣ أغسطس ٨٣٠ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٨٣) ابن الاثير ج ٦ ص ٢٣٨ وعند أمارى ج ١ ص ٣٦٨ — ٣٦٩ البيان ط . دوزى ص ٩٦ — ٩٧ وعند أمارى ترجمة ج ٢ ص ٦ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٧٥) ويذكر تاريخ كمبردج موت تيودوت أنظر : تاريخ عرب صقلية المعروف بتاريخ كمبردج ط . كوزا — لوزى ص ٢٤ : وقد جاء فيه : أخذت مينو وقتل البطريق تيودوت فى السنة التاسعة (باليونانية) . أمارى ترجمة ج ١ ص ٢٧٨ .

(٢) البيان ط . دوزى ص ٩٧ وعند أمارى ترجمة ج ٢ ص ٦ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٧٥)

(٣) أمارى : تاريخ ج ١ ص ٢٧٩ — ٢٩٠ (ط ٢ ج ١ ص ٤٢٠ — ٤٢١) . قارن هيرمدن ايطاليا الجنوبية وصقلية ، لندن ١٨٨٣ ص٤٦١ مولتيدو : Il libro dei comuni del Regno d'Italia (كتاب بلاد مملكة ايطاليا) نابل ١٨٧٣ ص ٩٥ (واظهروا منه طبعة أخرى فى ١٨٨١) . جيوردانى فهارس عامة (Indice generale dei comuni del Regno d'Italia) ميلانو ١٨٨٣ ص ٧٠ — ٧١ فيتو — أميكو : تاريخ صقلية الطبوغرافى ، مترجم من اللاتينية مع التعليق من جيوتشنيو ديمارزو ، بلرم ١٨٥٥ ج ١ ص ٢٠٨ — ٢١٠ . ولكن أمارى رأى بعد طبع كتاب البلاذرى (فى ١٨٦٦) أنه من الممكن أن يكون اسم جلواليه المرسوم فى كتب البيان تحويرا من اسم جليانه كما ذكره البلاذرى ص ٢٣٥ وتكون المدينه اذن هى جاجليانو الحالية (وقد سميت منذ ١٤ ديسمبر سنة ١٨٦٢ جاجليانو كاسل فراتو) وهى تقع على ٤٧ كم الى الشمال الشرق من إنا (قصر يانه = كاستروجيوفانى) أنظار المكتبة العربية الصقلية ، ، ترجمة ج ١ ص ٢٦٨ ، ج ٢ ص ٦ هـ ٣ ، وص ٧١٦ وهوامش الناشر على التاريخ ط ، ٢ ج ١ ص ٤٢١ هـ ١ و٤٦٣ هـ ١ .

المسلمون فيها كثيرا من رجالهم ولكنهم بلغوا أسطولهم فى مزارة أو على الأرجح فى جيرجنتى بعد عناء وركبوا البحر عائدين إلى اسبانيا [١] .

وبينما كانت حملة الأصبغ تنتهى بهذه الكارثة التامة كان عرب أفريقية قد خرجوا من مزاره على الأرجح وحاصروا بلرم فى أغسطس عام ٨٣٠ [٢] .

وكان ابتداء حصار بلرم فى وقت حصار الأصبغ غلو إليه فأمن الافارقة غارات الروم من ناحية قصر يانه ومن ناحية سرقوصه . ولكن كارثة الأصبغ لم تؤثر مع ذلك تأثيراً عظيما على عمليات بلرم . وذلك أن كثيرين من قواد الأندلس لم يعودوا إلى بلادهم ولجأوا إلى معسكر المسلمين تحت أسوار بلرم أملا فى ظفر أكبر [٣] ولكن بلرم صمدت على كثرة عدد الموتى فيها [٤] .

وأخيراً أخذ حاكم المدينة أماناً لنفسه وأسرته وماله وسلم المدينة فى شهر رجب عام ٢١٦ (١٤ أغسطس — ١٢ سبتمبر عام ٨٣١) [٥] ولجأ الأسقف لوك والاسباطير سيميون (والراجح أنه حاكم بلرم) وجماعة أخرى من الروم إلى قسطنطينية بطريق البحر . أما باقى أهل المدينة فان مصيرهم كان الأسر [٦] وأنشأ كتاب سير الشهداء

---

(١) البيان ط . دوزى ص ٩٧ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ٦ — ٧ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٧٥) . قارن امارى جـ ١ ص ٢٩٠ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٢١/٤٢٢) .

(٢) النويرى (امارى ، نص ص ٤٣٠ جـ ٢ ص ١١٩) وهو يجعل أول حصار بلرم فى شهر جمادى الثانية عام ٢١٥ = ٢٦ يوليه — ٢٣ أغسطس ٨٣٠ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٨٣) قارن ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٨ وعند امارى ترجمة جـ ١ ص ٣٦٩ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٥٩) .

(٣) امارى تاريخ جـ ١ ص ٢٩٠ — ٢٩١ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٢٢ — ٤٢٥) قارن ابن الأثير جـ ١ ص ٢٣٨ وعند امارى ترجمة جـ ١ ص ٣٦٩ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٥٩) .

(٤) ابن الاثير (جـ ٦ ص ٢٣٨) وهو يقول فى شىء من المبالغة انه كان فى المدينة ٧٠ ألف شخص الحصار فلم يبق منهم فى آخره الا ٣ آلاف . انظر امارى : ترجمة جـ ١ ص ٣٦٩ (انظر ذيل الأصل أول الفرنسى ص ٣٥٠) .

(٥) ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٨ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٦٩ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٥٩) النويرى (امارى نص ص ٤٣٠/٤٣١ ، ترجمة جـ ٢ ص ١١٩) وهو يجعل هذه الواقعة فى شهر رجب سنة ٢٢٠ (= ٨٣٥) وهو خطأ . انظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٨٣) . قارن تاريخ كمبردج ط كوازا — لوزى ص ٢٤ . «وسلمت بانورم (بلرم) فى السنة الأولى يعنى فى سبتمبر ٨٣١» ، أمارى ، ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (باليونية) .

(٦) وقد جاء فى أعمال يوحنا الشماس أسقف نيابوليس فى Mon. Germ. Hist. Script. rerum langobard ص ٤٣٠ . وقارن مورانورى Script. rer. ital. جـ ١ قسم ٢ ص ٣١٣ كاسانو : =

هالة من الأساطير حول بعض الشخصيات التى قتلها العرب أثناء حصار بلرم . مثال سان فيلاريت وكان أراد الإلتجاء إلى كلابريا بسبب غارات العرب على بلرم ولكنه أخذ وقتل شهيداً [١] .

وفى السنة التى أخذت فيها بلرم — ٢١٦هـ (١٨ فبراير ٨٣١ — ٦ فبراير ٨٣٢) ولى زيادة الله على صقلية أبا فهر محمد بن عبد الله التميمى فوصل ولايته الجديدة فى عام ٢١٧ (٧ فبراير ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣) وكان أول عمله عزل رجل يسمى عثمان ابن قرحب هو من ممثلى الحزب المعارض على الأرجح [٢] .

وحول هذا الوقت هدأت الخلافات التى كانت تقوم عنيفة فى غالب الأحيان بين الأفارقة وعرب إسبانيا الذين بقوا فى الجزيرة [٣] وكان فتح بلرم أمراً هاماً أكسب العرب قاعدة قوية يمكن الاعتماد عليها فى فتح سائر الجزيرة . ولكن بلرم كانت مركز دولة جديدة لاتتبع أفريقية إلا إلى حد يسير [٤] . وعلى أى حال فان إحداث ٨٣١ هذه تفسر لنا لم أقدم تيوفيل بعد انتصاره فى الهجوم على طرسوس والمصية فعرض على المأمون رد ٥٠٠ أسير [٥] على أن يصالحه .

وهذه الحوادث نفسها تبرر إرسال تيوفيل وفادة ثانية فى ٨٣١ وعرضها شروطاً فى صالح العرب مثل رد ما أفتتح من الحصون . فان تيوفيل كان يسعى جاهداً فى أن يفرغ من الشرق ليتجه فى حزم نحو صقلية ولكن المأمون أدرك ذلك واغتنم الفرصة .

= Monumenta ad Neapolitani Ducatus historiam pertinentia نابلى ١٨٨١ ج ١ ص ٢٠٧ — ٢٠٨ . ولم يذكر ارشمبيو الا اسم بلرم فى Historia Langobardorum Script. rerum Langobard ؟ قارن ابن الاثير ج ٦ ص ٢٣٨ . امارى ترجمة ج ١ ص ٣٦٩ (ذيل الاصل الفرنسى ص ٣٥٩) .

(١) قارن : Acta Sanctorum (أبريل) وهى تذكر موت ڤيلاتير فى السنين الأخيرة من حكم ميشيل (ص ٧٥٣ فى الطبعة الأولى من .Acta Sanct) قارن أمارى ، تاريخ ج ١ ، ٢٠٣ ط ٢ ج ١ ص ٤٢٤ — ٤٢٥ — .

(٢) البيان ط . دوزى ص ٩٧ وعند أمارى ترجمة ج ٢ ص ٧ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٧٥ . قارن النويرى عند أمارى نص ص ٤٣٠ — ٤٣١ ، ترجمة ج ٢ ص ١١٩ . أمارى تاريخ ج ١ ص ٢٩٥ (ط . ج ١ ص ٤٢٧ — ٤٢٨) .

(٣) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٣٨ وعند أمارى ترجمة ج ١ ص ٣٦٩ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٥٩)

(٤) قارن أمارى تاريخ ج ١ ص ٢٩٦ (ط ٢ ج ١ ص ٤٢٨ — ٤٢٩) .

(٥) أنظر ص ١١٠ من الأصل الفرنسى .

ولم يتبع نصر العرب على بلرم حدث هام مدى سنتين . وذلك أن المسلمين شغلوا بتنظيم فتحهم الجديد . ولا يبدو أن الروم جدوا فى استرداد ما ضاع .

وتركزت كل العمليات الحربية زمناً حول قصر يانه وكان جزء عظيم من جيش سرقوضة الرومى نزلها على الأرجح[١] .

فى أول عام ٢١٩هـ (١٧ يناير ٨٣٤ — ٤ يناير ٨٣٥) قصد أبو فهر بجيشه المسيحى فى قصر يانة ونشبت معركة حادة خارج المدينة أرجعهم فيها أبو فهر إلى مدينتهم ، وأوقع بهم هزيمة ثانية فى ربيع ٨٣٤ . ثم هزمهم مرة ثانية فى ٨٣٥ (٢٢٠هـ = ٥ يناير ٢٥ ديسمبر ٨٣٥) وأخذ حصونهم وخربها وأسر زوج بطريق رومى كان يقود الجيش وإبنه . ثم عاد أبو فهر إلى بلرم وبعث محمد بن سالم نحو شاطىء الجزيرة الشرقى جهة تاورمنيا . وبعثت غزوات أخرى إلى جهات الجزيرة الأخرى لغزوها وتتابعت انتصارات العرب وتلاحقت .

ولكن ثورة قامت بين الجند وقتل فيها أبو فهر ولجأ قاتلوه إلى الجيش المسيحى[٢]

ولكن القائد الذى أرسل فى نفس السنة السنة (٨٣٥) من أفريقية وهو الفضل ابن يعقوب أبلى بلاءاً ممتازا فى معركتين — تحت أسوار سيراكوز وجهه قصر يانة على الأرجح — وتفصيل ذلك أن البطريق الرومى قدم على رأس جيش كبير ليسد على المسلمين طريقهم إلى أقليم جبلى مغطى بالغابات كانوا استقروا فيه ولم يجرؤ الروم على الدخول عليهم فيه . وانتظر البطريق بجيشه فرصة خروج المسلمين من مواقعهم وظل حتى المساء فلم يكن شىء فأخذ يتراجع ولكن العرب فاجأوه وحملوه على الهرب وجرح البطريق نفسه جرحا خطيراً أوقعه من على فرسه فلم ينجه جنده من الأسر والموت إلا بعد عناء . واستولى العرب على الأسلحة والرواحل[٣] .

وانتهى عند ذلك نشاط الفضل بن يعقوب فى صقلية لأن والياً جديداً وصل إلى

---

(١) أمارى تاريخ جـ ١ ص ٢٩٩ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٣١) .

(٢) ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٨ — ٢٣٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٦٩ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٦٠) قارن البيان ط . دوزى ص ٩٧ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ٧ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٧٥) . ابن خلدون عند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٧٦ .

(٣) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٣٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٦٩ — ٣٧٠ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٦٠) .

الجزيرة فى سبتمبر عام ٨٣٥ وهو أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب بن عم زيادة الله[١] .

وصل إلى بلرم فى عدد قليل من السفن بعد رحلة بحرية شاقة صادفتهم فيها عاصفة أغرقت عدداً عن السفن واعترضت سفن المسيحيين عدداً آخر منها . وكان من السفن التى وقعت فى أيدى المسيحيين حراقة وهى نوع معروف فى الاصطلاح البحرى العربى يعين السفن الحارقة . وواضح أن المقصود سفينة كانت تحمل النار الأغريقية التى أخذها العرب عن الروم [٢] .

وقدم لذلك أسطول عربى كامل من الكراكات عليه محمد بن السندى منقذا لسفن العرب فتتبع أسطول الروم إلى أن نزل الليل [٣] .

وبدأ القائد المسلم الجديد أبو الأغلب عمله فى نشاط وإقدام فهاجم أسطوله مكانا ضاع اسمه من النصوص فظفر[٤] وقتل من أسر من الروم . واستولى أسطول آخر

---

(١) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٣٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٠ ، فى منتصف شهر رمضان (٢٩ أغسطس ٢٧ سبتمبر ٨٣٥) (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦٠) البيان ط دوزى ، ص ٩٨ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ٧ ، شهر رمضان (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٧٥ / ٣٧٦) قارن النويرى عند أمارى النص من ٤٣١ ، ترجمة جـ ٢ ص ١١٩ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٨٣) . ابن خلدون عند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٧٦ . أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣٠١ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٣٤ .

(٢) الحراقة هى سفينة حارقة على قدر من الصغر تقذف النفط على سفن العدو . ثم اتخذ هذا اللفظ فيما بعد معنى المادة الحارقة والسفينة السريعة . أنظر شرح الكلمه عند لان « قاموس عربى انجليزى مادة : حرق : وستنفلد » أسماء السفن فى العربية ، (بحث نشر فى : Nachriehten von der Königlichhen Gesellschaft der Wisscnschaften und der G. A. Universität zu Göttingen ١٨٨٠ ، ٢٥ فبراير ، رقم ٢ ص ١٤٠) . ولكنا نجد لفظ حراقة فى الزمن الاول مستعملا استعمالا غير حربى للدلالة على مجرد جندول للاباطرة أو للامراء . قارن البارون روزن « الامبراطور بازيل قاتل البلغار ، سان بطرسبرج ١٨٨٣ ص ٢٩١ (بالروسية) . وبهذا المعنى الأخير انتقل اللفظ إلى اللغة الاسبانية محرفاً فصار هلوك ثم دخل بعد ذلك فى اللغات الرومانية . قارن دوزى » قاموس الكلمات الاسبانية والبرتغالية المأخوذة عن العربية ١٨٦٩ ص ٢٦٤/٢٦٦ فى كلمة فلوكه . ولكنا لانجزم بأن لفظ حراقة فى النصوص الخاصة بصقلية يعين السفن الحارقة أو سفن الحرب ، أنظر ط ٢ من التاريخ جـ ١ ص ٤٣٦ فى الجزء الاخير من الهامش ، جـ ١ ص ١٣ من المقدمة .

(٣) البيان ط دوزى ص ٩٨ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١ — ٧ (ذيل الاصل الفرنسى ٣٧٠) .

(٤) قارن ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٣٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٠ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦٠) ويفرض أمارى أن المقصود الجزائر الايولية أو مكان على الشاطىء بين بلرم ومسينا (أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣٠٤ ، ط ٢ جـ ١ ص ٤٣٧) .

على حراقة رومية قرب جزيرة بنتيلاريا . وكان فيمن أخذ فيها أفريقى ارتد إلى المسيحية فأمر حاكم بلرم بقتل هؤلاء الأسرى جميعاً . وتقدم فى أثناء ذلك جيش من الفرسان إلى سفوح اتنا (جبل النار) إلى حصون القسم الشرقى من الجزيرة فأحرقوا قراها وأسروا أهلها [١] .

وفى السنة التالية سنة ٨٣٦ (٢٢١ هـ = ٢٦ ديسمبر ٨٣٥ — ١٣ ديسمبر ٨٣٦) غزا المسلمون أقليم إتنا فظفروا وعادوا بغنائم كثيرة وأسرى أكثر حتى بيع العبد بثمن بخس [٢] وسار بعث مع الشاطىء الشمالى فبلغ حصن لوشيو الجبلى (كاستل دى لوشيو) ويقع فى وسط الطريق بين بلرم ومسينا [٣] فهاجمه وظفر . ولكن جند الروم فاجأوه فهزموه فى آخر الأمر .

وكان أسطول الفضل بن يعقوب فى نفس الوقت على الأرجح يغزو الجزر الأيولية المجاورة فأخذ عدة حصون منها تندارو (تيندارس قديما) وتقع على ساحل صقلية الشمالى [٤] . ثم عاد إلى بلرم [٥] .

ولكن العرب لم يكونوا ليسمحوا لأنفسهم بإهمال حصن جيوفانى وتركه فى يد الروم . ولهذا نجدهم يقصدونه بسلسلة من الغزوات بغية فتحه .

وفى عام ٨٣٧ (٢٢٢هـ = ٨٣٧) بعث إليه أبو الأغلب بعثاً عليه عبد السلام

---

(١) ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٢٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٠ — ٣٧١ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٦١) .

(٢) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٣٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧١ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦١) .

(٣) ويسميها ابن الأثير فى نصه قسطلياسه ، ويعينها أمارى بأنها كاستل لوسيو (تاريخ جـ ١ ص ٣٠٥ ويصرح كذلك بأنه يجوز أن يكون اسم المكان Aci مسبوقاً بلفظ Castello وينقلنا هذا قريباً من قطانيا بدلا من أقليم مسينا . ولا يحدد ابن الاثير المكان . ثم إن كاستل لوشيو وكاستل ٨شيو من أسماء الأمكنة الكثيرة الإطلاق فى صقلية .

(٤) قارن هير « مدن ايطاليا الجنوبية ص ٣٩٥ — ٣٩٦ . ديتو — أميكو » قاموس طبغرافى ٢ ص ٥٩٨ — ٥٩٩

(٥) ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٣٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧١ . البيان ط دورى ص ٩٩ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ٩ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦١ ، ٣٧٥) ويجب أن يلاحظ أن الاسم تنداو ليس إلا فرضاً تقدم به أمارى لأن نص كتاب البيان مرسوم هكذا : م . د . نار . أما الاستيلاء عليه فذكور فى السنة التالية أى سنة ٢٢٢ هـ (١٤ ديسمبر ٨٣٦ — ٢ ديسمبر ٨٣٧ . قارن أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣٠٥ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٣٨ ، آخر هـ ١) .

ابن عبد الوهاب . ولكن الروم هزمته وأسر هو مع آخرين حتى افتدىَ بعد [١] .
فأرسل العرب إمداداً قوية لإصلاح موقفهم أمام تلك المدينة .

وفى أثناء الحصار فى شتاء ٨٣٧ أحس بعض المسلمين أن أهل المدينة يهملون حراستها . فاقترب منها واكتشف طريقا اتبعه فلم يره أحد فعاد وأخبر به أصحابه فاندفعوا تواً من الطريق الذى وصف لهم ودخلوا المدينة وهم يتصايحون بالتكبير . فلجأ المسيحيون إلى قلعة المدينة وحاصرهم العرب فلجأوا إلى المفاوضة وقبل القائد العربى شروطهم وعاد الجيش العربى إلى بلرم محملا بغنائم عظيمة [٢] .

ونفترض أن المسيحيين الذين غلبوا فى قصريانة قبلوا دفع الجزية ، وأن المسلمين فرحوا بما نالوا بعد ما كان من حصار عسير . والثابت على أى حال أن العرب لم يحتلوا المدينة ولا القلعة وأنهم كانوا يقاتلون بعد ذلك بعشرين عاماً حول نفس المدينة [٣] .

وأرسل تيوفيل إلى صقلية صهره القيصر الكسيس موسيلى (الراجح أنه لم يبق بها زمناً طويلا) وكان ذلك حول ٨٣٧ على الأرجح .

وكان الكسيس من أصل أرمنى ، وقد ارتقى فى سلم الحرب ارتقاءاً سريعاً براقاً ونال لقب بطريق و (بروقنصل) و (ماجستر) وتزوج مارى بنت تيوفيل وأصبح قيصرا ، يعنى أنه أصبح يطمع فى اعتلاء عرش الروم بعد موت تيوفيل [٤] .
وقد رأينا أنه اشترك باعتباره قيصرا فى موكب الظفر الذى أعد للامبراطور

---

(١) ابن الأثير ج ٦ ص ٢٣٩ — ٤٠ وعند أمارى ترجمة ج ١ ص ٣٧١ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦١) . البيان ط . دوزى ص ٩٩ . أمارى ترجمة ج ٢ (ذيل الاصل الفرنسى ٣٧٥) قارن أمارى تاريخ ج ١ ص ٣٠٦ (ط ٢ ج ١ ص ٤٣٨)

(٢) ابن الاثير ج ٦ ص ٢٤٠ وعند أمارى ترجمة ج ١ ص ٣٧١ — ٣٧٢ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦٢) ابن خلدون عند أمارى ترجمة ج ٢ ص ١٧

(٣) قارن أمارى تاريخ ج ١ ص ٣٠٧ (ط ٢ ج ١ ص ٤٣٩ / ٤٤١)

(٤) فيما يخص موسيلى انظر صلة تيوفان ص ١٠٧ — ١٠٩ ، ١ ع ١٨ . جورج همرتولس ٧٠٣ / ٧٠٥ (٧٩٤ — ٧٩٦ بون) ليون النحوى ص ٢١٦ — ٢١٧ سيميون ماجستروس ٦٣٠ / ٦٢٢ . سيدرونس ج ٢ ص ١١٨ / ١١٩ . والاسم أومى (موسي) قارن هامش الناشر عند أمارى تاريخ ط ٢ ج ١ ص ٤٣٠ هـ ١ وبيورى ص ١٢٦ و ١٢٨ و ٣٠٥ و ٤٠٧ ويقتصر

عقب نصره فى حملة طرسوس والمصيصة [١] .

وكان حول ٨٣٦ — ٨٣٧ يقود جيشاً فى تراقية ليقمع ثورة سلافية الراجح أن البلغار هم الذين أثاروها ثم بعثه تيوفيل إلى صقلية بعد هذا التاريخ [٢]

ولكن نشاطه فى الجزيرة لم يلبث أن ضعف بسبب الدسائس المحلية . واتهم بالإتصال بالعرب وبالطمع وانتواء خيانة الأمبراطور . وزاد من مباعدة الأمبراطور إياه أن امرأته بنت تيوفيل ماتت فقرر تيوفيل استدعاءه إلى قسطنطينية .

وأسل إلى صقلية لاستدعائه رئيس أساقفة اسمه تيودوروس كريثنيوس فى عام ٨٣٩ مع وعد من الأمبراطور بالأمان المطلق . ولكن الأمبراطور سجن الكسيس بمجرد وصوله إلى العاصمة ونزع أملاكه . ونفى الأسقف لأنه اتهم الأمبراطور علناً بالحنث بالوعد والقسم . ثم أعيد الاثنان من المنفى وأعيدت لهما حظوتهما . أما موسيلى فإنه بذل ماله الذى أعيد إليه لبناء دير قضى فيه مابقى من أيامه [٣] .

= بيورى على ذكر تناقض المراجع (اللوجثيت ، صلة جورج ٧٩٤ فى ناحية وصلة تيوفان ص ١٨٠ فى ناحية أخرى) حول ارسال الكسيس موسيلى الى صقلية (يقول اللوجوتيت أنه أرسل الى لمبارديا) ويقول صاحب المصدر الأول أن الأرسال إلى صقلية كان غضباً سببه شكوك الامبراطور . وان الاميرة مارى زوجته ماتت فى غيبته . وإنه حين استدعى إلى قسطنطينية عوقب . أما صاحب صلة تيوفان فيقول العكس فيجعل شكوك الامبراطور لاحقه على عودته من إيطاليا فان الكسيس قام بمهمته قياماً بارعا فاذا اتبعنا رواية اللوجوتيت فان ارسال الكسيس الى صقلية يجب أن يقع فى ٨٣٦ وهو تاريخ زواج الكسيس من مارى بنت تيوفيل . ونحن نعلم أن الكسيس كان يحارب البلغار قرب كرستوبوليس (كافالا) . قارن دفورنيك ، حياة سان جريجوار الديكابولى وسلاف مقدونيه فى القرن التاسع (منشورات معهد الدراسات السلافية رقم ٥) . باريس ١٩٢٦ ص ٣٢ ، ٣٥ وما بعدها ٥٤ ، ٦٢ وما بعدها ، وقصه أسطورة قسطنطين وميتود كما يراها الروم ص ١٣ وملاحظاتنا فى بيزنطيون ج ٧ ١٩٣٢ ص ٦٤٤ وما بعدها ج ٩ ١٩٣٤ ص ٦٨٥ و ٧٦١ . ويظهر كذلك أن نفس الشخص يذكر على أنه أحد أجداد دجنيس . قارن ذيل الجزء الثانى ، الملحمة الرومية .

(١) قسطنطين البورفيرى ، المراسيم ص ٥٠٥

(٢) أما عن السنة التى بعث فيها موسيلى إلى صقلية فنلاحظ أن تاريخ سيميون ماجستروس يقول إن ذلك كان فى السنة الثالثة من حكم تيوفيل (سيميون ماجستروس ص ٦٣٠) يعنى ٨٣١ / ٨٣٢ . ولكنا لا نستطيع الوثوق بهذا التاريخ (قارن هيرس ، دراسات رومية ص ٣٤٥/٣٤٧) ونرى أن شهادة حياة سان جريجوار الديكابولى حجة قاطعة تنقض جعل ذلك عام ٨٣٢ . وطبيعى أن تكون ولاية قيصر فى تراقية سابقة على ولايته فى صقلية التى تعرض بعدها للغضب . أما عن شكوك تيوفيل فانظر سيميون ماجستروس نفسه . وقارن صلة تيوفان ص ١٠٨ .

(٣) صلة تيوفان ص ١٠٨ — ١٠٩ (سيدرونس ج ٢ ص ١١٨ — ١١٩) سيميون ماجستروس =

ونكرر أن استدعاء موسيلى يجب أن يكون حول ٨٢٩ . وسنرى بعد أن الأرجح أنه هو الذى رفع الحصار عن كفالو فى ٨٣٨ .

حملة زبطرة فى ٨٣٧

قنع تيوفيل بما أصاب فى ٨٣٧ من نصر تحت أسوار قصر يانة . إذ أسر عبد السلام وسمح لنفسه باستئناف العمليات الحربية على الحدود الشرقية فاتصل ببابك .

وكانت قوة بابك يومئذ تتضاءل . وكان يقف أمامه جيش عديد يرأسه قواد مثل الأفشين وهو الذى أبلى أيام خلافة المأمون فى قمع الثورة المصرية ومثل إيتاخ وجعفر الخياط . وكان هؤلاء الحربيون يطبقون الخناق على بابك حتى حصروه آخر الامر فى حصن البد المنيع [1] . وأدرك بابك خطر موقفه فاتصل بتوفيل وحرضه على غزو أرض العرب فى نفس الوقت ونبهه إلى أن كل قوات المعتصم خصصت للخرمية وأن الخليفة عاجز عن المقاومة على حدود الروم ، وإنه أشرك فى حرب بابك حائك ملابسه وطاهيه[2] . وواضح أن بابك كان يأمل أن يضطر الخليفه حين يعلم بدخول الروم أرض الاسلام أن يستدعى جزءا من الجيوش المحاربة وأن يتنفس هو الصعداء ويخف عنه ما هو فيه من حرج[3] .

وتظاهر بابك أمام تيوفيل ، مبالغة فى التأثير عليه ، بأنه مسيحى ووعد بان يتنصر أتباعه [4] بعد .

= ص ٤٣١ / ٦٣٢ . جورج همرتولس ص ٧٠٤ — ٧٠٥ (٧٩٥ — ٧٩٦ بون) ليون النحوى ص ٢١٧ — ٢١٨ قارن هيرس نفس الكتاب ص ٢٠٥ . أمارى تاريخ جـ ١ ص ٢٩٧ — ٢٩٨ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٢٩ — ٤٣٠)

(١) قابل نفس الكتاب جـ ٢ ص ٣٠٠ . مولر : الاسلام جـ ١ ص ٥٠٨ ، موير : الخلافة ط ٢ ص ٥١٠ / ٥١١ .

(٢) وقول بابك هذا من قبيل التلاعب بالألفاظ وذلك أن اسم القائدين اللذين أرسلهما لحربه هو جعفر الخياط واتياخ الطباخ بمعنى الحياكة والطبخ .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٣٤ — ١٢٣٥ ، ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٣٩ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٩٣ / ٣٥٢ م

(٤) تاريخ الطبرى نسخة بلعمى الفارسية ترجمة هـ . زوتنبرج جـ ٤ توجان — لى — ترو ، ١٨٧٤ ص ٥٣٢ . ولم تجد هذه العبارة فى الطبرى العربى . قارن تاريخ ميشيل السورى جـ ٣ ص ٨٨ أبو الفرج تاريخ سوريا فى ، ط . بدجيان ص ١٤٨ .

ودخل تيوفيل فعلا أرض العرب بجيش قوى — ١٠٠ ألف رجل — كان فيه البلغار والسلاف [١] والفرس من أتباع بابك ، وهؤلاء الاخيرون هم من انهزم عام ٨٣٣ فى اقليم همذان على يد أحدقواد المعتصم اسحق بن ابراهيم بن مصعب وكان بعضهم استطاع النجاة من الموت والهرب إلى أرض الروم كما رأينا [٢] فجندهم تيوفيل وزوجهم وأولادهم [٣] .

فلما اجتاز الجيش الرومى الحدود قصد إلى حصن زبطره الحصين [٤] .

وقد اختلف العلماء زمناً طويلا حول موقع هذا الحصن [٥] . وكان يقع فى ثغور الجزيرة قرب الحدود الفاصلة بين الأمبراطوريتين على أربع فراسخ من الحدث على مسيرة يوم من حصن منصور [٦] .

أما الآن فقد تحدد موقعها تحديد جازماً . هو نفس موقع مدينة فيران شهر الحالية على نهر سلطان سو (كراكيسيوس قديماً ؟) جنوب غربى ملطية [٧] .

---

(١) عن البلغار والسلاف الذين اشتركوا فى هذه الحملة انظر المسعودى المروج ط . باربييه دى مينار ج ٧ ص ١٢٣ / ١٣٤ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٣٠)

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١١٦٥ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣١١/٣١٢) (ذيل الاصل الفرنسى ٢٩٣/٤)

(٣) الطبرى ج ٣ ص ١٢٣٥ . ويسمى العرب رئيس هؤلاء الفرس برسيس وقد يكون لنا أن تصحيحه بترسيس . وينقل الكلام بذلك إلى الشخصية التى يسميها الروم تيوفوب والتى يسميها ميشيل السورى نصراً والمسعودى نصيرا ورسم الاسم عند الطبرى يوافق فرض م . ادونتز وهو ان نصرا أرمنى فارسى اسمه برسى .

(٤) اختلفت التواريخ فى رسم اسم هذا الحصن . يقول الطبرى هو زبطره (ج ٣ ص ١٢٣٤) وهو عند الروم زابطرة (جورج همرتولس ص ٧٠٧ ، مورالت) زابطرون (جورج همرتولس ٧٩٨ بون ، سيميون ماجسترى ص ٦٣٤) أو زوبطرا (جنيزيوس ص ٧٤) ، سوزترا (صلة تيوفان ص ١٢٣ ع ٢٩ ، سيدرونس ج ٢ ص ١٣٠ ، زوناراس ج ١٥ ص ٢٩ ط . دندورف ج ٣ ص ٤١٥) .

(٥) أنظر مثلا قايل نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٠٩ ، ويرسم بطليموس الإسم زيزوترا ويرسمه البتانى زنبطره ولعلها آتية من زيزوبطره ، أنظر ملاحظات أ . هونجمان ، مجلة الدراسات الشرقية (الإيطالية) ج ١١ ، ١٩٢٢ ص ١٧١ رقم ٢١٤ .

(٦) ابن خرداذبه ط . دى جويه ص ٧٠ ، ٩٧ ، قدامه ط . دى جويه ص ٩٣ ، ١٦٥ ، ٢١٦ . ياقوت ج ٢ ص ٢٧٨ ، ١٩١٤ . أبو الفداء ، جغرافية ترجمها إلى الفرنسية سان جيار ج ٢ ق ٢ باريس ١٨٨٣ ص ١٣ .

(٧) قارن حق — لى سترانج ، وصف ما بين النهرين وبغداد حول عام ٩٠٠ م كما جاء به ابن سرابيون . فى مجلة الجمعية الاسيوية الملكية (بالانجليزية) ١٨٩٥ ص ٦٣ و٦٥ . ثم مال لسترانج =

قصد تيوفيل أعالى الفرات آملا فى أن يتصل بثوار أرمينية وآذربيجان ، وأرسل فيما يقول ميشيل السورى رسلا إلى أرمينية الكبرى طالبوها بالجزية فأذعنت . وكان معه جيش عدته فيما يقول الطبرى من سبعين إلى مائة ألف فأخذ فيما قيل ثلاث مدن : زبطره وشمشاط وملطية [1] ، وكان أشد ما أصيب من المدن زبطره وشمشاط ،

= بعد ذلك إلى القول بأن زبطره هو حصن درنده . قارن ملاحظاته على ابن سرابيون فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٥ ص ٧٤٥ ، ولكن اندرسون فى بحث الحملات على زبطره فى ٨٣٦ ، ٨٧٢ (هكذا !) قام بتحليل المراجع العربية مثل ابن سرابيون وابن خرداذبه وأثبت أن زبطره هى فيران شهر الواقعة إلى الجنوب الغربى من ملطية (اندرسون ، حملة بازيل الأول على البوليسنين فى ٨٧٢) فى المجلة الكلاسيكية (الانجليزية) ج ١ ١٨٩٦ ص ١٣٨) ثم أن جى السترانج غير رأيه مرة أخرى . قارن مقالة : الابريق تفريق عاصمة البوليسين . فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٦ ص ٧٤٠ . أما ابن سرابيون الكاتب المسمى سهرب (طبعة هـ . فون مزيك الحديثة ، مكتبة مؤرخى العرب وجغرافيهم بالألمانية ج ٥ ١٩٣٠) فإنه عاش فى النصف الأول من القرن العاشر . ولا نعرف عن حياته شيئاً . قارن لسترانج فى المجلة الأسيوية الملكية ١٨٩٥ ص ١ — ٢ ونفسه الخلافة الشرقية ص ١٢١ توماسشك ، بحث منشور فى Kiepert Festchrift ص ١٤٠ . ماركوارت أرمينيا الجنوبية ومنابع دجله (بالألمانية) ص ٤٦ و ٤٨ و ٥٠ و ٢٥٤ .

(١) البلاذرى فتوح البلدان ط . دى جويه ، ليدن ١٨٦٥ ص ١٩٢ . اليعقوبى تاريخ ج ٢ ص ٥٨٠ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٦٩ و ٢٧٤ ، الطبرى ج ٣ ص ١٢٣٤ ابن الأثير ج ٦ ص ٣٣٩ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٩٤) . دى جويه Fragmenta ص ٣٨٩ (ولم يذكر نص ابن مسكويه شيئاً عن هذه الأحداث) . المسعودى . مروج الذهب ج ٧ ص ١٣٣ — ١٣٤ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣٠ — ٣٣١) قارن تاريخ ميشيل السورى ج ٣ ص ٨٨ / ٨٩ ترجمة شابو . جريجوار أبو الفرج تاريخ سوريانى ص ١٤٨ ط بدجيان . صلة تيوفان وهى تحدد عدد ما أخذه من البلاد : « وأخذ مدينتين أخريين » . وزبطره (صلة تيوفان ص ١٢٤ — ع ٢٤) قارن : تاريخ عام تأليف إتيان اشوشيج الدارونى ترجمة أ . ديلوربيه ق ا باريس ١٨٨٣ ص ١٧١ . ويذكر أسوليك أن تيوفيل أخذ مدينة اسمها أوربلى (أوريل عند ديلوربيه) وهزم العرب قرب الولات (يعنى ملطيه) وقد ذكر دلوربيه بدل هذا الإسم اسم اشموشاط ارساموزاتا) . وما هى حقيقة حوادث أرمينية حسب المصادر الشرقية (بيورى ص ٢٦٠ هـ ٥ . ماركوارت : أرمينية الجنوبية ص ٤٥ — ٥٧) بعد أن أخذ الروم شمشاط دخلوا أرمينية وانتهبوها (ميشيل السورى ج ٣ ص ٨٩) . والمقصود على الأرجح سوفين الصغرى الواقعة شمالى أتربتين ومراد شاى ، وذلك أن مؤرخى الأرمن يذكرون أخذ حصن خوزن (إتيان أسوليك ص ١٠٨ ترجمة جلزر . صمويل الآنى ص ٧٠٧) وقارن عن خوزن قسطنطين البوفيرى ، الادارة ٢٢٦ . جلزر : جورج القبرصى ص ١٧٣ . ادونتز أرمينية فى عصر جيشتنيان (بالروسية) سان بطرسبرج ١٩٠٨ ص ٣٨ وتعبه تمييز واضح بين سوفين الصغرى فى الشمال الغربى وسوفين الكبرى فى الجنوب الشرقى وبين اتربين . ويقول صمويل أن تيوفيل بعد أن أخذ زبطره سار الى أرمينية وأخذ بالن (اليوم باغن شرق خوزن) وميكرت فى سوفين (اليوم مازجرتـ) وأنكى فى

فإن أكراد نصر تميزوا فى زبطره بوحشيتهم[١] . وأحرقت المدينة وقُتل الذكور من أهلها وأسر النساء والأطفال : ولم يصب نفس المصير ملطية لأنها فتحت أبوابها للروم وأطلقت من كان فيها من أسراهم . أما شمشاط (لاسميساط) الواقعة على الشاطىء الآخر من الفرات فإنها تركت رماداً ولكن الذى أحدث أكبر الأثر كان اعتداء الروم على زبطره .

وقد روى فى العصور المتأخرة أن زبطره كانت بلد الخليفة (يقول اللوجتيت هى سميساط) وتلك أسطورة نشأت لتقرن بين ما أصابها وأصاب عمورية ابان عهد أسرة عمورية . وهذه الأسطورة مذكورة فى أعمال الاثنين والأربعين من الشهداء (ص ٤٠) ولكن هذا الكتاب لم يحدد البلد التى ولد فيها الخليفة[٢] .

وعاد الأمبراطور إلى عاصمته مظفراً . فلما بلغ مكاناً يقال له برياس على الشاطىء الأسيوى أمر ببناء قصر[٣] وزرع حدائق وتشييد قناة مبنية تخليداً لنصره[٤] .

= ديجق (Tεκῆς — دجيسن) . والراجح أن تيوفيل ويرداس سارا حينئذ وأغارا على الأباط الذين كانوا استقلوا ولكنهما لقيا هزيمة خطيرة (صلة تيوفان ص ١٣٧) قارن بيورى ص ٢٦١ . وانظر بعد من الأصل الفرنسى ص ١٩٤ ه ١ .

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٢٣٤ — ١٢٣٥ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣٣٩) (ذيل الأصل الفرنسى ٢٩٤) . جورج همرتولس ص ٧٠٧ ميالت ٧٩٨ بون سيميون ماجستروس ص ٦٣٤ . جنيزيوس ص ٦٤ ، صلة تيوفان ص ١٢٤ ع ٢٩ ، سيدرونس ج ٢ ص ١٣٠ ، زوناراس ج ١٥ - ٢٩ ط دندورف ج ٣ ص ٥٩٥ ، ويسمى الروم زبطره البلد الذى نشأ فيها المعتصم وهو مايتناقض مع معلومات المصادر العربية ولهذا يجب أن نفرض أن ذلك كان تخيلا متأخراً اخترعه مؤرخو الروم رغبة فى تخفيف كارثة عمورية التى وقعت فى السنه التالية . ويزعم صاحب الصلة أن الخليفة رجا تيوفيل فى خطاب أرسله اليه أن يوقف حصار زبطره : « وجاء حينئذ خطاب من الخليفة إلى تيوفيل أن يترك له موطنه فلم يسمع الامبراطور (صلة تيوفان ج ١٢٤ ع ٢٩) أما عن نصر فى زبطره فانظر ميشيل ج ٣ ص ٩٦ .

(٢) بيورى ص ٢٦٢ ه ٦ ونكيتين أعمال الاثنين والأربعين الشهيد ص ١٩١

(٣) ولعله ابتدأ ترميم القصر . قارن كندا كوف ، الكنائس الرومية وآثار قسطنطينية ، أبحاث المؤتمر الأثرى الرابع ١٨٨٤ ج ٣ أودسا ، ١٨٨٧ ص ٥٤ . ومكان القريه الرومية برياس الروم هو مالتيب تقريباً . ولا نزل ترى إلى اليوم خرائب القصر الذى بناه تيوفل على الطريقه العربية شرق حل دراكوس تيب قرب البحر . قارن ج . بارجوار Rufianes, Byz Zeitschr. المجلة البيزنطية (الألمانية) ج ٨ عام ١٨٩٩ قارن بيورى ص ١٣٣ .

(٤) جورج هارترلج ص ٧٠٧ سيميون ماجيدوس ص ٦٣٤ (باليونانية) : فلما بلغ برياس أمر ببناء قصر ....وتشييد قناة مبنية ، فكان ذلك

وكان لدخوله قسطنطينية من البهاء والمراسيم ما كان عند دخوله عام ٨٣١ وقد وصفناه حينئذ . وقد خرج للقاء الأمبراطور هذه المرة أطفال مزينون بتيجان من الزهور[١] وشيدت حلقة سباق ظهر فيها الأمبراطور وعليه ثياب زرقاء فوق عربة تجرها خيول بيضاء . فالبس تاج النصر على حين كان الشعب ينادى « أحسنت السير أيها السائق الأصيل » (باليونانية) .

وبلغ الهاربون من زبطره التى حرقت وخربت مقام الخليفة فى سامرا وكان المعتصم فى قصره حين سمع بهذا النبأ السيء . فأمر لساعته باعداد الحملة على الروم وركب فرسه[٢] .

ولكن المعتصم لم يكن ليستطيع أن ينفذ شروعه هذا إلا بعد أن ينتهى من سائر مشاكله الداخلية وخاصة مسألة بابك وبقائه ممتنعاً . ومع ذلك فإنه بعث قسما من جيشه مع عجيف بن عنبه ومحمد بن كوته وغيرهم لنجدة أهل زبطره وجد تيوفيل

---

(١) قسطنطين البورفيرى ، المراسيم ص ٥٠٧ — ٥٠٨ ، وأمر أن يخرج أطفال المدينة جميعا للقائه وعليهم تيجان مجهزة من الزهور ودخل المدينة على نفس الأسلوب الأول المعروف (باليونانية) . قارن هيرس : دراسات رومية ص ١٤٤ ويضيف ويزكى فى تعليقه على كتاب المراسيم هذا الدخول فى موكب النصر الى حملة عمورية (تعليق ريزكه ص ٥٩٤) ولكن أى موكب كان بعد كارثة عمورية ؟

(٢) جورج هرتولس مى ٧٠٧ (٧٩٨ بون) سيميون ماجستروس ص ٦٣٤ (باليونانية) وبنيت حلقة سباق كان الأمبراطور أول لاعب فيها ظهر فى عربة ذات خيول بيضاء وعليه ثياب زرقاء . وتوج لنصره والناس تهتف أحسنت السير أيها السابق المجلى الأصيل « وكان السائق الأول فى ألعاب السيرك يسمى فاكتونارس وقارن عن هذه الكلمة أوسبنسكى — بنشفيش قوائم الألعاب الرومية فى المجلة السنوية للدراسات الرومية اليونانية (بالألمانية) ج ٥ ١٩٢٧ ص ١٣٧ رقم ٢٣٥ . ويضيف ريزكى هذه العبارة الى دخول تيوفيل المظفر الأول (تعليق ص ٥٩٠) . قارن صلة تيوفان ص ١٢٥ ع ٢٩ فقد جاء فيه « ونظم تيوفيل ذلك بمناسبة عودته الأمبراطورية » (باليونانية) . وقد جاء فى احدى روايات استشهاد الإثنين والأربعين الشهيد بعمورية أن تيوفيل بعد حملة زبطرة : عاد الى مدينته الأمبراطورية محملا بأسلاب النصر من ذهب كثير وفضة وأسرى فوق العد مصفدين من الهاجريين » (أبشت وهمدت : «استشهاد الاثنين والأربعين الشهيد» مقالة نشرت بالألمانية فى «أر شيف الفيلولوجيا السلافية » جـ ١٨ ص ١٩١) . قارن النص الاغريقى فى حياة شهداء عمورية الاثنين والأربعين حسب مخطوط بارس ، المكتبة الأهلية رقم ١٥٣٤ ط . أ . فازلييف ، سان بطرسبرج ١٨٦٨ (مطبوعات الأكاديمية - قسم التاريخ والفيلولوجيا السلسلة ٨ جـ ٣) ص ٦ Acta XLII martyrum Amoriensium ط . فازلييف ، ب . نكتين فى Zapiski Imp. Akad. Nauk. سلسلة ٨ جـ ٧ ، ٢ ، ١٩٠٥ ص ٤٠ — ٤٢

ارتد عنها إلى أرض الروم فمكثوا بها زمناً قليلا فقط حتى جاء اليها أهلها واطمأنوا بها [١]

واشتدت الرغبة لدى العرب للانتقام من مصرع زبطره . وتقدم الخليفة المعزول ابراهيم بن المهدى فأنشد الخليفة قصيدة طويلة وصف فيها بؤس زبطره وحثه على نجدة رعيته وطلب الجهاد ونذكر من هذه القصيدة على الأخص بيتين :

يا غارة الله قد عاينت فانتهكى   هتك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت   ما بال أطفالها بالذبح تنتهب؟ [٢]

فلما ضيق المعتصم على بابك آخر عام ٨٣٧ اضطر بابك أن يهرب فى أرمينيا فأسلمه بها سهل بن سنباط إلى المسلمين ، ورجع الأفشين إلى العاصمة وقد أفاض الخليفة عليه هداياه وتكريمه ، وغدت بابك حتى مات [٣] . واستطاع المعتصم بعد ذلك أن يحقق رغبته فى الانتقام من تيوفيل لما تقدم به من غزوة زبطره . وكان غرض الخليفة الأول عمورية موطن الأسرة التى كانت تحكم الروم وقتئذ .

حرب صقلية فى ٨٣٨

نال الروم إلى انتصارهم فى الشرق بضع انتصارات أخرى فى صقلية فى النصف الأول من عام ٨٣٨ وكان العرب أقدموا على حصار حصن قوى هو كفالو الواقع على شاطىء الجزيرة الشمالى على ٤٨ ميلا شرقى بلرم ، هذا عدا ما كانوا فيه منذ وقت طويل من حرب أمام كاسترو جيوفانى . وتطاول الحصار حتى وصلت من بيزنطة أمداد هامة فى ٨٣٨ (٢٢٣ هـ — ٣ ديسمبر ٨٤٧ — ٢٢ ديسمبر ٨٣٨)

---

(١) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٣٥ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٣٩ — ٣٤٠) (انظر الذيل من الأصل الفرنسى ص ٢٩٤)

(٢) المسعودى — مروج الذهب . ط . باربييه دى مينار جـ ٧ ص ١٣٤ (انظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٣١)

(٣) يقول ميشيل السورى (جـ ٣ ص ٩) أنه بينما كان بابك يعبر أرمينية ليلجأ إلى الروم خانه بطريق اسمه استيفانوس كان بابك اتخذ بيته سكنا . ولكن ذلك خلط بما حدث لأخى بابك عبد الله وهو الذى أسلم أمير دمحل عيسى بن يوسف بن ستفانوس . قارن أيضاً فايل ، نفس الكتاب جـ ٢ ص ٣٠١ . موير الخلافة ص ٥١١ . أما عن أهميه تسليم بابك بالنسبة لأرمينية فانظر ا . جرين أسرة بعرط الأرمينيه فى مجله وزارة المعارف العمومية (بالروسية) هـ ٢٩٠ (١٨٩٣) ص ٦٠ بيورى ص ٢٦٢ هـ ٣)

والأرجح أن ذلك كان أول الربيع ، فلم تكن إلا عدة مصادمات بالجند الحديث الوصول حتى اضطر المسلمون أن يرتدوا إلى بلرم .

ويفرض ج . ب . بيورى أن الذى جاء بهذه الإمداد من قسطنطينية هو الكسيس موسيلى وكان ذلك أول وصوله إلى الجزيرة فيما يرى هذا المؤرخ كما يرى أن الغضب عليه وعودته إلى قسطنطينية كان فى ٨٣٩ (انظر ص ١٣٦ من الأصل الفرنسى)

وفى ١١ يونية ٨٣٨ (١٤ رجب مات بأفريقية الأمير الأغلبى زيادة الله . وأحدث النبأ حين وصل صقلية أثراً قوياً . وتخوف الناس من قيام الإضطرابات فى أفريقية مرة أخرى . وضعف كل أمل فى الإمداد الضرورى لحصار كفالو [١] .

ولكن الأزمة انفرجت فى أفريقية بأسهل مما كان متوقعاً وخلف الأمير الجديد بو عقال بن الأغلب ابراهيم أخاه زيادة الله دون أن يقع ما يكدر الصفو . فأقام على الطاعة الجند والبربر وأقر فى العاصمة ما انفرط من النظام بسبب موت أخيه . فلما تمت له الولاية استطاع أن يمد صقلية ، وعاد العرب إلى بالرم من حملة ومعهم غنائم وفيرة فى ٩٣٩ (عام ٢٢٤ هـ ، ٢٣ نوفمبر ٨٣٨ ، ١١ نوفمبر ٨٣٩) ومع ذلك لم يبلغوا شيئاً بعملياتهم الحربية أمام كفالو .

أما ارتداد المسلمين عن كفالو وموت الأغلبى زيادة الله ووقوف الهجوم العربى فى صقلية بسبب ذلك فكان فى ٨٣٨ . وكان عاما نحساً على الروم فى الشرق لأنه العام الذى غزا فيه المعتصم غزوته المشهورة على عمورية وهى التى نعرض لها الآن .

حملة عمورية

حين انتهى المعتصم من محق بابك عزم على قصد امبراطور الروم بكل قواته ليثأر لهزيمة السنة الماضية . وكان الغرض الاول من غزوه : عمورية [٢] . ويروى

---

(١) ابن الأثير : جـ ٦ ص ٢٤٠ ، ٣٥٠ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٢ (أنظر ذيل الأصل الفرنسى ٣٦٢) .

(٢) الطبرى : جـ ٣ ص ١٢٣٦ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٠) (ذيل الأصل الفرنسى) وأطول سرد لهذا عند الطبرى جـ ٣ ص ١٢٣٦ — ١٢٥٦ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٩٥ — ٣١٠) ويكتفى ابن قتيبة ص ١٩٩ بالاشارة إليها وكذلك البلاذرى (ط . دى جويه ١٩٢) واليعقوبى جـ ٢ ص ٥٨١ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٦٧ — ٨ ، ٢٧٥) أما سرد مجهول دى جويه (٢٩٠ — ٢٩٥) فهو أقل تفصيلا عن الطبرى ولكنه دقيق كامل الرسوم ومثل ذلك ابن مسكويه (Fragmenta) ص ٤٨٥ — ٤٩٥)

مؤرخو العرب أن المعتصم سأل حين انتصر على بابك ، أى حصون الروم أمنع وأقوى ، . فقيل له عمورية . وإنه لم يقصدها مسلم منذ ظهور الإسلام وهى عين المسيحية وأساسها وهى عند الروم أشهر من قسطنطينية .

وتنبأ المتجمون أن وضع الكواكب ينبىء بفشل الحملة ولكن الخليفة لم يعر ذلك أى اصغاء [1] وغادر المعتصم عاصمته سامراً أول ابريل ٨٣٨ [2] على رأس قوات كبيرة لم تجتمع لخليفة من قبل مثلها فيما يروى الطبرى ولا مثل سلاحها ومؤنتها ومساقيها المستقلة وبغالها ودوابها وقربها المختلفة الاحجام والآلات الحديدية والنفط ويتراوح تقدير الجيش بين مائتى الف وخمسمائة الف [3] . وكان على مقدمة الجيش اشناس وهو تركى ومحمد بن مصعب وعلى الميمنة إيتاخ التركى وعلى الميسرة جعفر ابن دينار بن عبد الله الخياط وعلى القلب عجيف بن عنبه [4] . ونقش المعتصم على الالوية والتروس عمورية [5] .

= ولكن سرده يبدأ (الحالة المخطوط) بوصول اشناس الى مرج الأسقف ، ومثله ابن الاثير . (ج ٦ ص ٣٣٩ — ٣٤٦) . وكل المصادر الرومية لاتغفل هذه الحملة ونجد لذلك عند مؤرخى السوريان والأرمن ذكر الاخذ عمورية . راجع تاريخ ميشل السورى ترجمة شابو ج ٣ ص ٩٤ وما بعدها . «وتاريخ عام» لوردان الكبير ترجمة أمين ، موسكو ١٨٦١ ص ١٠١ . جريجوار أبو الفرج : تاريخ سوريانى ، ط . ا بدچيان ص ١٤٩ وما بعدها ترجمة بدج ص ٣٣٦ وما بعدها . وسنجد فى ذيل المجلد الثانى من هذه المجموعة (الاسرة المقدونية) تحت اسم الملحمة العربية كيف أن أخذ عمورية استولى على الخيال الشعبي لا فى آخر القرن التاسع وحده ولكن فى القرون التالية كذلك .

(١) وراجع السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، القاهرة ١٨٨٧ ص ١٣٣ . تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى ترجمة جازيه . كلكتا ١٨٨١ (المكتبة الهندية ص ٨٧) ص ٣٥٠ .

(٢) اليعقوبى ج ٢ ص ٥٨١ : الخميس ٦ جمادى الاولى ٢٢٣ = أبريل ٨٣٨ = ويؤرخ الطبرى بسنتى ٢٢٤ ، ٢٢٢ (ج ٣ ص ١٢٢٦ (ذيل الاصل الفرنسى ٢٧٥ ، ٢٩٥)

(٣) المسعودى : مروج الذهب ط . باربييه دى‌مينار ج ٧ ص ١٣٥ (ذيل الاصل الفرنسى ص ٣٣١) ويقدر ميشيل السورى (ج ٣ ص ٩٥) جيش المعتصم بخمسين ألفا وجيش الافشين بثلاثين وثلاثين ألف تاجر ومتعهد وخمسين آلف بغل . ويقول أبو الفرج (تاريخ سوريانى بدچيان ص ١) أنه كان مع المعتصم ١٠٠ ألف وتذكر ترجمة ميشيل الارمنية (٢٧٤) ثلاثين ألفا من السودان .

(٤) الطبرى ج ٣ ص ١٢٣٦ (ابن الاثير ج ٦ ص ٣٤٠) . المسعودى ، نفس الكتاب ج ٧ ص ١٣٥ (ذيل الاصل الفرنسى ص ٢٩٥/٦ و ٣٣٢) . قارن ڤايل ج ٢ ص ٣١١ .

(٥) جنزيوس ص ٦٤ : = « وأمر أن يكتب كل حامل لواء على لواء أنه يقصد عمورية » باليونانية وعبارة النص غير ظاهرة ولعلها يجب أن تقرأ كما قرأناها . صلة تيوفان ص ١٢٥ : = واستشار العرافين وأمر جيع من جم من المحاربين أن يكتبوا اسم عمورية على التروس : سيدرونس ج ٢ ص ١٣٢

ووقف الجيش على مسيرة يوم من طرسوس على نهر اللامس وكان هذا النهر موضع تبادل الاسرى عادة بين الروم والعرب [١] .

وفى أثناء ذلك كان تيوفيل غادر قسطنطينية ووقف عند دروليه على مسيرة ثلاثة أيام من عمورية وبلغته الانباء بعظم الجيش العربى فحمل ذلك كثيراً من كبار الموظفين والقواد على نصح الامبراطور باخلاء عمورية من سكانها إلى مكان آخر منعاً لسفك الدماء ولكن تيوفيل رأى فى ذلك جبناً لا يليق به وآثر أن يحصن عمورية وأن يعهد بحمايتها إلى قائد مجرب وهو ايتيوس وكان حينئذ بطريقاً واستراتيجاً لجند أناطولية وبعث إلى عمورية امداداً جعل عليها الخصى تيودور كراتيروس وكان اسباطيرا أولا ومعه البطريق الماجستير قسطنطين بايوتريكوس ومن الذين قدر لهم أن يستشهدوا فى عمورية اثنان هما الاستراتيج تيوفيل والدروميوس باسويس [٢] .

---

(١) الطبرى ﺟ ٣ ص ٢٣٧ . ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٩٥) ويقول ابن الاثير نهر السن (ﺟ ٦ ص ٣٤٠) وظاهر أن الاسم حرف وكذلك رسمه طبعة القاهرة السن وصحتها الس مع افتراض أن الناسخ ظن قوس السين حرفا مستقلا . والس هو الاسم العربى لنهر الهليس . وقد ذكر ابن الاثير — هنا خطأ اللامس وكذلك يذكر الطبرى اللامس دائما بدل الهليس . ويدل ذلك على أى حال أن الهليس هو الذى قصد فى الاصل . ولو قصد ألس لما وقع الخطأ ويقول جنزيوس : « عند طرسوس كيليكيا » . ويقول صاحب صلة تيوفان ص ١٢٥ : = وأصبحوا عند طرسوس كثرة بعد قلة . سيدرونس ﺟ ٢ ص ١٣٢ .

(٢) جورج همرتولس ص ٧١٣ (٨٠٥ بون) «سلاف ص ٩٨» سيميون ماجستروس ص ٦٣٨ و٦٣٩ صلة تيوفان ص ١٢٦ . سيدرونس ﺟ ٢ ص ١٣٢ . زوناراس طبع دندروف ﺟ ٣ ص ٤١٦ وذكر ايتيوس الاسباطير الأول استراتيج أناطولية لا يرد عند مؤرخى الروم والعرب فحسب ، وإنما يرد كذلك فى نقش من نقوش سيوى حصار (سفرى حصار ؟) : = زين معبد العظيمة القداسة أم المسيح ايتيوس الاسباطير الأول واستراتيج أناطوليه هو وامرأته أميليا (أنظر قراءتنا الخاصة حسب نسخة بوكوك C/G رقم ٨٦٨٢ فى بيزنطيون ﺟ ٤ سنة ١٩٢٩ ص ٤٤٣ وما بعدها) . وينسب شلمبرجر الى نفس الشخص خاتما ذهبيا . ذكر عليه اسم اتيوس على أنه أسباطير أول ودرنجير : سابقا ولعل ايتيوس ولى هذه الولايه قبل أن يصبح قائدا فى هذه المرة التى استشهد فيها (شلمبرجر « سجلات الامبراطورية الرومية » ص ٣٤٠) . والى الجيش المؤلف من جند أناطولية انضم جند أخرون لعلهم من جند بوسيلين وهو ما يستنتج من سجن تيودور كرتيروس الخصى الاسباطير الأول ، استراتيج بوسيلين فى عمورية . وجاءت امداد أخرى يقودها قسطنين بابوزيكس زوج أخت الامبراطورة تيودورا وكان درنجير بكليس ولعله كان خليفة اتيوس فى هذا المنصب . ويسميه سنكسار قسطنطينية (ص٥١٦) رئيس التجبات وهو عين المنصب كما اثبت ذلك بيورى . فلما استشهد كتبت تيودورا الى أسرته كتاب عزاء لدينا منه ترجمة جريجوريه . أنظر عن هذا الاكتشاف الذى وصل اليه ب . بيترس » مجلة بيزنطيون ﺟ ٤ ص ٨٠١ .

وقرر المعتصم غزو أرض الروم من جهات مختلفة فبعث الافشين حيدر بن كاوس مع قسم من الجيش نحو مدينة سروح الواقعة على ثلاثة عشر فرسخاً من سميساط [١] وأمره أن يدخل من ناحيتها أرض الروم [٢] فى يوم محدود عن طريق درب الحدث [٣]. ويظهر أنه انضم إلى هذا الجيش جند من الارمن وأمير ملطية وكان الترك أكثر من مع اشناس [٤]. واجتمعت كل هذه الجنود وعسكرت عند سهل داسيموس الخصب (وهو اليوم كازا أوفا) قرب طرخال على نهر إيريس [٥].

= ويذكر اللوجوتيت اسماء القواد الآخرين (صلة جورج همرتولس ٨٠٥ بون - الترجمة السلافية ١٨) صلة تيوفان ص ١٢٦ . أعمال الشهداء الاثنان والأربعون . وقد قارن بين كل هذه لروايات نكيتين وناقشها ص ٢٠٢ — ٢١٩ . قارن بيورى ص ٢٦٧ هـ ٣ . وأهم من يذكر أيضا استراتيج اسمه تيوفيل لا نعرف الجند الذى يليه ولعله الارمنياك . ويذكر الى جانب هؤلاء القواد باسويس الدروميوس ، ويقول بيورى (نفس الموضع) : أن نكيتين أثبت (ص ٢٠٨ ومابعدها) أن الدروميوس ليس بريدا وانما هو الفائز فى السباق على الأقدام ويذكر قسطنطين البورفيرى الراسبم ٣٥٨ فائزا من الخضر اسمه عباليدس أيام ميشيل الثالث . أماعن والى التورما المسمى كالستوس مليسونس (ويقول اللوجوتيت أن اثنين حملا هذا الاسم) فانظر ص ١٧١ من الأصل الفرنسى .

(١) ابن خرداذبه ص ٧٠ و ٢٩٧ .

(٢) انظر عن الحدث ما سبق أن قلناه .

(٣) الطبرى ج ٣ س ١٢٣٧ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٠) . المسعودى : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٩٥ ، ٣٣١) قارن فايل نفس الكتاب ص ٣١١ ، ويذكر مؤرخو الروم هذه الحملة ولكنهم يخطئون فى الاسم . . جورج همرتولس ص ٧١٢ (٨٠٤ بون) = سيميون ماجستروس ص ٦٣٨ : = أغزا أمير المؤمنين أربعين ألفا وجعل عليهم سوداى (ويذكر سيميوس ماجيتروس جنداى) وهو أشهر الناس عند الهاجريين بشهامته وعقله وبعثهم لغزو أرض الأمبراطورية (الاعريقية) . أما جنزيوس (ص ٦٧) وصلة تيوفان (ص ١٢٦ ع ٣١) فيقولان بغير حق ان قائد هذا الجيش كان ابن الخليفة . سيد رونس ج ٢ ص ١٣٢ — ١٣٣ . فهل القهمزد هو أبو سعيد ؟ قارن ص ٤٠٧ من الأصل الفرنسى .

(٤) وفى رواية جنزيوس ان هذا البعث المؤلف من ١٠ آلاف رجل كان منه ترك وجيش أرمنى عليه قسبارا كانيتو يعنى الأمير فسبورا كان (قارن لوران : أرمينية ص ٢١٢) (فهو يقول باليونانية : انه صحب الجيش أرمن عليهم قسبارا كانيتو وكان أمير الأمراء) وأمير ملطيه (جنزيوس ص ٦٧) . وانظر كذلك قسطنطين ص ١٢٦ — ١٢٧ فانه لا يذكر فسبورا كان ولكنا يجب أن نميز بين الامير فسبورا كان وأمير الامراء الذى كان يومئذ بقراط من اقليم تارون .

(٥) جنزيوس ص ٧٦ : — عند دكسيمون أو داسيمون (باليونانية) صلة تيوفان ص ١٢٨ : — داسيمون . سيد رونس ج ٢ ص ١٣٣ : داسيمون . أما عن السهل الخصب الذى يرويه نهر إيريس =

أما الخليفة نفسه فكان يتهيأ فى نفس الوقت للسير إلى أنقره فإذا أخذها اتجه إلى عمورية .

وفى يوم الأربعاء ٢٢ رجب (١٩ يونيه ٨٣٨) أمر الخليفة اشناسا أن يتقدم فى درب طرسوس إلى مدينة الصفاف الواقعة قرب لؤلؤة الواقعة على الطريق الموصل بين أبواب كيليكيا وبين الطوانه[١] ومشى وصيف وراء اشناس . ثم سار المعتصم آخر الأمر يوم الجمعة ٢٤ رجب (٢١ يونيه) . [٢]

وبلغه وقتئذ أن جيش الروم قرب الهليس (ويقول الطبرى اللامس) ، على أهبة عبور هذا النهر ومفاجأة العرب . فبعث المعتصم خطاباً إلى اشناس وكان وقتئذ بلغ مرج الأسقف [٣] ، يبلغه ما علم ويأمره أن لا يتقدم (يعنى ألا يعبر الهليس

=فانظر سترابون وقد جاء فيه : — ومنبع ايريس فى نفس بلاد بونت وهو يفيض . . . . وسط سهل دازيمون الخصب ناحية الغرب (سترابون جغرافيا ج ١٢ ، ٣ و ١٥ ع ٥٤٧) . وتذكر دازيمون فى خطابات بازيل الاكبر انظر الكتاب رقم ٢١٢ و ٢١٦ . مينو P.G ج ٣٢ ع ٧٨٠ ، ٧٩٢ . ويظهر أن دازيمون كانت كذلك اسم حصن . وقد قيل زمنا انه موضع تمات (رمزى : دراسات بونتيه) . ولكن م . فيتيك أثبت بعد ذلك ان تقات هى دوكيا . والارجح أن دازيمون هى دزمانا الواقعة على ٨ كم من ترخال (قارن بيزنطيون ج ١٠ ، ١) .

(١) رمزى (نفس الكتاب ص ٣٥٤ هـ ٤٤٨) وهو يقول أن الصفصاف موضع سيد بروبوليس المذكورة فى المصادر الرومية : أنظر مثلا تيوفان ، تاريخ ط . دى بور ص ٤٨٢ . أما المنبع الحار الذى تكلمنا عنه عند عرضنا للؤلؤة فيرجح أن يكون الصفصاف أنظر ابن خرداذبه ص ٧٣ و ١٠٠ . ويقول ياقوت أن الصفصاف مدينة بجوار المصيصة (ج ٣ ص ٤٠١) . لسترانج : أقاليم الخلافة الشرقية ص ١٣٤ وما بعدها ص ١٣٩ .

(٢) ويقول المسعودى أن المعتصم دخل أرض الروم من درب السلام (المسعودى : مروج الذهب ج ٧ ص ١٣٥) (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣١) وهو اسم آخر لنفس الدرب بأبواب كيليكيا ، أنظر ابن خرداذبه ص ٧٣ و ١٩٠ .

(٣) مرج الاسقف على الطريق من طرسوس الى قسطنطينية فيما يقول أبن خرداذبه (ص ١٠٢ ، ٧٤) وهو تحديد غير دقيق كما نرى وموضعها عند المخرج الشمالى لدرب طرسوس . ولم نجد اسمها عند ياقوت . ولم نعرف موضعها بالدقة للآن . أنظر ج . ب . بيورى : مجلة الدراسات الهيلينية (بالانجليزية) ج ٢٩ (١٩٠٩) ١٢٤ — ١٢٩ . هـ . جريجوار فى بيزنطيون ج ٨ سنة ١٩٣٣ ص ٥٣٤ — ٥٣٩ ورأينا أن هـذا الاسم هو تحريف للأصل جرى على ألسنة العامة من ملجوب . ويؤيد هذا الفرض أن العرب عرفوا اسم ملقوبية . ويؤيد هذا الرد أن شعر دجنيس اكريتاس يجعل فى ملقوبية معركة بين الروم والعرب . وهى معركة تشبه الى حد كبير معركة ٨٣٣ الشهيرة التى دارت فى مرج الاسقف حسب الرواية العربية . أما ج . ب . بيورى فيقول أن موضع مرج الأسقف هو نازيانزى (نيزى) يعنى قريبا من ملقوبية . مع أنه لم يعرف الواقعة التى ذكرت فى شعر دجنيس . وأنظر=

ما دامت الساقة وقافلة الأمتعة والبالست والمؤمن لم تلحق به (ولم تكن الساقة ومن معها خرجوا بعد من الدرب).

ومضت ثلاثة أيام ثم تسلم اشناس كتاباً من المعتصم يأمره أن يبعث سرية لأسر بعض الروم رجاء الوقوف على معلوماتهم عن الإمبراطور وجيشه. فبعث اشناس لذلك عمر الفرغانى على رأس مائتى فارس جابوا حول حصن قره الذى عرفناه ولكن قائد الحصن علم بالأمر فاستقر بفرسانه على جبل عال محيط برستاق قره بين قره ودره وترقب فيه العرب[1].

وعلم عمر الفرغانى فى الوقت المناسب بالكمين الذى وضع له فقصد دره. فلما جاء الفجر قسم جيشه ثلاثة أقسام جعل لكل قسم دليلين وأمرهم بتصيد أسرى من الروم. ففعلوا ما أمرهم به وأخذوا كثيراً من جند الروم وسكان الناحية وعلموا منهم أخباراً هامة أدلى بها فارس رومى كان الذى أخذه عمر الفرغانى، أدلى بأن الإمبراطور معسكر بجيشه فيما وراء الهيليس على ٤ فراسخ منه وإن قائد قره يتهيأ فى هذه الليلة لإعداد كمين فى الجبل ليفاجىء به العرب.

وخشى عمر أن تقع بعوث الطلاع فى هذا الكمين فأرسل أدلاء لإنذارهم بما يتهددهم ولأمرهم بالقفول إليه.

فاجتمعت البعوث وعادت نحو اشناس[2] بعد أن أخذت عدداً كبيراً من

= فيما بعد التحقيق حول موضع معركة ٨٦٣. وهذا التحديد التقريبى يوافق تفاصيل حملة ٨٣٨ م. ويعارض ذلك م. كنار ونظنه أخطأ: فان المعتصم أمرا تناساً فوقف حول ملجوب وخاف أن يفاجىء جند قرة الرومى بجنبتيه فبعث طلائعه الى الجنوب الغربى من معسكره نحو حس داغ. فأقدمت اسرى روما علم منهم مكان الجيش الأمبراطورى واتصال الحاميات الرومية به بطبيعة الحال. وعلم اشناس كذلك أن الامبراطور معسكر على ٤ فراسخ شمالى الهليس.

(١) ولم نجد عند مؤرخى العرب ذكرا لدرة ولعلها مدينة دوارا فى كبادوكيا وكانت ال عند جستنيان الأكبر تابعة للطوانة حسب التقسيم الكنسى. ثم أن جستنيان جعل مدينة موكيسوس مدينة مطرانية وسماها مدينة جستنيان فصارت تبعية دوارا اليها. ومن الصعب تحديد موقع دوارا تحديدا وثيقا ولعلها مدينة بجور أو حاجى بكتاش الحالية. قارن رمزى نفس الكتاب ص ٢٩٧ — ٢٩٨. أما بيورى فيقول أن دره موضع ذورا — هلفا ديرى.

(٢) وينص الطبرى أنهم ساروا للاتصال باسناس على الهليس. فان صح أن مرج الاسقف التى وقف عندها اشناس ليثبت على الهليس وهو الراجح كان معنى ذلك أن جيش اشناس كان يتقدم فى هذه الأثناء =

أسرى الروم فافضت اليه بما جمعت من المعلومات وفيما يلي مضمونها : إن الإمبراطور معسكر منذ ٣٠ يوماً وراء الهليس يترقب مرور المعتصم للوثوب عليه . وأنه علم حديثاً أن تيوفيل بلغه أن جيشاً عربياً دخل أرض الروم من ناحية جند الأرمناك . وهو الجيش الذى كان اتجه إلى سروح كما عرفنا . ولذلك عين الإمبراطور أحد قرابته على الجيش المعسكر على الهليس[1] وسار بنفسه بجزء من الجيش للقاء الأفشين .

ولما بلغ اشناسا هذا الخبر الهام أسرع فأداه إلى المعتصم[2] .

وأراد المعتصم أن ينذر الافشين بسير أمبراطور الروم إليـه . فأرسل لذلك طلائع من جيشه وأمر اشناسا أن يفعل مثل ذلك . وجعل ١٠ آلاف درهم لمن يبلغ الافشين خطاب الخليفة الذى ينذر فيه الأفشين بسير جيش تيوفيل ويأمره أن يقف حيث هو لا يتحول .

ولـكن الافشين كان قد توغل فى أرض الروم فلم يبلغه أى كتاب .

وفى أثناء ذلك أمر الخليفة اشناسا أن يتقدم بعد أن ضم إليه ماوعده من مدد . وسار الخليفة وراءه بينهما مسيرة يوم . ولم يكن عندهما أى خبر عن مصير الافشين . وكان جيش الخليفة لا يجد ما يكفيه من الماء والمرعى .

وتقول رواية انفرد بها ميشيل السورى[3] أن اشناسا استولى على نيسيا المتهدمة فهدم قلعتها وهى بين الصفصاف وأنقره . والمقصود كما يقول بيورى هو مدينة نيسا الواقعة جنوبى الهليس . فلنا أن نفرض أن نيسا كانت المرحلة الأولى .

وقصد اشناس بعـد ذلك أنقره فلما كان على ثلاثة أيام منها جاءه شيخ من بين الأسرى كان يتوقع القتل كأكثر من كان معـه من الأسرى فقال له : « ما تنتفع

= ولـكن الطبرى صامت . ومع ذلك فنحن نعلم أن اشناسا أمر أن لا يتقدم . فالطبرى إذن مخطىء (كنار) ولـكن كل شىء يتضح إذا قلنا أن مرج الأسقف فى اقليم بجـلوب . وان اشناسا لم يتقدم بمعنى أنه لم يعبر الهليس (قارن ص ٤١٠ من الأصل الفرنسى) .

(١) ابن عمه كما يقول الطبرى جـ ٣ ص ١٢٣٩ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤١) ذيل الأصـل الفرنسى ص ٢٩٧ و ٣٠٠) .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٣٨ — ١٢٣٩ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٠ — ٣٤١ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٩٧) قارن قابل نفس الـكتاب جـ ٢ ص ٣١٢ .

(٣) وقد ترجم شابو نيسيا فجعلهـا نيقية (جـ ٣ ص ٩٥) . ولـكن بيورى أدرك أن المقصود نيس (ص ٢٦٦ هـ ٢) وعلى ذلك فان الجيش لم يعبر الهليس . ثم انظر ذيل الأصل الفرنسى ص ٢٩٨ .

بقتلى وأنت وعسكرك فى ضيق وههنـــا قوم قد هربوا من أنقره خوفاً من أن يحاصرها ملك العرب وهم بالقرب منا معهم الطعـام والشعير وغيرهما ، فوجه معى قوماً لأسلمهم اليهم وخل سبيلى » .

« فسير معه خمسمائة فارس من أهل القوة ودفع الشيخ إلى مالك بن كيدر وقال له متى أراك هذا الشيخ سبياً كثيراً أو غنيمة كثيرة فخل سبيله وسار هو بعد ذلك إلى أنقره وكان بهـا موعده مع مالك بن كيدر . وكانت أنقره فى ذلك الوقت حصناً قوياً[1] .

وسار بهم الشيخ فأوردهم فى المساء على واد سرح فيه الجند دوابهم وأكلوا وشربوا وقادهم الشيخ فى جبـل ليلا فأوجس الجند خيفة وظنوا أن الشيخ يضللهم وقالوا ذلك لمالك بن كيدر . فسأل ابن كيدر الشيخ فأجاب : « هم على حق فإن من نسعى للقائهم ليسوا فى الجبل ولكنى أخشى إن خرجنـا من الجبل ليلا أن يسمع العدو وقع حوافر الخيل على الصخر فيهربوا . فإذا خرجنا من الجبل ولم نجد أحداً

---

(١) أنظر دى جرفانيون (دراسات مختلفة فى آثار أناطولية فى دراسات مختلفة لجامعة سان جوزيف ببيروت جـ ١٣ سنة ١٩٢٨ (ظهر فى يناير ســنة ١٩٣٠) (ص ١٤٤ — ٢١٩) عن قلعة أنقره ، قارن بيزنطيون جـ ٥ ســنة ١٩٢٩ ص ٣٢٧ ، ٣٤٠ وما بعدها . ب . ويتر : تاريخ أنقره فى العصر الوسيط فى دراسات تذكارية .قدمة لجورج يعقوب لعيده السبعينى ليبزج ١٩٣٢ ص ٣٢٩ — ٣٥٤ — وعلى أسوار أنقره نقوش أعدنا نشرها (بيزنطيون جـ ٥ ١٩٢٧ — ٢٨ ص ٤٣٧ وما بعدها ونشرها الأب دى جرفانيون نفس الكتاب . (قارن بيزنطيون جـ ٥ ص ٣٤١) وتذكر هـذه النقوش ترميما لأسوار أنقره على يد امبراطور اسمه ميشيل ويعتقد كيرشهوف (C I G جـ ٤ رقم ٨٧٩٤ — ٨٧٩٥) وفازلييف (فى الأصل الروسى لهـذا الكتاب) أنه ميشيل الثانى ولـكن بيورى : تاريخ الأمبراطورية الشرقية ص ٢٦٦ هـ ٣ أدرك أن المقصود هو ميشيل الثالث . وقد اثبت أن الأمر كذلك حين قرأت تاريخ ١٠ يونيه ســنة ٨٥٩ فى نص جاء فيه أن الذى نفذ العمل هو بازيل الأسباطير الموشح . وهو المذكور كذلك فى نص آخر (بيزنطيون جـ ٥ ص ٣٤١) منقوش على نفس السور وهو نفس بازيل المقدونى الذى أصبح فيما بعد امبراطورا . وانما أصلحت الأسوار فى ٨٥٩ لسبب كارثة ٨٣٨ . والنقش رقم ٢ (بيزنطيون جـ ٤ ص ٤٣٩) يذكر هذه الكارثة « وقد جاء فيه » .

« بكاء على تهديمك واستذلالك على أيدى العرب مرة منذ وقت طويل
فانهضى وأخرجى من قبضة الشريرين
وانفضى عنك هذا الحداد القبيح ... » .

قارن ب . فتيك . نفس الـكتاب ص ٣٣٣ . ومما يجدر ملاحظته أن كل المؤرخين لم يتكلموا عن أخذ العرب أنقره إلا الشاعر صاحب جينيس آكريتاس (قارن بيزنطيون جـ ٥ ص ٣٢٨ وما بعدها) .

فلك أن تقتلنى . ولكنى سأقود الناس إلى الجبل حتى الصباح فإذا كان الفجر قصدناهم ودللتك عليهم وأمنت القتل » وقرّ الرأى على الراحة فى الجبل ليلا .

وفى الصباح أرسلوا أربعة رجال يصعدون الجبل فوجدوا رجلا وامرأة سألوهما عن أهل أنقره وأين قضوا ليلهم فلما أجابوا ، طلب الشيخ إلى مالك أن يطلقهما .

وأسرع جند مالك قاصدين مناجم الملح القريبة التى اختبأ فيها سكان أنقره .

فلما رأى رجال انقرة قرب الجيش منهم أمروا النساء والأطفال بالاختباء فى المناجم وتقدموا بأنفسهم للقتال فهزمهم العرب واستخرجوا من أسرارهم معلومات هامة .

فعلموا أن كثيراً من أهل انقره اشترك فى معركة نشبت بين الأمبراطور والافشين . وكانت أخبار الافشين منقطعة منذ زمن طويل . أما وقعته مع الأمبراطور قد وقعت كما يأتى : —

كان الأمبراطور على أربع فراسخ من الهليس إذ بلغه أن جيشا عربياً دخل أرض الروم من ناحية جند أرمنياك فجعل على قيادة جيشه كما رأينا من قبل أحد قرابته وأمره ألا يتحول وأن لا يجهد نفسه ليوقف تقدم العرب إلا إذا دعا لذلك شىء وأن يتجنب انشاب معركة نظامية . وسار الأمبراطور بنفسه على رأس جيش من الروم والفرس [1] وقصد لقاء الافشين . فى جند أرمناك .

وكان مع تيوفيل منويل وكان ؛ منويل قد عاد من سوريا وحمل منذئذ لقب دمستق الاسكول ، وكان معه أيضا تيوفوب الفارسى [2] .

ووقف جيشه غير بعيد من دازيمون (وهى دزمانا القرية من ترخال اليوم) على كثب من جبل يسميه جنيزيوس وصاحب الصلة (أنزن) [3] .

---

(١) جنزيوس ص ٦٨ . صلة تيوفان ص ١٢٨ . سيدرونس ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢) أما عن تيوفان وتيوفيل قارن بيزنطيون ج ٧ (١٩٣٣) ص ٥٢٠ وما بعدها ج ٨ (١٩٣٤) ص ١٨٣ وما بعدها . وانظر الأصل الفرابى ص ٤١٣ وما بعدها .

(٣) جنزيوس ص ٦٨ : عند القرية للسماة انزن . صلة تيوفان ص ١٢٧ ،سيدرونس ج ٢ ص ١٣٣ عند القرية لمسماه أنزن : وانظر بيورى ص ٢٦٤ — ٢٦٥ عن معركة أنزن . وانظر عن موقعها — اندرسون كيمون — دراسات عن بونت ج ١ ص ٦٨ و ج ٢ ص ٢٤٠ — ٢٤٣ ، وقارن أيضا =

وفى اليوم السابق على الاشتباك استشار أصحابه فى أى الأمرين أحسن : انشاب المعركة ليلا أم نهاراً . وانقسمت الآراء وكان منويل وتيوفيل يفضلان الليل ومع ذلك انتصر الرأى العكسى [١] .

وابتدأت المعركة أول ساعات الصباح من يوم الخميس ٢٥ شعبان (٢٢ يوليه)[٢] وهبت ريح النصر أول الأمر على الروم فأوقعوا برجال العرب خسائر كبيرة حتى هربوا ولكن فرسان المسلمين حولوا الموقف حتى وصلوا عند الظهر فانهزم الروم وهربوا

ــــمار كوارت — أرمنية الجنوبيه (بالألمانية) ٦٧ هـ ٢ . وهو يقول أن اسم انزن مذكور برسم انزيانزور فى تاريخ جورجيا جـ ١ ص ٤٠ ترجمة بروسيه (!) ونجد عند ميشيل السورى سردا بادى الوجدان وصف فيه معركة أنزن ، ولكن ليس فيه تحديد طبغرافى إلا ما جاء من أن الرومان هربوا بعد القتال نحو عمورية . ويقول جنزيوس ان السراقنة عسكروا بقرب دكسيمون يعنى قرب طرحال . أما أنزن فانه مكان لم يعينه أحد بعد . وافترض أنا أن الإسم ليس اسم مكان وأنه اسم الافشين وأن نص المصادر « المعركة الناشبة مع أوسن » وحرفت أوسن الى أنزن وتحرف معها المعنى وقد اشتهرت معركة أنزن عند العرب والروم ولم تلبث أن دخلت فى مجال الأساطير ، ويدل ما لدينا من السرود أن النصر أول الأمر كان للروم حين هاجموا ثم غلب العرب بعد ويذكر كل أصحاب الروايات أن تيوفيل تعرض للخطر حين أحاط به العدو ولكنه أفلح فى الخلاص . فاذا أردنا أن نرسم صورة حقيقية لهذه المعركة سمحنا لأنفسنا أن نلجأ لأوصاف معارك ثلاثة الراجح أنها سورية وهى أوصاف ساق معالمها مؤرخو الروم فى كتبهم أولا نجاة تيوفيل على يد تيوفوب . ثم قصة مشابهة يكون المنقذ فيها منويل . أما اللوحوتيت وميشيل السورى فلا يعرفان إلا معركة ٨٣٨ . ويذكر الأخير بهذه المناسبة حيلة النار التى اشعلت لتسهيل هرب تيوفيل ، بينما ينسب جنزيوس نفس الحيلة الى تيوفوت فى ظروف سبقت هذه . ثم هرب قسم من الروم فى الجزء الأول من المعركة دون انتظار الأمبراطور وهو حدث يذكره ميشيل السورى وهو ما رواه مؤرخو الروم من أن تيوفيل حين لحق بمعظم جيشه اعتذر له من كان هرب من قواده . أما عن منقذ تيوفيل فانه غير مسمى عند ميشيل السورى ويسميه المسعودى نصير وهو فيما يقول تيوفوب ويسميه جنزيوس وصاحب الصلة منويل ويذكرون فضله . ولكن الأرجح أن المسعودى أصح . أما المصدر الروى الذى أحل منويل محل تيوفوب فهو مصدر يمجد منويل فى كل مواقفه وقد تخيل معركة أخرى جعل المنقذ فيها منويل . وهو من قبيل المضاعفات الأسطورية أما قول مؤرخى الروم أن منقذ الروم يعرف الفارسية وأنه استطاع لذلك أن يفهم تآمر الفرس والسراقنة فانه قول ينطبق على قائد فارسى أو فارسى أرمنى مثل نصر — تيوفوب وينطبق كذلك على منويل (فهو غير دليل) .

(١) جنزيوس ص ٦٨ « باليونانية » معارضين للرأى القائل بالهجوم فى اليوم التالى ... صلة تيوفان ص ١٢٧ : « أن يهاجموا نهارا . سيدرونس » : أن يكون الهجوم نهارا . ويقول مؤرخو العرب أن الاشتباك وقع أول الصباح . الطبرى جـ ٣ ص ١٢٤٢ — ١٢٤٣ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٢) (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٠٠) .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥٦ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٣) (ذيل الأصل الفرنسى ٣٠٩) .

وانقطع نظامهم [١] . وطالت المعركة حتى الليل وكان أكثر الروم لا يعلمون أين كان الأمبراطور وافتقده بعضهم فى المعسكر فلم يجدوه . فارتد قسم من الجيش نحو الهيليس وهناك علموا بنبأ محزن وهو أن الجيش الذى تركه تيوفيل هناك لم يطع قائده قريب الأمبراطور وتفرق [٢] .

أما تيوفيل فإنه مكث فى ميدان القتال زمنا بعد هرب جنده ولم يكن معه إلا رؤساء جيشه وعلى رأسهم منويل وحلفاء من الفرس . ولم يوقف العرب هجومهم مع أنهم لم يكونوا لينالوا من وراء الهجوم شيئاً وذلك أن المطر أرخى أوتار سهام المطاردين من الترك .

وسمع منويل فى قول أو سمع بيوفوب فى قول آخر مفاوضات بين الفرس والعرب . كان الغرض منها خيانة تيوفيل . فلما سمعها دعاه وفاؤه إلى جمع جماعة ممن تم إخلاصهم للأمبراطور فأقنعوه بالهرب . فأفسح الأمبراطور لنفسه طريقاً بين جند العدو بعد شىء من العناء وسار حتى بلغ خليوكومن وهو سهل شمالى أمازيا [٣] لجمع به فلول جيشه الهارب . وتروى بعض التواريخ الرومية أن القواد الذين هربوا من المعركة سجدوا عند قدمى تيوفيل وتجردوا من سيوفهم وحكموا على أنفسهم

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٢٤٢ — ١٢٤٣ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤١ — ٣٤٢) . اليعقوبى : تاريخ ج ٢ ص ٥٨١ . المسعودى مروج الذهب ج ٧ ص ١٣٥ — ١٣٦ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٠٠ و٣٣١ و ٣٣٢) . جورج همرتولس ص ٧١٣ = (٨٠٣ بون) = سيميون ماجستروس ص٦٣٨ : وأنشب الامبراطور القتال فانهزم وهرب وعاد بالخزى ولم ينج الا بصعوبة . وسرد جنزيوس لهذه الواقعة مطابق للسرد المعروف فى المصادر العربية ما عدا أن جنزيوس يقول أن الذى تدخل فى اللحظة الحاسمة فرد الشجاعة الى الجيش المنهزم حتى ظفر : لم يكن الفرس ولكن الترك (ص ٦٨) ومثله صلة تيوفان ص ١٢٧ سيدرونس ج ٢ ص ١٣٤ . زونوراس ط . دندروف ج ٣ ص ٤١٦ .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١٢٤٣ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٢) (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٠٠)

(٣) جنزيوس ص ٦٩ : وبلغ خليوكومن (باليونانية) صلة تيوفان ص ١٢٩ : نحو خيلوكومن . سيدرونس ج ٢ ص ١٣٤ : خليوكومن . قارن استرابون ج ١٢ ، ٣ و ٩ ص ٥٦١ ع : باليونانية سهل خليوكومن . . وهو القسم الشمالى من اقليم اماسيا . قارن رمزى : نفس الكتاب ص ٣٢٨ — ٣٢٩ وانظر كذلك حياة القديسة دوروتى الصغرى فى Acta Sanntorum (١٨٦٧) يونيه ج ١ : حياة أبينا المقدس دوروتى الأصغر ومدينته خليوكومن (ص ٥٨٣) . وخليوكومن جبل غير بعيد من أمازيا (سمسون) (نفس الموضع من نفس الكتاب) . قارن جغرافية آسيا الصغرى التاريخية فى العصر الوسيط (بالألمانية) فى Sitz der. Kais. Ak. der Wissenschaften Wien القسم الفيلولوجى التاريخى ج ١٢٤ (١٨٦١) ص ٧٩ دراسات نونيته ج ٢ ، ١٤٤ ج ٣ ص ١٦٠ وما بعدها .

بالموت . ولكن الامبراطور كان يحس أنه نفسه لم ينج من الخطر إلا برحمة ربانية فرحمهم وعفا عنهم [١] .

ثم عاد الأمبراطور مع جنده اليسير إلى موضع جيشه الذى تفرق فأمر بقتل قائده . وأرسل أمره إلى المدن والحصون أن يقبضوا على الهاربين ويجلدوهم ويبعثوا بهم لحرب العرب .

وأرسل خصيا من خصيانه إلى انقرة لحماية أهلها إذا جاءها المعتصم محاصرا ولكن الخصى وصل بعد فوات الفرصة ، وبعد أن خرج أهل انقرة من مدينتهم والتجأوا إلى الجبال .

فلما سمع الأمبراطور ذلك أمر الخصى بقصد عمورية [٢] ، أما هو فارتد إلى درولية (ويروى جنزيوس أنه ارتد إلى نيقية) وأمر أن تأتيه الأنباء عن مدينته التى ولد بها : (عمورية) [٣] .

---

(١) جنزيوس ص ٦٨/٦٩ . صلة تيوفان ص ١٢٨/١٢٩ . سيد روتس ج ٢ ص ١٣٤/١٣٥ . زوناراس ط دندورف ج ٣ ص ٤١٦ . قارن هيرس . دراسات رومية ص ١٤٥ . ويروى جنزيوس عن صاحب صلة تيوفان نص الحديث الذى جرى بين توفيل ومنويل فى موضوع هربهما ولكن سردهما ذو طابع أسطورى ، أما الواقعة نفسها وهى خيانة الفرس ونجاة تيوفيل على يد منويل أو بالأخرى تيوفوب فهى مقبولة وان شك فيها هيرس وادعى أن جنزيوس إنما يكرر بالضبط ما قاله من قبل بمناسبة أخرى (هيرس : نفس الكتاب ص ١٤٦) . أما الصحيح فهو العكس . ويروى المسعودى هروب الأمبراطور أثناء حربه مع الأفشين فيقول أن الأمبراطور فقد عدداً كبيراً من بطارقته وكبار قواده ولم ينج إلا على يد رجل دخل فى المسيحية حديثا اسمه نصير وعلى يد صاحب نصير (المسعودى : مروج الذهب ج ٧ ص ١٣٦) (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٣٢) . فاذا كان تيوفوب صاحب هذا الدور الأساسى فى هذه المسألة ، فانه من المؤكد أن تيوفيل قد أبلى فى الحرب عند أنزن . وذلك أنه لم يلبث أن مات من جروحه فى ذلك اليوم حسب رواية اللوجوتيت .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١٢٤٣ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٢) (ذيل الأصل الفرنسى ٣٠٠) : « ومن اشراف الأسرى الذين أخذهم العرب بعد عمورية رجل يسميه الروم تيودور الخصى الأسباطير الأول » (باليونانية) . قارن جورج هرتولس ص ٧١٣ (٨٠٥ بون) سيميون ماجستروس ص ٦٣٩ والمقصود هو تيودور كرانيروس ويفترض نكتين أنه على الأرجح استرانيج بوسيليس : أعمال الشهداء الاثنين والأربعين ص ٢٠٥ . بيورى ص ٢٦٦ هـ ١ .

(٣) جنزيوس ص ٦٩ : وسار الأمبراطور نحو نيقية وأقام بدرولية ينتظر الأخبار من المدينة التى كانت موطنه (باليونانية) صلة تيوفان ص ١٢٩ . سيد رونس ج ٢ ص ١٣٥ . زوناراس ط . دندورف ج ٣ ص ٤١٧ .

كانت تلك الأنباء ما سمعه مالك ممن أسر من أهل انقرة ، فلما علمها أطلق سراحهم وسراح نسائهم وأطفالهم وأطلق سراح الشيخ كذلك .

ويضيف ميشيل المؤرخ السريانى واقعة دقيقة فيزعم أن نبأ ذاع فى قسطنطينية بعد أن هزم الافشين توفيل كان ارجافا بأن الأمبراطور مات وهم الشعب باختيار ملك جديد . وجاء تيوفيل نذير من أمه . فعاد مسرعا إلى قسطنطينية فنكل بمن اشترك فى هذه المكيدة [١] . وهذه الرواية فى رأينا قريبة القبول ويرجح عندنا ذلك إذا تذكرنا رواية جنزيوس التى تقول أن تيوفيل ارتد بعد هزيمته بقليل إلى نيقية يعنى أنه كان يقترب من العاصمة .

ونحن نفترض أن هذه الثوره التى أوشكت على الظهور إنما كانت ثورة جند الفرس وهم الذين أرادوا تتويج تيوفوب حسب رواية رومية . والواقع أن صاحب صلة تيوفان يروى أن تيوفيل أوجس خيفة من تيوفوب بعد معركة أنزن . ويضيف جنزيوس إلى ذلك شيئا ذا خطر وهو أن الفرس ثاروا فعلا حين عاد الأمبراطور إلى العاصمة وترك تيوفوب وحده قائدا لهم . فسار الفرس عندئذ إلى سينوب فى بفلاجونية أو إلى أماستريس فى قول آخر وتوجوا تيوفوب على كره منه . ويروى جنزيوس هذه الواقعة قبل معركة أنزن ولكن ذلك لا يعتبر مخالفا للروايات الأخرى لأن جنزيوس روى كل ما يخص تيوفوب مرة واحدة دون انقطاع ودون النظر إلى التوقيت . أما صاحب الصلة فيراعى التوقيت . فلاشك إذن أن الواقعة كانت بعد هزيمة انزن . ويؤيد ذلك قول اللوجوتيت وهى خير مصدر رومى . وكل هذا تأييد واضح لرواية ميشيل السورى . ويضيف جنزيوس أن تيوفوب اقنع الأمبراطور ببراءته ونال حظوته من جديد . وهو قول لا يتعارض مع رواية ميشيل السورى : وهى رواية تقول إن الثورة لم تتم . أما جنزيوس وصاحب صلة تيوفان فيقولان إن شكوك تيوفيل فى أمر تيوفوب انما قامت بعد ذلك فى آخر أيام تيوفيل فأمر فى آخر لحظة بقتل تيوفوب وهو قول نظنه أسطورة خلقها الحقد وهو قول لا يتفق مع ما نعرفه من عدل تيوفيل . فإن كان تيوفوب هو نصر كما افترضنا فإن نصرا مات بعد عمورية

---

(١) ميشيل السورى ج ٣ ص ٩٥ . جريجوار أبو الفرج (بارهيبرايس) . تاريخ سوريانى ط بدجان ص ١٤٠ ترجمة بدج ص ١٣٦ .

فى حرب مع أبى سعيد وبشير [١] (أنظر الأصل الفرنسى ١٧٦) كما يروى ميشيل السورى .

ولقى مالك فى أنقره اشناساً . ووصل المعتصم فى اليوم التالى إلى نفس المدينة . وفى اليوم الثالث جاءت أنباء من الإفشين تخبر بقدومه نحو أمير المؤمنين ، وفى اليوم التالى وصل هازم بابك إلى أنقره منضما إلى المعتصم [٢] . فخربوا تلك المدينة[٣] وأثر نصر الافشين وكارثة الجيش الرومى به أثراً بالغا بطبيعـــة الحال فانكسرت شجاعة الامبراطور و نسى حملته الظافرة فى العام المـاضى وبعث إلى المعتصم رسلا وأمرهم بالشرح وبذل الوعود المذله وادعى تيوفيل أن قواده تجاوزوا أوامره عند أخذ زبطره ووعد ببناء المدينة المخربة على نفقته وأن يعيد إلى الخليفة سكان زبطره مضافا اليهم كل من كان عنده يومئذ من أسرى العرب . وأن يسلم كذلك من الروم من أباح لهم البطارقة أن يسلكوا سلوكا مخزيا عند أخذ زبطره [٤] .

فلم يصغ المعتصم لتوسلات الامبراطور وهزىء برسله واتهم الروم بالجبن وحجز الرسل إلى أن أخذ عمورية [٥] .

وكان الخليفة قصد عمورية بعد تخريبه أنقره . وقسم جيشه ثلاثة أقسام وجعل بين كل قسم والآخر فرسخين وجعل نفسه بالقسم الاوسط وجعـل اشناسا على

---

(١) بيزنطيون جـ ٩ (١٩٣٤) ص ١٩٢ .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٤٤ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣/٣٤٢) (ذيل الأصل ص ٣٠١) . قارن فايل نفس الـكتاب جـ ٢ ص ٣١٢ .

(٣) قارن بن خوداذبه ص ١٠١ ، ٧٤ والمسعودى (ذيل الأصـل ص ٣٣٤) وهو يذكر بيتين للشاعر حسين بن الضحاك فى مدح المعتصم . قارن بعد فى الأصل ص ٣٣٤ و ٣٩٩ و ٤٠٤ و ٤٠٥ . « لم تترك من انقره شـيئا وهدمت عمورية الحصينة » ويقول ميشيل السورى (جـ ٣ ص ٩٥) بالنص وأمر الملك أن يهدم سور أنقره وكان مبنيا بحجارة كبيرة مقطوعة . وأخذ الطائيون تسع عربات ممن بقى من أهل أنقره وحملوهم معهم الى معسكرهم » ويشهد على تخريب أسوار أنقره نقش أمر بحفره ميشيل الثالث فى ٨٥٩ حين جدد القلعة . أنظر أيضا ١٥٢ هـ ٢ من الأصل الفرنسى .

(٤) اليعقوبى : تاريخ جـ ٢ ص ٥٨١ (ذيل الأصل ٢٧٥) .

(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥٤ (ذيل الأصل ٣٠٩) . جنزيوس ص ٦٥/٦٤ : « واحتقر الرجاء وهزىء بالرسل واتهمهم بالجبن ومنعهم من السير » . صـلة تيوفان ص ١٣٠/١٢٩ . سيد رونس ص ٦/١٣٠ جـ ٢ .

الميسرة والافشين على الميمنه . وأمرهم أن يأخذوا كل الناس دون نظر إلى سنهم أو جنسهم وأن يخربوا القرى ويحرقوها .

وكانت عمورية يومئذ فى أزهر أيامها . وكانت موطن الاسرة الحاكمة فى قسطنطينية والراجح أن ميشيل الثانى كان رفع بلده إلى أسقفية رئيسية مستقلة . ثم رفعت بعد قبل عام ٨٨٦) إلى مطرانية [١] . وكانت عمورية إلى ذلك حصنا قويا . فان سورها كان يشمل أربعة وأربعين برجا [٢] .

واستغرق السير إلى عمورية سبعة أيام . وكان اشناس أول من وصل فنزل على ميلين من المدينة ووصل بعده المعتصم ثم وصف الافشين فى اليوم الثالث . وجعل لكل قائد جزء معينا من سور المدينة ليهاجمه من ناحيته ويرى الطبرى أن كل واحد أصابه من برجين إلى عشرين .

بدأ الحصار أول أغسطس [٣] وكان العرب أحسنوا الاستعداد له [٤] . أما أهل عمورية فعقدوا العزم على المقاومة وأبلوا أصدق بلاء فى دفع جند الخليفة فظل الخليفة وقتاً طويلا لا ينال منهم شيئاً . ويقول ميشيل السورى أن الملك حين رأى مناعتها حفر عندها خنادق يحتمى بها . ابتدأ الهجوم فقذف المهاجمون من مجانيقهم أحجاراً ضخمة وحجبت ظلال سهامهم الشمس وقتلوا جميع من كانوا على

---

(١) لم تكن عمورية وقت الحصار فى ٨٣٨ مطرانية كما يقول الرأى السائد ولا فى ٨٦٠ من غير شك وإنما أصبحت كذلك بين ٨٦٠ و ٨٦٦ وذلك على الأرجح تمجيدا للشهداء الاثنين والأربعين لا تمجيدا للأسرة الحاكمة . أنظر فى ذلك مقال م . ا . هونجمان فى بيزنطيون جـ ٩ ، ١٩٣٤ ص ٢١٠ .

(٢) ابن خرداذبه ص ٧٩ و ١٠٧ ياقوت جـ ٣ ص ٧٣٠ — ٧٣١ .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٤٤ — ١٢٤٥ . قارن ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٣ (ذيل الأصل ٣٠٩) . ويروى الطبرى أن الحصار بدأ يوم الجمعة ٦ رمضان ٢٢٣ : أول أغسطس ٨٣٩ (الطبرى جـ ٣، ١٢٥٦) (ذيل الأصل الفرنسى ٣٠٩) ولم تحدد المصادر الرومية المعروفة تاريخا ولكن نجد فى إحدى الروايات عن شهداء عمورية الاثنين والأربعين (رقم ١٥٣٤ وأمون ، سرد موجز ص ٨٢ — ٨٣) ما يؤيد الطبرى ، أول أغسطس من السنة الأولى يعنى ٨٣٨ قارن النص اليونانى من حياة الشهداء الـ ٤٢ الخ ط ١ فازلييف . سان بطرسبرج ١٨٩٨ (مطبوعات أكادمية العلوم الأمبراطورية (بالروسية) قسم التاريخ والفيلولوجيا جـ ٣ ص ١٠ ثان ص ٤) أعمال الشهداء الـ ٤٢ ط . نكتين وفارليفسكى ص ٤٢ (فى أول أغسطس) . بيورى ص ٢٦٧ هـ ١ .

(٤) جنزيوس ص ٦٥ . وجعل حول بلد الامبراطور خنادق من كل ناحية وأراد أخذها (باليونانية) سيد روتس جـ ٢ ص ١٣٥ . ووضع الحصار على المدينة مباشرة فى مثابرة لا تعرف الملل (باليونانية) .

الأسوار . وكان رماة آخرون يرمون من عجلات مغطاة تحمى الموكلين بالنقب تحت السور . وكذلك كان أهل المدينة يقذفون المحاصرين بأحجار مقاليعهم ومجانيقهم وسهامهم ويقتلونهم . ويدهدهون عليهم الأحجار فتدركهم وتقتل من يقترب من السور ، ويثيرون عليهم بما يلقون من التراب سحاباً كثيفاً من التراب » .

فمات من الجانبين آلاف من الناس فى الأيام الثلاثة الأولى من القتال[1] . ولعل العرب فكروا حينئذ فى رفع الحصار والارتداد[2] . لولا أن وجد من أهل عمورية خائن أسلم المدينة إلى الخليفة . وقد كان مسلماً أسره الروم فدخل فى المسيحية وتزوج رومية . فلما كان الحصار غادر المدينة سراً ولحق بالخليفة ودله على مكان من السور يسهل دكه بسهولة . وذلك أن المطر أحدث سيلا هبطت منه الأرض فوقع قسم من السور . فلما سمع الأمبراطور بالخبر أمر قائد عمورية ببنائه فأهمل القائد أوامر الامبراطور حتى علم أن تيوفيل غادر قسطنطينية فخاف غضبه فبنى الثغر بناءاً غير متين وجعل على السور أسناناً شبيهة بالأسنان الأولى[3] .

فلم يكد المعتصم يجمع مجانيقه فى هذه الناحية حتى وقع قسم من الحائط . فلما

---

(١) جورج همرتولس ج ١٢ (٨٠٦ يونيه) : سيميون ماجستروس س ٦٣٨ : « وصل أمير المؤمنين بقوة كبيرة وخندق حول عمورية وشن عليها هجمات كبيرة . فلم يقو على تخريبها لأن أهلها حاربوا فى كرامة وثبات . جنزيوس س ٦٥ : « وثبتت المدينة (عمورية) فلم يكن المدافعون عنها فى داخلها ممن أرسلهم الأمبراطور اليها لم يظفروا فانهم اثبتوا للمدينة أنهم حماتها المتميزون بشجاعتهم وخبرتهم . صلة تيوفان س ١٣٠ : وماته من الطرفين رجال كثيرون من المحصورين والمحاصرين ولم ينل المهاجمون شيئاً زمناً طويلا وأحسوا بعظم الخطر لقتل كثير منهم . ويضيف صاحب صلة تيوفان فى نفس المكان أن القتلى ملكوا فى حصار عمورية ٧٠ ألفا وهو رقم ظاهر المبالغة . سيدرونس ج ٢ ص ٧١٣ .

(٢) أنظر جورج همرتولس ، س ٧١٣ (٨٠٥ بون) : وأراد أمير المؤمنين العودة . صلة تيوفان س ١٣٠ : وكادوا يعودون إلى بلادهم بالخزى . سيدرونس ج ٢ س ١٣٥ : وهاجم السراقنة المدافعين عن أسوار المدينة . ولكن الروم الذين كانوا فيها كانوا معتزين بقوتهم يحاربون فى شجاعة وبطولة ويردون عن مدينتهم آلات الحصار فى يسر . زوناراس طـ . دندورف ج ٣ س ٤١٦ : فلم يهدم (العرب) منه (السور) شيئاً لأن الذين كانوا وراءه كانوا يدافعون بقوة حتى يئس العرب من قدرتهم على تخريب المدينة . قارن فايل نفس الكتاب ج ٢ س ٣١٢

(٣) الطبرى ج ٣ س ٢٤٥ (ابن الأثير ج ٦ س ٣٤٣) (ذيل الأصل ٣٠٢) . فايل ج ٢ س ٢١٤ وروايات مؤرخى الروم على كثير من الاضطراب فيما يخص الحائط . وأنظر فى ذلك ما يقال بعد فى الأصل عربى ١٦٨ — ١٧٠ .

رأى الروم الثغرة أرادوا سدها بالخشب وبطنوه بالجير لتخفيف دفع الأحجار ، وظلوا على ذلك زمناً حتى أحدث تكرار الضرب المتصل كسرا فى الخشب وتداعى كل السور من هذه الناحية [١] .

فعزم قائد عمورية ايتيوس ، والخصى الذى كان تيوفيل قد أرسله أن يكتبوا إلى الامبراطور كتاباً يخبرونه فيه بتهدم السور وموقف الروم الخطير وبقوة الجيش العربى المحاصر وبعزم ايتيوس على الخروج ليلا وافتتاح طريق بين الأعداء للاتصال بالإمبراطور ، وأضاف ايتيوس فى الكتاب : ليكن ما يكن ولينج من يستطيع النجاة ويهلك من يلقاه الهلاك [٢] .

وسلموا خطاب تيوفيل إلى رجلين ، أحدهما عبد رومى والآخر رجل يتقن العربية فخرجوا من المدينة ولم يكادوا يجاوزون الخندق حتى وقعوا على جند عمرو الفرغانى فسألوهما من أين جاءوا فأجابوا : نحن من رفاقكم ولكنهما عجزا عن ذكر شىء من أسماء قواد العرب وعجزا عن الإجابة عن السؤال الثانى وهو من أى كتيبة هما ؟ فعرفوا أنهما جاسوسان وأمر عمرو الفرغانى بإرسالها إلى المعتصم ففتشهم ووجدوا خطاب ايتيوس .

فلما قرأ الخليفة الكتاب أهدى لرسولى الروم هدايا فدخلا فى الإسلام . ثم ألبسهما فى اليوم الثانى أغلى الثياب وأمر بعرضهما على طول الأسوار وتقريبهما من البرج الذى ظن أن فيه إيتيوس . وسير أمامهما رجلين يحملان المال وفى يدهما الكتاب . فلما رأى إيتيوس ومن معه من الروم هذا المنظر غير المتوقع تعالت أصواتهم بسب الخونة من أعلى السور [٣] .

---

(١) ويقول ميشيل السورى (جـ٣ ص ٩٨) : ثم دلوا الملك على نتوءة فى الحائط . فجمعوا عليها المجانيق والعرادات . فلما ضربوا هـذه الثغرة يومين انشقت الثغرة فجأة وعلت أصوات من الداخل وهلل من فى الخارج . فوضعوا فى الثغرة من ماتت من قتلاهم وسدوها بالجثث وحتى لم يستطع المحاصرون الدخول منها فغضب أبو اسحق وجمع مقاربته وتركه وقدمهم وجعل من خلفهم جنده العرب . وأمر أن يقتل من يتراجع »

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٤٦ . قارن ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٣ (ذيل الأصل ص ٣٠٢) .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٤٦ (ذيل الأصـل ٣٠٣) ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٣ — ٣٤٤ . قابل نفس الكتاب جـ ٢ ص ٣١٤ .

وعمد المعتصم بعد ذلك إلى الجد فى الحرب ليحرم على المحاصرين أى فرصة للخروج من المدينة . وجعل على عسكره حرساً دائماً من الخيالة . وخصص جماعة لا ينامون إلا على خيولهم .

وكان المعتصم حين اقترب من عمورية عاين اتساع خندقها وعلو أسوارها فعزم على الاستيلاء على المدينة بالطريقة الآتية : أمر ببناء عرادات عالية على الأسوار يديرها أربعة رجال . ووضع العرادات على منصات محمولة على عجلات . وجعل مع العرادات أبراجا تتحرك على عجل وتتسع لعشر رجال . ثم اتخذ العدة لطم الخندق وإنما أمر بهذا ليتليء الخندق إلى حافته حتى إذا استوت الأرض قربت الأبراج السيارة من الأسوار ليسهل بذلك الإستيلاء على المدينة .

ولكن الروم قذفوا أحجارهم فألقى العرب الجلود كيفما اتفق ولم يمتلىء الخندق فأمر المعتصم بإلقاء التراب فوق الجلود وقرب برجا من الأسوار ولكنه فسد عند منتصف الخندق لم يجاوزه وكاد يهلك من فيه من الجند لذلك [1] .

وهكذا انتهت بالفشل التام أول محاولة بذلها المعتصم للاستيلاء على عمورية .

وفى اليوم التالى أمر المعتصم بالهجوم .

وكان اشناس وجنده أول مهاجم . فلم ينل أى نصر ظاهر لأن القتال لم يكن ممكناً إلا على مسافة الثغر القصيرة . فأمر المعتصم باحضار المجانيق وجعل يقذف بها أطراف الثغرة ومضى اليوم الأول من الهجوم دون الوصول إلى نتيجة حاسمة .

وفى اليوم التالى هاجم الافشين وجنوده . فأبلوا فى القتال وتقدمهم المعتصم يرقبهم من أعلى فرسه وحوله اشناس والافشين وقواد آخرون على خيولهم وترجل حوله من دونهم من القواد . فقال المعتصم مظهراً رضاه « ما أجمل القتال اليوم » وكان عمرو الفرغانى غير بعيد فاضاف « هو خير منه بالأمس » .

فلما سمع اشناس هذا الكلام وكان قائد الأمس أحس أنه المقصود بالإهانة ولكنه كظم غيظه . فلما كان الظهر تفرق المعتصم وقواده ليأكل كل منهم فى خيامه فكان عند خيمة اشناس حدث ذو مغزى لأنه كما يرويه الطبرى يكشف لنا عن

---

(١) الطبرى حـ٣ ص ١٢٤٧ — ٨-١٢٠ (ذيل الأصل ٣٠٤) ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٤ .

مؤامرة دبرت حينئذ بين عـدد من القواد لاغتيال المعتصم والمقربين منه لصالح العباس ابن المأمون الخليفة السابق .

فلما اتجه اشناس الى خيمته قال بصوت الحانق لمن كان يمشى أمامه من القواد وكان منهم عمرو الفرغانى واحمد بن هشام « ياأولاد الاماء ما مشيكم أمامى ؟ أما كان عليكم أن تحسنوا القتال أمس » فلما وجدتم أمام الخليفة قلتم ما أحسن القتال اليوم كما لو كان غيركم الذى قاتل بالأمس . اذهبوا الى خيامكم » .

فلما ابتعد عنه عمرو الفرغانى وأحمد بن خليـل دار بينهما الحديث الآتى . قال محمد : « ما ترى هذا العبد ابن الفاعلة يعنى اشناساً ماصنع بنا اليوم . أليس الدخول الى بلاد الروم أهون من هذا الذى سمعناه » . فقال عمرو الفرغانى لأحمد ابن الخليل وكان عند عمرو يا أبا العباس سيكفيك الله أمره عن قريب ، أبشر . فأوهم أحمد أن عنـده خبراً فألح عليه احمد يسأله فأخبره بما هم فيه . وقال ان العباس بن المأمون قد تم أمره وسنبايع له ظاهراً ونقتل المعتصم واشناساً وغيرهما عن قريب ثم قال له أشير عليك أن تأتى العباس فتقدم فتكون فى عداد من مال اليه .

واقتنع احمد ،فارشده عمرو الفرغانى إلى الحارث السمرقندى قرابة سلمه بن عبيدالله ابن الوضاح وكان المتولى لايصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعـة عليهم . فقال له احمد : أنا معكم إن كان هذا الأمر يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام وإن جاوز ذلك فليس بينى وبينكم عمل . ولـكن العباس نفسه قال « ما كنت أحب أن يطلع الخليلى على شىء من أمرنا أمسكوا عنه » ولا تشركوه فى شىء من أمركم . فأمسك أصحـاب العباس عنه [1] » .

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٢٤٨ — ١٢٥٠ (ذيل الأصل ٣٠٥) ويروى ابن الأثير (ج ٦ ص ٣٤٤ ٣٤٥) نفس الشىء ملخصا . قارن ڤايل ج ٢ ص ٣١٦ . ومن الراجح جـدا أن العباس بعد أن دبر مؤامرته اتصل بالامبراطور تيوفيل . ويروى ميشيل السورى (فى النص الأرمنى) أن العباس كان ينوى الدخول فى النصرانية (تاريخ ميشيل السورى ص ١٠١) ولـكن الأصل السريانى (ميشيل ج ٣ ص ١٠١ ترجمة شابو) لايقول ذلك وليس فيما يرويه من اعلان المعتصم عن نفس الموضوع إشارة الى هـذه النية . فأنه قال إن الملك (المعتصم) كتب خطابا « ليعلم جميع الناس أن العباس بن المأمون عدو الإسـلام وأنه ارتضى أن يسلم الطائيين الى أيدى الروم فليلعنه جميع الناس » قارن ڤازلييف (فى كلامه على حياة القديس تيودور الرهاوى ط . بوميالوفسكى) مجلة وزارة المعارف العمومية الروسية) ج ٢٨٦ — ١٨٩٣ ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

فلما كان فى اليوم الثالث كانت الحرب على المعتصم وأصحابه وكانت مهمتهم ثقيلة وكان معهم المغاربة[1] والأتراك والقيم بذلك ايتاخ . وتحولت الحرب لصالح العرب.

ولم يزل الأمر كذلك والروم يدافعون عن الثغرة وهى تتسع يوما بعد يوم وهم يفقدون كثيراً من رجالهم وكان الموكل بالموضع المنثلم من السور رجلا اسمه وندو[2] وقد أثقله الهجوم حتى أصبح غير قادر على الاستمرار فى صد اندفاع العدو عليه بما بقى معه من الجند ولم يمده باطس ولا غيره بمدد من الروم فطلب منهم المدد وقال لهم « إن الحرب على وعلى أصحابى ولم يبق معى أحد إلا قد جرح فصيروا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا وإلا افتضحتم وذهبت المدينة »

فلم يدهشه إلا رفضهم وأغلظوا الرفض وقالوا « سلم السور من ناحيتنا وليس نسألك أن تمدنا فشأنك وناحيتك فليس لك عندنا مدد »

فقلب الأمر هو وأصحابه بعد هذا الرد ولم يجد مخرجاً إلا أن يعزم الخروج إلى المعتصم ويسأله الأمان لذريته على أن يسلمه الحصن بما فيه من السلاح والمتاع وغيره

فلما أصبح خرج حتى وصل إلى المعتصم وقال لأصحابه ألا يحاربوا حتى يعود[3]

ولكن العرب اتبعوا عندئذ خطة الغدر فبينما وندو يكلم المعتصم يتقدم الجند المسلمون ويقتربون من الأسوار شيئاً فشيئاً حتى يبلغوا الثلمة ، على حين أمسك الروم عن الحرب طاعة لأمر رئيسهم ولم يتحركوا للدفاع بل اقتصروا على الاشارة إلى المتقدمين أن يكفوا .

وخرج المعتصم ووندو حينئذ من الخيام وقد انتهى الحديث وإذ عبد الوهاب

---

(١) لم يكن هؤلاء المغاربة من شمالى افريقية ولكن المسعودى (جـ ٧ ص ١٢٩) يقول أنهم مصريون يسمون بالمغاربة « تارن اون كريمر تاريخ الثقافة جـ ١ ص ٢٣٥ . ولم يصف الهم سودان ومورسك إلا فيا بعد . وهم يسمون لموريسك عند نيقيل السورى جـ ٣ ص ٩٨ .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥٠ ٨ (ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٥) وهو يقول أن معنى باطس بالرومية « الثور » (ذيل الأصل ٣١٦ وص ١٦٨ ، ١٨٨ وما بعدها من الأصل) .

ويروى أيضا « أن السور من ناحيتنا منثلم كذلك » وهو اعتبار آثم فى تفسير رد وندو (أنظر ذيل الأصل ص ٣٠٦) .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥٠ — ١٢٥١ (ذيل الأصل ٣٠٦) ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٤٥ .

ابن علي أحد أخصاء الخليفة يومىء إلى الناس لجأة بيده أن ادخلوا المدينة فدخل العرب مدينة عمورية دون مقاومة [1]

---

(١) ويروى الطبرى فصلا ذا مغزى وقع بين المعتصم ووندو : حين رأى وندو جند العرب يدخلون المدينة ضرب بيده الى لحيته فقال له المعتصم مالك قال جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامى فغدرت بى فقال المعتصم كل شىء تريد أن تقوله فهو لك علىّ من . شئت فانى لست أخالفك وقال وندو : كيف لا تخالفنى وقد دخلوا المدينة . ولكن المعتصم تابع يقول « اضرب بيدك الى ما شئت فهو لك » وبقى وندو بعد ذلك فى مضرب المعتصم (الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٢ (ذيل الأصل ٣٦٧) . ورواية م . كنار الأسطورية المخالفة لهذه) . قارن ابن الأثير ج ٥ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

الروايات عن أخذ عمورية : يتفق مؤرخو العرب والسريان والروم على نقطة يجب أن تعتبر تاريخية صحيحة : وهى أن المدينة أخذت غدراً . وأن الغادر الأساسى اسمه بوديتزيس أو شيئا من هذا القبيل (Βοιδιτζης) حسب صلة تيوفان واللوجوتيت ، وحلى لقبه مشتق من الثور « بودين » حسب جنزيوس ويسميه ميشيل السورى بودين وهو وندو عند الطبرى . ثم أن الطبرى يذكر الغدر مرتين متعاقبتين : كان الغدر الأول حين دله رجل من العرب على الناحية الضعيفة من السور . وكان هذا الرجل كما يروى الطبرى مسلما أسر واعتنق المسيحية . ويظهر أن ميشيل السورى علم به (على عكس ما يستنتج بيورى) لأنه يقول « ودل الملك (المعتصم) على ثلمة فى السور » وقد ذكرت احدى الروايات الرومية هذا الغدر الأول فهو إذن أمر تاريخى صحيح . ولكن هذه الرواية وهى رواية اللوجتيت تحيط هذا الغدر الأول بصفة أسطورية فتروى أن هذا الغادر الأول كان فلكيا تلميذا لليون الفيلسوف . أما صاحب صلة تيوفان فانه يجمع الغدرين فى غدر واحد فانه عرف من غير شك هذه الرواية منسوبة على الأرجح لليون الفيلسوف نفسه . ولكنه حرفها بقصة اشتقاقية ويروى أن بوديتزيس رمى سهما نزل فى معسكر العرب وحمل فيه رسالة نصح فيها العرب بأن يهاجموا السور من مكان فيه ثور من الحجارة وأسد من الرخام . ومما له دلالته أن المسعودى يتحدث عن : بطريق اسمه لاوى (ليون ؟) قلنا إذن أن نعتقد أن الغادر الأول كان يسمى حقيقة ليون . وهو الذى جعلته الأسطورة ليون الفيلسوف . فلما استبان بعد ذلك عن الحق قيل أنه أحد تلاميذ ليون ثم قيل أنه أسد من رخام ولكن اللوجوتيت يتحدث عن غادر ثالث اسمه مانيكوفاجوس (جورج مرتولوس ص ٨٠٥ بون) ولكن هذا الغادر مذكور الى جانب بويديتزيس . ويعتقد نكتين (أعمال الشهداء الـ ٤٢ ص ١٩٤) أن مانيكوفاجوس ليس إلا الغادر الأول . ولعل مانيكوفاجوس فى مبدأ أمر الرواية انما كان لقبا لليون . وبما أن الطبرى يذكر أن الغادر الاول كان أسيرا مسلما فانه لقبه : مانيكوفاجوس (الذى أكل الحديد) لقب يناسب حالته كل المناسبة . فان صح هذا الفرض فهو تأييد قوى لرواية الطبرى

أما عن تفاصيل الحصار الأخرى ، فلنلاحظ خلافا بين ميشيل السورى والطبرى . أما الروم فلا يذكرون شيئا عن الوفادة على الخليفة تلك الوفادة التى اقتضت الغدر . أما الطبرى فيقول أن وندو جاء المعتصم وحده . أما ميشيل السورى فيسوق رواية أكثر تفصيلا ورجحانا فيقول « عندئذ طلب الروم القدوم على المعتصم فأذن لهم فتقدم أسقف وثلاثة من الأشراف وعرضوا عليه إخلاء المدينة والخروج منها » ثم ان الجزء الثانى من سرد ميشيل السورى غير مقبول إذا قيس بسرد الطبرى . فان ميشيل يضيف أن الغادر بودين غادر الرسل حين رجوعهم الى المدينة وعاد الى المعتصم ووعده أن يسلمه المدينة ثم انه لحق بالمدينة ونفذ وعده . والصواب أن تعتمد السرد العربى وقد نقلنا ذلك فى المتن فهو أكثر قبولا فى المطلق ، وأن نتبع رأى بيورى الذى يقول ان عودته للمدينة أمر غير مقبول لأنه وضح عند أصحابه انه ينوى الغدر ولو عاد الى المدينة لقبضوا عليه اللهم الا اذا كان متواطئا مع ياطس (ولا شىء يدعو للشك فى أمر ياطس) . ==

وجاءت طائفة من المنهزمين إلى الكنيسة الكبيرة من دير عمورية فقاتلوا قتالا شديداً أمداً طويلا حتى أحرق الناس الكنيسة عليهم (١) . واجتمع آخرون فى برج ياطس . فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوقف حذاء برج ياطس . فصاح العرب ياياطس هذا أمير المؤمنين . قولوا له هذا أمير المؤمنين ، فصاح الروم من فوق البرج ليس ياطس هاهنا ، فضى المعتصم فى طريقه وقد ملأه الغيظ وإذا الروم يصيحون من فوق البرج ، هذا ياطس ، هذا ياطس ،

فرجع المعتصم إلى حيال البرج ثم أمر بسُلّم وصعد عليه الحسن الرومى غلام لأبى سعيد محمد بن يوسف ليفاوض ياطس فاقنعه أن ينزل على حكم الخليفة فقبل المعتصم وأمر ياطس أن ينزل .

فخرج ياطس متقلداً سيفاً حتى وقف على البرج فخلع سيفه من عنقه ودفعه إلى الحسن ثم نزل ياطس فوقف بين يدى المعتصم وهو محنق وأمر أن يؤتى به إلى خيمته (٢) .

أخذت عمورية على الأرجح فى ١٢ أغسطس (٣) ثم استولى الناس على عدد

= أما بتحويل مانيكوفاخوس إلى فلسكى أو القول بأنه ليون الفيلسوف (أو تلميذه كما يقول اللوجوتيت) فقد جاء عن طريق الاعتقاد فى التنبؤ وهو اعتقاد شائع فى حياة القديسين الروم (ايستراتيه اجاوروس) وشائع عند العرب .

(١) أنظر تفصيلات أخرى عند ميشيل السورى ج ٣ ص ٩٩ .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٢ و ص ١٢٥٣ عن أمر ياطس (ذيل الأصل ٣٠٧) ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٦ ويشير اليعقوبى (تاريخ ج ٢ ص ١٢٥٢ — ١٢٥٣) إلى أسر ياطس ذيل الأصل ٢٧٥ قارن قابل نفس الكتاب ج ٣ ص ٢٧٥ .

(٣) الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٦ (ابن الأثير ج ٦ ص ٣٤٩) (ذيل الأصل ٣٠٩) ويروى الطبرى أن المعتصم خرج عن عمورية بعد أن مضى ٥٥ يوما على بدأ الحصار ولا يذكر شيئا عن طول الحصار نفسه ويذكر ميشيل السورى ج ٣ ص ١٠٠ أن تخريب عمورية كان فى تموز (يوليه) وأن الحصار دام اثنى عشر يوما . ويذكر نفس المؤلف فى نفس الصفحة تنبؤا غامضا يربط بين نهاية أمر عمورية ونهاية ملك العرب (قارن فى ذلك فازلييف تاريخ امبراطورية الروم ج ١ ص ٣٦٥) . ويقول اليعقوبى ان عمورية أخذت يوم الثلاثاء ١٧ رمضان يعنى ١٢ أغسطس (ج ٢ ص ٥٨٠) (ذيل الأصل ٢٧٥) ، ويضيف أن مدة الحصار اثنى عشر يوما . ويؤيد ذلك ما جاء فى حياة القديسة تيودورا (ط . ريجل — Analecta Byz. russica ص ٩) وهو مأخوذ من غير شك عن جنورج هرتولس الذى روى أن العرب حاصروا عمورية خمسة عشر يوما من أغسطس وكان يحميها ٥٠ من قواد الروم (ص ٢٩٢ بون) ولم يحدد جنزيوس لا صاحب الصلة مدة الحصار . قارن قابل نفس الكتاب ص ٣١٤ ويذكر فازلييف =

وفير من الأسرى من النساء والأطفال والغنائم المختلفة . وقد وقع فى الأسر من الأشراف غير ياطس تيوفيل البطريق الاستراتيج . وتيودور الخصى الأسباطير الأول الملقب بلقب كراتيروس يعنى القوى وقسطنطين الدرنجار السباق وباسويس وغيرهم . ثم أسر بعد ذلك والى تورما قلونية واسمه كالتوس مليسوس [1] ويظهر أن المدينة أحرقت ، وذلك أن ميشيل السورى يروى أنه كانت بها أديرة رجال ونساء كثيرة حتى بلغ من أخذ من السبايا أكثر من الف عذراء غير من قتل منهن . فقسمن على الموالى الترك والمغاربة وأسلمن إلى مهانتهن والمجد للحكمة المغيبة » [2] .

وأمر المعتصم مترجم بازيل أن يميز بين أشراف الروم وأغنيائهم وباقى الأسرى ثم أمر بقسمة الأسرى على قواده الأربعه . أشناس . الأفشين . ايتاخ وجعفر الخياط فبيعت المقاسم فى خمسة أيام بيع البعض وأمر بالباقى فضرب بالنار . ثم قتل من أهل عمورية أربعين ألفاً .

ولم تمر قسمة الغنائم فى سلام . وذلك أن بعض الناس وثب فجأة على نصيب إيتاخ ولم يكف الناس عن الانتهاب إلا بفضل المعتصم فإنه ركب بنفسه ركضاً وسل سيفه فتنحى الناس من بين يديه عن النهب .

فلما جاء اليوم المعين لبيع النساء والأطفال والعبيد رؤى تعجيل البيع فكان ينادى على الأسرى لمن زاد بعد ثلاثة أصوات وينادى عليهم خمسة خمسة وعشرة عشرة [3] . وأمر المعتصم فيما يروى السورى أن لا يفرق بين الولد وأبويه .

= فيو مصيب فى طبعته الروسية عن الروم والعرب ان الحصار دام حسب رواية الطبرى الى ٢٣ أو ٢٤ سبتمبر ولكن انظر نكتين (Ad Acta XLII martyr Amor ص ٢٤٣) وبيورى ص ٢٦٧ هـ ١ . ويؤيد قصر مدة الحصار ما جاء فى حيــاة القديس ايستراب أوجاريوس (ط . بابادوبولوس — كرامبوس ج ٤ ص ٣٧٦ — ٤٠٠ فقرة ٢٠/٢١ .

(١) جورج همرتولس ص ٧١٢ (٨٠٥ بون) — سيميون ماجسترس ص ٦٣٩ — ليون النحوى ولا يذكر جنزيوس أسماءهم . واعا يقوله (باليونانية) : ان جميع القواد ساروا فى الأسر نحو سوريا ومعهم البطارقة وغيرهم من أهل الشرف (ص ٦٥) . روباراس ج ٣ ص ٤١١ . ولكنا نجد هذه الأسماء مذكورة فى الرويات المختلفة عن أمر شهداء عمورية الـ ٤٢ . قارن ص ١٤٧ من الأصل و ٢٣٠

(٢) قارن ميشيل السورى جـ ٣ ص ١٠٠ .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٢٥٣ — ١٢٥٤ (ذيل الأصل ٣٠٩) . قارن رواية ابن الأثير المختصرة جـ ٦ ص ٣٤٦ .

وكان ملك الروم قد وجه رسلا إلى المعتصم كما رأينا حين انتصر الافشين فحجزهم المعتصم حتى أخذ عمورية ثم سرحهم بالازدراء والمهانة [١] .

ولم ير المعتصم الحملة انتهت بعد أخذ عمورية وذلك انه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج فى أثره أو يريد العبث بالعسكر على الأقل . ولذلك مضى فى طريق الجادة الأمبراطورية مرحلة فلم يبق عدواً فرجع إلى عمورية ثم نزل وادى الجور [٢] وهو إقليم شديد الإقفار نادر الزرع . فساروا فى طريق نحوا من أربعين ميلا ليس فيه ماء فكان كل من امتنع من الأسرى أن يمشى معهم لشدة العطش الذى أصابهم ضربوا عنقه . فتساقط الناس والدواب عطشاً ، وقتل بعض الأسرى بعض الجند وهرب .

وكان المعتصم قد تقدم العسكر . . فلما بلغه هرب الروم ، أدى ذلك إلى أن قتل العرب أسرى آخرين من مواطنى الأول . وذلك أن المعتصم أمر بسيل الرومى بتمييز أهل القدر من أسرى الروم فعزلوا ناحية ثم أمر بالباقين فأصعدوا إلى الجبال وأنزلوا إلى الأودية فضربت أعناقهم جميعاً وتركت جثثهم فى الوادى . وهم مقدار ستة آلاف قتلوا فى موضعين : بوادى الجور وبموضع آخر لا تذكره المصادر [٣] .

وهدمت أسوار عمورية وأبوابها [٤] . ثم أمر المعتصم بترميم زبطرة وتحصينها وإقامة حصون أخرى حولها هى طبارجى والحسينية وبنوالمومن وابن رحوان أورجوان [٥] .

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٤ (ذيل الأصل ٣٠٩) ابن مسكويه ط . دى جوية ص ٤٩٥ . جنزيوس ص ٥٥ — وهو يقول (باليونانية) — وأرسل الرسل بعد أن استذلوا (وذلك أنهم احتجزوا عند العدو «العرب» أثناء الهجوم) ثم أرسلوا إلى الأمبراطور وقد أهينوا وعذبوا إرسالاً عنيفاً . سيد رونس ج ٢ ص ١٣٧ .

(٢) يذكر ابن خرداذبه مكانا اسمه وادى الجوز على ١٢ ميلا من عمورية ولعله وادى الجور والفرق نقطة فى الرسم العربى (ابن خرداذبه ص ١٠١ و ٧٣ . قارن الادريسى وادى الجور على ١٢ ميلا من عمورية (جغرافية الادريسى — أجوبير باريس (سنة ١٨٤٠) ص ٣٠٧ .

(٣) الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٤ — ١٢٥٦ (ذيل الأصل ٣٠٩) .

(٤) ولكن السورى يقول (ج ٣ ص ١٠١) أنهم تركوا عمورية ولم يستطيعوا إلا هدم قسم من السور .

(٥) ويذكر البلاذرى (ط دى خويه ص ١٩٤) ترميم زبطرة (ذيل الأصل ٢٦٩) ويذكر

وقد زار هذه الأماكن الجغرافي المشهور أبو الفدا عام ١٣١٥ وكانت زبطره أيامه خرابا ليس بها إلا أثر التحصينات القديمة [١]

ويذكر الادريسي في القرن الثاني عشر أن عمورية بلد عظيم حوله أسوار متينه [٢]

ثم تخربت المدينة بعد ذلك ولم يزرها أحد من الرحالة زمنا طويلا وضاع تحديد مكانها إلى أن استق الرحالة الانجليزى وليم هملتون حول ١٨٣٠ من مدينة شفرى . — حصار في آسيا الصغرى أثناء إقامته بها بعض معلومات عن خرائب هرجان — قلعة ، وهو اسم زبطره عند الترك ، وهي خرائب قريبة من قرية حاجي حمزة [٣] .

فلما رأى خرائبها — ورأى فيها الأكربول وبقايا الأسوار والأبراج وآثار المدينة التي كانت تمتد قديما حول الأكروبول — اعتقد أنها مدينة عمورية أو أموربا القديمه [٤] . وذاع رأيه وأيدته الأبحاث التي أجريت في آسيا الصغرى من بعد . ولايعرف أهل الأقليم اليوم اسم هرجان قلعة [٥] . وفي صيف ١٨٩٩ زار مؤلف الروم والعرب هذه الخرائب ولم يكن معه حينئذ ما شاء من المعلومات الضرورية وكان كتابه على وشك الظهور فأجل وصف رحلته ثم لم ينشر هذا الوصف .

ويسمى أهل الإقليم خرائب عمورية . أسار لا (أسار قلعة) كما يزعم دليل موراى للسفر [٦] ولعل تسمية المدينة القديمة متضمنة في اسم يطلق على خرائب

= قدامه بناء الحصون الأربعة بدل زبطرة حين خربت (قدامه ط . دى جويه ص١٩٣/١٩٤ . ٢٥٣ ، ولكن رواية البلاذرى ثقة وذلك أن حصن زبطرة يذكره في حملة بسيل (بازيل) المقدونى عام ٨٧٢ (سلة تيوفان ص ٢٦٨ ع ٣٩) .

(١) أبو الفدا ، جغرافية ترجمة فرنسية : ستانيسلاس جيارد ج ٢ . باريس ١٨٨٣ ص ١٣ وقد طبع النص العربي رينو دى سلان : باريس ١٨٤٠ ص ٢٣٤ .

(٢) جغرافية الادريسي ترجمة جوبير ج ٢ باريس ١٨٤٠ ص ٣٠٧ .

(٣) و . هملتون : أبحاث في آسيا الصغرى ، بونت وارمنيه . ج ١ لندن ١٨٤٢ ص ٤٤٨ .

(٤) و . هملتون : نفس الكتاب ج ١ ص ٤٥٥ .

(٥) قارن رمزى . جغرافية آسيا الصغرى التاريخية ص ٢٣٠ . موراى : كتاب المسافر في آسيا الصغرى لندن ١٨٩٥ ص ١٦ . وانظر كذلك مقالة صغيرة كتبها هيرشفلد في دائرة المعارف العصور القديمة ، بولي فيزوفا الطبعة الجديدة ج ١ ، ستتجارت ١٨٩٤ ص ١٨٧٦ ، قارن لسترانج : الخلافة الشرقية ص ١٣٧ وما بعدها وانظر كذلك مقالة دائرة المعارف وهي عبر فوية .

(٦) قارن رمزى . نفس الكتاب ص ٢٣٥ .

واقعة إلى الشرق هي حرانب حاجي عمر أوه (١) .

وفي هذه الظروف المحزنة أرسل توفيل إلى المعتصم وفداً آخر عليه البطريق بسيل (٢) فعرض عليه مائتي قنطار فداء لأسرى عمورية وخص منهم مساعد استراتيج من أقربائه وبعض خاصته (٣) . ولكن الخليفة لم يقبل عرض الأمبراطور وزعم أن نفقات الجنـــد بلغت ألف قنطار (٤) . واشترط المعتصم كذلك تسليم نصر الكردي الذي دخل في المسيحيه هو ومنويل (٥) .

وكان المعتصم يفكر حينئذ في حملة على قسطنطينية ويجمع المعلومات عن طريقة حصارها براً وبحراً (٦) . ولكنه اضطر أن يعود مسرعا إلى سوريا لأنه كشف مؤامرة دبرها الجند لصالح العباس (٧) . فانصرف الخليفة لذلك عن خطته الهجومية وعاد عن طريق طرسوس إلى بلاده (٨) .

ولم يقف عمل الغزو براً فإن أمير سوريا والجزيرة وهو أبو سعيد محمد بن يوسف غزا أرض الروم مرات ومعه بشير أمير المصيصة . وفي إحدى الغزوات

---

(١) موراي : نفس الكتاب ص ١٦

(٢) رمزي : نفس الكتاب ٢٣٠ هـ .

(٣) ويذكر اسم الرسول بسيل بطوبق خرشنة (خرسيانون) عند ميشيل السوري ج ٣ ص ٩٦ (وفي تاريخ أبي الفرج السورياني ص ١٥١ بدچان ، ص ١٣٨ بدج : ويذكر النص السرياني خطابين أرسلهما توفيل أحدهما يعرض الصلح وثانيهما يحمل التهديد — وهو أمر مصبوغ بطابع الروايات . ونعلم من جهة أخرى أن ميشيل لا يذكر إلا سفارة واحدة كانت بعد عمورية . ولكن الأرجح أنه كانت سفارتان ويستنتج ذلك خاصة من عبارات جنزيوس (مرة أخرى : αὖθις) وصلة تيوفان (السفارة الثانية) . ولكننا لا نعرف كيف أن الرسل التي بعثت قبل عمورية) قارن ص ١٧٢ من الأصل) أطلقت من الخليفة اطلاق يائس .

(٤) جنزيوس ص ٦٦ : والاشراف المتصلين به (باليونانية) .

(٥) جنزيوس ص ٦٦ صلة تيوفان ص ٣١ . سيد رونس ج ٢ ص ١٣٧ ، زونراس ج ٣ ص ٤١٧

(٦) لم يكن مانويل مات من جراحه إذ أن الخليفة ظنه حيا ، أنظر عن نصر : مروج الذهب ج ٧ ص ١٣٦ . تاريخ ميشيل السوري ج ٣ ص ٩٦ ، أبو الفرج : تاريخ السورياني ص ١٥١ ط . بدجان . أما عن منويل فانظر بعد من الأصل ص ٣٩٩ و ٤٠٤ و ٤١٣ وما بعدها .

(٧) المسعودي : مروج الذهب ج ٧ ص ٣١٥ ميور : الخلافة ط ٢ ص ٥١٢ — ٥١٣ . قارن ميشيل السوري ج ٢ ص ١٠١ وانظر ما قلنا من قبل .

(٨) الطبري ج ٣ ص ١٢٥٦ (ذيل الأصل ص ٣٠٩) .

تتبع نصر بشيراً فى قفوله من الغزو فأخذ من كان معه من الأسرى ولكن أباسعيد تدارك الموقف حين جاء لشير فهزم بشير عدوه وذبح الخرمية الهاربين المنضوين فى جيش نصر عن آخرهم وهلك نصر نفسه . ووُضع الملح فى رأسه وأرسل إلى المعتصم مع رءوس أصحابه [١] . ويضيف ميشيل السورى وهو الذى نروى عنه هذه التفاصيل أن « الخليفة فرح بموت نصر لأنه كان مخرب زبطره فأهدى إلى بشير قلادة ذهب عليها صورته » . ولنا أن نفترض أن هذه الوقائع تسربت إلى أسطورة السيد البطال الذى يقال أنه (حازم بابك) ووالد بطل اسمه بشير وتقع حملة بشير على مايرجح م . كتار عام ٨٣٩ أو ٨٤٠ [٢] وعاد أبو سعيد إلى الغزو عام ٨٤٠/٨٤١ وتعقبه العدو كذلك فى قفوله إلى أن بلغ كيليكيا وانجلت هذه الغزوة الثالثه عن هزيمة العرب فاحتل الروم على أثرها الحدث ومرعس وأرض ملطية [٣] . وكان على المعتصم أن يفرغ لقمع ثورات داخلية أخصها ثورة الافشين وأصحابه فرحب بوفد بعثه تيوفيل . ويستنتج بعض المؤرخين أن الأمر لم يقتصر على تبادل الهدايا بين الملكين بل على تبادل الأسرى أيضاً وهو استنتاج لا صواب فيه . ويجعل بيورى هذا التبادل المزعوم عام ٨٤١ ونحن نرى أنه لم يقع . ويلاحظ فايل عن حق [٤] أن العرب سجلوا أمر الأفدية تسجيلا دقيقاً ولم يذكروا فداء قبل ٢٣١ (٨٤٥) . فمن الراجح أن الأمبراطور لم يغتنم إذن هذه الوفادة ليطلب ولو بعض أسرى عمورية وخاصة قريبه قسطنطين بابوتزيكوس . ونحن نعلم أن شهداء عمورية قتلوا فى ٦ مارس ٨٤٥ ثم إن المعتصم رغم تبادل الهدايا عام ٨٤١ كان يفكر منذئذ فى هجوم يبلغ بهدفه المرة قسطنطينية . ووقع هذا الهجوم فعلا على يد أبى دينار وانتهى

---

(١) ميشيل السورى جـ ٣ ص ٩٦ . وتذكر المصادر الرومية أن رأس تيوفوب حمر قدم لتيوفيل أنظر بيزنطيون جـ ٩ (١٩٣٤) ص ١٩٦ — ١٩٨ . أما عن غزو أبى سعيد الخرمية وذكره فى الشعر العربى فانظر ذيل الأصل ص ٣٩٥ — ٣٩٦ .

(٢) بيورى ص ٢٧٣ هـ ٤ وهو يرى أن ذلك كان فى ٨٣٨ .

(٣) ميشيل السورى جـ ٣ ص ٢ ١ ؛ قارن بيورى فانه يرى أن ذلك كان عام ٨٣٨ . وانظر ص ١٤٠٠ من الأصل كما سدها . ومكان المعركة وادى عقرقس ويعينه هونجمان بأنه القرقوس من جند البوسيلير .

(٤) تاريخ الخلفاء (بالألمانية) جـ ٢ ص ٣١٥ هـ وقارن ص ٣٤٢ من الأصل .

بالفشل بعد موت تيوفيل والمعتصم فى ٨٤٢ (أنظر ملحق الهوامش ص ٤٠٧ من الأصلى الفرنسى)

ولا شك أن ظهور الأسطول الرومى أمام انطاكية كان فى ذلك الوقت . ولنا أن نفترض أنه أرسل إلى سورية فى وقت حصار عمورية رجاء التخفيف عنها . ولا يذكر أحد هذه الغزوة البحرية الا ميشيل السورى[١]. وهو يقول : قصد الروم عندئذ انطاكية بالبحر ونزلوا ميناء سلوقية ونهبوا التجار وأسروا ثم ركبوا سفنهم . فلما بلغ الأمر أبا اسحق أمر ببناء حصن وسط الميناء .

وفادة تيوفيل الى الملوك بعد أخذ العرب عمورية

وكان لاحداث عمورية أثر شنيع على نفس تيوفيل . فمرض واشـــتد مرضه وأصابته حمى شديدة . فلما أكثر من شرب الماء البارد أصابته دوسنتاريا أدت إلى موته[٢] . هذا ما كان يروى فى القرن العاشر على الأقل .

فهل كان تيوفيل تحت تأثير هذه الكارثة حين اتجه إلى ملوك الغرب يستمدهم . الواقع أن رسله بلغت البندقية وبلاط لويس التقى الفرنجى فى انجلهايم وبلغت أقصى الغرب فنزلت عند الخليفة الأموى عبد الرحمن الثانى . ولكن هدف الوفد المرسل إلى البندقية (٨٤٠) والوفد المرسل إلى انجلهايم انما كان طلب المدد من البنادقة والفرنج لحرب العرب المغاربة .

وصل وفد تيوفيل إلى البندقية أمام الدوق بيير ترانديكو وأصله من البتريق ولم يكن من أسر البندقية القديمة وكان اختياره للولاية فى ٨٣٦ خلفا لجان بارتيسياكو بعد أن خلع وأودع فى دير . وكان للحزب الثانى مرشح آخر غير بيير ترانديكو . ولكنه كان خاطىء الحساب فى خطته الطامحة التى أراد بها التسلط على أمور الجمهورية ،

---

(١) ميشيل السورى ج ٣ ص ١٠١ ، أبو الفرج (بارهبرايس) تاريخ سوريانى ص١٥٢ ط . بدرخانه ص ١٣٩ ترجمة بدج .

(٢) جنزيوس ص ٧٠ ، وقد جاء فيه . حتى أنه أصيب بسبب هذه الكارثة بحمى داخلية اشتدت عليه وطأتها حتى كان يحسب الثلج دافئا . وكان هذا السبب أصل الدوسنتاريا التى أصابته صلة تيوفان ص ١١٣ — سيدروس ج ٢ ص ١٢٧ .

فاختير الايسترى بيير تراندیکو على غير ما كان منتظرا . ولعل يد الروم دخلت في هذا بعض الشيء[١] .

ومهما يكن من شيء فانه في ٨٤٠[٢] وصل الى البندقية من قبل تيوفيل البطريق تيودور فعرض على الدوق باسم الأمبراطور لقب اسباطير الأمبراطورية الرومية وطلب منه أن يعجل بجيش لحرب العرب المغاربة وكان غزوهم قد بلغ حينئذ ايطاليا

---

(١) جفيور ، التاريخ الروسي ج ١ جراتز ١٨٧٢ ص ١٧٦ ، ١٧٨/١٧٧ .

(٢) ويقول فازليف في طبعة هذا الكتاب الروسية أن هذه الوفادة كانت عام ٨٣٨ . ولنسق أولا تعليله . أما جفيور (نفس الكتاب ج ١ ص ١٧٧) فيؤيد نفس التاريخ أما بيرتز (MM. G. SS. ج ٧ ص ١٧) وتافل (Fontes rerum austriacarum ج ١٢ قسم ١ ص ٤) فيجعلان الواقعة في ٨٤٠ . ويلاحظ أن المصادر تجعل الوفادة إلى البندقية في وقت كسوف الشمس : في شهر مايو في الساعة السادسة أظلمت الشمس وكان كسوف (Danuli دانولي ، تاريخ . ميراتوري ج ١٢ ص ١٧٥ . جوهانيس تاريخ البندقية MM. G. SS. ج ٧ ص ١٧) . ويبدأ الكلام عن الوفادة بعد عدة أسطر بهذه الكلمات :

وفي هذه الأيام (دانولي) وفي هذه الأيام (جوهانيس) ويقول جان في تاريخه البندق أن تيودور بقي في البندقية سنة كاملة (باللاتينية) (بيرتز ج ٧ ص ١٧) أما تواريخ الروس فتقول ان رئيس الرسل الى ملك الفرنج كان اسمه البطريق تيودوز (جنزيوس ص ٧٢/٧١ . صلة تيوفان ص ١٣٥ ع ٣٧ . سيدروكس ج ٢ ص ١٣٨) وعلى هذا يكون تيدوز أرسل إلى البندقية وإلى لويس معا . تاريخ برودنتيوس : M.M. G. SS. ج ١ ص ٤٣٤) أنه مطران خلقدونيه وأسقفها ولعلها وقعت في خطأ بسيط ونرى لهذا أن تيوفيل أرسل الى البندقية ولويس سفارة واحدة وجعل عليها البطريق تيودور فلما بلغ البندقية أقام بها سنة فلما رأى أن البندقية لم توفق في دفع العرب سار الى انجلهايم في ٨٣٩ ومات بها . قارن فازليفسكي . أبحاث روسية بيزنطية (بالروسية) ج ٢ سان بطرسبورج ١٨٩٣ ص ١٢٦ — ١٣٧ من المقدمة ويقول ادوارد لنتسير (Der allmählige Übergang Venedigs von faktischer Zu nomineller Abhängigkeit von Byz . في المجلة البيزنطية الألمانية جـ ٣ : ١٨٩٤ ص ٦٩ حاشية ٧) : آن السفارة إلى البندقية كانت عام ٨٤٠ على الأرجح ويؤيد هذا بوجود كسوف للشمس في ٥ مايو ٨٤٠ ، ولكن هناك كسوفا في ١٦ مايو ٨٣٩ (قارن رنكايز ، الكتاب العملي في التوقيت التاريخي ، برلين ١٨٨٢ ص ٤٧٦) وكانت السفارة حينئذ بالبندقية ، فيما نرى ، ثم إن الفترة من ١٦ مايو و ١٧ يونية من هذه السنة ، وهو التاريخ الذي كان فيه استقبالها في البلاط البيزنطي ، فترة كافية للرحلة من البندقية الى انجلهايم .

ويرجح نالينو وجاي ومانويلوفيك ونحن معهم تاريخ ٨٤٠ . وذلك لأن جنزيوس وصاحب الصلة يقولان إن السفير الى انجلهايم كان البطريق تيودور بابوتزيكوس إنما أخذا قولهما من مصدر كثير الخلط لا يمكن أن يرجع على رواية برودنتيوس في الـ Annales وهي الرواية التي تذكر تيودوز آخر هو مطران خلقدونيه . وبما أن السفارتين ليستا سفارة واحدة فلا شيء يدعو لاعتبار عام ٨٣٨ عام سفارة البندقية . قارن بيوري ص ٢٧٣ هـ ١ (وهو يعود فيرجح التاريخ الصحيح) . وقارن كذلك جاي ايطاليا الجنوبية والأمبراطورية الرومية ص ٥٩ .

الجنوبية[1] وسنرى ان الدوق وعد وانجز. هذا مع أن البندقية وان احتفظت برسم التبعية للأمبراطورية ابتدأت منذ قيام بيير تراندیکو عصر استقلالها الفعلى [2].

وكان العرب قد غزوا كالابريا منذ أول القرن التاسع يعنى قبل أن يستقروا فى صقلية [3].

وابتدأ الخطر يزداد على إيطاليا الجنوبية حين ظهر العرب فى صقلية واشتدخاصة حين حالفوا نابلى حول ٨٣٠

وكان أمراء بنفنت يطمعون فى القرن التاسع فى أن يمدوا دولتهم نحو الجنوب وكانوا يصطدمون بجمهورية نابلى وأما لفى وسورنتو وجايت.

فلما افتتح شارلمان باقى فى عام ٧٧٤ وأسر دزيدريوس آخر ملك لمباردى أخضع لسلطانه الأقاليم الأساسية من مملكة لمبارديا وهى إقليمى إيطاليا الشمالية وتوسكانيا. ولم يكلف نفسه فتح الدوقيتين الجنوبيتين دوقية اسبوليت ودوقية بنفنت. ثم أن دوقية اسوليت اضطرت الانضمام إلى تبعية شارل رغم معارضة البابا وكانت أولا تحت إدارته [4].

أما مصير بنفنت فكان على خلاف ذلك. فإن دوقها اريشيس احتفظ باستقلاله وزاد على ذلك أنه حول دوقيته إلى أمارة وحمل فى ٧٧٤ لقب أمير وشارات السيادة المطلقة على بنفنت. وهكذا انتهى تاريخ دوقية بنفنت ولهـــذا ظهر أثر الإدارة والقانون الفرنجى فى أجزاء مملكة لومبارديا الأخرى على حين بقى العنصر اللومباردى فى إيطاليا الجنوبية صلفياً واستطاع أن يتطور مستقلا عن كل مؤثر خارجى،

وتجاور أمارة بنفنت من الشرق دوقية اسبوليت ومن الغرب دوقيـــة رومه، وكانت تشمل فى النصف الثانى من القرن الثامن كل إيطاليا الجنوبية تقريباً من مصب نهر ترنجو فى بحر الإدرياتيك ومن تراسين فى الغرب إلى حدود أبوليا وكالابريا.

---

(١) لم يكن للبندقيـــة أى فائدة اسمية من منح لقبه أساطير للدوق. قارن لنتز هس الكتاب ج ٣ ص ٦٩ (١٨٩٤).

(٢) كرتشماير، تاريخ البندقية بالألمانية ج ١ جوتا، ١٩٠٥ ص ٩٢ وما بعدها بيورى س ٣٢٨.

(٣) أمارى تاريخ ج ١ ص ٢٣٠ — ٢٣١، ٢٥٣ (ط ٢٠ ج ١ ص ٣٥٨، ٣٩١.

(٤) قارن ت. هيرش، انضمام بنفيت إلى تبعيـــة الدولة اللانجوبازدية ؛ ليبزج ١٨٧١ ص ٧ ؛ (بالألمانية)

ولكن المدن المنعزلة إلى الجنوب والشرق ناحيه شواطىء أبوليا وكالابريا بقيت تحت السيادة الرومية . وكذلك كانت دوقية نابلى وولاتها الوراثيون تابعــــة للروم بعض التبعية [١]

ولكن أولوية بنفنت بين ولايات جنوب ايطاليا لم تدم أمداً طويلا وذلك أن الاختلافات التى ظهرت فى بلاط أمرائها ذهبت بهذه الأولوية .

وقامت فى بنفت نفسها أسرة جديدة بينما بقيت مدينة سالرن وفيـــة لأمرائها الأقدمين . وقام صراع بين المدينتين كان من نتيجته انقسام دوقية بنفنت القديمـة إلى قسمين شرقى وغربى . وتسمى القسم الغربى فى ٨٤٧ باسم أمارة سالرن [٢] . ولم تمض إلا سنون حتى انفصلت عن سالرن مدن هى كابو وأمالفى وجايت وأعلنت استقلالها واختارت لنفسها ولاة لها .

وكان على هذه الدوقية التى حل بها التدهور وأضعفها الاختلاف الداخلى المستمر أن تواجه أعداء جدداً فى منتصف القرن التاسع هم عرب صقلية [٣] .

وكان السبب الأول لهذا مدينــة نابلى . فإنه فرض عليها زمناً أن تدفع لبنفنت جزية . ثم أنها فى ٨٣٦ أعلنت الحرب على بنفنت [٤] ، ولم يكن لها أن تنتظر المدد من امبراطور الشرق أو امبراطور الغرب ، فاستمد دوقها اندريه بمسلمى صقليـة . فاغتنم العرب الفرصة وأرسلوا أسطولا إلى نابلى واضطروا أمـير بنفنت واسمه سيكار أن يرفع الحصار وأن يعقد اتفاقا مع نابلى وأن يرد اليهم الأسرى [٥] .

---

(١) قارن هـ ، هيرش دوقية بنفنت ص ٤٧ . هايمان ، تاريخ النورمان فى إيطاليا الجنوبية وصقلية ج ١ ، ليبزج ١٨٩٤ ص ٢ و ٣ . وانظر خاصة هارتمان . تاريخ إيطاليا فى العصر الوسيط ج ٣ ، ١ ص ١٩٤ — ٢٣٠ ، حكومات جنوب إيطاليا وخطر السراقنة ص ١٩٤ — ٢٣٠ .

(٢) قارن شيبا ، تاريخ إمارة اللنجوباردية فى « أرشيف مقاطعة نابلى التاريخى » سنة ١٢ نابلى ١٨٨٧ ص ١٠٦ وما بعدها . سيكونولفو أول أمير فى سالرنو .

(٣) هايمان ، نفس الكتاب ص ٣ .

(٤) ولعل الراجح أن يوضع حصار نابلى على يد سيكار أمير بنفنت عام ٨٢٠ وأن يوضع السلام فى عام ٨٣٦ . قارن كباسو ، Monumenta لتاريخ دوقية نابلى ج ١ نابلى ١٨٨١ ص ٧٩

(٥) جان الشماس ، أعمال أساقفة نابلى ، Non Germ. Hist. Scriptores rerum langob. ص ٤٣١ قارن أمارى ، تاريخ ج ١ ص ٣١٢ — ٣١٣ . أما نص الاتفاق الطريف بين سيكار وأمير بنفنت وأندريه أمير نابلى فانظر عنه كاسو ، Menumenta تاريخ دوقية نابلى ج ٢/٢ نابلى ١٨٩٢ ص ١٤٧/١٠٦ (وتحت العنوان صائم)

وهكذا بدأ التحالف بين نابلى وعرب صقلية . ولم تجن نابلى من هذا الحلف ما كانت تتوقع من نفع[١] . فإن العرب استولوا على برنديزى فجأة حول ٨٣٨ . فخرج للقائهم سيكار أمير بنفنت . فلجأ المسلمون إلى الخديعة ، فحفروا الخنادق حول كل المدينة ثم استدرجوا إليها فرسان العدو وأجبروهم على إنشاب الحرب فانهزموا هزيمة تامة وارتدوا . وعلم العرب بعدئذ أن سيكار يستعد من جديد فأحرقوا برنديزى وعادوا إلى صقلية[٢] .

واغتنم عرب صقلية فرصة ما قام من الاضطراب فى بنفنت (قتل سيكار حول ٨٣٩) فغزوا من جديد شواطىء كالابريا وأبوليا وأخذوا مدينة تارنت[٣]

وكان كل ذلك السبب المباشر الذى دبرت السفارة الرومية من أجله فى ٨٤٠ . فالدافع الداعى لها كان الخطر المحدق بالغرب لا أخذ عمورية .

وجهزت البندقية أسطولا مستجيبة لرجاء الرسول الرومى تيودوز ، واتجه الأسطول إلى تارنت وكانت عدته ستين سفينة وكان بتارنت أمير عرف اسمه سبا على رأس جيش كبير .[٤]

---

(١) مثلا « أعمال » جان الشماس وما يذكر بعد المعنى الذى ذكرناه فى المتن ، قارن تاريخ سلرنو M.M. O, SS. ج ٣ ص ٤٩٩) والواقع أن العرب كانوا مشغولين حينئذ بأمور صقلية ولهذا تذكار الحلف بين نابلى والعرب وهو عبارة عن نقود ذهبية ضربت باسم أندويه ونقش حول الاسم أحرف عربية كوفية ممسوحة ، قارن دومنيكو سبينلى النقود الكوفية المضروبة فى الأملاك اللمبارية والنورماندية وغيرها ، نابلى ١٨٤٤ ص ٢٦ كبانسو ، نفس الكتاب ج ١ ص ٨٠ .

(٢) تاريخ سلرنو ٧٢ (MM. O. SS. ج ٣ ص ٥٠٣) ولا يحدد هذا الكتاب التاريخ . قارن أمارى تاريخ ج ١ ص ٣٥٤ / ٥ (ط ٢ ج ١ ص ٤٩٢ / ١٩٣) . فترش : تعليق على أمر العرب فى إيطاليا والجزر المجاورة (باللاتينية) ليبزج ١٨٤٥ فصل ٥ فقرة ٥٨ ص ٧٣ ، وهو يقول بغير حق أن الواقعة كانت عام ٨٣٦ (حول عام ٨٣٦) . قارن النورمان ، اليونان الكبرى ج ١ باريس ١٨٨١ ص ٦٨ . برون ، « الروم فى إيطاليا الجنوبية فى القرنين التاسع والعاشر » . مختصر فى تاريخ الثقافة » . من منشورات جامعة روسيا الأمبراطورية الجديدة (بالروسية) ج ٣٧ ، ١٨٨٣ ص ٢٠ (قسم العلوم) . (Zapiskiimp Novorossijskago Univers)

(٣) تاريخ سلرنو ٨١ (M. M. G., SS., ج ٣ ص ٥٠٨) .

(٤) ويرى أمارى أن هذا الاسم هو اختصار اسم صاحب بمعنى أمير وهو رأى كبير الرجحان . قارن : تاريخ ج ١ ص ٢٦٠ (ولكن قارن ملاحظات الناشر عنها فى الطبعة الثانية ج ١ ص ٤٩٦ هـ ٢)

وأغرق العرب الأسطول البندقى كله تقريبا وأخذوا أكثر البنادقة أوقتلوهم [١] .

وتولت المسلمين رغبة الانتقام من هجوم البندقية فتوجهوا نحو شمال بحر الادرياتيك وغزوا شواطىء دلماسيا فنزلوا فى ثلاثاء الفصح عام ٨٤١ (اليوم الثانى للفصح) على مدينة أوسيرو وأحرقوها ، وتقع أسيرو فى جزيرة خرزو الكبيرة الواقعة فى خليج كوارنيرو . ومن هناك عبروا البحر وانتهبوا (أنكون) ، ونزلوا أيضا عند مصب البو قرب مدينة أدريا . ثم قفلوا ولقوا فى عودتهم سفنا بندقية كثيرة عائدة إلى مينائها فأخذوها [٢] .

وظهر العرب مرة أخرى فى خليج كوارنيرو فى عام ٨٤١ . وأنزلوا بالأسطول البندقى هزيمة جديدة تامة عند جزيرة سانجو الصغيرة الواقعة غربى لوسن [٣]

وكان تيوفيل قبل أن يطلب مدد البندقية طلب المدد من زميله الغربى لويس التقى ابن شارلمان لحرب العرب [٤] .

---

(١) تاريخ ، دنولى ، ميماتورى . Seript. جـ ١٢ ص ١٧٥ « تافل » Fontes rerum austriacarum قسم ٢ جـ ١٢ / قسم ١ ص ٤ . حنا الشماس : تاريخ البندقية ., M. M. G. SS جـ ٧ ص ١٧ ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٥٠ وعند أمارى ط ١ ٣٧٣ (ذيل الأصل ٣٦٢) قارن جفيرو تاريخ الروم جـ ١ ص ١٧٧ — ١٧٨ . أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٣٥٨ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٩٥) . ف. لنورمان اليونان الكبرى جـ١ ص٦٨/٦٩ ، جـ ٢ ص ١٥٤ . مانويلوفش .jaransko pomorje IX Stoljeéa 1 مجلد ١٥٠ من Jugoslavenske Akademije "Rada" سنة ١٩٠٢ ص ٦٤ : شتاء ٨٤٠ — ٨٤١ . جاى ، ص ٥١/٥٢ .

(٢) تاريخ ، دندولى وميرانورى جـ ١٢ ص ١٧٥ جوحانيس : تاريخ البندقية ، ,.M., M. G. SS جـ ٧ ص ١٧ ، قارن دوملر . تاريخ السلاف القديم فى دلماسيا (٥٤٩ — ٩٢٨) فى Sitzungsberichte der Kais Akad. der Wiss. Zu Wien جـ ٢٠ (١٨٥٦) قسم الفيلولوجيا والتاريخ ص ٤٠٠ . لينتز سير التطور ... بحث منشور فى المجلة البيزنطية (الألمانية) جـ ٣ ١٨٩٤ ص ٧١ . وجميع من ذكرنا يضعون الواقعة عام ٨٤٠ وكذلك أمارى ، تاريخ ، جـ ١ ص ٣٩٨ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٩٥/٤٩٦) فانه يجعل التاريخ ، ٣٠ مارس ٨٤٠ بعد يوم الفصح مستنتجا ذلك من تحديدات جوحانيس (وهو يشير إلى كسوف الشمس فى ٥ مايو ٨٤٠) ومن ابن الأثير (وهو يؤرخ الحادث فى عام ٢٢٥ هـ ، ١٢ نوفمبر ٨٣٩ — ١٣٠ أكتوبر ٨٤٠) ، مانويلوفيس ، Jadransko Pomorje ص ٦٤ هـ ٥ يرنفى التاريخ بسنتى ٨٣٩ و ٨٤٠ ويفضل ٨٤١ وقد تبعناه .

(٣) جوحانس ، تاريخ البندقية ,.M.M., G. SS جـ ٧ ص ١٨ . وفى السنة التالية ظهر السراكنة مرة أخرى بجيش عظيم وبلغوا خليج كوارنارو (باللاتينية) قارن أمارى ، تاريخ جـ ١ ص ٣٥٩ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٩٧) . دوملر تاريخ السلاف القديم فى دلماسيا ص ٤٠٠ . لينتز فى المجلة البيزنطية (الألمانية) جـ ٣ (١٨٩٤) ص ٧١/٧٢ وهو يؤرخ الهزيمة بعام ٨٤٢ .

(٤) جوحانيس ، تاريخ البندقية ، ,.M. M. G., SS جـ ٧ ص ١٧ .

ولا نستطيع أن نقول أن الأحوال كانت مواتية لإرسال هذه الوفادة إلى لويس التقى ؛ فقد كانت مملكته تعانى أزمات داخلية مستمرة ونضالا من الأبناء ضد أبيهم وحرباً مع عرب أسبانيا الجنوبية وظهور عدو جديد هم النورمانديون واستفحال أمرهم حتى صاروا كارثة على الناس . كل ذلك لم يكن يسمح للويس التقى أن يستجيب لنداء تيوفيل وخلق نزاع مع عدو جديد .

وكان على رأس السفارة [١] تيودور أسقف خلقدونيه [٢] وتيوفان الأسباطير ووصلوا إلى لويس يحملون خطاب تيوفيل وهداياه الثمينة وكان استقبال السفارة فى ١٧ يونيه ٨٣٩ [٣]

كما كان تيوفيل يطلب من لويس أن يعينه بجيش كبير . كان يطلب منه أيضا الهجوم على أملاك العرب فى أفريقية لشغل انتباه المعتصم وليفرق جموعه [٤] .

وفى هذه السفارة ذكر لأفراد من شعب غير معين وقد طلب تيوفيل من لويس أن يردهم إلى وطنهم وذلك أن الطريق الذى سلكوه من قبل للوصول إلى قسطنطينية أصبح فى يد البرابرة [٥] .

---

(١) ويسميه الروم تيودور بابوتريكوس جنزيوس ص ٧٢/٧١ ، أرسل الى بلاط الفرنج البطريق تيودور وأصله من بابوتزيكون . صلة تيوفان ص ١٣٥ ع ٣٧ سيدرونس ج ٢ ص ١٣٨ .

(٢) برودنتى ، Annales Bertiniani فى .M. M. G., SS ج ١، ص ٤٣٤ وقد جاء فيه : وأرسل تيودور مطران خلقدون وتيوفان الاسباطير (قارن طبعة فاتيز فى .Script rer Germ ١٨٣٢ ص ١٩) .

(٣) برودنتى Annales نفس الموضع .

(٤) جنيزيوس ص ٧٢ . سيدرونس ج ١ ص ١٣٨ . وفى Annales بردنتى : جاء أن تيوفيل كان يرغب فى عقد سلم وحلف أبديين ، وأنه كتب فى ذلك الى لويس فأخبره بما حبته السماء من نصر على أعدائه الخارجيين (برودنتى Annales ص ٤٣٤ - .M. M. G., SS ج ١) ولا نعلم عن أى نصر يتكلم تيوفيل ؟ وهل كان يستطيع وصف نفسه بالظافر بعد هزيمة عمورية ؟ ويرى م . ج . مانويلوفيس Jadrausko Pomarje ج ٩ Stoljeca ج ١ ص ٨٠ / ٨١ أن المقصود خاصة هو أخذ زبطرة والانتصارات التى أحرزت فى صقلية عام ٨٣٨ . ونستطيع أن نضيف كذلك انتصارات نصر — تيودور بعد ٨٣٨ وكان المتوقع أن يكون لنصر شأن عظيم فى صيف ٨٣٩ رغم انهزامه عند وادى عقرقس (ص ٩٧٥ ، ٤٠٦ من الأصل الفرنسى) . جاى نفس الكتاب ص ٥٩ وهو يرى أن جنزيوس وصاحب الصلة يخطئان فى قولهما أن الاستعداد بجنة الفرنج كان يقصد به آسيا الصغرى .

(٥) بوردنتى Annales فى .M M. G., SS ج ١ ص ٤٣٤ . ولا نطيل الكلام على الأقوال

ولقى لويس السفراء لقاءاً حاراً . ورد على خطاب تيوفيل فوعده أن يعمل كل المستطاع لصالح الأجانب من جنس روس وإن كان يشك فى أنهم جواسيس وإن كان احتجزهم وقتا يسيراً . ومع هذا لم يجن تيوفيل شيئا من التجائه إلى البلاط الافرنجى . وسبب الفشل الذى أصاب الوفادة الرومية هو ما قدمناه ، ويضاف اليه موت رئيس الرسل تيودور وموت الملك لويس نفسه فى ٨٤٠ [١]

وطبيعى أن العلاقات بين الروم والفرنج لم تقف بموت لويس . فنحن نعلم أن تيوفيل أرسل وفادة أخرى إلى لوتير بن لويس التقى غرضها التمهيد لزواج بين ابنة تيوفيل ولويس بن لوتير ولم يقطع هذه المفاوضات إلا موت تيوفيل (٨٤٢) [٢]

أما وفادة تيوفيل إلى أسبانيا فإنها وصلت فى نوفمبر ٨٣٩ أيام حكم عبد الرحمن الثانى المشهور (٨٢٢ — ٨٥٢) ولكن عبد الرحمن لم يعجل بإمداد تيوفيل بسبب أزماته الداخلية وذلك أن النزاع بين الحزبين الداخليين المتعاديين خرب مقاطعة موسى سبع سنين ، وأن ثورة مريداً دامت طول حكم عبد الرحمن تقريبا حتى أن سكانها المسيحيين اتصلوا بلويس التقى لحرضهم على المقاومة ووعدهم بالإمداد [٣] .

= فى تعيين هذا الشعب ، وهذه التوصية بالروس قد تؤخذ دليلا على أنهم لم يخربوا بفلاجونيا منذ عدة سنين . قارن بعد من الأصل الفرنسى ص ٢٤١ وما بعدها .

(١) جنزيوس ص ٧٢ . صلة تيوفان ص ١٣٥ ع ٣٧ . سيدرونس ج ٢ ص ١٣٨ برودنتى فى MM. G.. SS., Ann. ج ١ ص ٤٣٤ . قارن دوملر تاريخ الفرنج الشرقيين ج ١ ص ١٢٩ هـ سمسون ، الكتاب السنوى لدولة الفرنج أيام لويس التقى ج ٢ ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

بوهمر . موهلباكر ، سجلات الكارولنجيان ، انسبروك ١٨٨٣ ص ٣٦٤ السفارة إلى انجلهايم فى ١٨ مايو ٨٣٩ .

(٢) دندولى ، تاريخ (ميراتورى ج ١٢ ص ١٧٦) : أرسل تيوفيل امبراطور قسطنطينية إلى لوتير وفدا يعرض فيه تزويج ابنته من لويس ابنه ولكن ذلك انقطع لموت توفيل بعد أن حكم ١٧ سنة . ج . ماتويلوفيتش : نفس الموضع ، وهو يرى أن هذه الوفادة قد تكون نفس تلك التى ظهرت فى البندقية عام ٨٤١/٨٤٠ . ويقول مثل ذلك جاى نفس الكتاب ص ٥٩ .

(٣) قارن فى ذلك خطابا طريفا من لويس التقى إلى أهل مريدا الثائرين كما نشره فلوريز : España Sagrada ط ٢ ج ١٣ ، مدريد ص ٤١٦ — ٤١٧ وعند جافى : المكتبة الجرمانية ج ٤ (١٨٦٢) برلين ص ٤٣٤ — ٤٤٤ . وخطاب لويس منشور فيه بين خطابات اينهارت . والخطاب منشور كذلك عند بوكيه : مجموعة تواريخ غالة وفرنسا ج ٦ ص ٩٧٩ ولكنه ذكر خطأ توجيه الخطاب إلى قيصر أوجست بدل المريديين . قارن فياردو : تاريخ العرب والمور فى أسبانيا ج ١ باريس ١٨٥١ ص ١٣٦ . رينو : غزو السراقنة فرنسا . باريس ١٩٣٦ ص ١٣٢/١٣١ . سمسون : الكتاب السنوى لدولة الفرنج أيام لويس التقى ج ١ ص ٢٩٦ .

ثم أن طليطله كانت تجاهد للاستقلال جهاداً حاراً ولم تنهزم إلا عام ٨٣٧ بعد أن استقلت قريبا من ثمان سنين . ثم أن العداء بين مسيحى قرطبة ومسلميها كان يشغل بال الأمير الأموى الأسبانى [١] وأخيراً غزا الأسطول العربى الاسبانى مرسيليا فى ٨٣٨ [٢] .

وأرسل عبد الرحمن إلى تيوفيل أحد أخصائه رداً على وفادته . وكان الرسول رجلا عظيم العلم شاعراً موهوباً هو يحيى الغزال وكان يحمل هدايا ووعداً بمعونة من الأسطول بمجرد انتهاء الأزمات الداخلية فى اسبانيا . وكان الرسول مكلفا بعقد حلف بين الأميرين .

واستقبل هذا الرسول فى قسطنطينية استقبالا عظيم الحفاوة . ودعاه الأمبراطور إلى مائدته [٣] . ولكن هذه الوفادة لم تنتج شيئاً كذلك ، فإن الاضطرابات الداخلية فى أسبانيا وظهور الغزو النورمندى الذى بلغ اشبيلية [٤] عام ٨٤٤ حال بين عبد الرحمن وبين امداد تيوفيل لحرب خليفة الشرق .

---

(١) قارن دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا جـ ٢ ص ٩٦/١٠١ .

(٢) قارن كوندى: تاريخ السيادة العربيـة فى أسبانيا : برسلونه ١٨٤٤ . سمسون . الـكتاب السنوى لدولة الفرنج جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٣) مختارات من تاريخ العرب فى أسبانيـا وأدبهم للمقرى نشره ر . دوزى ، ج دوجا ، ول . كريل ورايت جـ ١ ليدن ١٨٥٥/١٨٦٠ ص ٢٢٣ ، ٦٣١ — ٦٣٢ ، ص ٣٥ من المقدمة جايانجوس. تاريخ الأسر الاسلامية فى أسبانيا لأحمد بن محمد المقرى ، لندن ١٨٤٠ — ١٨٤٣ جـ ٢ ص ١١٤/١٩٥ قارن مورف : تاريخ الامبراطورية الاسلامية فى أسبانيـا ، لندن ١٨١٦ ص ٩٣ . وهذا المؤلف ينسخ المقرى تقريبا . كندى : تاريخ سيادة العرب فى أسبانيـا جـ ١ (١٨٨٤) ص ٢٢٧ . المقرى أصله من تلمسان فى شمالى افريقية وهو من مؤرخى العرب المتأخرين (مات فى ١٠٤١ هـ : ١٦٣١ — ١٦٣٢) وقد كان كثير الارتحال وكان ينوى الاستقـرار فى دمشق . وهو يجمع روايات كثيرة من المؤرخين ويذكر أسماءهم فى الغالب . وهذه الروايات قيمة لأنها مأخوذة من كتب مؤرخين تعد اليوم مفقودة . دوزى (تاريخ مسلمى أسبانيا) جـ ٢ وهو لا يذكر رسل تيوفيل الى أسبانيا .

(٤) قارن مختارات من تاريخ عرب أسبانيا وأدبهم ص ٣٥ من المقدمة . كندى نفس الـكتاب جـ ١ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

حرب صقلية فى أيام تيوفيل الأخيرة

لم يكن طالع تيوفيل فى حرب صقلية فى أواخر أيامه أسعد منه فى أوائلها . فإن مدنا فى القسم الداخلى من الجزيرة هى بلاتانى (أبلاطانو[1]) وكاتابلوتا (حصن البلوط) وكورليون (قرلون) ومرينيو على الأرجح (مرا [2]) وجراكى (خرخ) وعدة حصون أخرى لم تسمها النصوص[3] استسلمت للعرب دون حرب فى عام ٨٤٠ (٢٢٥هـ = ١٢ نوفمبر ٨٣٩ — ٣٠ أكتوبر ٨٤٠) .

وفى السنة التالية ٨٤١ (٢٢٦ هـ = ٣١ أكتوبر ٨٤٠ — ٢٠ أكتوبر ٨٤١) بلغت البعوث العربية حصن الجيران وهو على الأرجح مدينة جروت الصغيرة . وقد وجدوا فيها ٤٠ كهفاً خربوها[4] . وكان وصولهم إليها عن طريق قصريانه .

وهكذا كان القسم الغربى من الجزيرة فى يد العرب آخر أيام توفيل .

وفى أثناء ذلك اشتد المرض على الامبراطور فلم يمت فى ٢٠ يناير ٨٤٢ إلا بعد أن رأى فشل سياسته الخارجية فشلا تاماً فى الغرب والشرق .

وقبل موت توفيل بأسبوعين مات خصمه الخليفة المعتصم .

---

(١) وتسمى Acquavixa Platani . وبلاتانى نهر فى صقلية كان يسمى قديما هليكوس . قارن هارى نفس الكتاب ص ٤٧٤ . جيوردانى : نفس الكتاب ص ٤/٥ مولتيدو : نفس الكتاب ص ٤ .

(٢) ولعلها كالتامورو وهى قصر لا تزال خرائبه قائمة إلى اليوم قريبا من خط طول سكيا كا وهى تقع بين كورليون وساتنا مرجريتا فى بليس على نحو ٢ كم من جنوب غربى كونتسا إنتليننا .

(٣) ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٦ ص ٣٥٠ وعند أمارى : ترجمة ج ١ ص ٣٧٣ . النويرى عند أمارى : النص ص ٤٣١ ؛ الترجمة حـ ٢ ص ١١٩ (أنظر الذيل ص ٣٦٢ ، ٣٨٣) . ابن خلدون عند أمارى : ترجمة ج ٢ ص ١٧٨ . وراجع أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٣١٠ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٤٣) .

(٤) ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٦ ص ٣٥١ وعند امارى . ترجمة جـ ١ ص ٣٧٣/٣٧٤ (ذيل الأصل ٣٦٢) ويسميه هذا التاريخ حصن الجيران . ويترجمه امارى فى تاريخه (حصن الكهوف) ولا يحدد مكانه ، وإنما يضيف أن هذه الكهوف منتشرة فى صقلية . قارن تاريخ ج ١ ص ٣١٠/٣١١ (ط ٢ ج ١ ص ٤٤٣/٤٤٤ .) ونرى أن حصن الجيران ليس إلا مدينة كلتاجرونى .

(ا) وذلك أن الجزء الأول من الاسم وهو قلعة معناه فى العربية حصن .

(ب) ان موقع هذه المدينة يجعل من الممكن جدا أن تهاجم من ناحية قصريانه .

(جـ) أنه يوجد بين كلتا جرونى ومدينة صغيرة على وسط المسافة بينها وبين قصريانه اسمها بيازا : كهوف كثيرة . قارن بوركلوت : رحلة إلى صقلية باريس ١٨٤٨ ص ١٨٣ وهكذا كان يكتب نازلييف =

ملحـــق

عن الخونة الذين أسلموا عمورية

ويسمى الخائن عند مؤرخى الروم والعرب باسم مشتق من الكلمة الاغريقية (بوس) بمعنى الثور ولكنهم يختلفون بعد ذلك ويتناقضون فى شخصية الخائن .

ومصادر العرب فى مثل هذا الحال أوثق المصادر عندنا وهى تقول بوجود خائنين الأول يدل الخليفة على المكان المتداعى من السور والثانى واسمه وندو وهو الذى كان يحارب على الثلمة التى أحدثها العرب وهو الذى قرر التسليم للمعتصم حين لم يمده أصحابه . ومن هده الثلمة دخل جند العرب المدينة .

ويذكر صاحب صلة همرتولس ثلاثة خونة : — فيقول إن الخليفة كان عزم على ترك عمورية حين جاءه رسول من تلميذ من تلاميذ ليون الفيلسوف كان فى القلعة أخبره بما يأتى :— أن المعتصم إن بقى أمام المدينة يومين آخرين أخذها . وهو ما حدث فعلا جورج همرتولس ٧١٢ (٨٠٥ بون) . ولعل هذا الرسول هو الذى تذكره المصادر العربية أنه دل على الخليفة على المكان الضعيف من السور . ولكن دور الفلكى تلميذ ليون يظل غامضاً . لولا أن صاحب صلة همرتولس يقول أن الذين سلموا الحصن فى اليوم الثالث شخصان هما بويديتزى وما نيكوفاجو (جورج همرتولس ٧١٣ (٨٠٥ بون — سيميون ماجستروس ص ٦٣٨ — ليون النحوى ص ٢٢٤ — السلاف ص ٩٨) .

فإذا استبعدنا اسم الخائن الأخير أصبح صلب رواية همرتولس متفقاً مع أقوال المصادر العربية وهى تقول أن اسم وندو معناه الثور ونحن نستطيع أن نقول أن

= فى ١٩٠٠ . ويلاحظ نللينو أن هذا التعليق يجب أن يصحح وذلك أن أمارى حين يذكر كثرة الكهوف فى صقلية وحين يشير الى بوركلوت يرجح أن يكون حصن الجيران هو نفس للدينة الصغيرة المسماة اليوم جروت وهى على ١٥ كم من جيرجنتى (المسماة منذ يونية ١٩٢٧ اجريجنتى) وهى على مسافة يسيرة غربى ركاوتو . واسم جروت آت من بنائها على السفح الجنوبى لدرب ذى كهوف . ثم ان قول فازلييف أن حصن الجيران هو كلتاجرونى يجب أن يرفض لأسباب لغوية : منها أن الاسم العربى لهذه المدينة هو حصن الجنون بمعنى الجن وأن الجيم العربية فى جيران كانت تتحول عند اللاتينيين المعاصرين الى غ لا الى الجيم (نقول فى الاضافة كلتاجرونس : وثيقة من عام ١١٦٨ . ويقول كلتاجرون فى وثيقة أخرى من عام ١١٦) . أنظر هامش أمارى : تاريخ ط ٢ جـ ١ ص ٤١/٤٢ من المقدمة .

وتدو محرفة عن الكلمة اليونانية « بويديتزى » (الطبرى ج ٣ ص ١٢٥١) .

ونضيف أن المسعودى يسمى البطريق الذى أسلم عمورية — لاوى — ليون (مروج الذهب ج ٧ ص ١٣٦) . ولعله اسم الخائن الأول أو خلط بين اسمه واسم العالم ليون .

ولكن جنزيوس يرد الخائنين إلى خائن واحد يقول — « انه سمى لحقه باسم مشمة بالازدراء مشتق من الثور (باليونانية) جنزيوس ص ٦٥ . ولا يذكر صاحب صلة تيوفان كذلك إلا خائنا واحد هو بويديسس ذكر أنه بينما كان العرب على وشك الرجوع من المدينة رمى برسالة فى سهم إلى المعسكر العربى قال فيها ، لم تتهيأون يا أصدقائى بعد أن تحملتم ما تحملتم من المشقة وتبطلون أعمالكم وتعبكم . اذهبوا إلى أبراج فوقها ثور من حجر وعلى جانبها الخارجى أسد من رخام فأفلقوني أنا الذى أحبذ خطتكم (باليونانية . . .) . والتحصينات (ἐπαλξεις = الاسنان) فى هذا المكان ضعيفة فخذوا المدينة من ناحيتها وعليكم مكافأتى (باليونانية) . (صلة تيوفان ص ١٣٠) ويوافق مضمون الروايات العربية القائلة بتداعى السور وقدذكرناها من قبل

ويذكر سيدرونس كذلك خائنا واحداً هو بويديتزيس ويقول أنه رجل اشتراه العرب بهداياهم وأنه ارتد عن المسيحية بسبب خلاف . فالتقى سراً بالسراقنة ونصحهم بالهجوم على أنسب مكان من السور (سيدرونس ج ٢ ص ١٣٦) وكذلك يذكر زوناراس خائنا واحدا هو بويديتزيس ويذكر أنه أسلم المدينة بسبب خلاف (باليونانية) — زوناراس — وندروف ج ٣ ص ٤١٧ واسم الخائن بودِيس يذكره أيوديوس فى نص شهداء عمورية الـ ٤٢ (Acta Sanctorum Martii ج ١ ص ٨٩١ فقرة ٢٨ . تكتين ص ٧١/٧٢) .

ويسمى تاريخ ميشيل السورى الخائن باسم بودين ويذكر أن الخليفة رشاه وأعطاه ١٠ آلاف درهم (ميشيل السورى = تاريخ سوريانى ج ٣ ص ٩٨ وما بعدها) قارن هذا الملحق بما قلناه فى المتن من الأصل ١٦٩ .

وقد رأينا من واجبنا أن نسجل تعليق فازلييف هذا لأنه يتضمن ثبتا كاملاً بتشابه المصادر الرومية والعربية واختلافها . وقد قدمنا نقد هذه المصادر فى هوامش صفحة ١٦٩ وتقدمنا بنتيجة هناك .

الفصل الثالث

الامبراطور ميشيل الثالث

٨٤٢ – ٨٦٧

السنين الأولى من حكم ميشيل ٨٤٢ – ٨٤٥

خلف ميشيل أباه تيوفيل وكان عمره ست سنين حين مات أبوه [١] . فأوصى الامبراطور الراحل فى آخر أيامه أن تسند الوصاية إلى أمه تيودورا وأن يعينها مجلس مؤلف من تيوكتيت لوجوتيت وهو السباق والكانكلا

ومن سرج نيستيات الماجستير الذى أصبح بعد ذلك لوجتيت السباق وهو من قرابة تيودورا وأخيها برداس [٢]

---

(١) وهذا أمر مقرر لا جدال فيه : قارن ارنست شتاين . البروتنصل والاوتوكراتوريا فى المجلة السنوية (Annuaire) لمعهد الفيلولوجيا والتاريخ الشرقى ج ٢ ، ١٩٣٤ (دراسات تذكارية مهداة إلى بيديز) ص ٨٩٩ ح ٢ وخاصة ص ٩٠٠ .

(٢) عن الأيام الأولى من حكم تيودورا وأسرتها انظر بيورى ص ١٥٤ وما بعدها . والحق أن تيودورا اضطلعت بالسلطان مع ابنها ميشيل وابنتها تكلا . قارن أعمال شهداء عمورية (...) ص ٧٥ . وحكم دولة الروم ميشيل وتيودورا وتكلا (باليونانية) . وتجد صورتهم على النقود . قارن بروث . العملة الرومية ص ٤٣١ (صورة ٣٩ ، ١٩٠) أما عن تأليف مجلس الوصاية فالأمر غير موثوق بتفصيله وكان أهم الوصاة على أى حال تيوكتيست ولا يذكر أحد وصاية برداس إلا صاحب صلة تيوفان (ص ١٤٨) أما جنزيوس فلا يذكر إلا تيوكتيست ومنويل (ص ٧٧). ويذكر كذلك أن منويل كان الماجستر الأول ويقول صاحب صلة تيوفان « هو منويل الماجستر أصله أرمنى وهو عم الامبراطورة من جهة أبيها » . ولقد أثبتنا فى مكان آخر أن منويل لم يكن عضو مجلس الوصاية فى ٨٤٢ لأنه قتل فى ٨٣٨ ، ومرجعنا فى أنه مات فى ٨٣٨ هو اللوجتيت وهو لا يشير إليه أية اشارة فى أيام ميشيل . ويقول هذا المرجع أن الوصى الوحيد المشترك فى الوصاية فعلا هو تيوكتيست . وفى إحدى سير القديسين التى أهملت إلى الآن سيرة داود وسيميون وجورج (Anal Boll, ج ١٨ ، ١٨٩٩ ص ٢١١ — ٢٥٩) ذكر « المجلس أعيدت فيه الأرثوذكية وهو يذكر فى هذا الصدد القديسين واشراف البلاط وأعضاء الأسرة الأمبراطورية بالترتيب الآتى : (ص ٢٤٥ — ٢٤٦ . رجال الله . جورج وميتود ومعهما سرج نيستيات وتيوكتيست وبرداس وبتروناس وهم من المحبين للأرثوذكسية وهم من مجلس الشيوخ ورؤساء المجلس » . أما عن

ولم يكد ميشيل القاصر يعلن امبراطوراً وأمه وصية عليه حتى نجم من ناحيـة البحر خطر عظيم تهدد قسطنطينية .

وذلك أن العرب بعد أن هزموا الروم فى عمورية عام ٨٣٨ أرادوا أن يهزموها مرة أخرى فى البحر فمكثوا سنين يبنون أسطولا ويعدونه حتى كان عام ٨٤٢ فولوا قائداً عربياً اسمه أبو دينار على أسطول مؤلف من ٤٠٠ سفينة (درومون) وأبحروا نحو قسطنطينية « المدينة المحروسة »[1] .

واتخذت العاصمة عدة كافية لدفع العاصفة المنتظرة ولـكن الحملة البحرية العربية فشلت فشلا تاماً هذه المرة . وذلك أن عاصفة أدركت الأسطول العربى الـكبير عند

= سرج نيستيات فانا سنتكلم عنه فى غزو دمياط وكريت فانظر مقالتنا « رجل عظيم مجهول ، الماجستر ، اللوجوتيت سرج نيستيات » فى بيزنطيون ج ٨ ، ١٩٣٣ ص ٥١٥ —— ٥٢٠ وقارن ص ٥٢٨ و ٥٣١) وتقول إشارة اليه فى سنكسار قسطنطينية أن أصله من بفلاجونيا من قرية اسمها نيقتيا قريبة جدا من مدينة استريس —— هذا الرجل الشريف من أبوين شريفين كان من قرابة الامبراطورية تيودورا المعظمة الذكر والامبراطور ميشيل ابنها . وكان شديد التحمس للعقيدة الارثوذكسية وقد ناضل فى شجاعة فى سبيل الاعتراف بأرثوذكسية القديسين والايقونات المعززة « وقد تقدمنا بفرض هو أن مكان سرج ودوره فى اعادة الأرثوذكسية قد أعطى لمنويل تحت تأثير رهبان الأستوديت . ونستطيع أن نفترض كذلك أن القول بقرابة منويل وتيودورا وذكر ذلك عند صاحب صلة تيوفان واغفاله عند غيره قول إنتحل ليجعل لمنويل من القرابة ما لسرج نيستيات . أما ميشيل السورى فيذكر منويل ويصفه بأنه كان رئيس الجند أول حكم ميشيل الثالث ولـكن قوله لا يعتد به لـكثرة الأساطير فى هذا الجزء من تاريخه وهو على أى حال ينقل عن أسطورة منويل .

(١) حياة تيودورا ط . و . ريجل فى Analecta Byzantino-Russica بطرسبرج ١٨٩١ ص ١١ وقد رويت نفس المعلومات عند جورج همرتولس ص ٧٢٠/٧٢٨ (٨٠١ بون) . وتذكر هذه الرواية فى طبعة ميرالت قبل كلمات « التاريخ » المشهورة ما يأتى : « الى هنـا تاريخ جورج ومن هنا تاريخ اللوجتيت » . باليونانية (ص ٧٢١) . ويدل السياق أن سرد هذه الرواية يجب أن يوضع أول حكم تيودورا . ولذا نؤرخه بعام ٨٤٢ . قارن هيرش . دراسات بيزنطية ص ٣٣/٣٤ . ولم يذكر جورج همرتولس من تاريخ ميشيل الثالث إلا واقعتين . أولاهما خبر اعادة الأرثوذكسية وثانيتهما هزيمة الأسطول العربى قرب رأس خلدونية . شلوسر فى تاريخه عن القياصرة محطمى الايقونات ١٨١٢ ص ٥٠٦ . وقابل نفس الـكاتب ج ٢ ص ٣٤٣ . والمؤلفان الأخيران يعتقدان عن غير حق أن أبا دينار هو أمير كريت ! قارن بيورى ص ٢٧٤ . أما المصادر العربيـة فلا تذكر هذه الحملة التى غالى الروم فى أهميتها لأنهم قرنوا بينها وبين عودة الأرثوذكسية . وقد ظن البعض أن أبا دينار ليس إلا جعفر بن دينار والى طرسوس وان كان جعفر يذكر فى عصر متأخر عن هذا ، قارن بيورى ص ٢٨٣ ح ١ وانظر التعليقات الملحقة ص ٧ — ٤ من الأصل الفرنسى .

رأس كيربوت [١] ، عند الزاوية الجنوبية الشرقية من ليسيا جنوبى أنطاكية من بمفليا فأغرقته . فلم يعد منه إلى سوريا إلا سبع سفن . وهكذا نجت قسطنطينية بصورة غير متوقعة من هـــذا الخطر فاستطاعت أن تحول نظرها إلى إعادة الارثوذكسية وكان أمراً معقداً .

فلما انتهى هذا العمل عام ٨٤٣ أراد أنصار الأيقونات أن يمتحنوا رضاء الله . لأنهم كانوا يزعمون أنه ضامن منذئذ نصر الجيوش الامبراطورية . فعزموا على مهاجمة أقرب عدو وأقواه وهم عرب كريت . فأبحر تيوكتيت إلى كريت [٢] على رأس

(١) عند رأس كيربوت المسمى رأس خلدونية (باليونانية) (جورج مرتولس ص ٧٢٠ (٨١٨ بون) . وقد غرقت منذ القدم خمس جزر أو صخور ظاهرة سميت صخور خلدونية ومن هنا جاء الاسم التركى بيش — أدا يعنى الجزر الخمس) . وكانت الطيور المسماة خلدون تتخذها محطا عند هجرتها من مصر إلى الشمال . ورأس خلدونية المتصل بالقارة معروف ويسميه الترك سلدان برنو قارن توماسشك طبغرافية آسيا الصغرى التاريخية فى العصر الوسيط Sitz-ber. der kais. ak. d. Wiss. zu Wien قسم التاريخ والفيولوجيا ج ٤ ، ١٢ (١٨٩١) ص ٥١ . وخلدونيــة تذكره مرتين عند حاج روسى اسمه دانيل (Zitje i chozanje Danila) (بالروسية) ج ١ بطرسبرج ١٨٨٥ ص ١٠) ويعنى دانيل الذى ابتداء من انطاكية الكبرى فيقول خلدونية وهى جزيرة . . ولم أستطع النزول فيها مخافة من غارات المغيرين (ص ٩١) .

(٢) ومن اصعب الأشياء كتابة تاريخ تيوكتيست . فصاحب صــلة كيوفان ينسب اليه كل نوع من الهزيمة . ولــكن هذا المؤلف لا يحبه وليس ثبت الهزائم التى ينسبها اليه إلا ثبتا مغرضا ادعى فيه أن كوارث تيوكتيست مما أنذرت بها بكسوفات ، وأنها تشبــه كوارث برداس . وعبارته (ص ٢٠٠ x ٣٠٠) لا تذكر شيئاً تؤرخ به حملة تيوكتيست إلى بلاد الأباظ سوى حدوث كسوفين وهى حملة أصيب فيها الأسطول والجيش البرى . ويقول المؤلف بعد ذلك أن تيوكتيست استأنف الحرب فقتلا ٤ آلف وجل ثم يتكلم المؤلف عن غزو كريت فى عبارة واحدة حتى وغزا عرب كريت مرة أخرى فنام دون عنايه . أما أكثر من تركهم هناك فانهم خلصوا أنفسهم بالهرب (ص٢٠٣) . ويؤرخ اللوجثيت (ص ٨١٤) يوم الأحد من الصيام المقدس بعد إعادة الأرثوذكسية قيام حملة كريت . ثم أنه يجعل بعد هذه الحملة هزيمة موروبوتاموس ولا يقول شيئاً عن حرب الأباظ . ولهذا نعتقد أن حرب الأباظ هذه لم تقع أيام ميشيل وتيودورا ولــكن أيام تيوفيل . ولهذا أيضا يصعب التمييز بين حــرب الأباظ والحملة المذكورة عند صاحب الصلة (ص ٨٣٧) وهى التى أرسلها تيوفوب وبرداس ولا يذكر فيهـا تيوكتيست . وسياق الحوادث عند صاحب الصلة مشكوك فيــه أيضا لأنه عبارة عن احصاء لما وقع من الكوارث أيام تيوفيل . ولــكن المؤلف مصدق لا ريبة فى قوله حين يذكر دورا ضعيفا قام به تيوفوب مع ميله اليه . فالأمر لا يعدو أحد شيئين : الأول أما أن صاحب الصلة ينسب إلى تيوكتيست بغير حق هزيمة منى بها تيوفوب والثانى أن تيوكتيست اشترك فعلا فى حملة تيوفوب على الأباظ . وانظر فى ذلك ص ٩٤٠ م أما عن حملة موروبوتاموس فانا نتبع رواية اللوجثيت . وقد كانت هذه الحملة بعد حملة كريت لا قبلها .

أسطول عظيم فى أول آحاد الصيام الأكبر بعد عودة الكاثوليكية يعنى فى ١٨ مارس ٨٤٣ [١] فأصيب بالفشل . وصل إلى كريت دون عناء فهزم العرب بكثرة عدده فلجأ العرب حينئذ إلى الخديعة فأذاعوا فى عسكر تيوكتيت أن مكايد تدبر فى قسطنطينية وأن أمبراطورا جديداً قد ولى . وانخدع تيوتكتيت بهذه الأخبار الكاذبة فأسرع إلى العودة إلى العاصمة وترك فى كريت قسما كبيراً من جيشه فتخطفه العرب بعد أن فقد قائده [٢] .

وبعدئذ تحول تيوكتيت يهاجم العرب المشارقة ذلك أن تيودورا ولته على الجيش المرسل لحرب عمرو وكان عمرو غزا أرض الروم [٣] فانهزم تيوكتيت هذه المرة

---

(١) وقد جاء فى سنكسار قسطنطينية عناسبة سرج الماجستر (ص ٧٧٧) ما يأتى « وكان شديد الحماس للعقيدة الأرثوذكسية وقد ناضل فى شجاعة فى سبيل إعادة العقيدة الأرثوذكسية المقدسة والايقونات المبجلة . وكان الأسطول الرومى نزل حينئذ فى كريت فاختاره الامبراطور ميشيل ولكنه لم يقبل إلا بعد أن ألح عليه السناتو فى قبول هذه المهمة ، وإنما ألحوا عليه لذكائه وقدرته على تدبير شئون الروم . فقصد كريت ومات بها فأودع جثمانه مؤقتا فى دير كريت الذى يسمى إلى اليوم دير الماجستر . ثم نقل الجسم بعدئذ وأودع فى دير مقدس كان أنشأه بنفسه فى خليج نيقوميدية » . أنظر هـ . جريجوار . دراسات فى القرن التاسع فى بيزنطيون ج ٨ (١٩٣٣) ص ٥١٩ وما بعدها . وقد افترضنا فى تلك المقالة أن الحملة التى مات فيها سرج هى حملة ٨٦٦ واستدللنا على ذلك بأن الأمبراطور يذكر على أنه الوحيد الذى أسند الولاية لسرج . وكنا حملنا أنفسنا فى هذه المقالة أن نفرض عكس ما يروى المؤرخ وهو أن الروم احتلوا كريت عام ٨٦٦ وأيدنا هذا الفرض بخطاب لفوتيوس . وهو فرض كنا فى غنى عنه لأن هذا الاحتلال منصوص عليه صراحة فى عام ٨٤٣ وحملة تيوكتيست . ولنلاحظ بعد ذلك أن المفهوم من السنكسار أن الحملة التى مات فيها سرج تقع فى وقت إعادة الأرثوذكسية . وجملة القول أنه ليس مستحيلا أن نقبل وضع خبر سرج فى حملة ٨٤٣ . ويفسر ذلك أن سرج هو الذى خلفه تيوكتيست فى كريت حين صدق تيوكتيست (كقول صاحب الصلة) ما أذاعه العرب من أكاذيب خديعة منهم « ورجع إلى العاصمة وترك الجيش بغير قائد » (باليونانية) (٧٢٢ و ٨١٥ بون) .

(٢) صلة ثيوفانس ص ٧٢٢ (٨١٥ بون) . سيميون ماجستروس ص ٦٥٤ . ولبون النحوى ص ٢٢٩ ويذكر سيميون ماجستروس هذه الحملة فى السنة الثالثة من حكم تيودورا . وقد بنى على ذلك ميرالت أن هذه الاحداث وقعت عام ٨٤٤ . أما مؤرخو العرب فلا يذكرون شيئا عن هذه الحملة ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول أنها نفس حملة أبى سعيد المظفرة عبر أجناد كبادوكيا الثلاثة وهى أناطوليك وبوسيلير وابسيقيون فبلغ البسفور وذلك أيام الأمبراطورة تيودورا (بين ٨٤٢ و ٨٥٠) (وهو التاريخ الذى مات فيه أبو سعيد) وقد تغنى أبو تمام والبحترى بهذه الحملة (التعليقات الملحقة ص ٤٠٠ و ٤٠٤ من الأصل الفرنسى) .

(٣) أين تقع موروبوتامس ؟ وهل هى مكان أو نهر ؟ الجواب صعب وتشتد صعوبته كذلك لأن عبارة أخرى ورد فيها هذا الاسم (خاصة بحملة ٨٦) قد يدل ظاهرها على أن س كان فى موروبوتامس =

قرب موروبوتامون . وهلك كثير من أصحابه فى هذه المعركة . وأخطر من ذلك أن بعض الروم دفعهم حقدهم على رؤسائهم أن يلوذوا بمعسكر العرب . ومنهم رجل

═هم الروس : ولم يكن اوريفاس . وكان يقظا وهو الذى لحظ قدوم الروس ودل عليه الأمبراطور وكانوا وصلوا الى موروبوتامن فسار الأمبراطور لتوه من الطريق الى وصل منها قبل أن يقوم بأى شىء جدير بالشرف والنبل فان صح هذا النص فان الذين وصلوا الى موروبوتامون هم الروس ولهذا بحث العلماء عن هذا المكان فى ترانية ويضاف الى ذلك أن سيبيون ماجنروس قرأ على الأرجح وصل بدل وصلوا لأنه يقول (ص ٦٧٤) ═ أن الأمبراطور حين وصل الى موروموبوتامون دله (أى أوريفاس) على وصول الروس . ويؤيد هذه القراءة الأخيرة فى رأينا عبارة جورج الراهب ص ٨١٥ وهى تدل على أن موروبوتامون فى آسيا الصغرى . ولكن التحديد يبدو على أعظم جانب من الصعوبة كما سنرى بعد قليل من تعليق طويل ضمنه فازليف طبعته الأولى وسنقناه نحن بعد بنصة . ومهما يكن من شىء فان بيورى يقول (ص ٢٧٤ هـ ٤) ان الاعتماد على ضبط المخطوط يرجح أن موروبوتامون مكان (على نهر بطبيعة الحال) لا نهر .

ولنضف أن سيميون ماجستروس ص ٦٥٤ : يضع مكان موروبوتامن صيغة مختلفة جداً : — وقامت الحرب عند موروتوبو فانهزم تيوكتيست مرة أخرى .

وترى أن أمر موروبوتامن محلول بما وصلنا اليه (هـ ١ من هذه الصفحة) من أن هزيمة تيوكتيست تقابل غزوة أبى سعد (ومعه عمرو الأقطع أمير ملطيه) وبما ان أبا سعيد بلغ البسفور فالراجح أن النهر الأسود الذى هزم عنده تيوكتيست هو رافد سنجاريوس (ص ١٩٧ س ٩ من الأصل) .

وها هو تعليق فازليف وان كنا نعتقد أنه مخطىء فيما يذهب اليه من التحديد : اهتم العلماء منذ زمن طويل باسم جغرافى هو موروبوتامون وكان اهتمامهم أكبر بسبب هجوم الروس على قسطنطينية عام ٨٦٠ إذ عاد الأمبراطور الى عاصمته تاركا موروبوتامن (أنظر بعد) فبحثوا عن المكان فى آسيا الصغرى وترانية فاذا ابتدأنا التعليق من ملاحظة عامة كثيرة الوقوع وهى أن الأسماء الجغرافية القديمة تنتقل الى العرب بعد الفتح قلنا أن موروبوتامن هى النهر الأسود البيزنطى أو هى ملاس عند اليونان أو نهر قراسو (بنفس المعنى) فى العصر التركى . ولنصرف النظر عن نهر ملاس رافد سنجاريوس الواصل بين هذا النهر وبحيرة تسمى اليوم سبنجه شرق ازميد (نيقوميدية) لأن نهر ملاس هذا شديد القرب من العاصمة (أنظر و : رامزى جغرافية آسيا الصغرى التاريخية . لندن ١٨٩٠ ص ٢١٠ ، ٤٦٠) . ولنقف عند نهر آخر لا يذكر رمزى عنه شيئا انما يذكره سترابون عند كلامه على مدينة مزاكا السكبادوكية فيقول انها الى جانب جبل مشرف تغطية ثلوج دائمة هو جبل ارجى ويرى من قمة البحر الأسود وخليج أسوس (باليونانية) وعلى ٤٠ فرسخا من مزاكا يفيض نهر ملاس فى سهل ويصب فى الفرات (سترابون ، ديدو ص ٤٦١ تيبنر ص ٧٠٦) والواقع أن نهر قراسو يجرى اليوم شمالى ارجياس داغ أو ارجى وهو رافد أيسر لنهر قزل — ارمك . ويستفاد من هذا أن سترابون أخطأ حين قال أن نهر ملاس يصب فى الفرات . قاثان رتل . المطول فى جغرافيا آسيا الصغرى المقارنة جـ ٢ لندن ١٨٣١ ص ١٦٥ . وهملتون : أبحاث فى آسيا الصغرى وبونت وارمنيه جـ ٢ لندن ١٨٤٢ ص ٢٦١ . ر . أوبرهمر هـ . زميرر . عبر سوريا وآسيا الصغرى ، برلين ١٨٩٩ ص ١٣٤ ، ١٧٥ — ١٧٦ . وانظر ما يقوله عن هذا النهر رجل معاصر كبادوكى : نهر ملاس ينبع من جبل ارجى على ثلاث ساعات من قيصرية ═

اسمه تيوفان الفرغانى[١] وقد شمله العفو فيما بعد وعاد إلى المسيحية والإمبراطورية[٢].

فلما عاد تيوكتيت إلى العاصمة حمل برداس مسئولية هزائمه وادعى أنه هو الذى سبب بخطئه هرب الجيش الرومى فى موروپوتامن. وأيدته تيودورا فى دعواه. واضطر برداس أن يغادر العاصمة[٣].

= وهو يجرى إلى الجنوب فيعبر اقليم مستنقعات ثم يتصل بنهر سكورد يسكوس عند مكان يسمى امباريه ومنها يمضى الى بوغاز كبروزو والى اقليم ملاس ثم يصب فى نهر الهليس ن . س . ريزو (واصله من سينازو فى كبادوكيا) السكبادوكى ، قسطنطينية ١٨٥٦ ص ١٤٣ — ٢٤٤ . ولكننا قد رأينا آنفا ما وصلنا اليه من تحديد . وهو أن موروبوتامن رافد سنجاريوس . وقد تجاوز فازلييف عن هذا الفرض بغير حق .

(١) تيوفان الفرغانى (صلة همرتولس ص ٧٢٢) ويذكر أهل فرغانه مرات كثيرة فى جند الروم مثل أهل فرغانه الذين كانوا فى الجيش الموسل إلى إيطاليـا أيام رومان ليكابين : قسطنطين البورفيرى = المراسيم ص ٦٦١ . ويذكرون ضمن رجال الأمبراطور باريليكوى (نفس ص ٧٤٩) والمقصود هنا هم الترك الشرقيون . أما عن الفراغنة فى روسيـا فانظر كروج أبحاث فى تاريخ روسيا القديم ج ٢ سانت بطرسبرج ١٨٤٨ ص ٧٧٠ وما بعدها . ويذكر شفارك ضمن سلاف بولاب قبائل اسمها فرجونه وفراجانيو منزلها غير معروف . شفارك . تاريخ السلاف القديم فى فوتكه ، ليبزج ١٨٤٤ ج ٢ ص ٦٠٧ ، ٦٣٠ وعلى أساس هذا قال فنلاى . ان الامبراطورية كانت من الاتساع وعلاقاتها من الشمول حتى ليصعب فى حالتنا هذه (نص صلة همرتولس) أن نعين المقصودين أهم السلاف الغربيون أو الترك الشرقيون . فنلاى تاريخ اليونان ط . توزر ج ٢ ص ١٦٧ هـ ٢ .

(٢) ثم أنه انتصر بعد لبرداس وشارك فى قتل تيوكتيست (صلة همرتولس ٧٢٩) .

(٣) صلة همرتولس ص ٧٢٢ . سيميون ماجستر ص ٦٥٤ .

فداء الأسرى عام ٢٣١ ﻫ

(٧ سبتمبر ٨٤٥ — ٢٧ أغسطس ٨٤٦)

ولم يكن الواثق (٨٤٢/٧) يستطيع الاستمرار فى حرب الروم رغم ما ذهب به سلفه من الظفر وذلك أنه واجه أزمات داخلية خطيرة سببها ما أثاره ارتشاء الإدارة وسوء سمعتها من سخط .

ومن ذلك ثورة قامت بدمشق ولا شك أن أنصار الأمويين كانوا الداعين لهم وثورات القبائل العاصية فى الجزيرة العربية النائية وما تتطلبه من جهد مضعف للخلافة ، وثورة الكرد فى العراق الفارسى وخروج الخوارج وسخط بغداد نفسها سخطا كاد يودى بخلافه الواثق والفتنة الدينية حول القول بخلق القرآن وقدمه وحول رؤية الله فى الحياة الآخرة ، ويضاف إلى كل هذه الصعوبات ضجر الناس المتزايد من خليفة لا سلطان له . فاضطر الخليفة لكل هذا أن يعقد صلحاً مع جيرانه الغربيين [١] .

ولم يكن الروم يتمتعون الحرب كذلك . فإنهم كانوا فى غمرة الفشل المستمر الذى نزل بهم فى نضالهم عرب صقلية . ولهذا نلحظ بعد حملة ٨٤٤ ميلا إلى إقامة علاقات سلمية عن طريق فداء الأسرى .

وذلك أنه وصل إلى بلاط الخليفة فى ٨٤٥ رسول رومى مكلف باسم الإمبراطور أن يفاوض فى أمر الفداء [٢] فنزل عرضه عند الواثق موضع الرضا بطبيعة الحال .

---

(١) فايل : تاريخ الخلفاء ج ٢ س ٣٣٧ — ٣٤٤ . ميور الخلافة س ٣١١ — ٣١٧ .

(٢) وأطول سرد عن هذا الفداء عند الطبرى وهو يروى عن ستة أشخاص . أحمد بن أبى قحطبه واحمد بن الحارث ، ومحمد بن احمد بن سعيد بن سلم بن قتيبه الباهلى وكان أسيرا عند الروم ومحمد بن عبد الله الطرسوسى وهو مولى والسندى ومحمد بن كريم (الطبرى ج ٣ س ١٣٣٩ ، ١٣٥١ — ١٣٥٦) (أنظر ذيل الأصل س ٣١١) . وهذه التفاصيل مسوقة عند الطبرى غير متصل بعضها ببعض وهى معروضة بنفسها تقريباً مرتين . وسردها عند ابن الأثير أكثر انسجاما ولكنه أقصر وهو على ذلك متفق تمام الاتفاق مع سرد الطبرى (ابن الأثير ج ٧ س ١٧/١٦) (ذيل الأصل ٣٥٣/٣٥٢) ونجد كذلك إشارات وجيزة عن هذا الفداء عند اليعقوبى ، تاريخ ج ٢ س ٥٨٨ — ٥٨٩ وعند المسعودى فى كتابه التنبيه والاشراف (دى جويه) المكتبة الجغرافية العربية ج ٨ ليدن ١٨٩٤ ص ١٩١/١٩٠ (ذيل الأصل ٣٢٦،٢٧٥) =

فأرسل احمد بن أبي قحطبة إلى البلاط البيزنطى ووكل اليه أن يعلم بالضبط عدد من فى أيدى الروم من الأسرى واستعداد الحكومة الأمبراطورية بصفة عامة . فظهر أن أسرى المسلمين كانوا ٣٠٠٠ رجل وخمسمائة امرأة وولد .

فقرر الواثق فداءهم وكان مكان الفداء ضفاف نهر اللامس غير بعيد من سلوقية على مسيرة يوم من طرسوس . ونظم الخصى خاقان مراسيم الفـــداء هو وكتاب اشتركوا فى فداء سابق كان عام (٨٤٤) [1] .

وأمر أمير حصون الحدود فى آسيا الصغرى وسوريا وهو احمد بن سعيد بن مسلم ابن قتيبة الباهلى أن يحضر كذلك الفداء . فحضر ومعه سبعة عشر فارساً . وعلى

= قارن بحث سانستدى ساسى عن كتاب المسعودى هذا (وهو يقتبس نصا عن الفداء) منشور فى تعليق واقتباس من المخطوطات ج ٨ باريس ١٨١٠ ص ١٩٤/١٩٥ . وقد أخذ عنه بازبيه مينار نفس النص ونشره ملحقا بمروج الذهب للمسعودى ج ٩ باريس ١٨٧٧ ص ٣٥٧ . قارن المسعودى التنبيه والاشراف ترجمة ب . كرا دى فو . باريس ١٨٩٧ ص ٢٥٧ — ٢٥٨ . والراجح ان المقريزى أخذ معلوماته عن المسعودى (الخطط ، بولاق ١٢٧٠ (١٨٥٣) مجلدان ج ٢ ص ١٩١ وقارن سردا موجزا — متفقا مع سرد الطبرى عند ابن مسكويه نشره دى خويه فى Flagmenta ص ٥٣٢ — ٥٣٣ . قارن أيضا جريجوار أبو الفرج . تاريخ سوريانى ص ١٥٣ وما بعدها ط . بدجان ص ١٤٠ ترجمة بدج — ولا يقول مؤرخو الروم شيئا عن هذا الفداء . غير أن إشارة عرضت فى حياة القديس جوانيس (حياة جوانيس تأليف بطرس فقرة ٦٢ ط . فان دن جين فى .Act. Sanct نوفبر ٤ ج ٢ ، ١ ، ١٨٩٤) فقد أشرك القديس ثلاثة أيام قبل موته (٣ نوفبر ٨٤٦) فى أمر فــداء . وها هو سياق هذه الاشارة فى السيرة المذكورة : أسر تاجر هو ابن أخ كاتب فى أثناء رحلة ، أسرة السراقنة واقتادوه الى سوريا ، وكان اثنان من الأشراف هما ليون البطريق الصقلاو وأجابت الابقلاز والقستار الأول ، زارا القديس متوسطا أهل الأسير بالقديس أن يهتم هذه الفرصة ليذكر عند الشريفين حالة ابنهم لكى يجعلاه بنفوذهما ضمن من تعدهم الأمبراطورة تيودورا للفــداء القريب . فلم يحقق جوانيس ما توقع الأبوان . فلم يقل لرسل قسطنطينية كلة عما أوصى به . وتدل هذه القصة التى وقعت قبل نوفمبر ٨٤٦ وبعد عمورية (لأن جوانيس تكلم عن كارثة عمورية) على أن الروم اهتمــوا بالفداء . ولا نرى مجالا للتردد فى اعتبار هذا الفداء فداء عام ٨٤٥ الذى يذكر لنا العرب تفاصيل كثيرة عنه .

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٣٥٢ (قارن ذيل الأصل ٣١١) ولا نعــرف بالضبط ما كان فداء عام ٢٣١ هـ (١٨ سبتمبر ٨٤٤ ، ٦ سبتمبر ٨٤٥) المسعودى (ط دى خــويه . المكتبة الجغرافية العربية ج ٨ ص ١٩٠ . تعليق واقتباس ج ٨ ص ١٩٤ . مروج الذهب باربيه دى مينار ج ٩ ص ٣٥٧) ثم المقريزى الخطط ج ٢ ص ١٩١) وهما لا يذكران فى تعداد الأفدية هذا الفداء . ومن الممكن مع ذلك أن يكون وقع فداء على عدد ضئيل من الأسرى بعد حملة ٨٤٤ التى تكلمنا عنها من قبل .

أى حال فقد حضر العرب فى قوة كبيرة بلغ عددها ٤,٠٠٠ رجل إلى مكان الفداء[١] وكان الروم فى مثل هذه القوة وكان اثنان من كبار قوادهم برأسان الفداء[٢]. ولم يخفيا قلقهما من كثرة ما رأيا من عدد العرب. فطلبا من خاقان أن يعقد معهما هدنة لأربعين يوما بقدر ما يرجع الأسرى إلى بلادهم[٣].

والتقى الروم والعرب على ضفاف اللامس فى ١٦ سبتمبر ٨٤٥[٤].

وكان من أسرى المسلمين الموجودين عند الروم محمد بن عبدالله وكان من أشراف طرسوس. أسره الروم منذ ثلاثين سنة حين غزا أرض الروم مع العلافة. فأرسل توا مع أسرى آخرين فى مثل شرفه إلى الخليفة فأهدى الخليفة لمن ساروا به فرساً وألف درهم لكل منهم. فلما ابتدأت المفاوضة لإجراء الفداء عند اللامس كادت تفشل لأن رسل الروم وعبد الملك بن الزيات وزير الواثق اختلفوا اختلافاً عنيفاً لأن الروم لم يرتضوا فداء العجزة من النساء والرجال وفداء الأطفال. بمن فى أيديهم من الأسرى. واستمر الخلاف أياماً إلى أن اتفقوا على فداء رجل برجل.

والراجح أن عدد الأسرى المسلمين عند الروم كان أكبر من عدد الأسرى الروم عند العرب وذلك أن الواثق أمر بشراء من يباع فى بغداد والرقة من العبيد الروم فلم يكف، ذلك. فلم ير الخليفة إلا أن يخرج من كان فى بلاطه من نساء الروم. ثم إن العرب لم يبدأوا عملية الفداء إلا بعد أن ألفوا جماعة من يحيى بن آدم الكرخى البغدادى، وجعفر بن الحذاء، وطالب بن داود لامتحان عقيدة الأسرى[٥] واشترطوا أن لا يفتدى إلا من نفى قدم القرآن ورؤية الله فى الآخرة فمن رفض هذه العقائد افتدى. وكان مع الجماعة مال يفرقونه فيمن افتدوا فأعطوا كل واحد ديناراً. أما

---

(١) اليعقوبى (تاريخ جـ ٢ ص ٥٨٨ — ٥٨٩) وهو يقول أن الذى حضر الفداء ٧٠ ألف رجل مسلح (ذيل الأصل ٢٧٥).

(٢) الطبرى جـ٣ ص ١٣٠٤. ولكن أسماءهما للأسف لا يمكن تبينها من رسمها العربى (ذيل الأصل ٣١٢)

(٣) الطبرى جـ٣ ص ١٣٠٩ (ذيل الأصل ٣١٤).

(٤) ١٠ محرم ٢٣١ — الطبرى جـ٣ ص ١٣٥٢، ١٣٠٤ (ذيل الأصل ٣١١ — ٣١٣).

(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٣٥٣ (ذيل الأصل ٣١٤) ويسمى المسعودى هذا العضو الأخير من الجماعة قاضى القضاة أحمد بن أبى دؤاد (دى جويه جـ٨ ص ١٩١. تعليق جـ ٨ ص ١٩٤ مروج الذهب جـ ٩ ص ٣٥٧ (قارن ذيل الأصل ص ٣٣٦). المقريزى خطط جـ ٢ ص ١٩١.

الأسرى المسلمون الذين ظلوا على عقيدتهم فى قدم القرآن ورؤية الله فإنهم تركوا فى يد الروم وكانوا فيما يرجح كثيرين [١] مع أن خاقان بذل جهده لشراء أكبر عدد من المسلمين .

وها هو نظام الفداء على اللامس = جعلوا على النهر قنطرتين واحدة للروم وواحدة للعرب فيطلق الروم أسيراً ممن عندهم ويطلق العرب فى نفس الوقت رومياً ممن فى يدهم .

فاذا اقترب المسلم من المسلمين صاح بالعبارة التقليدية « الله أكبر » فيرد عليه باقى المسلمين بالتكبير كذلك . وفعل الروم مثل ذلك [٢] .

واستمر الفداء إذا صح ما يروى الطبرى أربعة أيام [٣] . وافتدى أثناءها ٤ آلاف أسير مسلم منهم نساء وأطفال وأهل ذمة يعنى مسيحيين ويهوداً من رعايا المسلمين [٤] . ويضيف الطبرى أن ممن افتدى من المسلمين ثلاثين رجلا كانوا ارتدوا عن الاسلام حين أسروا [٥] . وافتدى فى هذا الفداء أيضاً أسرى زبطره [٦] التى خربها

(١) المسعودى (دى جويه جـ ٨ ص ١٩١ . تعليق ٨ ، ١٩٤ مروج الذهب جـ ٩ ص ٣٥٧ ولهذا الخبر فضل كثير من الأسرى الرجوع لأرض الروم (ذيل الأصل ٣٣٦) . قارن المقريزى الخطط جـ ٢ ص ١٩١ .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٣٥٥ (ذيل الأصل ٤٩/٥٠) . وفى روايات أخرى أنه لم تعمل قناطر وانما كان الأسرى يعبرون النهر من مخاضة وهى رواية قليلة الرجحان . قارن الطبرى جـ ٣ ص ١٣٥٥ (ذيل الأصل ٣١٤) . ويذكر اليعقوبى قنطرة (تاريخ جـ ٢ ص ٥٨٩) (ذيل الأصل ٢٧٥) .

(٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٣٥٦ . المسعودى (دى جويه جـ ٨ ص ١٩٠ . تعليقات واقتباسات جـ ٨ ص ١٩٤ — مروج الذهب جـ ٩ ص ٣٥٧) ويروى عنه المقريزى الخطط جـ ٢ ص ١٩١ ويقول أن مدة الفداء عشرة أيام (ذيل الأصل ٣١٤ ، ٧٣) .

(٤) ويذكر الطبرى عدة روايات ويذكر أرقاما متباينة ٤٣٦٢ رجل (جـ ٣ ص ١٣٣٩) ؛ ٤٦٠٠ منهم ستمائة امرأة وطفل وخمسمائة ذمى (جـ ٣ ص ١٣٥٤) ؛ ٤٤٦٠ شخص منهم ٨٠٠ امرأة وطفل ومائة ذمى . (جـ ٣ ص ١٣٥٥) (ذيل الأصل ٣١١ — ٣١٤) . ويذكر المسعودى جملتين : « ٤٣٦٢ ؛ ٤٠٤٧ رجل (دى جوية جـ ٨ ص ١٩٠ ؛ تعليقات جـ ٨ ص ١٩٤ » مروج الذهب جـ ٨ ص ٣٥٧) ؛ المقريزى : ٤٣٦٢ رجل (الخطط جـ ٢ ص ١٩١) (ذيل الأصل ٣٣٧) ويذكر اليعقوبى جملة أقل من ذلك ٥٠٠ رجل و ٧٠٠ امرأة (جـ ٢ ص ٥٨٩) (ذيل الأصل ٢٧٥) ويطلق اسم الذمى على المسيحيين واليهود والصابئة ممن يدخل فى ذمة المسلمين . وكانت هذه الطبقة قليلة العدد جداً .

(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٣٥٦ (ذيل الاصل ٣١٤) .

(٦) المسعودى (دى جوية جـ ٨ ص ١٩٠ ، تعليق واقتباس جـ ٨ ص ١٩٥ — مروج الذهب جـ ٩ ص ٣٥٧) (ذيل الأصل ٣٣٦) .

الامبراطورى عام ٨٣٧ . ويتضح إذن رغم صمت المؤرخين العرب أن الأسرى المدنيين الذين أخذهم العرب فى عمورية عادوا إلى بلادهم حينئذ .

ومن المسلمين الذين افتدوا شخصية عظيمة الأهمية هى شخصية مسلم بن أبى مسلم الجرمى [١] . وكان عاش فى أسر الروم زمنا طويلا حتى عرف بلادهم وكتب عدة كتب عن أباطرة الروم وأكبر رؤسائهم شهرة وعن أقاليم الروم ومسالكهم وأنسب الفصول لغزو أرضهم وما جاورهم من الأمم كأرض برجان [٢] والآفار والبرجار (بلغار ؟) والسلاف والخزر الخ . وكان مع ذلك شديد التمسك بعقيدته فرفض ما عرض عليه وهو التنصل من القول بقدم القرآن وبرؤية الله فأصابه من جراء ذلك اضطهاد طويل صمد له إلى النهاية ولزم منطقه مع نفسه والامانة لعقائده [٣] . وقد أخذ عنه ابن خرداذبه الجغرافى علمه فى وصف أقاليم الأمبراطورية الرومية [٤]

فلما انتهى الأربعون يوماً المشروطة فى الهدنة غزا والى الثغور أحمد بن سعيد ابن سلم بن قتيبة أرض الروم فجأة فى الشتاء على رأس سبعة آلاف رجل فأدركته الثلوج والمطر فلم ينل شيئا وهلك من رجاله مائتان وأسر مائتان كذلك وغرق عدد عظيم فى نهر البدندن [٥] .

واقترب منه جيش رومى قائده بطريق نخشى القائد العربى غضب الخليفة عليه أن هزم وسمع نصح أصحابه فأسرع فى الخروج من أرض الروم واستاق معه ألف ثور وعشرة آلاف ضأن . فسخط عليه الواثق لفشله وعزله وأسند ولاية الثغور فى ١٨ يناير ٨٤٦ إلى نصر بن حمزة الخزاعى [٦] .

---

(١) والقراءات مختلفة باختلاف المخطوطات العربية قارن دى جوية ج ٨ ص ١٩٠ .

(٢) هل المقصود أهل برنديى ؟ أنظر عن هؤلاء — د . ا . رازفسكى : فى Seminarium Kondakonianum ج ٢ سنة ١٩٣٣ ص ١٩١ .

(٣) المسعودى ط : دى جوية ج ٨ ص ١٩٠ — ١٩١ . تعليق ج ٨ ص ١٩٥ — مروج الذهب ج ٩ ص ٣٥٧ . المقريزى الخطط ج ٢ ص ١٩١ (ذيل الأصل ٣٣٦) .

(٤) ابن خرداذبة ط : دى جوية ص ١٠٥ ، ٧٧ .

(٥) الطبرى ج ٣ ص ١٣٥٦ . ابن الأثير ج ٧ ص ١٧ وهو يقول أن من مات مائة وأسروا مثلهم (ذيل الأصل ٣١٥ ، ٤/٣٥٣) .

(٦) الطبرى ج ٣ ص ١٣٥٦ — الثلاثاء ١٦ جمادى الأولى . قارن ابن الأثير ج ٧ ص ١٧ (ذيل الأصل ٣٥٤/٣١٥) .

ولم يكن بين الروم والعرب حرب فى الشرق بعد فداء ٨٤٥ إلى ٨٥١ . ولكن الروم من ناحية أخرى كانوا يواصلون جهادهم المضنى الفاشل فى صقلية .

عمليات صقلية (٨٤٢ — ٨٥٣)

فى آخر ٨٤٢ أو فى ٨٤٣ (٢٢٨ هـ ١٠ اكتوبر ٨٤٢ — ٢٩ سبتمبر ٨٤٣) حول العرب عملياتهم فى صقلية إلى أقصى الشرق من الجزيرة وأخذوا أنفسهم بحصار مسينا . وفى أثناء هذا الحصار جاء أهل نابلى مددين للمسلمين بصفتهم أحلافا [١]

وعزم القائد العربى وهو الفضل بن جعفر الهمدانى أن يأخذ مسينا عنوة بأسطوله فأدخله ميناء مسينا وبدأ الحصار بمعونة أهل نابلى .

فلم يعتور صمود المدينة ضعف رغم أن الفضل بذل كل جهده . فعمد الفضل إلى قسم من جيشه فأرسله سراً إلى الجبال القائمة خلف مسينا وهاجم المدينة بنفسه من ناحية البحر حتى إذا جمع المحاصرون قواتهم جميعاً عند الشاطىء هجم عليهم من خلفهم من كان اختفى فى الجبل . واضطرت مسينا إلى التسليم ووقعت فى أيدى المسلمين [٢]

وفى نفس السنة أخذ المسلمون مدينة مسكان [٣] وواصلوا تقدمهم نحو الجنوب الشرقى من الجزيرة فأخذوا حصن موديكا فى عام ٨٤٥ ويقع على صخرة وعرة [٤]

---

(١) ابن الأثير ط : تورنبرج جـ ٧ ص ٣ وعند امارى المكتبة العربية الصقلية . تورينو وروما (١٨٨٠) جـ ١ ص ٣٧٤ . وقد جاء فيه — وانضم إليه (الفضل) أهل نابلى . (ذيل الأصل ٣٦٣ . وانظر امارى : تاريخ مسلمى صقلية جـ ١ ص ٣١٥/٣١٤ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٤٩/٤٤٨) .

(٢) ابن الاثير : تورنبرج جـ ٧ ص ٣ وعند امارى : ترجمة جـ ١ ص ٣٧٤ (ذيل الأصل ص ٣٦٣) ابن خلدون عند امارى جـ ٢ ص ١٧٩ . أبو الفرج — تاريخ الدول طبع بوكوكيو ، اكسونياى نص ٢٥٧ ترجمة ص ١٦٧ .

(٣) تلك رواية ابن الأثير: تورنبرج جـ ٧ ص ٣ . أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٤ (ذيل الأصل ٣٦٣) امارى (تاريخ جـ ١ ص ٣١٥/٣١٤ ط ٢ جـ ١ ص ٤٤٩ ، جـ ١ ص ٤١/٤٠ مقدمة) وهو يفرض هنا مع شىء من التحفظ أن مدينة مخقان المذكورة عند الادريسى توافق اليوم مدينة اليمينا الحديثة فى اقليم سغالو — بلرمو فى جزيرة إلى الشمال الغربى من قصر يانه . قارن جيوردانى : قائمة عامة ببلاد مملكة إيطاليا ، ميلانو ١٨٨٣ ص ١١/١٠ . ملتيدو : كتاب اقاليم مملكة ايطاليا . نابلى ١٨٧٣ ص ١٤/١٣ .

(٤) تاريخ كمبردج عن سرافنة صقلية ط . كوزا — لوزا ص ٢٦ — وأخذت قصور اقليم نوا كينايا وسان أنانيا من موديكا . أمارى : ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ٣٤٥) . أما عن موديكا فانظر =

وكانت الامبراطورة تيودورا راغبة فى تدارك موقفها فى صقلية حول ذلك الوقت على الأرجح يعنى صلح عام ٨٤٥ الذى عقدته مع العرب المشارقة ، فأرسلت إلى الجزيرة جنداً انتدبتهم من جند خرشنه البعيد . فأنشبوا معركة قرب مدينـة بوتيرا الصغيرة وتقع جنوبى الجزيرة إلى شمالى مدينة ترانوفاالبحرية ولكنهم هزموا على يد أبى الأغلب العباس وقتل منهم حوالى عشرة آلاف رجل على حين كانت خسائر المسلمين لا تذكر [(١)] .

وتبع هذه الهزيمة هزائم أخرى كثيرة متتابعة

وفى ٨٤٦ / ٨٤٧ (٢٣٢ هـ ٢٨ أغسطس ٨٤٦ — ١٦ أغسطس ٨٤٧) هاجم الفضل بن جعفر مدينة ليونتينى الهامة وتقع فى القسم الشرقى من الجزيرة بين قسطانيا وسرقوصة . فأسرع البطريق الرومى لنجدة المحاصرين وكان المتفق عليه بينه وبينهم أن يؤذنهم بقدومه بنار يوقدها على أحد الجبال المجاورة للمدينة . وعلم القائد العربى

= هارى (Hare) مدن جنوب إيطاليا وصقلية لندن ١٨٨٣ ص ٤٥٥ ملتيدو نفس الكتاب ص٣٠٢. جيوردانى نفس الكتاب ٢٥٨/ ٢٥٩ فيتواميكو ـ قاموس صقلية الطبغرافى مترجم عن اللاتينية مع تعليق جيواشينو ديمارزو ، بلرم ١٨٥٥ جـ ٢ ١٤٤/ ١٥١ . قارن أيضا أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣١٥ (ط ١ جـ ١ ٤٤٩/ ٤٥٠ وهامش المؤلف . قارن لانسيادى برولو « تاريخ كنيسة صقلية جـ ٢ ، بلرم ١٨٨٤ ص ٢٤٥ » وقد جاء فيه : « وفى سنة ٨٤٥ أخذت حصون موديكا التى يسميها التاريخ الفاتيكانى توراسينيا وسان أنيالو . ولـكن النص اليونانى معناه أخذت قصور اقليم تراسيـا (فى اللاتيوم) وسان أناتيا فى موديكا » قارن ك . ا . زورنى » تعليقات على نص تاريخ كمبردج اليونانى فى مجـلة « أتينايم » جـ ٣ باقيا ١٩١٥ ص ١٨٦ .

(١) تاريخ كمبردج ط كوزا — لوزى ص ٢٦ « وقامت حرب الخراشنة فقتل من المسيحيين ٩ آلاف فى السنة التاسعة . أمارى ترجمة جـ ١ ٢٧٨ (ذيل الأصل ٣٤٥) ولم يكن أمارى يعرف نص التاريخ اليونانى فقرأ فى العربية » خرزانيطة (تاريخ ط ١ ٣١٦١ . ط ٢ ص ٤٥٠/ ٥١ . والسنة التاسعة المشار إليها فى التاريخ تبدأ فى سبتمبر ٨٤٥ . ابن الأثير يذكر عام ٢٢٩هـ (٣٠ سبتمبر ٨٤٣ — ١٧ سبتمبر ٨٤٤) ويذكر معركة كبيرة فى مكان يسمى شرح ؟ (ولعله بوتيرا ؟) انهزم فيه المسيحيون وقتل منهم عشرة آلاف (تورنبرج جـ ٧ ص ٣ . أمارى : ترجمة جـ ١ ص ٣٧٥ (ذيل الأصل ٣٦٣) . أما عدد القتلى فمتقارب وقد يجوز لهذا أن تلصب هذه العبارة إلى المعركة المذكورة آنفاً فى تاريخ كمبردج . ثم أننا نقيم صـلة بين هذا المدد الآتى من خرشنة وبين أمور المشرق يعنى بفداء عام ٨٤٥ وبالهدنة التى أعقبته. ولهذا نضع هذه الهزيمة فى آخر عام ٨٤٥ أو بالأحرى آخر عام ٨٤٦ . ويميـل أمارى إلى تغليب ٨٤٥ (تاريخ جـ ١ ٣١٦ ، ط ٢) والقول بأن خرزانيطة هم أهل خرشنة قول غير موثوق بصحته لأسباب لغوية ذكرها ناشر أمارى : تاريخ جـ٢ ص ٤٥٠/ ٤٥١ ط ٢ — تعليق نالينو .

بذلك فأوقد النار ثلاث ليال متتابعة على نفس الجبل فلما كانت الليلة الرابعة وتوقع أهل المدينة المحصورون أن يكون البطريق حسب الاتفاق قريباً منهم خرجوا موقنين بالنصر فتصنع العرب الهرب حتى استدرجوهم إلى كمين مهيأ من قبل على حين كانت المدينة خالية . وهجم الكمين فجأة فهزم الروم وهربوا وأخذت المدينة دون سلاح [١]

وفى السنة التالية ٨٤٧ / ٨٤٨ (٢٣٣ هـ ١٧ أغسطس ٨٤٧ — ٤ أغسطس ٨٤٨) حاول الروم النزول بعشر شلنديات فى خليج منديلو ويقع على ثمانية أميال من بلرم فلم يوفقوا وضلت الشلنديات فى الجزيرة ولم تستطع غير العودة فأدركتها عاصفة ذهبت بسبع من العشر الشلنديات [٢] .

وفى سنة ٨٤٨ قامت مجاعة عظيمة بصقلية . والراجح أنه كان من نتائج مجاعة هذه السنة أن سقط حصن راجيز دون قتال . ويقع هذا الحصن فى القسم الجنوبى الشرقى من الجزيرة . وقد سلم على شروط مذله هى أن ينزل أهل المدينة عن أموالهم للظافرين وأن يهدم الظافرون أسوار المدينة قبل أن يغادروها . وفى ٨٤٩ — ٨٥٠ (٢٣٥ هـ ٢٦ يوليه ٨٤٩ — ١٤ يوليه ٨٥٠) دخل العرب قصر يانه وانتهبوا المدينة وأحرقوها وعادوا إلى بلرم سالمين [٣] .

ثم مات فى ١٧ يناير ٨٥١ (١٠ رجب ٢٣٦) والى الجزيرة أبو الأغلب وكان خير من مثل عرب أفريقية فى صقلية وكان ذا مواهب عاليه وقدرة فائقة فى الحرب والإدارة معا [٤] .

---

(١) ابن الأثير ط . تورنبرج ص ٣/٤ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٥/٣٧٦ (ذيل الأصل ٣٦٣/٣٦٤) تاريخ كمبردج ط كوزا — لوزى ص ٢٦ : أخذت ليونتينى فى السنة الأولى (باليونانية) أمارى : ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ٣٤٢) (وتنتهى السنة الثانية فى سبتمبر ٨٤٧) . ابن خلدون عند أمارى : ترجمة جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٢) ابن الأثير . ط تورنبرج جـ ٧ ص ٤ وعند أمارى ، ترجمة جـ ١ ص ٣٧٦ (ذيل الأصل ٣٦٤) . قارن أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣١٧/٣١٩ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٥١/٤٥٣) .

(٣) تاريخ كمبردج ط . كوزا — لوزى ص ٢٨ : سلم أهل داجير وقامت مجاعة شديده فى السنة الحادية عشرة (تنتهى السنة الحادية عشرة فى سبتمبر ٨٤٨) أمارى : ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ص ٣٤٢) . ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤ . أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ (ذيل الأصل ص ٣٦٤) . ابن خلدون عند أمارى جـ ٢ ص ١٦٩ .

(٤) أنظر عنه ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤ ، ٥ وعند أمارى : ترجمة جـ ١ ص ٣٧٧

لجمل العرب عليهم بعده أبو الأغلب العباس بن الفضل بن يعقوب الذى أشتهر بنصره عام ٨٤٥ على جند خرشنه . ولم ينتظر الوالى الجديد اعتماد ولايته من أفريقية وبادر بمواصلة الحرب فى حرارة وتوفيق . مع أن حكومة أفريقيـة لم تسارع إلى الاعتراف به وهجم جند هذا الوالى الجديد على حصن كاتافونورو (قلمة أبى الثور) الواقع فى إقليم جبلى اسمه مادونى فى شرقى الجزيرة (٢) فظفروا ثم دخلوا إقليم قصر يانه ولـكنهم لم يستطيعوا اجبار البطريق الرومى على انشاب معركة (٣) .

وفى ٨٥٢، ٨٥٣ (٢٣٨ ، ٢٣٩ هـ ٢٣ يونيه ٨٥٢ — أول يونيه ٨٥٤) خرب جند العرب القسم الجنوبى الشرقى من الجزيرة . يعنى إقليم قطانيا وسرقوصه ونوتو وراجيز ثم وقفوا لحصار حصن بوتيرا فدام حصاره خمسة شهور أوستة إلى أن فاوض أهل المدينة العباس فسلموه خمسة آلاف أسير أو ستة فاقتادهم إلى بالرم (٤) .

(ذيل الأصـل ٣٩٥) . (النويرى عند أمارى ص ٣٧٦) . أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٣٢٠ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٥٥) .

(٢) تارن مولتيدو قص الـكتاب ص ٩٥ . جيوردانى قص الـكتاب ص ٧٠ ، ٧١ . فيتو — أميكو : قاموس طبغرافى جـ ١ ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٣) ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤٠ وعنـد أمارى : ترجمة جـ ١ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ (ذيل الأصل ص ٣٦٥) .

(٤) ابن الأثير جـ ٧ ص ٤٠ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٨ (ذيل الأصل ص ١٠٣) . البيان ط . دورى ص ١٠٤ وعنـد أمارى : ترجمة حـ ٢ ص ١٠ . وفى هذا التاريخ الأخير ذكر لأخذ مدينة سمرينه (سهرينه) ويرى أمارى أنها كسَّارينا (أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٣٢٤ ط ٢ جـ ١ ص ٤٥٩ هـ ١) (ذيل الأصل ص ١١٤) . تاريخ كمبردج ط . كوزا — لوزى ص ٢٨ وسلمت بوثير فى السنة الثانية عشرة (والسنة خطأ) ، أمارى ترجمة حـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ٣٤٥) . ابن خلدون عند أمارى جـ ٢ ص ١٨٠ ، ١٨١ .

العرب وإيطاليا (٨٤٢ - ٨٥٣)

ولم يقتصر هجوم العرب على صقلية وإنما تجاوزوها إلى إيطاليا . فتقدموا وهاجموا ايطاليا الجنوبية ودخلوها حتى بلغوا رومه [١] .

وأخذت الفرص تزداد سنوحا لتدخلهم فى أمور الجزيرة بفضل ما كان يقوم فى بنفنت من خلافات داخلية . وكانت أسرة رادلشيس ، التى تحكم بنفنت عاجزة عن نضال خصمها سكينولف : وكان سكينولف اغتصب منها كالابريا فاستنجدت بالمسلمين ووسطت فى ذلك حاكم (جستلد) بارى واسمه بندون وطلبت مدداً . فسارع المسلمون إلى قبول الدعوة . وساروا إلى بارى فى ٨٤١ واغتنموا ليلة مظلمة ممطرة فهجموا على المدينة وهى نائمة فاستولوا عليها وأخذوها لأنفسهم . فاستنجد سكينولف كذلك بعرب أسبانيا والأرجح أن المقصود عرب كريت [٢] على حلفاء رادلشيس ، وهم عرب أفريقية .

وأصبحت إيطاليا مرة أخرى ميدان حرب كبيرة [٣] فقاد الحرب فى سنة ٨٤٥ سرج قنصل نابلى وحالف أهل أمالفى وجايت وسورنت على المسلمين فاضطرهم إلى الإنسحاب من بونزا وهى احدى جزر يونتين الواقعة غرب نابلى وإلى الإنسحاب

---

(١) أنظر خاصة تلخيصا واضح المعالم عند ج. جاى. ايطاليا الجنوبية وامبراطورية الروم ص ٢٥ـــ٦٩ . ارشمبرتى « تاريخ انجوباردیا ، برتز ج ٣ ص ٢٤٦ .Script. rer. langob ص ٢٤٠ . تاريخ كازين ، برتز ج ٣ ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ . قارن دملر » تاريخ دولة الفرنج الشرقيين ، برلين ١٨٦٢ ج ١ ص ١٨٥ . هيبا : « تاريخ امارة لباردیا فى سلرنو ص ٩٩ فى « الارشيف التاريخى لاقليم نابلى » سنة ١٢ ، نابولى ١٨٨٧ . أمارى : تاريخ ج ١ ص ٣٦٠ ، ٣٦١ (ط ٣ ج ١ ص ٥٠٠/٥٠٢ . ف. لنرمان » اليونان الكبرى باريس ١٨٨١ ج ١ ص ٦٩ ٠ م . بران « الروم فى ايطاليا فى القرنين التاسع والعاشر » Zapiski Jmperatorskago Nouorossiqskago Uulversitata ج ٣٧ أودسا ١٨٨٣ ص ٢٠ وتاريخ أخذ المسلمين بارى غير محقق ، .أما أمارى فيفضل تاريخ ٨٤٢ . قارن هارتمان » تاريخ ايطاليا فى العصر الوسيط ج ٣ ص ١ ، ١٩٤/٢٣٠ .

(٢) ارشمبرتى « تاريخ لباردیا ، برتز ج ٣ ص ٢٤٧ » .Script. rer. langob ص ٢٤١ » واستعان رادلشيس على العرب الاوبيين بعرب الأندلس . أنظر أمارى » تاريخ ج ١ ص ٣٦١/٣٦٢ (ط ٢ ج ١ ص ٥٠٢ ، ٥٠٣) .

(٣) أنظر عن العمليات الحربية « تاريخ سلرنو ، برتز ج ٣ ص ٥٠٨ ـــ ٥١٠ .

من ليكوزا وهى لسان فى القسم الجنوبى من خليج سلرنو [١] .

ولكن العرب بعد أن ارتدوا إلى بلرم عادوا بعد قليل جداً إلى خطة الهجوم .

فعادوا إلى إيطاليا وأخذوا ميزينو (ميزنايتوم) قرب نابلى [٢] . وفى ٨٤٦ تقدموا إلى مصب التيبر وافتربوا من رومه . وكان باباوات هذا الوقت يذكرون الخطر العربى المحيق برومه ويتوقعونه ويجاهدون فى إبعاده عن المدينة الخالدة . وكان البابا جريجوار الرابع (٨٢٧ / ٨٤٤) حصن مصب التيبر لحماية النهر من العرب فبنى حصن أوستى وأحاط المدينة بسور وخندق [٣] . وكان ظهور أسطول السراقنه عند مصب التيبر فى شهر أغسطس ٨٤٦ . فسار قسم من العرب إلى سفيتافكيا بينما هزم القسم الآخر حامية البابا فى نوڤا أوستى وركب نهر التيبر .

ومن الصعب أن نعتقد أن العرب كانوا يحققون بهجومهم على رومه خطة خاصة أو أنهم كانوا يعللون أنفسهم بإقامة لواء النبى على كنيسة الرسول بطرس [٤] . وكل شىء يرجح أن هذا الهجوم لم يكن إلا غزواً ونهباً شأن الغزوات العربية وإن كان هذا الهجوم واسع الأمد . وهو هجوم جره ما بلغ العرب من شهرة الثروات العظيمة فى رومة .

وكانت كنائس القديسين بطرس وبولس خارج الأسوار فأخذت ونهبت . وكان ما أصاب كنيسة القديس بطرس [٥] أكبر مما أصاب الأخرى .

---

(١) جوهانيس «أعمال نابلى الاكليروسية» فى .Script rer. langob ص ٤٣٢ . أنظر أمارى تاريخ ج ١ ص ٣٦٤ كباسو Monumenta فى تاريخ دوقية نابلى ١٨٨١ ص ٨٤ ، ٨٥ . هرتمان ص ٢١٢ .

(٢) جوهانيس : أعمال نابلى الاكليروسيه . نفس الكتاب والموضع .

(٣) حياة جريجوار الرابع ص ٨٢ فى كتاب البابوات ط . ل . دوشين ج ٢ باريس ١٨٩٢ .

(٤) أنظر جرجوروڤيوس : تاريخ مدينة رومة . ط ٤ ج ٣ ، شتتجارت ١٨٩٠ ص ٨٥ هرتمان تاريخ إيطاليا فى العصر الوسيط ج ٣ ص ١ و ٢١٣ — ٢١٥ .

(٥) حياة سرج ج ٢ : الكتاب البابوى ط . دوشين ج ٢ ص ٩٩ — ١٠١ . تاريخ كازين (برتز ج ٣ ص ٢٢٥ — ٢٢٦) جوهانيس تاريخ فى .Script. rer. langob ص ٤٣٢ — ٤٣٣) جوهانيس . تاريخ البندقية (برتز ج ٧ ص ١٨) أما عن المصادر الأخرى فانظر دملر . تاريخ دولة الفرنج الشرقية ج ١ ص ٢٨٩ — ٢٩٠ . وانظر أيضا كباسو . تاريخ نابلى . تاريخ الدوقيه ج ١ ص ٦٠ شيبا . تاريخ امارة سلرنو . فى ارشيف تاريخى لامارة نابلى سنة ١٢ (١٨٨٧) ص ١٠٤ — ١٠٥ جريجوروڤيوس تاريخ مدينة رومه ط ١ ج ٣ ص ٨٥ — ٨٨ . م . بران . الروم فى إيطاليا الجنوبية فى القرنين التاسع والعاشر (بالروسية) ص ٢١ . جاى ص ٥٥

ولا نعلم إن كانت رومة نفسها قد هوجمت لأن المصادر لا تذكر عن ذلك شيئاً ثم أن أهل المدينة لم يلبثوا أن ردوا العرب ، فاتجه العرب إلى بنفنت وخربوا فوندى وحاصروا جاييت حول منتصف سبتمبر ٨٤٦ .

ووصل حينئذ إلى ايطاليا الجنوبية الملك لويس الثانى (الأمبراطور فيما بعد[١]) بجيشه . ووصل إليها من الناحية الأخرى قيصر ابن قنصل نابلى .

فأوقع المسلمون هزيمة فادحة فى ١٠ نوفمبر بجيش لويس ولم ينج لويس إلا بفضل قيصر .

وعقد العرب عقب ذلك حلفاً مع قيصر وتركوه . ولكن أكثرهم هلك فى الطريق [٢] . أما قراصنة العرب فقد ظلوا يذكرون الغنائم العظيمة التى أخذوها فى هجومهم على رومة ٨٤٦ . فعادوا بعد ثلاث سنوات إليها (٨٤٩) وسبق إلى علم سكان رومة أن أسطولا كبيراً يحشده السراقنة على شواطىء سردانيه ينتوى الهجوم مرة أخرى على المدينة الخالدة .

فاستنجد البابا الجديد ليون الرابع (٨٥٥/٨٤٧) بوطنية الايطاليين ونشأ عن ذلك عقد حلف بين رومة وأمالفى وجاييت ونابلى . وكان أس هذا الحلف قيصر الذى تحدثنا عنه من قبل وأقسم المتحالفون قسما دينياً فى قصر لتران على التضامن . وحشدوا فى أوستى أسطول الحلفاء وجيش رومه .

وفى اليوم التالى للصلاة التى أقامها البابا وصلت سفن السراقنة أمام أوستى فهاجمها المتحالفون هجوماً قوياً ولكنهم كفوا الحرب بعاصفة هبت فغرقت الأسطول العربى وأغرقته وهلك كثير من العرب وأسر كثير منهم فاقتيدوا إلى رومة وألزموا بالعمل فى بناء مدينة الفاتيكان [٣] .

---

(١) بوهمر — مولباخر . سجلات الكارولنجيان ، انسبرك ١٨٨٣ ص ٤٢٣ — ٤٢٤ . التاريخ غير محدد : ٨٤٧ — ٨٤٩ عند جاى ص ٦٠/٥٩ . أما تدخل لويس منذ عام ٨٤٦ وهزيمته فأمور مشكوك فيها . هارتمان ص ٢١٥ وقارن نفسة ص ٢٢٩ .

(٢) أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣٦٦/٣٦٥ (ط ٢ جـ ١ ص ٥٠٧/٥٠٦) .

(٣) أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣٦٦/٣٦٥ (ط ٢ جـ ١ ص ٥٠٨/٥٠٦) جريجور وفيوس قس الكتاب ج ٣ ص ٩٢/٩٠ وأخذ البابوات أنفسهم شيئا فشيئا باصلاح ما أنزل السراقنة بكنيسة القديس من تخريب قارن مثلا حياة ليون الرابع (كتاب البابوات — دوشتين ص ١٢٧) وحياة بندكت الثالث (٨٥٨/٨٥٥) ص ١٤٨ ، ٧ دوشتين .

ولكن الاضطرابات المتصلة التي تقوم في إيطاليا والخلافات بين الأسر الايطالية كانت تتيح للعرب دائماً فرصاً للتدخل في شئون إيطاليا الجنوبية وتخريبها إلى أن كان عام ٨٥٠ فاشترك في نضال العرب اشتراكاً حاراً لويس الذي أصبح أمبراطوراً في ٨٥٥ (١) واستمر هذا النضال سنين طويلة بعد ذلك (٢) .

حصار الروم دمياط في ٨٥٣

في عام ٨٥٣ هاجم أسطول البحر الأبيض الرومي دمياط فجأة (٣) . ولنا أن نفرض أن الخطة الرومانية كانت تشمل الهجوم على كريت لضرورة عزلها وقطع اتصالها بمصر وذلك أن مصر كانت دار الصناعة لقراصنة كريت (٤) .

وكان خليفة العرب في ذلك الوقت المتوكل ، وقد ولي المتوكل بعد موت الواثق في ١٠ أغسطس ٨٤٧ عن ٣٢ سنة .

كان الواثق مصاباً بالاستسقاء . ووصف له أطباؤه أن يجعل نفسه مدة طويلة في فرن ساخن فلما اتبع وصفهم وجدوه في الفرن ميتاً مختنقاً من غير شك . وخلت الخلافة فجأة من أمام .

فقد مات والي خراسان المشهور عبد الله بن طاهر قبل موت الواثق بسنين وكانت له سلطنة الأمير المستقل وكان فوق ذلك الحارس الأمين للخلافة العباسية . ومات كذلك في نفس الوقت قائد مشهور من قواد خلافة المعتصم وهو إشناس (٥)

وتدخل وصيف قائد الحرس الخليفي التركي وايتاخ بنفوذهما فاختير للخلافة جعفر بن

(١) أماري ، تاريخ ج ١ ص ٣٦٧ وما بعدها (ط ٢ ج ١ ص ٥٠٨ وما بعدها) .

(٢) راجع التفاصيل عند ج . جاي . إيطاليا الجنوبية ص ٧٢/٦٤ ومكانها كلها هنا وخاصة ص ٦٦ الخاصة بالسراقنة في باري ورؤسائهم السودان .

(٣) عن حملة دمياط . أنظر بيوري ص ٢٩٢ ، ٥ . جريجوار في بيزانطيون ج ٨ ١٩٣٣ ص ٥١٥ — ٥١٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٤) ولكن قارن بيوري ص ٢٩٢ هـ ٣ ويفرض فازلييف أنهم قصدوا صقلية ولكن السياق عند الطبري يدل على أنهم غزوا في الشرق .

(٥) فايل : قس الكتاب حـ٢ ص ٣٤٤ . ميور : الخلافة ص ٥١٧ ، ٥١٨ .

المعتصم وهو أخ الواثق وتلقب بلقب المتوكل الذى يتوكل على الله . وأبعد ابن الواثق لصغر سنه .

وكان حكم المتوكل (٨٤٧ — ٨٦١) نحساً حقاً على الدولة . فإنه خرج على سياسة سلفه الدينية فاضطهد المعتزلة اضطهاداً حاداً وكذلك الشيعة والترك واليهود والمسيحيين فأثار على نفسه كل الأحزاب الدينية . وقسم الخلافة بين أولاده الثلاثة فكان التقسيم نحساً كذلك أدى إلى إثارة الفتن وإضعاف الدولة . وبلغ السخط على خلافة المتوكل فى العاصمة نفسها حداً ألزم الرجوع إلى الجند لاقرار النظام على حين كانت الحدود حينئذ نهباً للفتن الداخلية ولهجوم الامبراطورية الرومية وجيران الخلافة الآخرين . وقامت الثورات فى آذربيجان وســـوريا الشمالية وسجستان والاضطرابات الخطيرة فى أرمنية فاضطر القائد أن يتقدم إلى تفليس وشواطىء بحر قزوين . كل ذلك هدم قوة الخلافة هدماً حقيقياً [١] .

ولم تلبث الحرب أن قامت مع الروم . ولم تكن بين الروم والعرب حروب منذ آخر فداء (٨٤٥) إلى عام ٨٥١ .

فلما كان هذا العام غزا على بن يحي الأرمنى والى الثغور ثلاث صوائف متتابعة (فى ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣) ودخل أرض الروم [٢] . فلما كانت سنة ٨٥٣ نزل الأسطول الرومى تجاة دمياط [٣] .

---

(١) فايل : نفس الكتاب ‍جـ ٢ ص ٣٤٨ — ٦٢ ميور : الخلافة ص ٥١٩ — ٥٢٦ . سان مرتان : أبحاث تاريخية جغرافية عن أرمينية جـ ١ باريس ١٨١٨ ص ٣٤٧ . دعباشيان : تأسيس أسرة بفراط ، برلين ١٨٩٣ ص ٣٠ ، ١ . بجرين : أسرة بفراط فى أرمينية Zurnal Ministerstva Narodnago Prosuescenija جـ ٢٩٠ (١٨٩٣) ص ٦٠ ، ٦١ . ويؤرخ أخذ تفليس بتاريخ ٢٦ أغسطس حسب نقش وجد فى آثينى قرب جورى . فارن ب . بيترس : AA,SS, نوفمبر جـ ٤ ص ٥٥٠ .

(٢) الطبرى جـ ٣ ص ١٤١٤ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ (ابن الأثير جـ ٧ ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧) (ذيل الأصل ٣١٥ — ٣١٧) .

(٣) المصدر الرئيسى هو الطبرى جـ ٣ ص ١٤١٧ — ١٤١٨ (ذيل الأصل ٣١٥ — ٣١٧) وأوجز رواية عن تاريخ هذا الحصار فى ابن الأثير . وهى متفقة تمام الاتفاق مع رواية الطبرى (ابن الأثير جـ ٧ ص ٤٥) . وعند اليعقوبى اشارات يسيرة (تاريخ جـ ٢ ص ٥٩٦ ، ٥٩٧) . المقريزى . الخطط جـ ٢ ص ١٩٠/١٩١ ط . فيث جـ ٤ ص ٤٠ ، الكندى . كتاب الولاة وكتاب القضاة . ط . جست ١٩١٣ (أبحاث جب رقم ١٩) ص ٢٠١ / ٢٠٢ وقد ترجم بروكس عبارة الكندى . العلاقات بين الأمبراطورية ومصر حسب المصادر العربية فى المجلة البيزنطية الألمانية جـ ٢٢ (١٩١٣) ص ٣٨١ — ٣٩١

ويروى العرب أن أسطول الروم كانت عدته ثلثمائة سفينة عليها ثلاثة رؤساء لكل رئيس مائة سفينة وكان الذى نزل بدمياط القائد الثانى واسمه ابن قطونه [١] . وقع ذلك فى ٢٢ مايو سنة ٨٥٣ على حين كان [٢] والى مصر عنبسه بن اسحق الضبي وهو آخر والى عربى[٣] وليها قد استدعى حامية دمياط إلى الفسطاط بمناسبة عيد كبير كان يريد أن يجعل منه أكبر عرض حربى ممكن . ودمياط اليوم كما نعلم قائمة على الضفة اليمنى من مصب النيل الشرقى على ١٢ كم من المصب وعلى كيلو متر واحد من بحيرة المنزلة . وكان حول سور المدينة قناة تحيط بها كالخندق. أما بحيرة المنزلة وهى الميدان الذى وقعت فيه عمليات الأسطول الروى عام ٨٥٣ فتقع بين دمياط وبور سعيد . وهى منفصلة من ناحية الشمال عن البحر بشريط منيع من الأرض الرملية . ومساحتها فى فصل الفيضان نحو ١٢٠٠ كم أما اليوم فماء البحيرة قليل ومتوسط عمقها متر واحد. أما الشريط الرفيع الفاصل بينها وبين البحر فانه ينقطع فى عدة أماكن ويصل بين

= (ذيل الأصل ٣٩٤) جريجوار أبو الفرج . تاريخ الدول . اكسونياى ١٦٦٣ نفس ص ٢٦٠/٢٦١ ترجمة ص ١٦٩ — ١٧٠ . والمصادر الرومية صامتة . فايل نفس الكتاب جـ٢ ص ٣٥٧ . وستنفلد . ولاة مصر زمن الخلفاء Abh. der Ges. d. wiss. zu Göttingen جـ٢ ، ١٨٧٥ ص ٥١ .

(١) وللأسف أن مؤرخى العرب نقلوا الينا أسماء هؤلاء القادة دون نقط . أما الاسم الأول ر ف وهو ما يوحى الينا باسم الأميرال الروى أوريفاس وسنتكلم عنه بعد . أما الآخران فلا نخرج من غموضهما وقراءة الاسم الثانى واضحة عن الطبرى « ابن قطونة قارن الطبرى جـ٣ ص ١٤١٧ » ابن الأثير جـ٧ ص ٤٥ . اليعقوبى جـ ٢ ص ٥٩٧ . أما الاسم المؤلف من أ م ر د ن ق (؟) فقد حاولت أن أرى فيه اسم برداس (و . ر . د) . وأما اسم قطونة فقد فرضت أنه ترجمة من نكيتياتيس (ابن نقطونا) وهو فى الحقيقة اسم سرج نكتياتيس (من نكبنيا) . أنظر عن هذه الشخصية ما ذكرناه آنفا ص ١٩٢ من الأصل هذا . وبما أنه قاد حملة على كريت فمن المقبول أن يكون قاد حملة إلى دمياط وفى هذه الحالة لا يكون موته فى كريت عام ٨٤٣ بل فى ٨٦٦ . ويقول بيورى بحق فى صدد هذه الحملة « ومما له دلالته فى معرفة طبيعة التواريخ الرومية جهلهم أمر دمياط جهلا تاما . والثابت مع ذلك أن أخذ دمياط كان عملا حربيا عظيم البراعة . وقد يؤخذ بأحد معانيه على أنه ثأر لعمورية . فاذا لم يتكلم عنه أى روى فذلك لأن تواريخ عهد ميشيل الثالث أعدمت إعداما تاما وأحلت محلها روايات مفرضة معادية لهذا الملك العظيم ومن اعانه . أ . و . بروكس . المجلة التاريخية الانجليزية ١٩١٣ ص ٤٣٧ « وهو يقرأ فوتينوس وامرديناقا (مونينا كيوس) من اسم قطونه ومن الحروف ا م ر د ن ق (ف) ويمكن أن تكون قطونة » كنتوميتيس قارن ص ٩٠ ، ٢٢١ .

(٢) نجد هذا التحديد التوقيتى عند المقريزى ، الخطط جـ ٢ ص ١٩٠/١٩١ ، ٩ ذى الحجة وهو يوافق ١٤ مايو (٨٥٣) (ذيل الأصل ص ٣٨٨) ونفس التاريخ عند الكندى . قارن ا . بروكس المجلة البيزنطية الألمانية جـ ٢٢ (١٩١٣) ص ٣٩٠ (ذيل الأصل ٣٩٤) .

البحـــيرة والبحر . وهو أمر يدل عليه كذلك رسم كروكى ضمنه ياقوت معجمه الجغرافى[١] . يجب أن نلاحظ كذلك أن دمياط فى القرن التاسع كانت أقرب إلى البحر منها الآن . وقد تهدمت دمياط القديمة فى منتصف القرن الثالث عشر هدمها السلطان بيبرس[٢] وبنى المدينة فى المكان الذى ظل مكانها إلى الآن .

وكان مع ابن قطونه حين نزل دمياط خمسة آلاف رجل تقريبا حملهم على شلنديات وهى سفن مغطاة بسقوف[٣] ففزع أهل المدينة وأخلوها وحاولوا عبور البحيرة الفاصلة بين دمياط وبين الأرض من المخاضات فهلك كثير من النساء والأطفال أثناء العبور[٤] .

وأحرق الروم المدينة المهجورة ونهبوها واستولوا على ما كان جهز لإرساله لوالى كريت أبى حفص[٥] . وأخذوا مؤناً كثيرة كانت معدة للعراق . وكان هُوِىُّ الجزيرة اتخذ لإيداع الأشرعة فأحرق هو والجامع الكبير واقتاد الروم معهم من الأسرى ٦٠٠ مسلم وقبطى[٦] .

ومع ذلك فالتاريخ يذكر عدة أمثلة على ما أبدى المسلمون من بطولة فى المقاومة حين نزل الروم دمياط . من ذلك أن ابن الأكشف كان فى سجن عنبسة والى مصر

---

(١) بعـد أن ولى عنبسة فى القرن التاسع لم يل مصر إلا تركى . قارن كرباسك « أول الوثائق عن الولاة الترك » من مجموعة راينر جـ ١ ، فينا ، ١٨٨٧ ص ٩٨ .

(٢) ياقوت معجم البلدان ط . وستنفلد جـ ١ ص ٨٨٤ .

(٣) فيفيان دى سان مرتان : قاموس جغرافى عالمى جديد ، باريس ١٨٤٠ وما بعدها جـ ٢ ص ١٢ ، جـ ٣ ص ٧٩٦ . اليزيه ركلوس : الجغرافية العالمية الجديدة جـ ١٠ باريس ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٤) وستنفيلد « أسماء السفن العربيـــه فى Nachrichten von der K. Gesellsehaft der wissenschaften und der Georg-Augusts Universität zu Göttingen ١٨٨٠ رقم ٣ ص ١٤٠ » وكل البحث فى صفحات ١٣٣ ، ١٣٤ . ج . جلدميستر « عن السفن العربية فى نفس الـ Nachrichten (١٨٨١) قارن البارون روزن » الامبراطور بازيل قاتل البلغار ، سان بطرسبرج ١٨٨٣ ص ٢٧٥ (بالروسية) اليعقوبى ٨٥ سفينة جـ ٢ ص ٥٩٦ (ذيل الأصل الفرنسى ٢٧٦) .

(٥) أبو حفص : هكذا كان اسم الفاتح وهو أول ولاة كريت . ونحن نشك فى أنه كان واليا عام ٨٥٣ على الجزيرة .

(٦) الطبرى جـ ٣ ص ١٤١٨ (ذيل الأصل ٣١٦) . اليعقوبى جـ ٢ ص ٥٩٧ وهو يقول أن الروم أخذوا ١٨٢٠ مسلما وألف امرأة قبطيـــة و ١٠٠ يهودية منهم ألفان أرادوا الهرب فغرقوا فى البحر (ذيل الأصل ٢٧٦) . وعلى هذا لم يبق من الأسرى غير ألف .

فلما كان الحصار هرب من السجن وهجم على العدو وساعده الناس وقتل بيده كثيراً من الروم[1]. فلما مضى على الحصار يومان يعنى فى ٢٤مايو[2] رجع الأسطول الرومى محملا بالغنائم والأسرى نحو الشرق وقصد تنيس الواقعة بين الفرما ودمياط[3] ولكن التيار منعه[4] وخشى أن توقفه سلاسل الرمال فعدل عنها إلى أشتوم غير بعيد من تنيس[5].

وكانت أشـ[illegible] نقطة حصينة حولها سور فيه أبواب حديد من بناء المعتصم.

فدخل ا[illegible] اشتوم واحرقوا كل ما كان بها من العرادات والمجانيق وحملوا معهم الأبواب [illegible] يدية وعادوا إلى بلادهم دون أن ينال العرب منهم شيئا قط.

ما[illegible] كان عمل قائدى الأسطول الآخرين أثناء ذلك ؟ لا نعلم شيئا. ولكننا نفتر[illegible] أنهم كانا يغزوان شواطىء كريت. والشىء الثابت أن الروم عادوا فى [illegible] ٨٥٤، كما يروى المقريزى ثم فى يونية — يولية ٨٥٩ كما يروى الكندى. ويقول الكندى أنهم قصدوا هذه المرة بلوز (الفرما) أما أبو المحاسن فيقول أنهم قصدوا دمياط[6].

كانت هذه الهجمات على دمياط انتصارات رومية وكان لها أثر خطير على نمو البحرية العربية. فإنها دلت العرب على حاجتهم لتنمية بحريتهم وترقيتها ولتكوين بحارة لها. ونحن نعلم أن العرب لم يغزوا فى البحر أول سنى الفتح العربى وأن عمر

---

(١) الطبرى جـ ٣ ص ١٤١٨ (ذيل الأصل ٣١٦) قارن وستنفلد ولاة مصر : Abh. d. K. Gesll. d. wiss. Gottingen جـ ٢٠

(٢) اليعقوبى (جـ ٢ ص ٦٩٧) وهو يقول : وأقام الروم على دمياط يومين وليلتين ثم رحلوا.

(٣) أنظر ياقوت معجم البلدان جـ ١ ص ٨٨٢. قارن أيضا الرسوم عند ياقوت جـ ١ ص ٨٨٤.

(٤) المقصود هنا الجزء من البحر الموحود بين القارة وسيف الأرض القائم أمام مصب النيل. أنظر ياقوت جـ ١ ص ٨٨٢.

(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٤١٨ وهو يقول أربع فراسخ ويقول ياقوت ستة (جـ ١ ص ٢٧٦).

(٦) ولا يذكر هجوم الروم الثانى على دمياط فى ٢٣٩ هـ (١٢ يونيه ٨٥٣—١ يونيه ٨٥٤) إلا عند المقريزى فى القرن الرابع عشر. أنظر هـ. هاكر « ترجمة أحمد المقريزى » سرد حملات الروم والفرنج على دمياط، امستردام ١٨٢٤ ص ٩ (نص)، ص ٢١ (ترجمة). قارن ذيل الأصل ٣٨٧. وانظر من الكندى مقالة بروكس فى (B. Z.) المجلة البيزنطية (الألمانية) ١٩١٢ (وذيل الأصل ٣٩٤).

حرم عليهم الغزو حتى كان أول خلفاء الأمويين . ومن الثابت تقريبا أن الأسطول العربى الأول إنما كان فى الحقيقة روميا سوريا عربيا . وكان بحارته من أهل المدن المفتوحة فى سوريا ومصر . وكان رؤساء البحارة كالبحارة معظمهم من المسيحيين أو الحديثى العهد بالإسلام . وكانوا يتقاضون على تجنيدهم أجراً أو يكون أجرهم غنائمهم . فكانوا أول من علم العرب شئون البحر [١] .

وكان هجوم الروم غير المتوقع على دمياط حافزا دفع العرب إلى التفكير الجدى فى إنشاء أسطول مصرى . فبدأوا بتحقيق ذلك فى حرارة .

ومنذ ذلك الوقت فيما يروى المقريزى [٢] ابتدأت مصر اهتمامها الجدى بالاسطول حتى أصبح أمر البحر من أكبر الأمور أهمية . فبنوا سفنا (جالير) لأسطول الحرب وجعلوا للبحارة عطاءا كعطاء الجند . وأنزل الأمراء الرماة فى الأسطول . وابتدأ الشعب يعلم أطفاله الرمى بالسهام ولم يستعملوا بالسفن عامة أى رجل بطىء الذكاء غير مدرب على أعمال الحرب . وتولى الناس حماس قوى لحرب أعداء الله ولإعزاز دينه واعان على ذلك أن الدخول فى الأسطول كان من موجبات الاحترام والاعتبار حتى أقبل الناس جميعاً على الدخول فى الأسطول والاشتراك فيه بأى ثمن .

وهكذا كان نتائج هجوم الروم على دمياط ظهور أسطول مصرى وهو هذا الاسطول الذى صار عظيم الأهمية فى النصف الثانى من القرن العاشر أيام الفواطم خاصة [٣] .

حوادث صقلية من ٨٥٣ — ٨٦١

اقتصر الروم فى هجومهم على دمياط ولكنهم لم يجنوا مع ذلك ما تمنوا من هذه العملية الحربية الكاسبة . فلم تتحسن أمور صقلية وجرت الحرب على عادتها لم يلق الروم فيها أى نصر .

---

(١) قارن كرعو تاريخ الثقافة فى الشرق ج ١ ص ٢٤٦ — ٢٤٨ . أما عن ضعف الأسطول العربى أو عدم وجوده منذ ٧٤٧ فقارن ا . و . بروكس (المجلة البيزنطية الألمانية) ١٩١٣ ص ٣٨٣/٤ .

(٢) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٩١ . وهذه القطعة مترجمة من كتاب البارون روزن . بازيل قاتل البلغار (بالروسية) ص ٢٧٢ .

(٣) قارن روزن نفس الكتاب ع ٢٧٣ ، ٢٧٤ ومؤلف هذا الكتاب يسوق معلومات طريفة عن الأسطول العربى .

وقد جرت مصادر حروب صقلية على ذكر غزوات المسلمين الظافرة بطريقة لاتغيير فيها . وهى لاتذكر دائماً أسماء المدن التى ينالها التشعيث كما حدث فى ٢٤٠هـ مثلا (٢ يونيه — ٢١ مايو ٨٥٥) وفى عام ٢٤١ - ٢٢ مايو ٨٥٥ — ٩ مايو ٨٥٦) فى هذه الحالة الأخيرة استقر العباس على جبل عال كان يبعث منه الجند لنهب ماحول قصريانه على حين كان أخو العباس يغزو كذلك غزوا مظفراً . ثم فى عام ٢٤٢ (١٠ مايو ٨٥٦ — ٢٩ ابريل ٨٥٧ كان غزو العباس عدة حصون . ثم كان فى ٢٤٣ (٣٠ ابريل ٨٥٧ — ١٨ ابريل ٨٥٨) تشعيث أقاليم سرقوصه وتاورمينا (Tauromenium) وحصار حصن كبير لعله جاجلياتو شمال شرقى قصريانه [١] . وفى نفس السنة كان استسلام حصن سفالو البحرى والإذن لأهله أن يخرجوا عنه وتهديم تحصيناته [٢] .

واشتهر عام ٨٥٨ بمعركتين إحداهما بحرية والأخرى برية . وذلك أن علياً أخا العباس كان صيف هذا العام يشعث إقليما لعله شواطىء أبولى فلقى به ٤٠ سفينة رومية على رأسها قائد ملقب بالكريتى [٣] فتتبعه وأوقع الهزيمة أولا بالأسطول البيزنطى وأغرق منه عشر سفن ، فأعاد هذا الأسطول تنظيم نفسه وعاد إلى الهجوم فألجأ الأسطول العربى إلى الهرب . والعودة إلى بلرم بعد فقد عشر سفن كذلك [٤] .

وفى الشتاء أول السنة التالية يعنى فى عام ٨٥٩ سقط حصن قصريانه وكان به

---

(١) راجع أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٣٢٧ (ط ٢ جـ١ ص ٤٦٢ و هـ ٢ من ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

(٢) ابن الأثير : ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤٠ وعنـد أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٦٦) . البيان ط . دوزى ص ١٠٤/١٠٦ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٠/١٢ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٦٧) . أنظر أمارى تاريخ جـ١ ص ٣٢٥/٣٢٨ (ط٢ جـ ١ ص ٤٦١/٤٦٤) .

(٣) ويقول البعض أنه نفس جان استراتيج بليبونيز الملقب بالكريتى وقد عاش أيام بازيل المقدونى ويذكره صاحب صلة تيوفان فيقـول : وساعد فى ذلك يوحنا (جان) صاحب بليبونيز الملقب بالكريتى (صلة تيوفان ص ٣٠٣ ع ٦٢) أنظر أمارى — تاريخ جـ ١ ص ٣٢٨ (ط ٢٠ جـ ١ ص ٤٦٤) ولكن بروكس (نفس الموضع ص ٣/٤٤٣) يقول أن الكريتى هو شعيب أمير كريت .

(٤) أنظر ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤١ ، ٤٢ وعنـد أمارى جـ١ ص ٣٧٩ (ذيل الأصل ص ٧/٢٦٦) تاريخ كمبردج طبع كوزا — لوزى ص ٢٨ وقد جاء فيه أنه « دمر سفن » على فى السنة .. وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ٣٤٥) . النويرى عند أمارى النصوص ص ٤٣٢ ، ترجمة جـ ٢ ص ١٢١ (ذيل الأصل ٣٨٤) . البيان ط . دوزى ص ١٠٦ وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٢ . وقد جاء فى التاريخ الأخير « أن عليا وثب على جزيرة كريت (ذيل الأصل ٣٧٢) وانظر تعليق الناشر عند أمارى ، تاريخ ط ٢ جـ١ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

كما نعلم مقام والى الروم حينئذ بعد أن انتقل من سرقوصة . وذلك أن المسلمين أخذوا فى إحدى هجماتهم على قصريانه أسيراً روميا وأرادوا قتله فطلب الأمان على نفسه بشرط أن يسلم لهم الحصن . وكان الروم لا يتوقعون الهجوم بسبب الشتاء فأهملوا الدفاع .

فركب العباس مع ألفى فارس وقصدوا قصريانه . فلما كانت ليلة مظلمة تقدم جماعة من الفرسان عبر الخندق على حذر ومعهم الرومى فدخلوا المدينة وقتل العرب حراس الأبواب بغتة وفتحوها فدخل منها باقى الجيش وعلى رأسه العباس إلى المدينة . وهكذا سقط هذا الحصن المنيع فى ٢٣ يناير ٨٥٩ فى يد المسلمين بما فيه من مال غزير وأسرى عديدين [١] وبعث بعدد كبير من الأسرى إلى الخليفة العباسى الثانى المتوكل [٢].

فلما سقط قصريانه اضطرت حكومة ميشيل الثالث إلى بعث إمداد إلى صقلية . فأرسلت أسطولا كبيراً مؤلفا من ٣٠٠ شلندية على رأسها البطريق قسطنطين كندومتيس فوصل سرقوصة فى خريف ٨٥٩ [٣] .

ونشبت معركة حينئذ انهزم فيها الأسطول الرومى هزيمة شنيعة فقد فيها مائة

---

(١) وعند ابن الاثير سرد مفصل، تورنبرج جـ ٧ ص٤١، ٤٢ وعند أمارى ترجمة جـ١ ص٣٧٩، ٣٨٠ (ذيل الاصل ٣٦٦ وما بعدها) تاريخ كمبردج . ط . كوزا — لوزى ص ٢٨ . وأخذ قصريانه فى السنة السادسة . أنظر أمارى ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الاصل ٣٤٦) ورواية ابن الاثير عن النويرى عند أمارى: نصوص ص٤٣٢، ٤٣٣ ترجمة جـ ٢ ص ١٢١، ١٢٢ (ذيل الاصل ص٣٨٤، ٣٨٥) ابن خلدون عند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) ابن خلدون عند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٣) ويتخذ أمارى نص تاريخ كمبردج العربى أساسا ويدخل تصحيحات على حروفهـا العربية لغير سبب وجيه ويكتشف هو بذلك لقب قائد الكبادوكيين يعنى عسكر جند كبادوكيا . أنظر تاريخ جـ ١ ص ٣٣٣ (ولكن راجع هامش الناشر على الطبعة الثانية جـ ١ ص ٤٧٠ والمكتبة ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ . ولكن النص قد نشر الآن وألغى هذا الفرض . وقد جاء فيه « وصل كندوميتيس فى السنة السابعة (ط . كوزا — لوزى ص ٢٨) (ذيل الاصل ٣٤٦) وهذا الاسم أو اللقب (قصير الانف) هو استراتيج صقلية قسطنطين أيام ميشيل الثالث. راجع صلة تيوفان ص ١٧٥ ع ٢٢ » البطريق قسطنطين استراتيج صقلية وهو صهر كنتوميتوس ومن هنا أطلق عليه اسم كنتوميتوس) ولعل قسطنطين كنتاكوميتوس هذا هو قاهر العرب فى لاتروس (والتاريخ غير ثابت) راجع ص ٩٠ .

شلندية على حين لم يفقد المسلمون غير ثلاث رجال كما يقول ابن الأثير [١] .

ولكن وصول امداد الروم حدا بعدة مدن كانت سلمت للعرب أن تثور عليهم . هكذا فعلت مدينة صغيرة قائمة فى موقع جبلى شمالى جرجنيت وهى سوتيرا . وكذلك أفُولا [٢] الواقعة جنوبى سرقوصة وبلتانو وقستابلوته وكلتافوتورو وحصن سماه العرب قلعة عبد المؤمن [٣] .

فواجه العباس ثورة هذه المدن واستطاع الظفر وتقدم نحو الجيوش الرومية[٤] حين علم بقربها وهزمها عند سفالو فارتدت إلى سرقوصة فأخذ العباس نفسه باستعمار قصريانه وتحصينها [٥] .

وبعد أن غزا العباس (صيف ٨٦١ — ٢٣٧ هـ = ١٧ مارس ٨٦١ — ٦ مارس ٨٦٢) ما حول سرقوصة وغنم عاد فات وكان مجاهداً شجاعاً ولعله مات فى كلتا جيرونى وبها دفن . فنبش الروم قبره وأحرقوا جثته [٦] .

(١) ابن الاثير ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤٢ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٨٠ ، ٣٨١ (ذيل الاصل ٣٦٧) ابن خلدون جـ ٢ ص ١٨٢ . أنظر أمارى : تاريخ جـ ١ ص ٣٣٢/٣٣٣ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٦٥/٤٦٩ .

(٢) أنظر ملتيدو : كتاب القرى ص ٦١١ ، ٣٥ جيوردانى « فهرس عام ص ٢٦/٢٧ ، ٤٤٦/٤٤٧ فيتو — اميكو » قاموس طبغرافى جـ ١ ص ١١٥/١١٨ جـ ١ ص ٥٥١/٥٥٣ والقراءة : Avola غير محققة راجع أمارى تاريخ ط ٢ جـ ١ ص ٤٧١ هـ ٢ .

(٣) ولعلها كتابيانو وهى مدينة صغيرة جنوبى تاورمينا . ملتيدو « نفس الكتاب ص ٩٢ . جيوردانى نفس الكتاب ص ٦٨ ، ٦٩ فيتو — اميكو » نفس الكتاب جـ ١ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ويعترض هذا التحديد الذى تقدم به فازلييف بعض الصعوبة لأنه ينقلنا إلى جنوب شرق جيارديني (تاورمينا) بسبعة كيلو مترات يعنى فى شمال شرق صقلية على حين أن السياق كما يلاحظ أمارى يحملنا على الميل إلى أن كل هذه الأماكن الثائرة تقع فى وادى مزارة يعنى فى القسم الجنوبى الغربى من الجزيرة .

(٤) والأرجح أن يكون المقصود قسم من الجيش الذى أرسله من قبل ميشيل وهو الجيش الذى هزم مرة وذلك أن موقف الامبراطورية فى الشرق وهجوم الروس على قسطنطينية : أمور لا تسمح فى إبانها بالتفكير فى إرسال مدد جديد .

(٥) ابن الأثير : ط تورنبرج جـ ٧ ص ٤٢ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٨١ (ذيل الأصل ٣٦٧) ابن خلدون عند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٨٢ . أنظر أمارى تاريخ جـ ١ ص ٣٣٥ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٧٢)

(٦) ابن الأثير ط . تورنبرج جـ ٧ ص ٤٢ وعند أمارى جـ ١ ص ٣٨١/٣٨٢ (ذيل الأصل ص ٣٦٨) النويرى عند أمارى نصوص ص ٤٣٣ . ترجمة جـ ٢ ص ١٢٢ (ذيل الأصل ٣٨٥) . البيان ط دوزى ص ١٠٦ . وعند أمارى ترجمة جـ ٢ ص ١٢ وهو يجعل موت العباس فى ٣ جمادى الأولى ١٥ يوليه ٨٦١ (ذيل الأصل ٣٧٧) ابن خلدون عند أمارى جـ ٢ ص ١٨٢ . وابن الأثير يسمى المكان الذى مات فيه العباس كهوف ق ر ق نه ولعله كلتاجيرون . أمارى تاريخ ط ص ٣٣٥/٣٣٦ هـ ١ (ط ٢ جـ ١ ص ٤٧٢/٤٧٣) وهو لا يبت فى شيء فى موقع المكان .

فداء ٨٥٥/٨٥٦ فى المشرق

وفى أثناء الحرب الصقلية عام ٨٥٥ استؤنفت العمليات الحربية على الحدود الشرقية كذلك . ويلاحظ أن الروم أنفسهم كانوا فى كثير من الاحوال يثيرون العمليات الحربية فى التخوم دون أن يكون لذلك سبب ظاهر .

هاجم الروم فجأة فى ٨٥٥ مدينة عين ظربه وأسروا قبيلة الزط (التى أقرها العرب هناك فى ٨٣٥) بنسائهم وأطفالهم ودوابهم [١] .

وقبيلة الزط كما نعلم أصلها من الهند . والزط يسمون اليوم فى سوريا بالنور . واللفظ العربى آت من الهندية جط[٢]. وقد وجد بعض العلماء جطا فى إقليم المستنقعات من الهند الشمالية جنوبى مصب نهر الاندس وهم خلف الاولين يعيشون هناك إلى اليوم . واللغة المستعملة فى هذا الإقليم تسمى فى بلوخستان الشرقية والبنجاب العربية لغة الجط[٣]. وقد تركوا اسمهم لقناة الزط قرب بابيلون ويذكر العرب أيام فتوحهم الاولى أرضاً افتتحوها تسمى أرض الزط بين رامهرمز وأراجان[٤] .

ونقل معاوية أسرا عديدة من الزط من البصرة إلى سوريا فى ٦٧٠ ثم نقل الوليد ويزيد الثانى فى النصف الأول من القرن الثامن جماعة أقروها فى انطاكية والمصيصة يعنى على تخوم الروم . وكان فى انطاكية فى القرن التاسع حى يسمى بحى الزط .

واغتنم الزط فرصة الإضطراب الذى سببه حرب الأخوين الأمين والمأمون ابنى هارون الرشيد فى النصف الأول من القرن التاسع فأخذت قبيلتهم تعد نفسها مستقلة تقريباً حتى اضطرت الحكومة العربية أن تشن عليهم عدة حملات مظفرة

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٤٢٦ . ابن الأثير ج ٧ ص ٩٢ (ذيل الأصل ص٣١٧) . الماسينى: تاريخ السراقنة مترجم إلى اللاتينية . ليدن ١٦٢٥ ص ١٨٠ بارهبرايس (تاريخ سوريانى ص ١٥٦ ط . بدجان)

(٢) دى خويه . بحث فى تاريخ التزيجان فى Verslagen-en Mededeelingen نشر اكاديمية العلوم فى امستردام ١٨٧٥ . وقد استعملنا ترجمة انجليزية لهذه المقالة الهولندية وهى دى خوية بحث فى تاريخ التزيجان » نقد على بحث دى خوية كتبه ماك ريتشى . لمحة عن تزيجان الهند ص ١٧٢ . فانيان . مجلة النقد ١٨٧٥ رقم ٢١ ص ٣٢١/٣٢٤ » وانظر كذلك جوتشميد » كتب صغيرة نشرها بوهل ج ٣ ليبزج ص ١١٢ وما بعدها .

(٣) دى خوية نفس الكتاب ص ٨ وما بعدها . فانيان : مجلة النقد ١٨٧٥ ص ٣٢١ .

(٤) » » ص ١٥/١٧ .

(٥) » » ص ١٧/٢٢ .

فى الغالب ، ولم ينته أمر هؤلاء الزيجانه إلا فى ٨٣٥ على يد عنبسة بعد أن تكلف فى سبيل ذلك جهوداً كبيرة . وأقيم حفل النصر لذلك فى بغداد ثلاثة أيام وأسر منهم ٢٣ ألفا . فأنزلوا فى خانقين أولا شمال شرقى بغداد ثم نقلوا إلى عين ظربه على التخوم إلى أن أسرهم الروم فى ٨٥٥ [١] .

ولم يستتبع هذا الحادث التخومى يومئذ نتائج على شىء من الخطورة . بل كانت فى آخر ٨٥٥ مفاوضة بين الخليفة والروم غايتها الفداء . ولدينا عن هذا الفداء الجديد معلومات فى غاية الطرافة تدل على قيام مراسيم حقيقية للفداء [٢] . وابتدأ عرض هذا الفداء الإمبراطورة الرومية تيودورا على يد رسل بعثتهم إلى الخليفة وحملتهم الهدايا . فأرسل الخليفة نصر بن الأزهر بن فرج إلى البلاط الرومى وحمله الهدايا الثمينة ليعلم عن يقين [٣] عدد من عند الروم من أسرى المسلمين . فكانت عدتهم ٢٠ ألفاً تقريباً . ويقول بعض مؤرخى العرب أن تيودورا أمرت بقتل اثنى عشر ألفا منهم لرفضهم الدخول فى المسيحية وهذا القول مشكوك فيه أكبر الشك . ويلقى العرب أساس المسئولية على خصى موكل بالقنقلا يعنى على تيوكتيست المشهور وكان قوى النفوذ حينئذ [٤] .

---

(١) دى خوية نفس الكتاب ص ٢٤/ ٣٠ . فانبان مجلة النقد ١٨٧٥ ص ٢٢٢/٢٢٣ . ويرى دى خوية أن الزيجان ظهروا لأول مرة فى بيزنطه فى ٨٥٥ ثم مضوا بعد ذلك إلى أوروبا (٢٩/ ٣٠). وقد لقى هذا لرأى معارضين عنيفين . راجع . بتايار : عن أصل البوهميين أو الزيجان باريس ١٨٧٦. وهو يرى من المستبعد أن يكون الزيجان الذين يبلغون نصف مليون والذين يعيشون فى جنوب شرق أوروبا هم سلالة عدة آلاف من الزط نقلتهم بيزنطة فى ٨٥٥ . فمن المستحيل أن تنتج هذه القبضة من الزط قبيلة كاملة (بتايار ص ٤) وهذا العالم الفرنسى يرجع ظهور الزيجان فى جنوب شرق أوروبا إلى أزمنة سحيقة (ص ٥) أنظر أيضا ذيلها ابحث دى خوية فى كتاب ماك ريتشى لمحة عن الزيجان فى الهند ص ٧٢ . حوتشميد « كتب صغيرة ج ٣ ص ٦١٤/٦١٥ راجع ن . أودنتز: Žumal Ministerstva Narodnago Prosvěščenija ابريل سنة ١٩١١ ص ٢٣٨/ ٢٤ .

(٢) والمصدر الأساسى هو الطبرى (ج ٣ ص ١٤٢٦/١٤٢٨) ذيل الأصل الفرنسى ص ٣١٧ ولا يقدم ابن الأثير إلا رواية شديدة القصر (ج ٧ ص ٥٠) . اليعقوبى . تاريخ ج ٢ ص ٥٩٩/٦٠٠ (ذيل الأصل ٢٧٦) . المسعودى ط . دى خوية المكتبة الجغرافية العربية ج ٨ ص ١٩١ . واقتباسات ج ٨ ص ١٩٥ « باربيه دى مينار » مروج الذهب ج ٩ ص ٢٥٨ (ذيل الأصل ص ٣٣٦/٣٣٧) . والمقريزى الخطط ج ٣ ص ١٩١ وهو يتبع المسعودى .

(٣) عن تبادل الأسرى راجع اليعقوبى ج ٢ ص ٣٩٩ (ذيل الأصل ٢٧٦) .

(٤) الطبرى ج ٣ ص ١٤٢٧ (ذيل الأصل ٣١٧) بارهبرايس (تاريخ سوريانى ص ٥٦ ط. بدجان وهو يسميها نيقولا وهو مجرد خطأ من قنقلا .

وكان القائم بأمر الفداء من ناحية الروم رجل اسمه جورج [١] وقد طلب وقتا طويلا يتسع لجمع الأسرى وإرجاعهم إلى بلادهم فطلب فى خطاب بعثه إلى الخليفة هدنة حددها من ١٩ نوفمبر ٨٥٥ إلى ٥ مارس ٨٥٦ [٢]. ووصل الخطاب فى ١٩ نوفمبر [٣] فأجاب الخليفة إلى مافيه .

وفى ٦ ديسمبر [٤] قصد جورج الثغور وقد استؤجر له سبعون بغلة . وكان معه أبو قحطبة الطرسوسى المغربى وخمسون بطريقاً وخادماً (يقول الطبرى بطريكا)

وكان القيم على الفداء من ناحية العرب الخصى شنيف . فوصل إلى مكان الفداء أول يناير ٨٥٦ [٥] . وكان معه نحو مائة فارس ثلاثون من الترك وثلاثون من المغاربة وأربعون من الشاكرية .

وكان معه من الشخصيات الرسمية عند عملية الفداء والى الثغور أحمد بن يحي الأرمنى وقاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد الهاشمى . وقد حضر الأخير بإذن خاص طلبه فلما أذن له خلف على القضاء ابنه أبا الشوارب .

وحمل جعفر معه مبلغاً كبيراً من المال وانضم إلى شنيف لحضر الفداء .

وجرى الفداء على العادة على ضفاف نهر اللامس وعبر الأسرى على الطريقة المتبعة من قبل قنطرة [٦]

وكان الفداء يوم الفطر وهو اليوم الذى يتبع شهر الصيام يعنى أول شوال . ويميز المسلمون هذا العيد عادة بتوزيع المنح الوفيرة [٧] وجعل البعض الفداء فى

---

(١) يسميه الطبرى جورج بن ... ولكن الحروف العربية غير منقوطة نقطا كافيا وهى لهذا لا تحدد بالدقة اسم أب جورج ولعله قرياس ؟ أو بالحرى قرياق أو قرياقس ؟

(٢) من ٥ رجب الى ٢٢ شوال ٢٤١ هـ الطبرى جـ ٣ ص ١٤٢٧ (ذيل الأصل ص ٣١٨) .

(٣) الأربعاء ٥ رجب ٢٤١ نفسه .

(٤) السبت ٢٢ رجب ٢٤١ هـ نفسه .

(٥) منتصف شهر شعبان (نفسه . شعبان ٢٤١ = ١٥ ديسمبر ٨٥٥ — ١٢ يناير ٨٥٦ .

(٦) أنظر اليعقوبى : تاريخ ، جـ ٢ ص ٦٠٠ ؛ ذيل الأصل ٢٧٦ .

(٧) راجع ت . ب . هوجز : قاموس الإسلام . لندن ١٨٨٥ ص ١٩٤ وما بعدها . يونبول : كتاب فى القانون الإسلامى ، ١٩١٠ ، ص ١٠٩ وما بعدها .

١٢ شوال يعنى يوم الأحد ٢٣ فبراير سنة ٨٥٦ [١]. أما الفداء فدام سبعة أيام [٢] ويختلف عدد من افتدى باختلاف الروايات [٣]. وممن افتدى نحو مائة مسيحى أخذهم الروم فى الحروب السابقة وكانت فديتهم أقل من فدية المسلم [٤].

---

(١) رمضان ٢٤١ = ١٣ يناير — ١١ فبراير ٨٥٦ . شوال = ١٢ فبراير — ١١ مارس. أنظر الطبرى ج ٣ ص ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ . ذيل الأصل ص ٣١٨ . ويروى المسعودى هذا الفداء فى شوال ٢٤١ (ط . دى خوية ج ٨ ص ٩١) . المقريزى ج ٢ ص ١٩١ (ذيل الأصل الفرنسى ٧/٣٣٦) .

(٢) المسعودى ط . دى خوية ج ٨ ص ١٩١ . وفى تعليقات واقتباسات ج ٨ ص ١٩٥ : مروج الذهب ج ٩ ص ٣٥٨ . المقريزى ج ٢ ص ١٩١ (ذيل الأصل ٣٣٧) .

(٣) ويذكر الطبرى ٧٨٥ مسلما منهم ١٢٥ امرأة (ج ٣ ص ١٤٢٨) (ذيل الأصل الفرنسى ٣١٨). ويذكر المسعودى رقين : ٢٢٠٠ رجل ، ١٠٠ امرأة (ط. دى خوية ج ٨ ص ١٩١ . وعند باربييه دى مينار : مروج الذهب صار العدد الأول ٢٠٠ (ج ٩ ص ٣٥٨ : تعليقات واقتباسات ج ٨ ص ١٩٥). المقريزى ج ٢ ص ١٩١ . وهو يذكر ٢٠٠ رجل ومائة امرأة (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣٧، ٣٣٩) .

(٤) المسعودى ط . دى خوية ج ٨ ص ١٩١ . وفى تعليقات واقتباسات ج ٨ ص ١٩٥ : مروج الذهب ج ٩ ص ٣٥٨ . المقريزى ج ٢ ص ١٩٢ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣٣٧) .

عمليات المشرق الحربية

فى ٨٥٦ – ٨٥٩

فداء ربيع ٨٦٠

لم يؤد فداء ٨٥٦ إلى السلام المتوقع على الحدود الشرقية . فسرعان ما استؤنف الغزو . وكان الغزو هذه المرة متعلقاً بسياسة الروم الدينية .

كانت السياسة الأرثوذكسية الخالصة التى تتبعها الدولة لاتحتمل بقاء مذاهب دينية متعددة فى الدولة فلم تصبر الدولة على إهمال أمر البوليسيين (البيالقة) وكانوا يعيشون فى أمن منذ أيام قسطنطين الخامس كبرونيم[1] فى آسيا الصغرى على حدود العرب يؤدون

---

(١) لا يزال أمر البيلقانية غير معروف . ولم يؤد نقـد النصوص الى الآن إلى أى نتيجة حاسمة عن تاريخهم . والمصادر هى : « (١) الـكتاب الأول من كتاب فوتيوس » ضد المانوية . (٢) كتاب بيير الصقلى وعنوانه تاريخ المانوية (٣) كتاب قسيس اسمه بيير (بيير هيجومين) وقد نشره جيزلر (٤) عبارة عند جورج الراهب شبيهة بالنصوص السابقة . ولنقصد الآن إلى العلاقة بين هذه المصادر الأربعة . كريت تر° كرتشان » البيلقانية فى الدولة الرومية ... وارمينة ، ليزج ١٨٩٣ » وهو يقول أن بيير الايجومين هو أقدم هذه المصادر وعنه أخذ جورج الراهب وفوتيوس أو على الأقل الفصول العشرة الأولى من كتاب فوتيوس . وهو يؤكد من ناحية أخرى أن بيير الصقلى معاصر الـكسيس كومنين . ويروى تركرتشيان أن الفصول الأربعة عشر الأولى لفوتيوس أما سائر الفصول الأخرى من الـكتاب فمنتحلة عليه وهى فوق ذلك مأخوذة من ايثيم فريجابين معاصر الـكسيس كومنين . ومن نظريات تركرتشيان هذه لم يبق إلا القليل. فان مخطوطات الفاتيكان لـكتاب بيير الصقلى متقدمة على عصر الـكومنين . وقد نشر بعدذلك ج. فريدريك كتابا بعنوان طويل ولـكنه واضح « الرواية عن أصل البيلقانية عند جورج موناخوس . وهو منشور ضمن Sitzungsberichte der Bayr. Akad. ١٨٩٦ ص ٦٢ وما بعـدها . وعلى هذا فان فردريك يرى أن جورج الراهب هو المصدر الذى أخذ عنه بيير الايجومين والمفهوم طبعاً أن المقصود جورج الراهب فى نص أوسع وهو نص مخطوط مدريد . ورد فى بور (المجلة البيزنطية الألمانية حـ ٧ س ١٨٩٨ ص ٤٠) على فريدريك . وكتاب جورج الراهب يتضمن قطعا ليست له . وقد كتب جورج تاريخه مرتين . الـكتابة الأولى هى نسخة كويزليانوس ٣٠٥ . وهناك نسخ أخرى للـكتابة الثانية التى عدلها المؤلف وتوسع فيها . ولـكن دى بور للأسف لم يقطع فى صلب الموضوع برأى . ولا نزال نتساءل هل جورج الراهب يعتمد على الايجومين أو العكس ؟ أو هما متداخلان ؟ ورأينا أن الراهب قد قرأ ايجومين. ولـكن المسألة يجب أن تدرس من جديد . وها هو ما وصل إليه بيورى من نتائج مؤقتة جدا (ط . دى جيون حـ ٦ س ٥٦٢ وما بعدها) . ويتلخص وضع المسألة الآن فيما يلى : الأصل الذى ترتفع إليه مصادرنا ضائع . وكان يحوى عرض البدعة البيلقانية بشكلها الأول وأصلها وتاريخها . وقد استغل هذا =

للأمبراطورية الرومية فى عمليات الثغور أجل الخدمات .

وقررت الحكومة قراراً قاسياً هو إرجاعهم إلى الارثوذكسية وإن هلكوا . وأعدت حملة لذلك كان على رأسها ليون بن أرجير وأندرونيك بن دوكاس وسود — — اليس . فقادوا حملة لا مكان فيها للرحمة[1] . فشنق البوليسيون بالآلاف وأغرقوا

= المصدر الأول مؤرخون آخرون هم (١) جورج الراهب (القرن التاسع) فى تاريخه : ا — وذلك أن نسخة الكويزلياس ٣٠٦ تحوى اقتباسا ملخصا عن المصدر الأول . ب — وأن النسخ الأخرى (وطبعة ميرالت) تحوى بسطا أكثر (٢) القسيس بيير وكتابه مأخوذ إما من الطبعة الثانية من كتاب جورج الراهب وإما مقتبس من الكتاب الأصل مباشرة . ولكن كتاب بيير ليس الكتاب الأصل نفسه. (٣) فوتيوس : ولا نعلم إذا كان كتاب فوتيوس أخذ عن بيير الايجومين (مع أن تركرنشيان يعتقد ذلك . وفردريك ينكره) ويرى بيورى ان فوتيوس عرف المصدر الأول الذى ضاع . (٤) بيير الصقلى وأمره مشكل . ويروى بيير نفسه أنه أوفد لأمر إل تفريق أوفده ميخائيل الثالث لطلب إطلاق بعض الأسرى . ولكن هذا يزيد عنوان الكتاب غرابة : تاريخ بطرس الصقلى ... عمله حين كان رئيس أساقفة بلغاريا . ولا يعتقد أحد أن البدعة البيلقانية كانت خطرا على الكنيسة البلغارية إبان نشأتها . بل لعل العكس مستحيل الإثبات . وكلنا يعلم أنه كان على حدود بلغاريا منذ القرن الثامن جماعات انتقلت من أماكن أزهرت فيها البدعة البيلقانية . (٥) المدعى تأليف مخطوط مدريد المنسوب لجورج الراهب، ولا يتأخر عصره عن القرن التاسع . (٦) ايثيم زيجابين فى كتابه بانوبلى (حول عام ١١٠٠) . (٧) فوتيوس المنتحل .

أما فيما يخص العقائد البلقانية يجب أن نضيف إلى رواية المراجع اليونانية كتابا أرمينيا عنوانه : «مفتاح الحقيقة . ط . كونيبير (اكسفورد ١٨٩٨) ولنذكر كذلك مقالين (١) ن . بونوتش فى موسوعة الدوق هوك Realenzyklopädie . (٢) جاثين . قاموس اللاهوت الكاتوليكى وتعليق بول ثنك فى كتابه: تاريخ أنقرة فى العصر الوسيط (أبحاث مهداة إلى ج جاكوب) ص ١٣٦ .

(١) المصادر الرئيسية « صلة تيوفان ١٦٥/١٦٧ ع ١٦ . ولديه معلومات دقيقة موثوقة . قارن هيرش دراسات بيزنطية ص ٢١٣، ٢١٤ ولكن صاحب صلة تيوفان يذكر اسم سوداليس ويعرف الباقين بأسماء أسرهم فيقول » إن الذين بعثوا هم الارجيرى والدوقى وسوداليس (ص١٦٥) . ويذكر سيدروس هذه الأسماء الثلاثة فى عبارة يكاد ينسخ فيها صاحب الصلة . سيدرونس (١٦٥) حـ ٢ ص ١٥٤ : فيقول ليون الارجيرى واندرونيك الدوقى وسوداليس . أنظر كريت تركرتشيان «البيلقانية فى الدولة الروسية. وأرمينية ، ليبزج ١٨٩٣ ص ٣٤ . وانظر أيضا ص ١٧ . ودخل اسم سوداليس فى ملحمة دجنيس اكرتياس الرومية وهو إلى ذلك من أقدم العناصر التى دخلت فيها . وانظر الأبيات ٩٢٠ ، ٩٢٩ من رواية الاسكوريال سوداليس السراقينى .

وانظر كذلك البيت رقم ٢٠٢٦ من رواية اندروس . وصفه السراقيى سوداليس فى الملحمة الرومية أنه من جند الجيش الرومية أحد قواد الاستراتيج دوكاس وفى هذا ما يكفى للتحديد . أنظر كيريا كيدس « دجنيس اكرتياس ص٢٧ و٨٥ ونفسه فى مجلة لاوجرافيا حـ ١٠ (١٩٣٢) ص٦٥٩ وكذلك كروليدس» سنوية الدراسات الرومية حـ ٣ ص ٣٣٢ .

وذبحوا [١] ونزعت أملاكهم .

واضطر البوليسيون أمام مثل هـذا الاضطهاد أن يفروا إلى ما وراء الحدود فتلقاهم العرب فرحين وأنزلوهم فى مواضع أمينة وأدخلوهم بعـد ذلك فى جيوشهم فاشتركوا بعد ذلك فى حملاتهم على الروم أكثر من مرة . وهكذا أدى هذا التعصب الأعمى فى سياسة الروم إلى نتائج خطيرة هى هدم الحدود الشرقية وهى الخندق الحامى من الغزو العربى [٢] .

ولم يكن هذا أول اضطهاد [٣] . وكان آخر امبراطور اتبع سياسة التسامح مع البوليسيين نقفور جنيكوس . أما خليفته ميشيل الأول رانجابى فانه عمـل على محو البدعة البوليسية . وعهد بتنفيذ سياسته فى فريجيا وليكاولى لليون الأرمنى استراتيج جند أناطوليا . أما فى كبادوكيا والبونت فإنه وكل بمحو البدعة إثنان من رجال الكنيسة الإجزارك أوزائر الأديرة البطريركية فى هذه المنطقة وأسقف نيو قيصرية [٤] ولا نعلم بعد أن كان ليون الأرمنى حين ولى العرش استمر فى إعنات البوليسيين . ولكن الثابت أن تيوفيل استمر فى ذلك . فان حياة مكاريوس هيجومين ديربلكيتى تقول أن القديس سجن أيام تيوفيـل فوجد فى السجن بوليسيين أومانويه حكوما عليهم بالإعدام [٥] . والراجح كذلك أن هرب قرباص كان أيام تيوفيل وإن كان صاحب الصلة (ص ١٦٦) ينسب هذا الهرب إلى اضطهاد تيودورا . وتدل أعمـال الشهداء الاثنين والأربعين أن قرباص وأصحابه كانوا فى ذمة العرب وراء الحدود

---

(١) صلة تيوفان (ص ١٦٥) وهى تذكر أن من هلك منهم ١٠٠ ألف وهو رقم مبالغ فيه : ويحصى الناس أنه قتل مائة ألف تقريبا (باليونانية) .

(٢) أنظر كثير « مفتاح الحقيقة » المبسط عن الـكنيسة البلقانيـة ، اكسفورد ١٨٩٨ ص ٧٥ كوزو : الـكنيسة والامبراطورية الشرقية ، لندن ١٨٨٨ ص ٩٥ .

(٣) وقد قرر هذه الحقائق بيورى مستندا بقدر الاستطاعة إلى المصادر التاريخية والسير الدينية .

(٤) راجع بيورى ص ٢٧٧ . والمصادر هى « تيوفان ص ٤٩٥ ط . دى بور . فوتيوس » ضد المانوية فصل ٢٤ » بيير الصقلى ص ٥٢ . أما الاجزارك الذى هو مفتش الأديرة الاقليمية فكان يسمى القنداق الحارج παραΚονδάΚης أما اسقف نيو قيصرية فقد قتله أهل قونوخوريتون ونحن نجهل موقع الحصن البيلقانى المسمى قونوخوريتون .Κυνο Χωρῖςαι .

(٥) حياة مكاريوس ط . هـ . دلهاى Anal. Bolland حـ ١٦ (١٨٩٧) ص ١٤٠ وما بعدها .

في آخر حكم تيوفيل [1] . فإنها تقول أن تيوفيل ولى كاليستوس ولاية إقليم قلونية فحاول هذا الوالى أن يدخل بعض قادة البوليسيين فى الأرثوذكسية فلم يكن من هؤلاء القواد إلا أن أسلموه إلى أصحاب قرباص اللعين المرتد (باليونانية فى النص) ثم أرسل والى قلونية إلى سامرا فكان شهيداً انضاف إلى شهداء عمورية . وترجع الوثيقة المتعلقة بسير القديسين إلى عام ٨٤٥/٨٤٦ وروايتها لذلك فيما نرى بعيدة عن الشك . أما رواية صلة تيوفان فإنهامخطئة فى التاريخ صحيحة فيما عدا ذلك . وتقول رواية صاحب الصلة أن قرباص كان منداتور أول ولى تحت إمرة استراتيج أناطوليت تيودوت مليسينوس وإنه حين علم أن أباه قتل بتهمة البوليسية قرر الإلتجاء إلى العرب . فسار معه خمسة آلاف ونزلوا على أمير ملطية عمر بن عبد الله الأقطع [2] . فأرسلهم إلى الخليفة فأحسن لقاءهم ومنحهم أرضين .

وبنى البوليسيون لأنفسهم مدينتين على حدود أرمينية فى منطقة سيواس الجبلية وهما مدينتى أرجايوس وأمارا . فقصدهما من أهل دينهم عدد كبير حتى اضطروا إلى بناء مدينة ثالثة غير بعيدة من الأولين وهى تفريق (دفريجى) فأصبحت منذئذ مركزاً أو عاصمة للبوليسيين [3] . وفى هذه المدينة عاش رؤساء البوليسيين قرباص

(١) أعمال شهداء عمورية الاثنان والاربعون ص ٢٩ .

(٢) ويقول صاحب صلة تيوفان أن الأمير يسمى عادة مع شىء من الخطأ أمبروس «فيقول باليونانية : أن أمير ملطيه يسميه الكثيرون امبروس مع شىء من تحريف الهجاء» (صلة تيوفان ص ١٦٦) والاسم الكامل وارد فى المصادر العربية أنظر مثلا الطبرى ج ٣ ص ١٤٣٤ « ابن الأثير ج ٧ ص ٥٣ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣٠) وانظر أيضا هيرتش » دراسات بيزنطية ص ٢١٤ . قايل . نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٦٢/٣٦٣ أما عن عمرو فانظر ماريوس كنار « شخصية من قصة عربية رومية فى أعمال المؤتمر الثانى القوى للعلوم التاريخية ، الجزائر ١٩٣٢ . فتك نفس الموضع ص ٧/٣٣٦ جريجوار وجوستر فى بيزنطيون ج ٧ ص ٣٠٣ وما بعدها ص ٣١٧ وفى آخر المجلد الثانى بحث جريجوار وكنار عن الملحمة الروميه العربية .

(٣) عن موقع هذه المدن انظر و . رمزى . جغرافية آسيا الصغرى التاريخية ص ٣٤٢ . وليس المقصود من ارجايوس جبل أرجى فى كبادوكيا (وهى اليوم ارجاش — داغ) جنوبى قيصرية كما يقول ليبو . تاريخ الدولة الرومانية الشرقية ج ١٣ ص ١٧٩) . فان هذا الجبل كان وقتئذ من أرض الروم . وتفريق الواردة فى المصادر الرومية معروفة عند العرب باسم ابريق أو ابروق . راجع جى لستراع وصف الجزيرة وبغداد عند ابن سرابيون فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٥ ص ٥٨ ونفسه . الابريق . تفريق عاصمة البوليسيين تصحيح التصحيح فى نفس الكتاب والموضع ١٨٩٦ ص ٧٣٣ — ٧٣٦ . وهذه المقالة الأخيرة عنوانها «تصحيح» وذلك أن ليستراع تلقى ملاحظات دى خويه وهجاوت فى الفترة =

وكريزوجيز وغيرهما [1] . وعاون البوليسيون المسلمين فى غزوهم الروم ونالوا تقديرهم [2] . وقام جند أمير ملطية وأمير طرسوس [3] على بن يحيى الأرمنى الذى ذكرناه آنفاً وقرباص بغزوات عديدة شعثوا فيها أرض الروم .

وأصبح عداء البوليسيين الذين كانوا حماة الأمبراطورية خطراً مستمراً على نفس الأمبراطورية لولا [4] أن الخلافات الداخلية التى قامت بين بعض رؤساء العرب خففت بعض الشىء من حدة هذا الخطر على الروم .

= بين المقالتين فتنازل عن القول بأن حصن ابريق هو تفريقى ورجع الى رأيه الأول لأنه كان أصح . راجع جى لسترانج . حصن ابريق الوسيط ومعبده أو أرقبير الحديثة فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٥ ص ٧٤٠ . وتدل الأبحاث الحديثة على أن أمارا شمالى أرجايوس وأن تفريقى شمالى أمارا . والأرجح اعتبار أرجايوس هى أرجوان الحالية الواقعة على ٢٥ ميلا تقريبا شمالى ملطية . ج . ج . ك . اندرسن . الطرق فى آسيا الصغرى مع الاستدلال بالحملات الرومية فى مجلة الدراسات الهلينية ج ١٧ (١٨٩٧) ص ٢٧ هـ ٥ . راجع أيضا ص ٣٢ .

(١) المسعودى — التنبيه ط . دى خويه ج ٨ ص ١٨٣ وترجمة الكتاب نفسه . كرادى فو باريس ١٨٩٧ ص ٢٤٨ وقد روى روى دخل فى الاسلام المسعودى أن الروم فى إحدى كنائسهم صوروا أشهر عشرة من المسيحيين عرفوا بقدرتهم وشجاعتهم وصوروا كذلك بعض المسلمين ممن امتاز بخفة الحركة فى تكتيك الحرب ومنهم قرباص (بالفرنسيه قرنياس) وبوليسيان بطريق (بطريرك ؟) مدينة ابريق (تفريقى) المسعودى مروج الذهب ج ٨ ص ٧٤ . أنظر جى لسترانج الابريق تفريقى عاصمة البوليسيين ومجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٦ ص ٧٣٤/٧٣٥ . واتخذ اسم قرباص فى الملحمة البيزنطية صيغة كرويس وأصبح اسم خريزوخير . خريزوخربس (مع قراءات مختلفة) . ويقال عن الأخير فى الملحمة البيزنطية أنه أبو الأمير وأن الأمير هو ابو دجنيس اكرتياس أما قرويس فان الملحمة تجعل منه عم دجنيس . قارن فى آخر الجزء الثانى ذيلا عن الملحمة العربيه الرومية . وهذه القراءة واردة أيضا عند المصادر العربية . المسعودى . التنبية نفس الموضع .

(٢) أنظر قدامه ط . دى خويه المكتبة الجغرافية العربية ج ٦ ص ٢٥٤ ، ٢٩٤ . وفى هذه الطبعة يقرأ دى خويه الاسم من المخطوط العربى قراءة تقريبية غير واضحة : نيلقانى ونيقلانى) ويفرض أن المقصود مذهب نيقولا . ولكن المقصود فى حالتنا هذه هو البلقانية بمنى البوليسية . وقد سلم بذلك دى خويه بعد . انظر جى لسترانج الأبريق — تفريقى عاصمة البلقانية . فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ١٨٩٦ ص ٧٣٦ .

(٣) صلة تيوفان (ص ١٦٦) ويسميه : على صاحب طرسوس ὁτῆςταρσον 'Αλῆς والاسم الكامل وارد فى المصادر العربية .

(٤) ويروى صلة تيوفان أن عليا أرسل إلى أرمينيه ولم يلبث أن قتل بها وأن أمير ملطية حارب واليا عربيا آخر . إن عمر حارب واليا عربيا آخر اسمه سكليرو (هكذا يسمى) وقامت الحرب الداخلية (باليونانية) : صلة تيوفان ص ١٦٦/١٦٧) . ولكن هذا المؤرخ يخطىء فى الحالة الأولى ويخلط بين على الذى ولى بعد على أرمينية وبين القائد العربى يوسف بن محمد الذى قتل بارمينية فى ٨٥١ أيام الثورة =

وكان الذى غزا العرب فى عام ٨٥٦[١] الدمستق بتروناس أخ برداس واستراتيج جند تراسيزيان[٢]. والعريب أن صاحب صلة تيوفان يذكر حملة ٨٥٦ ولكنه لا يسجل إلا بدايتها أما نهايتها فإنه ضرب عنها صفحاً . وهذا دليل آخر فيما نرى على أن هذا المؤرخ المقدونى عمل عملا دقيقاً على نحو انتصارات ميشيل الثالث وقواده . ولكن الروايات العربية بعيدة عن ذلك الحسن الحظ . وتقول هذه الرواية أنه فى آخر الصيف حين رجع على بن يحيى الأرمنى من صائفته التقليدية قام الروم بغزو العرب فظفروا فى أرض شمشاط وتقدموا حتى بلغوا قريباً من آمد . ثم اتجهوا بعدها إلى الشمال الغربى نحو تفريق وكان بها قرباص[٣] . فأحرقوا عدة قرى . وأسروا عشرة آلاف ثم قفلوا إلى بلادهم وتتبعهم عمر بن عبد الله الأقطع وقرباص بجندهم فلم يدركوهم[٤].

وأمر على بن يحيى رغم الشتاء بغزو أرض الروم[٥] . وعزم العرب بعد سنة من ذلك على الانتقام من غزو الروم عام ٨٥٦ فاستأنفوا الغزو .

كان المتوكل انتقل إلى دمشق فأقام بها شهرين وكان يريد أن ينتقل إليها بصفة دائمة لقلة ما يحس من الأمن فى العراق ، فأرسل فى هذه السنة[٦] لغزو أرض

= الكبرى (فايل نفس الكتاب ج ٣ ص ٣٦٩/٣٦١، ٣٦٣) . ولا تذكر المصادر العربية شيئا عن النزاع بين أمير ملطية وسكابروس . أما عن على والى أرمينية فانظر ڤاسمر . توفيت حكم ولاة العرب فى أرمينية أيام العباسيين ، ڤينا ١٩٣١ وبعد ص ٢٠٦ من الأصل الفرنسى لهذا الكتاب .

(١) نأخذ السنة عن الطبرى ج ٣ ص ١٤٣٤ ، ابن الأثير ج ٧ ص ٥٣ (ذيل الأصل الفرنسى ٣١٨)

(٢) هنا ينتهى سرد صاحب الصلة . أما كل ما يلى من تفاصيل الحملة فيرجع إلى المصدر العربى الطبرى ج ٣ ص ١٤٣٤ ، ابن الأثير ج ٧ ص ٥٣ (ذيل الأصل ص ٣١٨/٣١٩) .

(٣) ويقول الطبرى ، أبرق مدينة قرباص (ج ٣ ص ١٤٣٤) (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣١٨) ويرى بحق البارون روزن ناشر قسم من تاريخ الطبرى أن صيغ أبريق المختلفة ترجع إلى تفريقى τειφρικη ثم أننا نجد عند الرسم التسمية أفريقى . راجع أرنست هونجمان . الحدود الشرقية . فهارس

(٤) مع كثير من المتطوعة كما يقول الطبرى ج ٣ ص ١٤٣٤ (ذيل الأصل ٣١٩) .

(٥) أنظر فايل . نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٦٣ — ٣٦٤ وهو يورد هذه الحملة فى السنة السابقة سنة ٢٤١ هـ : ٢٢ مايو ٨٥٥ — ٩ مايو ٨٥٦ . ولم يكن فايل يعرف الطبرى بعد ، ونحن نتبعه هنا . أما فايل فيورد الحملة عام ٢٤٢ ، ١٠ مايو ٨٥٦ — ٢٩ أبريل ٨٥٧ . وإنما قرأ فايل ابن الأثير وهو يلخص الطبرى ويورد الحملة عام ٢٤٢ (ابن الأثير ج ٧ ص ٥٣) .

(٦) فى شهر ربيع الثانى ٢٤٤ : ١٧ يوليه — ١٤ أغسطس ٨٥٨ .

الروم بغاً فاستولى على حصن صمالو [1] .

وفى السنة التالية (٨٥٩) كان الإمبراطور على الأرجح تحت تأثير فقد قصر يانه فى صقلية . وكان ذلك فى يناير من تلك السنة . وكان يريد إرسال أسطول كبير وقد رأينا أنه وصل فعلا فاقترح على المتوكل فداءاً جـديداً . وأرسل لذلك إلى الخليفة شيخاً رسولا إسمه أطروبيليس [2] وجعل معه سبعين أسيراً مسلماً فوصلوا إلى المتوكل فى أول شهر يونية [3] وأرسل أمير المؤمنين بدوره إلى قسطنطينية أحد كبار دولته نصر بن الأزهر فرحل فى نفس السنة ولـكن الفداء لم يقع كما سنرى بعد قليل إلا فى ٨٦٠ [4] .

والراجح أن سبب التأخير قيام اصطدام جديد بين الروم والعرب .

وذلك أن ميشيل لم يكد يستكمل فتوته حتى سار إلى الغزو عام ٨٥٩ قاصداً شمشاط ومعه برداس صاحب السطوة فى عصره . ولم يكن لذلك سبب ظاهر . والراجح أن الروم ظفروا فى الغزو وإنهم فى إحدى هجماتهم قتلوا أو أسروا خمسماية من العرب [5] . وقد تركت لنا حملة ٨٥٩ هذه شواهد نقشية هى خمسة نقوش أمر

---

(١) الطبرى جـ ٣ ص ١٤٣٦ : ابن الأثير جـ ٧ ص ٥٥ (ذيل الأصل الفرنسى ٣١٩) ولعله حصن صيالوس من جند ارمنياق وقد حاصره عام ٧٨٠ هارون الرشيد وأخـذه . أنظر تيوفان . تاريخ ط . دى بور جـ ١ ص ٤٥٣ ، وقد جاء فيه باليونانية ، دخل هارون الرشيـد جند ارمنياق لحاصر حصن صيالوس كل الشتاء حتى نزل على حكمه فى شهر سبتمبر . أنظر رمزى نفس الـكتاب ص ٢٧٨ ، ٣٥٥ ويقول الادريسى جـ ٢ ص ٣١١/٣١٨ ترجمة جـوبير صمالو بين قيصرية كبادوكيا وأنقرة . ويقول ابن خرداذبة ص ١٠٨ (٨٠) أن الحصن من جند بوسيلير .

(٢) وهذه القراءة من نص الطبرى العربى جـ ٣ ص ١٤٣٩ (ذيل الأصل الفرنسى ص ٣١٩) فمن هو وما اسمه ؟ لا نستطيع البت فى ذلك الآن . ويقترح البارون روزن أن يكون قسطنطين تريفيليوس وهو يذكر أيام تيوفيل (الطبرى جـ ٣ ص ١٤٣٩ ، صلة تيوفان ص ١٢٢ وجريجوار أبو الفرج ، تاريخ سوريانى (ص ١٥٨ ط . بدخان ص ١٤٤ ترجمة بدج وجاء فيه اطروفلوس (مخطوط سريانى من مجموعة بودليان — هنت ٥٢ ورقة ٥٢ ف ع ٢ س ٣ أطروفيلوس) .

(٣) ٢٥ صفر وهو يوافق ما بين ٨ مايو و ٥ يونيه .

(٤) الطبرى جـ ٣ ص ١٤٣٩ (ذيل الأصل ٣١٩ ، ٣٢٠) .

(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٤٤٧ (ذيل الأصل ٣١٩) ويختصر ابن الأثير رواية الطبرى عن أمر سيساط ولؤلؤة (ابن الأثير جـ ٧ ص ٥٧) وكان المؤرخون إلى اليوم يحملون وقتـئذ هزيمة ساقت بميخائيل . وعلى ذلك كان فازليف فى الطبعة الأولى فقال « وعزم الامبراطور وبرداس على حصار حصن سميساط المنيع وفى اليوم الثالث للحصار ، بينما كان الروم فى وقت صلاة الأحد قد خففوا حراسة المدينة =

ميشيل الثالث بحفرها على أسوار قلعة أنقره حين رممها [١] . الأول يحدد تاريخاً دقيقاً ١٠ يونيه ٨٥٩ . والأخرى تذكر من عملوا فى التحصين : بازيل وتلقبه بالأسباطير المرشح وهو على الأرجح بازيل المقدونى الذى صار امبراطوراً فيما بعد ثم أن أحد أبراج نيقيه يحمل نقشاً لميشيل الثالث تاريخه ٨٥٨ . ومن هذا نرى أن هجوم ٨٥٩ أعد إعداداً متقناً وسبب هذا أن الأمبراطور تذكر كارثة ٨٣٨ وسقوط أنقره وعمورية أثناءها وحدوث الكارثة عقب حملة رومية ظافرة ، فأراد ميشيل الثالث أن يحتاط لمثل ذلك فأصلح لذلك الحصون التى يستطيع الجيش الاعتماد عليها إذا ماارتد اليها . أما ذكر الأسباطير المرشح بازيل فى نقوش يونيه ٨٥٩ فهو يؤكد بصفة ظاهرة قول اللوجوتيت بشأن النصر فى ٨٦٣ . وكان كثيرون يبذلون جهدهم ويظهرون البراعة فى دفع العدو ولكن حب الأمبراطور كان منصرفا لبازيل وحده وكان الأمبراطور يقول هو وحده الذى يعرف كيف يخدمنى [٢] .

وأعتقد أن الحملة الأولى التى بلغ بها ميشيل الشاب الفرات ولعله جاوزه غازيا بنفسه على رأس جنده كانت أمراً له أثره فى إبراق خيال الجند وفى تصورهم بحق أن حملة ٨٥٦ والحملات التالية انتقام رائع من خزى عمورية . وقد سمى بطل غنائيه مشهورة بالعمورى (عمور بوليس) وهى قصيدة تتغنى بالأمبراطور العمورى الثالث

= المحاصرة خرج العرب عليهم فجأة فى ساعة المناولة بالقات. فهرب الروم وكاد ميخائيل نفسه يقع أسيرا وأخذ العرب منه ضربه ومؤنا كثيرة » وهذا السرد مأخوذ عن المصادر الرومية (جنزيوس ص ٩١ . صلة تيوفان ص ١٧٦، ١٧٧) ع ٢٣ . سيدرونس ص ١٦١، ١٦٢ . زوناراس ط . دندروف جـ ٤ ص ٩/١٠ ، ص ١٦ ع ٣ . ومع ذلك فان فازليف لاحظ ما فى صمت العرب على مثل هذا النصر المزعوم من غرابة فقال من الغريب جدا أن لا يتكلم العرب على نصرهم هذا وعلى ما حاق بحملة الروم من فشل . وأن يتكلم الروم على هزيمة شنيعة حاقت بهم حول سميساط » . وأما بيورى (٢٧٩ هـ ٢) فيذكر الهزيمة ويقبل رواية جنزيوس . ويذكر أن الطبرى يسير الى النصر فى المبدأ . ولكن رواية جنزيوس وصلة تيوفان موضع شك فهى من الانتحالات المغرضة التى أراد بها مصدر هذه المصادر الزراية بقيمة البطل الشاب ميخائيل . ولعل الأمر لا يعدو تضخيم واقعة صغيرة حدثت فى أثناء هذه الحملة المظفرة .

(١) أنظر هـ . جريجوار : نقوش تاريخية رومية فى بيزنطيون جـ ٤ (١٩٢٧/٨) ص ٤٣٧/٤٤٩ ونفسه ميشيل الثالث وبازيل المقدونى جـ ٥ (١٩٢٩) ص ٣٢٧ / ٣٢٨ ، ٣٤٤ / ٣٤٦ . أرنست شتاين فى Annuaire معهد الفيلولوجيا والتاريخ الشرقى (دراسات مهداة إلى بيديز) جـ ٢ ص ٩٠٢ وما بعدها .

(٢) جورج همرتولس ص ٨٢٥ بون .

ولنضف إلى هذا أن الأسطول الروى هجم على دمياط مرة أخرى فى يونيه . يوليه ٨٥٩ (قارن ص ٣٨٩ من الأصل الفرنسى) .

كان على بن يحي الأرمنى يقلق أمن الثغور الرومية [1] . فثار أهل حصن لؤلؤة وكان فى يد الروم يومئذ وطردوا واليهم . فأرسل ميشيل اليهم بطريقاً وعد كل واحد منهم بألف دينار أن سلموا له المدينة فأدخلوه المدينة ثم أسلموها وأسلموه إلى القائد العربى بلكجور (مارس ٨٦٠) . وأصبح البطريق فى خطر عظيم .

وأرسل البطريق إلى المتوكل وأدخله اليه على بن يحي الأرمنى فدفعه الخليفة إلى أيدى الفتح بن خاقان فدعاه إلى الإسلام وتهدده بالموت إن رفض . وقلق الأمبراطور على مصير رسوله فكتب إلى الخليفة ووعده بفدية لهذا الأسير الشريف هى رد الف أسير مسلم [2] وكان علم الأمبراطور بخيانة أهل لؤلؤة فى الوقت الذى وصلت فيه إلى عاصمته الوفادة الاسلامية التى ذكرنا من قبل والتى كان يرأسها نصر بن الأزهر وهو من كبار رجال الخلافة ولدينا عن مقامه بقسطنطينية سرد مفصل شديد الطرافة [3]

حين وصل الرسول الإسلامى إلى القسطنطينية تقدم إلى البلاط وعليه السواد والقلنسوة وسيف وخنجر ولم يرض القائم بأمور الأمبراطورية يومئذ وهو بيرو ناس [4]

---

(١) راجع هـ . جريجوار بيزنطيون حـ ٧ (١٩٢٢) ص ٢٩١/٢٩٤ . وفى مجلة الدراسات اليونانية ١٩٣٣ ص ٢٩/٦٨ : ومنشورات الجمعية اليونانية لدراسة أوروبا الشرقية والشرق الأدنى رقم ٤ (مهدى إلى مرجان زيكورنسكى) كراكوف (١٩٣٣، ١٩٣٤) ص ١٥٠/١٦١ .

(٢) الطبرى حـ ٣ ص ١٤٤٧ (ذيل الأصل ص ٣١٩) .

(٣) الطبرى حـ ٣ ص ١٤٤٧، ١٤٤٨ . ابن الأثير حـ ٧ ص ٥٧ (ذيل الأصل الفرنسى ٣١٩، ٣٢٠).

(٤) الطبرى ج ٣ ص ١٤٤٩، ١٤٥١ . وقد ترجم هذه القطعة البارون روزن فى كتابه الامبراطور بازيل قاتل البلغار ص ١٤٥، ١٤٨ (ذيل الأصل ٣٢٠، ٣٢٢) . أما ابن الأثير فيختصر رواية الطبرى المفصلة فيما يلى : وفيها كان فداء الأسرى على يد على بن يحي الأرمنى فافتدى ٢٣٦٧ رجل (حـ ٧ ص ٥٩) (ذيل الأصل الفرنسى ٢٥٥) . وانظر اشارة موجزة إلى هذا الفداء عند المسعودى ط دى خوية حـ ٨ ص ١٩١، ١٩٢ . تعليقات واقتباسات حـ ٨ ص ١٩٥ : مروج الذهب جـ ٩ ص ٣٠٨ . المقريزى حـ ٢ ص ١٩١ (ذيل الأصل ص ٣٣٧) وراجع جريجوار أبو الفرج : تاريخ سوريانى حـ ١ ص ١٦٩، ١٧٠ . وانظر عن وفادة نصر : بيورى ٢٧٩ . « وقد جاء فيه » ولا يبعد أن يكون المقصود برداس وفى حـ ٥٠ » وكان بتروناس واليا على جند تراسيزيان من ٨٦٠ الى ٨٦٣ . وأرجح أن نصر كتب خاله فقط وأن الطبرى أضاف بطرناس . ويلاحظ الأستاذ كنار » أنه من المستبعد أن يضيف الطبرى مثل هذا .

عم الأمبراطور أن يأذن للسفير بالدخول إلى البلاط على هذه الهيئة واعترض خاصة على الثوب الأسود وحمل السيف . فغضب الرسول ورجع فأدركوه وأدخلوه عند الأمبراطور فقدم اليه ما حمل من الهدايا الف نافجة مملوءة مسكا وثيابا من حرير وكمية من الزعفران النادر فى الشرق وحليا أخرى مختلفة . فاستقبل الأمبراطور السفير العربى بعد استقبال سفارة بلغارية [١] . مباشرة . وكان ميشيل يجلس فى الاستقبال على عرشه يحيط به بطارقته وبين يديه ثلاثة تراجمة هم خادم فراش قديم كان للخصى مسرور وغلام للعباس بن سعد الجوهرى ومترجم عجوز اسمه سرحان [٢] . فتقدم الرسول بالتحيات المرعية وجلس فى المكان الذى أعد له . ووضعت الهدايا أمام الأمبراطور فأخذها الأمبراطور وأحسن معاملة السفير وأنزله منزلا غير بعيد من قصره [٣] والراجح أنه قام منذئذ بعض خلاف بين الروم والعرب بسبب لؤلؤة وذلك أن ممثلين من لؤلؤة قدموا فى نفس الوقت إلى العاصمة يؤكدون للإمبراطور ولاءهم ويخبرونه برغبتهم فى الدخول فى المسيحية (وكان منهم رهبنان من أهل الناحية من المسلمين) .

والراجح جدا أن هؤلاء الوافدين كانوا يمثلون سلافا نزلوا قرب لؤلؤة .

وسعد الأمبراطور بهذا التوفيق فمكث أربعة أشهر لا يعير الرسول العربى التفاتاً أما الرسول فانتظر حل مسألة الفداء ولم يبرح العاصمة فلما انتهى الشهر الرابع علم ميشيل أن أهل لؤلؤة ثاروا وأسروا رسل الأمبراطور واستسلموا للعرب . وحدث ذلك كما رأينا فى شهر مارس ٨٦٠ .

فاستؤنفت بعد ذلك مفاوضات الفداء . وأقسم كل طرف على الوفاء . فأقسم بتروناس بدل الأمبراطور فسأل الرسول العربى الأمبراطور إن كان قسم عمه ملزما له . فأشار الأمبراطور برأسه بالإيجاب . ولدينا فى تاريخ الطبرى وصف على لسان

---

(١) ووفادة بلغار الدانوب هذه يجب أن تكون متصلة فى الغالب بالمفاوضات التى سبقت دخول ملكهم بورس فى المسيحية . قارن بارون روزن نفس الكتاب ص ١٤٥

(٢) ولعله سرج . بارون روزن نفس الكتاب ص ١٤٦ —

(٣) بيورى ص ٢٨٠ هـ ٢ : وليس واضحا إذا كان ذلك يعنى فى القصر غير بعيد من خريزوتركلينوس أو غير بعيد من قصره . ويقول النص العربى قريبا منه (أى من الأمبراطور) .

الرسول العربى . قال لما صرت إلى القسطنطينية . لم أسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد الروم إلى أن خرجت منها إنما يقول الترجمان وهو يسمع فيقول برأسه نعم أو لا وليس يتكلم وخاله المدبر أمره ثم خرج نصر بن الأزهر الشيعى من عنده بالأسرى حتى جاء موضع الفداء عند اللامس وكان القيم على الفداء هذه السنة على ابن يحيى الأرمنى فأطلق الروم أكثر من الفى مسلم فيهم ٢٠ امرأة وعشرة أطفال[١] وأطلق العرب للروم أكثر من ألف أسير. والراجح أن الألف الفارقة تقابل ما وعد به الأمبراطور من افتداء البطريق المأسور فى لؤلؤة بألف .

وكان قوم من الروم دخلوا الاسلام أثناء أسرهم وقوم من العرب تنصروا كذلك وأكثر من تنصر أهل المغرب يعنى مصر وما بقى فى يد الخليفة العباسى من أفريقية .

فلما تم الفداء بعد أن دام سبعة أيام[٢] هذه المرة لم يبق فى يد الروم غير سبعة من المسلمين خمسة منهم قدموا من صقلية فافتداهم رسول العرب وردهم إلى صقلية أما الاثنان الآخران فكانا مسلين من رهائن لؤلؤة ورغبا فى النصرانية ولهذا تركا فى يد الروم . ووقع الفداء فى الأيام الأخيرة من ابريل أو أوائل مايو [٣] .

العمليات الحربية فى الشرق فى ٨٦٠

وطبيعى أن تتوقف الأعمال الحربية بين الروم والعرب بعض الوقت أثر هذا الفداء ولكن لدينا من المصادر الوثيقة مايدل على أن النضال أستؤنف فى صيف ٨٦٠[٤]

---

(١) الطبرى ج ٣ س ١٤٥١ . بارون روزن نفس الكتاب ص ١٤٧ (ذيل الأصل ٣٢١؛ ٣٢٢)

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١٤٤٩ . بارون روزن نفس الكتاب ص ١٤٥ وهو يذكر أن من افتدى ٢٣٧٦ رجل وكذلك ابن الأثير ج ٨ ص ٥٩ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٢١) المسعودى ط دى جويه ج ٨ ص ١٩٢ (فى القرآت « الرقم ٢٧٦٧ ونص التعليقات والاقتباسات ج ٨ ص ١٩٥ « مروج الذهب ج ٩ ص ٣٥٨ يذكر الرقم ٢٧٦٧ والقول بأن موضع الفداء كان اللامس وارد عند المسعودى (دى خويه ج ٨ ص ١٩١) ومحذوف فى ترجمة س . دى ساسى (تعليقات واقتباسات ج ٨ — ١٩٥٩) (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣٧) أنظر المقريزى ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) أما عن تاريخ الفداء فراجع المسعودى ط دى خوية ج ٨ ص ١٩٢ . تعليقات واقتباسات ج ٨ س ١٩٥ : مروج الذهب ج ٩ ص ٣٥٨ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣٧) .

(٤) ويحدد الطبرى وقت هذا الفداء بطريقتين . فهو يقول « وفى هذه السنة كان الفداء فى صفر (٢٧ ابريل — ٢٥ مايو ٨٦٠) على يد يحيى ابن الأرمنى ... وقال بعضهم لم يتم الفداء فى هذه السنة

من جديد حارا بين المسلمين والروم وازداد حرج الروم أثناءه لأن الروس ظهروا فجأة أمام قسطنطينية . ونحن نعلم أن الجدال حول أول ظهور الروس أمام عاصمة الروم لم ينحسم إلا فى هذه السنين الأخيرة حين طبع العالم البلجيكى المشهور فرانس كيمون فى عام ١٨٩٤ تاريخاً رومياً قصيرا مجهول المؤلف غير ذى أهمية . ولكن اندهاش العلماء كان عظيما حين وجدوا فيه تاريخاً دقيقاً (بالسنة والشهر واليوم) لأول مرة ظهر فيها الروس أمام قسطنطينية . وكان تحديد السنة فوق ذلك على ثلاثة طرق فى سنة كذا المالية وفى سنة كذا من حكم الامبراطور ميشيل وسنة كذا من خلق العالم [٢] ولم يكن بين هذه التواريخ الثلاثة أى اختلاف [٣]

يخبرنا هذا التاريخ أن الروس قاموا بهجومهم فى ١٨ يونيه سنة ٨٦٠ [٤]

ومثل هذا التاريخ فى دقته وضبطه ذو أهمية عظيمة بطبيعة الحال . لأنه يصبح مقياساً توقيتياً ذا أهمية أساسية لضبط توقيت التاريخ الروسى فى القرن التاسع وهو

= إلا فى جمادى الأولى (٢٤ يوليه — ٢٢ أغسطس) الطبرى ج ٣ ص ١٤٤٩ . بارون روزن« نفس الكتاب ص ١٤٥ (ذيل الأصل الفرنسى ٣٢٠) وعندنا أن التاريخ الأول أرجح فان سرد الطبرى يخبرنا أن المخاطبة فى الفداء بدأت وانتهت عند استسلام لؤلؤة للعرب وكان ذلك فى شهر مارس . ولهذا يجب أن يكون الفداء فى شهر مايو ٨٦٠ ومما يدحض التاريخ الثانى استئناف النزو بين الروم والعرب حول يوليه / أغسطس ولا يحتمل أن يكون فداء وقتئذ . المسعودى (ج ٨ ص ١٩١) ويأخذ عنه المقريزى (ج ٢ ص ١٩١) وهو يقول أن الفداء كان أول شهر صفر ٢٤٦ يعنى أواخر ابريل أو أوائل مايو ٨٦٠ . وقد سقط الشهر فى ترجمة بى . دى ساسى (ذيل الأصل الفرنسى ٣٣٧) . ويجعل فايل الفداء فى الفترة التى أعقبت انهزام الامبراطور صيف ٨٦٠ ، وهو مالا يمكننا قبوله مع ما قدمنا من الحجج (فايل نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٦٦) .

(١) ولا ننوى أن نناقش هذه المشكلة فى هذا الكتاب لأنها أخص من الغرض الذى نقصده .

(٢) (Anecdota Bruxellensia) تاريخ بروكسل ج١ تواريخ رومية من المخطوط ١١٣٧٦ نشرها فرانز كيمبون ، جاند (١٨٩٤) فى مجموعة منشورات كلية الفلسفة والآداب المجلد ٧ .

(٣) أنظر فى ذلك « ك . دى بور » هجوم الروس على بيزنطة ، المجلة البيزنطية ج ٤ (١٨٩٥) ص ٤٤٥/٤٦٦ وقد أثبت فيه ضبط التوقيت فى هذا التاريخ . وراجع فازليفسكى فى « .Viz. Vrem ج ١ (١٨٩٤) ص ٢٥٨ ، جرلاند » الحوليات الجديدة فى التاريخ القديم .Neue Jahbücher f. d. Klass altertum ج ٩ (١٩٠٣) .

(٤) باليونانية : وفى أثناء حكمه (أى حكم ميشيل) فى الثامن عشر من شهر يوليه من السنة الثانية المالية وسنة (كذا) من خلق العالم وفى السنة الخامسة من حكمه قدم الروس غازين بمائتى مركب ولكن المسيحيين ردوهم بفضل أم المسيح صاحبة الذكر وهزموهم وأبادوهم « Anecdota Bruxellensia ج ١ ص ٣٣ وانظر بور » هجوم الروس ص ٤٤٦ .

قرن قلت تواريخه واضطربت . وهنا يجب أن نعبر عن تقديرنا لما أظهر الأستاذ جولينيسكى من الضبط العجيب فإنه تعرض لتحديد هذا التاريخ قبل نشر تاريخ بروكسل المجهول المؤلف بأربع عشرة سنة فاعتمد على إشارات كاتب معاصر جدير بالثقة هو الأب نيستاس البفلاجونى ، فوصل إلى أن هجوم الروس لم يقع فى سنة ٨٦٦ وإنما وقع عام ٨٦٠ أو أول ٨٦١[١] .

ولكنا إذ نصوغ التقدير لما كان من ضبط مواطننا العالم لا نريد أن ننسى أن عالماً آخر فى أوربا الغربية أثبت ما وصل إليه الأستاذ جولينيسكى قبله بقرن ، واعتمد فى ذلك على رواية نيستاس البفلاجونى كذلك هذا العالم هو المستشرق المشهور السمانى فإنه خصص فى كتابه توقيت كفسى عام Kalendria Ecclesiac Universae بحثاً عن أول هجوم قام به الروس على قسطنطينية فانتهى الناس إلى نتائج أجمع الناس عليها اليوم[٢] .

ونرى من واجبنا فى هذا المقام أن نتكلم عن السمانى لأن كتابه يبدو كما لو كان شمله النسيان . ولا أظن أننا نخطىء حين نقول أن جميع من عالج من العلماء أمر هجوم الروس الأول على قسطنطينية لم يشيروا إلى ما للمستشرق العظيم السمانى من فضل بين[٣] .

فإنه استشهد بعبارة معروفة خاصة بهجوم الروس واردة عند نستياس البفلاجونى ، وقرب بين مقتضى هذه العبارة وبين ما نعلمه عن غزو الروس من مصادر أخرى فوصل إلى أن الهجوم الأول وقع آخر ٨٥٩ أو أول ٨٦٠ .

---

(١) جوليبنسكى : Istorija russkoy Cerkvi جـ ١ — العهد الأول (عهد كييف أوماقبل المغول) القسم الأول من المجلد ، موسكو ١٨٨٠ ص ٢١/٢٢ . وقد أقرت الآنسة بوبيه أن هجوم الروس على أماستريس الذى يجعله فازليفسكى فى أعوام ٨٢٥/٨٣٠ (راجع دفورنيك « أسطورة قسطنطين وميثود ص ١٧٣) يجب أن يوضع فى عام ٨٦٠ . وهو كذلك رأى كونيك (راجع ص ٤٣٢) .

(٢) السمانى Kalendria eccldsiae Universas ، رومه ١٨٥٥ جـ ١ ص ٢٤٠/٢٤٣ جـ ٢ ص ١٦٠/١٦١ ، ٢٣١/٢٣٢ جـ ٤ ص ٩ .

(٣) أما الأسقف ماكير : فى تاريخ المسيحية فى روسيا قبل فلاديمير ، سان بطرسبرج ١٨٤٦ ، فانه اعتمد على توقيت السمانى (أنظر مثلا الصفحات ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢) ولكنه لم يذكر ما وصل إليه السمانى من جديد وهو يرجع هجوم الروس إلى عامى ٨٦٤/٨٦٥ (ص ٢٧٣/٢٧٤) .

ولم يأخذ السمانى برواية سيميون ماجستر لأنه رأى أنه لا يضبط سنى حكم ميشيل[1] . ولهذا كان أول من قال بعام ٨٦٠ ، وهى السنة الحقيقية ، هو السمانى . ثم أن هيرش قد أثبت إثباتاً بيناً فى ١٨٧٦ أن توقيت سيميون ماجستر مختل من أساسه [2]

ولنلاحظ أن باجى كان قريباً من الحقيقة حين ذكر فى تعليقه على حوليات بارونيوس الكنسية أن هجوم الروس كان عام ٨٦١[3] ولنلاحظ أننا لا نستطيع رفض رواية نسيتاس البفلاجونى بحجة أنه أخطأ فى تاريخ حملة الروس واعتدائهم على جزيرة تيريبانت عام ٨٦٠ فى أثناء نفى البطريرك إجناس بها للمرة الثانية . ولكن كونيك رفضها[4] . ولنلاحظ كذلك أن من التعسف أن نقول أن الهجوم الذى رواه نسيتاس البفلاجونى غير الحملة التى ذكرتها الحوليات الروحية (ولكن هرجنروتر يرى ذلك فى كتابه فوتيوس جـ ١ ص ٤٢١ ، ٥٣١) .

ونحن نزعم كذلك أن فازليفسكى ولورياف مخطئان وأن هجوم الروس على اماستريس فى بفلاجونيا الوارد ذكره فى حياة القديس جورج الاماستيرى هو فصل من نفس الحملة . وذلك أن صاحب هذه السيرة التى كتبت حول ٨٦٥ قال إن الروس الذين انتهبوا اماستريس كانوا قادمين من البروبونتيد .[5]

---

(١) السمانى : توقيت جـ ١ ص ٢٤٠/٢٤٣ جـ ٤ ص ٩ .

(٢) أنظر هيرش : دراسات بيزنطية ص ٣٤٨ وما بعدها .

(٣) بارونيوس Annales Ecclesiastici ب. انتونيوس باجى جـ ١٤ ، لوكا ، ص ٥٥٤ ، ٧

(٤) أ . كونيك . Die Berufung der Schwedischen Rodsen جـ ٢ سان بطرسبرج ١٨٤٥ ص ٣٣٧ وكذلك مقالة أ . كونيك . والقول بأن الروس الوثنيين هم النورمان مؤيد بخطاب البابا نيقولا الأول فى سبتمبر ٨٦٥ (ذيل المجلد ٣٢ من Zupiski الاكاديمية الامبراطورية للعلوم رقم ٢ (٨٧٨ ص ١٩٠) .

(٥) أنظر باير « حملة الروس الأولى على قسطنطينية (باللاتينية) فى شروح اكاديمية العلوم الامبراطورية فى بطرسبرج جـ ٦ (١٧٣٨) ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ وهو يعلم أن نيستاس يجعل الهجوم فى ٨٦٠ ولكنه يقول أن نيستاس حور (vitio laborat) ص ٣٧٠ ويجعل الحملة عام ٨٦٥ . ويؤيد هذا التاريخ علماء آخرون هم : بوجودين Drevnjaja Russakaja istorija do. mongoljskags iga موسكو ١٨٧١ ص٦/٢٧ . أ . كونيك فى Zapuski اكاديمية العلوم الامبراطورية جـ٢٤ (١٨٧٤) ص١٩١ . ونقسه« القول بأن الروس الوثنيين الخ (أنظر قبل هـ ص ١٤٩ من الأصل الفرنسى) . ايلوفايسكى « تاريخ روسيا (بالروسية) القسم الأول ، موسكو ١٨٧٦ ص ١١ ، ٢٨٦ ، ونقسه o Ruzyskanija =

كنا نقول أن ما أعقب فداء أول مايو عام ٨٦٠ من صلح مع العرب لم يدم. فسار ميشيل لغزوهم وخلف على قسطنطينية نسيتاس أوريفاس وهو درنجار الأسطول وكان رجلا صارماً وكان من أنصار فوتيوس كما يروى نسيتاس البفلاجونى فاشتد فى اضطهاد البطريرك اجناس[1] المعزول.

وكان الأمبراطور فى موربوتامن[2] حين أنذره أوريفاس بقدوم الروس فاضطر الأمبراطور لذلك أن يسرع فى العودة دون أن يبدأ العمليات الحربية مع العرب بدءاً جدياً[3].

ويجب أن نفترض أن الأمبراطور رجع وحده وترك الجيش فى آسيا الصغرى حتى يعود إليه ثانية. فوصل إلى القسطنطينية وقد أحاط بها الروس وقتلوا من حولها من السكان. فلم يعبر الإمبراطور المضيق إلا بعد مشقة[4].

= nacaĺe Rusi موسكو ١٨٧٦ ص١١١/١١٢ جيد يونوف « Varjagi , Rusi القسم الثانى سان بطرسبرج ١٨٧٦ مثلا ص ٤٥٩ ، ٤٦١ . روستستسف — ربومن : تاريخ روسيا (بالروسية) ج١ (١٨٧٢) ص٩٩ . أما الذين قالوا بتاريخ ٨٦٦ فهم « شلوتزر » نستور . القسم الثانى . سان بطرسبرج ١٨٩٦ ص ٣٢ وما بعدها كرامزن istorija gssudarstva rossijskago ، سان بطرسبرج ١٨٤٤ ج ١ ص ٧١ . وانظر كذلك هامش ٢٨٣ منه . أ . كونيك Die Berufug etc. القسم الثانى فى ص ٣٢١ وما بعدها . كروح أبحاث فى تاريخ روسيا القديم « سان بطرسبرج ١٧٣٨ ص ٣٥٥ ف . شرنيجوفسكى Istorija Russkoj Cerkvi شرينجوف ١٨٦٢ ص ٦ س . سولوڤيف « تاريخ روسيا ط ٢ ج ١ سان بطرسبرج ص ١١٣ . أما العالم الألمانى فيلكن فيجعل هجوم الروس عامى ٨٦٤/٨٦٥ . فيلكن « العلاقة بين الروس والروم فيما بين القرنين التاسع والثانى عشر ص ٨٠ فى مشورات اكاديمية العلوم الملكية فى برلين ١٨٢٩ ، برلين ١٨٣٢ ص ٧٥/١٣٥ ويرجح هيرجنروتر عام ٨٦٤ : راجع هيرجنروتر : فوتيوس ج ١ ص ٥٣١ ، ج ٣ ص ٨ . ولكن راجع له نفسه : أول حملة روسية على بيزنطة فى مجموعة Chitianeum الدورية ، السلسلة الجديدة ، الكراس الثالث فورتزبرج ١٨٦٩ ص ٢١٠/٢٢٤ . أما عن رئيس الأساقفة ماكير فانظر ما قبل وانظر كذلك فازليفسكى Russko-vizantijskija zslédovanija ج ٢ . سان بطرسبرج ١٨٩٣ ص ١٣٨/١٣٩ من المقدمة .

(١) نسيتاس البفلاجونى : حياة لقديس اجناس (ميق « P. G ج ١٠٥) » باليونانية وخلف نيتاس درنجار الاسطول الامبراطورى المسمى أوريفاس . فاضطهد أعداء فوتيوس وحمل عليهم وأعان أنصاره وأراهم ما يكلفهم الانتماء إليه (ص ٥١٦) وانظر كذلك ص ٥٢٤ .

(٢) أما عن محاولتنا تحديد موضع موروبوتامس تحديدا دقيقا فانظر قبل : الكلام على حملة تيوكتيست عام ٨٤٤ (ص ١٩٦ من الأصل الفرنسى) .

(٣) صلة همرتولس ص ٧٣٦ : دون أن يعمل شيئا ملكيا يستحق الذكر (باليونانية) .

(٤) صلة همرتولس ص ٧٣٦ : « ورجع الملك ولم يستطع عبور المضيق إلا بمشقة . (باليونانية) وانظر نسيتاس البفلاجونى » حياة القديس اجناس ص ٥١٦/٥١٧ ، ٥٣٢ (ميق P. G. ج ١٠٥) .

وينبنى على هذا أن حملة ميشيل نحو هوروبوتامون يجب أن توضع فى أوائل يونيه عام ٨٦٠ وذلك أن الامبراطور كان يجب أن يكون فى قسطنطينية بعد ١٨ يونيه بقليل وهو يوم ظهور الروس لأول مرة أمام العاصمة[١] .

وانتهز المسلمون من غير شك حملة الروس وغياب الامبراطور فاستغلوا ذلك وبذلوا هذا العام نشاطاً كبيراً فغزا أمير ملطية عمر بن عبد الله وعاد من صائفته بسبعة آلاف من الأسرى[٢] .

وفى نفس الصيف غزا قرباص وأسر خمسة آلاف رومى . وعاد على بن يحى الأرمنى بخمسة آلاف أسير أيضا ونحو مائتى فرس وثور وحمار وغزا بلكاجور غزوة موفقة . وغزا فضل بن قارون بحراً بعشرين سفينة فأغار على سواحل الروم وأخذا أنطالية[٣] .

---

(١) فازيليف : الطبعة الروسية س ١٩٥/١٩٣ وبيورى (ص ٢٨٢) وهما يجعلان هذا العام فوق ما نقدم معركة انزن وهى عندنا تكرار لحوادث ٨٣٨ . ولا يذكر أحد من مؤلفى العرب هذه الهزيمة المزعومة ولا هروب ميشيل هذه المرة الثانية كما لا يذكر أحد الأولى أيضا . ولا يذكر أوثق المصادر الروسية وهو اللوجتيت شيئا يقارب ذلك . والواجب إذن حذف ذلك من التاريخ . قارن ه . جريجوار : منويل وتيوفيل فى بيزنطيون ج ٩ (١٩٣٤) ص ٥٩ . والراجح أن انزن ليست إلا اسم القائد الانشين (Αὔσιν) وانه أخذ على أنه اسم مكان . أما أسماء الأماكن الأخرى التى يذكرها جنزيوس وصاحب الصلة فهى (كلاريون وخوناريون وزيليسا ودورا (باليونانية) فالظاهر أنها أخذت عن سرد أكمل من الذى عندنا خاصاً بحملة ٨٣٨ .

(٢) جنزيوس ص ٩٣/٩١ . صلة تيوفان (س ١٧٩/١٧٧ . ف . ٢٤ . أما سيدرونس فيسوق لنا سردا شديد الاقتضاب أخذه من صلة تيوفان بعد أن حذف ما فيه من دقائق التفصيلات . (سيدرونس ج ٢ س ١٦٣/١٦٢) ويفعل مثل ذلك زوناراس (ط . دندورف ج ٤ س ١٠ ، ف ١٥ ، ع ٣). أما جنزيوس فيقول أن هذه الحادثة وقعت سنتين بعد هزيمة سميساط (عرا سنتين بعد ذلك) (باليونانية) وهذا مما يتفق مع سياق المؤرخين العرب . وذلك أننا نفرض أن حملة عامر التى ذكرها الروم هى الحملة الموفقة التى ذكرها الطبرى (ج ٣ س ١٤٤٩ عام ٢٤٦ هـ الموافق ٢٨ مارس ٨٦٠ . وعلى أساس هذا السرد الصحيح أضاف الأصل الذى أخذ عنه جنزيوس وصاحب الصلة معركة انزن المزعومة . وحملة عامر هذه هى التى على الأرجح يتكلم عنها اللوجتيت ويميز بينها وبين حملة عامر الأخير غير الموفقة . وهى حملة ٨٦٣ . والواقع أن اللوجتيت قال (س ٨٢٤ ط . بون) غزا عامر فبلغ سينوب ونهب كل بلاد الروم ثم عاد دون أن يلقاه جيش الروم (باليونانية) .

(٣) الطبرى ج ٣ س ١٤٤٩ (ابن الأثير ج ٧ ٥٩٩) (ذيل الأصل ص ٣٢٠) . اسم الحصن انطاليه فى نص الطبرى وهو انطاكية فى مخطوط الطبرى وفى ابن الأثير (ج ٧ س ٥٩) . ويرى فايل (ج ٢ س ٣٩٦) أن المقصود انطاكية الواقعة على نهر ساروس (وهو سيحون اليوم) فى كيليكيا

ونفترض أن هذه الوقائع وقعت كلها فى صيف ٨٦٠ يعنى فى يولية على الأرجح[١] وكان فى نفس السنة وفى نفس وقت غزو الروس فيما نعتقد غزو الأسطول العربى الكريتى وكان عشرين سفينة من نوع كباريا وسبعا من الجالير، وعدة شاطورات[٢] وأغار على جزر السيكلاد وتقدم حتى بلغ بروكونيز . ولكنا لا ندرى ما اتخذت الروم من استعداد لمواجهة هذه الحملة[٣] .

العمليات الحربية عام ٨٦٢

أدت حكومة المتوكل الاستبدادية وقسوته إلى قيام مؤامرة عليه . وكان على رأس المتآمرين إبنه الأكبر المسمى بالمنتصر وبغا ووصيف وبعض كبار العرب . وفى ليل ٩/ ١٠ ديسمبر ٨٦١ بعد أن انتهى الخليفة من سمره وشرابه مع أنصاره

= القديمة غير بعيد عن طرسوس . ولكن الواضح أن المقصود مدينة الشاطىء الاسيوى الجنوبى وهى انطالية المشهورة التى سماها الفرنج فى العصر الوسيط ستاليا، وسيتاليا وستاليس. وراجع مثلا توماشك «طبغرافية آسيا الصغرى التاريخية فى العصر الوسيط فى Sitzungsber. der K, Akademie d. Wiss. zu wien القسم التاريخى الفايلولوحى ج ١٢٤ (١٨٩١) ص ٥٣ . أما الحاج الروسى دانيل فيسمى انطاليه ساتيليا . فى Venevitinova : Pravoslavnyj Palestinskij Sbornik ج ١ (١٨٨٥) ص ٩١ .

(١) لم يستطع ميخيل بعد رجوع الروس العودة إلى جيشه فى آسيا الصغرى قبل أواخر يونيه أو أوائل يوليه . ويضيف جنزيوس أن هذه المعركة التى انكسر فيها الامبراطور وقعت فى أثناء القيظ الشديد : وخاصة أن وقوع ذلك كان فى قيظ لا يحتمل ولا يبيح فرصة مؤاتية (جنزيوس ص ٩٢ باليونانية) .

(٢) صلة تيوفان ص ١٩٦ ع ٣٤ : وقاد عشرين كمباريا وسبعة من الجالير وعدة شاطورات (باليونانية) وهذه أنواع مختلفة من السفن . والراجح أن اسم كباريا مأخوذ من العربية (أنظر كريمر « تاريخ الثقافة فى الشرق ج ١ ص ٢٤٩ هـ ٢) أما لفظ الشاطور فعربى من غير شك راجع روزن الامبراطور فازليف قاتل البلغار ص ٢٨٢/٢٩٢ . جلد ميستر « عن السفن العربية Nachrichten d. K. Gesell. der Wiss und d. G. Aug Univ. zu Göttingen ١٨٨٢ ص ٤٣٨/٤٣٩ .

(٣) صلة تيوفان « ص ١٩٦ (سيدرولس ج ٢ ص ١٧٣) » زوناراس ط . دندورف ج ٤ ص ١٥ ف ١٦ ع ٥ . ويقول صاحب الصلة عن كلامه على الروس (باليونانية) كان هجوم هؤلاء (الروس) وكان من جهة أخرى هجوم الأسطول الكريتى الخ . وهذه الطريقة فى التعبير تدلنا على أن هجوم الروس وهجوم كريت كانا فى وقت واحد تقريبا . يعنى أنهما كانا عام ٨٦٠ . ولكن ميرالت (ص ٤٤٢) يجعل غزو الأسطول الكريتى فى ابريل ٨٦٦ لأنه يصل بين ذلك وبين قتل برداس — وقد وقع ذلك فعلا كما سنرى فى ابريل ٨٦٦ فى وقت تجهيز حملة رومية على كريت . ولكن اكتشاف التاريخ الصحيح (٨٦٠) لهجوم الروس نقيض رأى كيرالت فى التوقيت . أما قول الروسيين فانه يقابل على الأرجح أقوال العرب المذكورة من قبل عن حملة الفضل بن قارن بأسطوله .

دخل المتآمرون حيث نام المتوكل سكران مع بعض أصحابه فذبحوهم[١] . وقد يصعب علينا أن لا نذكر مأساة تامة الشبه بهذه وقعت بعد ذلك ببضع سنين فى بلاط بيزنطة.

وقد تولى أمر الخلافة قاتل أبيه المنتصر ولم يمرح فى ثمار أثمه إلا ستة أشهر استنزل اثناءها جميع أخوته الصغار عن حقهم فى المطالبة بالخلافة ومات فى يونيه سنة ٨٦٢ [٢] .

وينحصر حرب الروم أثناء هذه الخلافة القصيرة فى صائفة وصيف وهو أحد المتآمرين الذين قتلوا المتوكل فى ١٠ ديسمبر ٨٦١ .

والراجح أن وصيفا لم يجد وسيلة إلى الاتفاق فى البلاط مع أحمد بن الخصيب[٣]. وقد أصبح أحمد شخصية هامة فوزر للمنتصر وأغراه به . ولعل الخليفة كان يود أن يبعد عن نفسه شاهداً شريكا له فى الأثم[٤] . فقضى ببعث وصيف إلى ثغور الروم ليقيم بملطية وبنى ذلك على ماذاع من انتواء الإمبراطور الغزو .

وكان الجيش الذى جهز لهذه الحملة عديداً مؤلفاً من مرتزقة العرب وأهل الديوان والموالى وبلغت عدتهم ١٠ آلاف رجل على طليعتهم مزاحم بن خاقان أخو الفتح بن خاقان وعلى ساقتهم محمد بن رجاء وعلى الميمنه السندى بن بختاشة وعلى آلات الحرب نصر ابن سعيد المغربى . وكان رسول الخليفة عند وصيف وصاحب صلاته قائد حرس سامرا أبا عون[٥]

ونرى من هذا الاستعداد أن الثغور كان معرضة حينئذ لخطر كبير ، ثم لحق بوصيف بعد ذلك بقليل قيم على الجيش ليشرف على إقباض الغنائم والمقاسم هو أبو الوليد الجريرى وحمل من المنتصر كتابا إلى وصيف جاء فيه أمر إلى وصيف إذا رجع من حملته أن يبقى فى الثغور أربع سنين وأن يغزو كل عام إلى أن يتلقى من أمير المؤمنين أمراً جديداً .

---

(١) فايل جـ ٢ ص ٣٦٩/٣٦٨ الخلافة ص ٥٣٦/٥٣٥ .

(٢) فايل جـ ٢ ص ٣٧٦/٣٧٣ ، ميور ، الكتاب المذكور ص ٥٢٧ .

(٣) أنظر سردا طويلا عن خروج حملة وصيف عند الطبرى جـ ٣ ص ١٤٨٠/٨٥ (ذيل الأصل ص ٣٢٣/٣٢٢) . ويتبع ابن الأثير سرد الطبرى ملخصاً (جـ ٧ ص ٧٢)

(٤) فايل جـ ٢ ص ٢٧٥

(٥) الطبرى جـ ٣ ص ١٤٨١ (ذيل الأصل ص ٣٢٥/٣٢٢) .

وقعت هذه الحملة التى يسميها الطبرى صائفة[١] فى يوليه ٨٦٢ وكان المنتصر مات فى يونية من نفس السنة[٢] ولم يأمر بشىء فيمن يخلفه فرجع وصيف من الثغور .

واجتمع القواد وأكثرهم من الترك (النص = الأجانب) وولوا الخلافة حفيد المعتصم = أحمد بن محمد فتلقب بالمستعين (٨٦٢ / ٨٦٦) وثار الشعب فى سامرا واهتاج أهل بغداد فقمع الترك والمغاربة[٣] كل ذلك بالقوة والحزم .

أما حملة وصيف المذكورة آنفاً فانها اقتصرت على أخذ حصن رومى لم يذكر لنا اسمه[٤] .

حملة ٨٦٣

أما فى صيف ٨٦٣ فان وقائع خطيرة وقعت فى ثغور آسيا الصغرى[٥] .

(١) الطبرى ـ ٣ ص ١٤٨٠ (ذيل الأصل ٣٢٥) .

(٢) وفى المراجع أكثر من رواية مختلفة عن موت المنتصر. والراجح أنه مات فى ليل ٤/٥ يونيه ٨٦٢. أنظر فايل ـ ٢ ص ٣٧٦ .

(٣) فايل ـ ٢ ص ٣٧٨/٣٧٩ : ميور الخلافة ص ٥٢٨ .

(٤) الطبرى ـ ٣ ص ١٥٠٨ : ابن الأثير ـ ٧ ص ٧٨ (ذيل الأصل ص ٣٢٥) . ورسم اسم الحصن المأخوذ عند الطبرى هو : فرورى ولكن المخطوطات تذكر رسوما أخرى . ويفرض البارون روزن أنها لفظ فروريون اليونانى بمعنى الحصن وأن الاسم سقط .

(٥) أنظر الطبرى ـ ٣ ص ١٥٠٩ « ابن الأثير ـ ٧ ص ٧٩ (ذيل الأصل ص ٣٢٥) اليعقوبى » تاريخ ـ ٢ ص ٦٠٦ (ذيل الأصل ٢٧٧) . دى خوية « Fragmenta ص ٥٦٤ . المسعودى مروج الذهب ـ ٨ ص ٧٣ . صلة همرتولس ص ٧٣٢ وفيه ذكر سير الأمير الى سينوب ص ٧٣٣/٧٣٤ » ليون النحوى ص ٢٣٨/٢٣٩ . وأقصر من السرد السابق سرد سيميون ماجستروس ص ٦٦٦ وهو يؤرخ الحملة بالسنة الخامسة من حكم ميشيل . جنزيوس (ص ٩٤/٩٧) . صلة تيوفان (ص ١٧٩/١٨٤ ع ٢٥) . وينسخ سيدرونس رواية صاحب الصلة ملخصة (سيدرونس ـ ٢ ص ١٦٣/١٦٥) وينسخ زوناراس رواية سيدرونس (زوناراس ط . دندرف ج ٤ ص ١٠/١١ ف ١٦ ع ٣) ويؤرخ ميرالت حملة سينوب بعام ٨٥٨ (ص ٤٣٥) وهزيمة العرب فى جرين بعام ٨٦٠ (ص ٤٣٦) ومثله رمزى ص ٧٧ . أنظر هيرش « دراسات بيزنطية ص ١٥٧/١٥٨ » فايل ـ ٢ ص ٣٨٠ . ومما يذكر اللوجتيت يذكر حملتين لعمرو وأنه فى الحملة الأولى (٨٦٠/٨٦١ ؟) بلغ سينوب وأنه رجع منها دون أن يدركه الروم وأنه فى الحملة الثانية (٨٦٣) أدرك عند لالاكاون . أما جنزيوس وصاحب الصلة فانهما يذكران الحملة الأولى ولا يذكران فيها أن عمرا بلغ سينوب . وانما يذكران سينوب فى الحملة الثانية . راجع عن هذه العمليات وخاصة عن معركة ٨٦٣ « ج . ب . بيورى » مجلة الدراسات الهيلينية ـ ٢٩ (١٩٠٩) ص ١٢٤/١٢٩ وتاريخ الامبراطورية الرومانية الشرقية ص ٢٦٢ هـ ٤ . هـ . جريجوار بيزنطيون ج ٥ (١٩٣٠) ص ٣٢٨/٣٤٠ وتقسه ج ٨ (١٩٣٣) ص ٥٣٤/٥٣٩ .

وبيان ذلك أن جعفر بن دينار غزا الصائفة وبلغ مطامير وظفر [١] . ولكن أمير ملطية عمر بن عبد الله الأقطع قام بأمر جعفر بحملة حقيقية بلغ بها قلب أرض الروم وكان معه عدد كبير من أهل ملطية[٢] .

فأغار الأمير على جند أرمنياك وخربه وتقدم حتى بلغ ساحل البحر الأسود فأخذ مدينة هامة هى أميسوس (أو سمسون حسب اسمها الحديث) وساءه أن يوقف البحر سيره المظفر فأمر بضرب البحر[٣] . كما فعل أجزوكيس ملك الفرس.

وكان لابد أن يكون لأخذ أميزوس وقع كبير لأنها كانت الميناء الكبرى فى ساحل آسيا الصغرى الشمالى وفى كبادوكيا نفسها . وقد احتفظ هذا الميناء بمكانته منذ عصر استرابون[٤] . إلى أيامنا . ولايزال الطريق الطبيعى السهل القصير بين كبادوكيا والبحر الأسود ينتهى عند أميزوس[٥] — سمسون .

---

(١) الطبرى ج ٣ ص ١٥٠٩ : فأخذ حصنا ومطامير . وقد قلنا ما يجب عن المطامير فى الفصل الخاص بتيوفيل ص ١٠١ ، راجع ذيل الاصل ص ٣٢٥ .

(٢) يقول مؤرخو الروم : أربعين الفا (جنزيوس ٩٤ = صلة تيوفان ص ١٧٩) .

(٣) جنزيوس ص ٩٤ صلة تيوفان ص ١٧٩ . وهذا القول الاسطورى مذكور فى الملحمة الرومية كما ذكر فيها أيضا تخريب أرمنياك حسب مخطوطه الاسكوريال وحدها . وتنسب العملية الحربية الأولى وهى التقدم حتى البحر الى كريزوجير نفسه . وينسب تخريب ارمنياك لعم الأمير يعنى لقرباس أو قرويس . انظر دجنيس أكرتياس ، مخطوطه الاسكوريال الابيات ٢٥٨/٢٦٠ — ساركونيون الى أمون — وأسرع إلى نيقوميديا واغار على برنتون — ولولا أن البحر المكشوف لم يقف أمامه لأراد أخذ كل شىء — والبيت ٢٦٤ : وشعث أرمبلية وأضربهاضررا كثيرا شاملا — راجع بيزنطيون ج ٥ (١٩٣٠) ص ٣٣٠/٣٣١ . ومن الطبيعى أن يصعب علينا أن نجزم كما جزمنا بأن الشاعر استوحى المؤرخ أو أن نقول بعكس ذلك . أو أن نقول بأن الشاعر والمؤرخ عن مصدر واحد سابق . ولكننا نرجح الآن الغرض الأخير لأننا أصبحنا نتبين وجود عناصر أسطورية شفوية مروية عند جنزيوس وصاحب الصلة وهو ما لم يكن ظاهرا عام ١٩٣٠ . ويزيد هذا الرجحان إذا علمنا أن القسم الأخير من سرد جنزيوس وصاحب الصلة (معركة ٨٦٣) تشبه المعركة المذكورة فى الملحمة (راجع بيزنطيون ج ٥ ص ٣٣٤/٣٣٥ ، ٣٤٠) والواقع أن الملحمة لم تنقل عن التاريخ مباشرة لأن التاريخ يجعل المعركة على حدود جندى بقلاجونى وأرمنياك وتجعلها الملحمة عند مليجوب فى كبادوكيا .

(٤) راجع استرابون ج ١٢ ص ٥٤٧ ح ، حيث وصف الطريق التجارى الكبير الموصل بين آسيا الصغرى واميزوس مارا بكومانا وبتيسكا . راجع دراسات بوقيه وخاصة ج ٣ ص ٥/١ ويجب تصحيح مجمل تاريخ المدينة الذى كتبناه فى ١٩١٠ فانظر الوقائع الجديدة والمراجع الحديثة فى مقاله م . ب . ارجلس : — ساباس اسيدنيوس ، اميرسون (بيزنطيون ج ١ (١٩٣٥) كراسة رقم ١

(٥) رمزى : الكتاب المذكور .

وعلم ميشيل بانتصارات الأمير وأخذه اميزوس فجهز جيشاً قوياً جعل على رأسه بتروناس استراتيج جند التراسيزيان وهو أخ « للأمبراطورة تيودورا ولبراداس[١] فسار بجيشه[٢] . ويقول الطبرى إن الامبراطور كان على رأس الجيش وهو قول محتمل وإن لم تذكر عنه التواريخ الرومية شيئاً . وقد يكون صمتها لحقدها على ذكرى هذا الملك العمورى . أما عن المعركة التى وقعت ، وسنقصها الآن ، فإن التفاصيل التى بين أيدينا على حظ كبير من التنافر . أما اللوجتيت فإنه يقول باختصار إن عمر سار وتتبعه قائدان أحدهما بتروناس خادم اسكول الشرق و نصر ، استراتيج جند البوسيلير وأعدوا بجيش العدو الراجع كميناً فى « لالاكاونا ونشب القتال فانهزم عمر ولاذ بالهرب وتبعه كومت فأدركه واحتز رأسه وحمله إلى بتروناس فلما رجع رؤساء الأجناد مظفرين إلى قسطنطينية احتفلوا بنصرهم فى السيرك . وشمل السلام العميق الشرق منذئذ بسبب موت عمر » أما جنزيوس وخاصة صاحب الصلة فإنهما يسوقان تفاصيل أكثر وفرة وأكثرها من غير شك اسطورى . ويقولون إن المعركة وقعت على حدود جند بفلاجونيه وجند أرميناك . وقد عرضا فى مكان آخر المشاكل الطبغرافية الصعبة التى تثيرها هذه السرود . فإننا إن صححنا قول جنزيوس أن المعركة وقعت على مسافة ٥٠٠ ميل من اميزوس (وهو رقم ظاهر الاستحالة) ووضعنا (١٠٠) بدل (٥٠٠) لكان مكان المعركة قبل نهر الهليس شرقى مدينة جانجر فى بفلاجونيه . أما لالاكاونا الذى ذكره اللوجتيت على أنه مكان المعركة فإنه ذكر كذلك عند صاحب الصلة . والمفهوم أنه نهر يجرى من الشمال إلى الجنوب . ونرجح أن يكون أحد روافد الهليس واسمه هاليروس (= النهر المالح) وهو اليوم تزلو أو أجى — سو غربى إمالى — داغ . أما الطبرى فيجعل مكان المعركة فى أرز (؟) من مرج الأسقف . والاسم الأول من هذين مصحف من غير شك ولم يعرف

---

(١) ويرى جنزيوس حوارا طويلا بين الأمبراطور وبتروناس وهو حديث لاقيمة له بالطبع من الناحية التاريخية (جنزيوس ص ٩٤/٩٥) . ولم تذكر المراجع الرومية اسم بتروناس فى حوادث هذه السنة .

(٢) ويروى صاحب الصلة تيوفان الواقعة الأسطورية الآتية : ذهب بتروناس قبل خروجه للحرب يزور لاتروس قرب افسوس فتنبأ له السائح جان بالنصر) صلة ت ٨٠/٨١ ع ٢٥ (أنظر هيرش دراسات بيزنطية ص ٢٢١

للآن . أما إذا كان مرج الأسقف هو المكان المقصود فى حوادث ٨٣٨ فنى الأمر تناقض « واضح » فى تحديد مكان المعركة بين رواية جنزيوس ورواية صاحب الصلة ورواية العرب . وتزيد الصعوبة لأن الرواية العربية متفقة مع المصلحة الرومية فى أن مكان الواقعة ملاكوبيا . وهى إما أن تكون نفس مرج الأسقف المذكور فى واقعات ٨٣٨ أو غير بعيد من ناحيتها . ولهذا حاولنا أن نفسر اختلاف الروايات الطبغرافية باختلاف ناشىء عن تشابه الأسماء — وتفسير ذلك أن جبل بفلاجونية المسمى اليوم إلمالى — داغ كما كان يسمى فى العصر الرومى مالا (هياة القديس هيباتيوس الجانجرى . ولعله كان يوجد فى هذه الناحية بعض قرى سميت مالاكومى أو مالاكوبيون Μαλα Κώμη Μαλα Κοπεῖον بمعنى « مجنى التفاح » ، ويقارب ذلك أن اسم جبال المالى — داغ الحالى ومعناه « جبل التفاح » والراجح أن هذا التشابه فى الأسماء كان سبباً فى نقل ميدان المعركة من إقليم جانجر إلى إقليم مليجوب فى كبادوكيا . ولنضف إلى ذلك أن اسم ابيزيانوس (الوارد عند جنزيوس) يعزز البحث عن المكان فى بفلاجونيا وذلك أن أبيسا تقارب أن تكون = إيبسا وهى موطن الأمبراطورة تيودورا فى بفلاجونيا أما عن تفصيل ذلك فرجعه إلى تعليقات ومقالين نشرهما مع بيورى ولنورد بعد ذلك سرد فازلييف الأول مع بعض التعديلات .

ووصل الخبر بمسير الروم إلى أمير ملطية فى أميزوس ، أبلغه به لاجىء لجأ إليه من الجيش الرومى[١] .

فخرج الأمير من أميزوس ووقف على مائة ميل من هذه المدينة عند حدود جندى بفلاجونيا وأرمنياك فى اقليم أميزيانون[٢] عند مكان يسمى بوزن[٣] حيث

---

(١) باليونانية : حضر عنده أحد الروم الهاربين وأخبره (جنزيوس ص ٩٥) . ويبلغ من المام جنزيوس بالموضوع انه يروى لنا حديث الأمير مع قواده عن خطة العمليات فيما بعد ليقرر اما مواجهة الروم واما الهرب منهم . واختار الأمير الأمر الأول (جنزيوس ٩٥/٩٦) انظر هيرش . نفس المرجع ص ٥٧ .

(٢) راجع بيزنطيون ج ٨ ص ٥٣٥ ، وعند جنزيوس (ص ٩٦) (باليونانية : فى ايزيانون) .

(٣) ورسم هذا الاسم يختلف حسب النصوص . جنزيوس ص ٩٦ ، باليونانية : فى مكان يسمى بورسونتا . صلة تيوفان ص ١٨١ . عند مكان يسمى بوسنتا . سيدروتس ج ٢ ص ١٦٤ بترسنتا .

يجرى من الشمال إلى الجنوب نهر لالاكونا وسط مروج على ضفتيه أسمها جورن[١]

وعزم بتروناس على حصار العـدو من كل الجهات . فتقدم من ناحية الشمال بعض رؤساء الأجناد وهم صاحب جند ارمنياك وبوسيلير وكولونيا وبفلاجونية . وكان رئيس جند بوسيلير يسمى نصر[٢]. وتقدم نحو الجنوب رؤساء أجناد آخرون هم أصحاب أناطوليا وأبسيقون وكبادوكيا مع أصحاب مصالح سلوقية وخرشنة . وتقدم نحو الغرب بتروناس نفسه مع أربع فرق امبراطورية[٣] ، وجيش جند تراسيزيان ورؤساء جندى تراقيا ومقدونية[٤] .

---

(١) صلة تيوفان ص ١٨١ : وتقدم الأمير الى حيث يجرى نهر لالاكاون من الشمال الى الجنوب على ضفته التى عندها مرعى اسمه الريفى جورن . انظر همرتولس ص ٧٣٤ : عند لالاكاون . ولـكنا لا نعرف لالاكاون . فهل يجوز أن يكون الاسم الصحيح هاليكون (بمعنى نهـر الملاحات) وهو اسم يتفق معناه مع نهر اسمه هلميروس مذكور فى سـيرة هيباتيوس أو توزلو اليوم . راجع بيزنطيون ح ٨ ص ٥٣٩ . أما عن جورن فان فازلييف يرى انها هى نفس أرز وهو مكان المعركة حسب رواية الطبرى (أما مرج الأسقف فيشـير إلى الناحية فقط) وقـد يكون من اللازم أن تقرأ كرن كما يفترض البارون روزن فى الجزء الذى طبعه من الطبرى (ح ٣ ص ١٥٠٩) وهذه القراءات ليست تصحيحا وانمـا هى قراءة قريبة من جورن .

(٢) نصير صاحب بوكيلير (صلة همرتولس ص ١٨١) . راجع عن الوحدات التى اشتركت فى هذه المعركة مايقول جلزر: نشأة الاجناد الرومية بحث نشرفى : Abk. d. Sächs. Gessellsch. d. Wissensch ١٨٩٩ ص ٩٩) . وقد وقع جلزر فى الخطأ لأنه اعتمد على قصة الراهب السائح وتنبئه لبترناس بالنصر فجعل موقع المعركة « غير بعيد من افسوس » فى جند تراكيزيان .

(٣) ويضيف صاحب صلة تيوفان : « وبعد أن صالحوا البلغار فرغوا لحرب المشارقة وقتالهم (صلة تيوفان ص ١٨١) . وفى هذا توضيح لترتيب الحوادث لأنه يرجح قول اللوجتيت الذى يجعل المعركة بعد خضوع البلغار . ولـكن المسألة غامضة جدا . فان رواية اللوجتيت تقول أن الذى أخضع البلغار هو ميشيل بنفسه وولى عهده برداس . ويقول جنزيوس أن اعلان برداس قيصرا يعنى وليا للعهد كان فى ٢٩ ابريل ٨٦٢ . ولـكنه يقول فى موضع آخر (ص ٩٧ بون) أن هذه الواقعة (اعلان ولاية العهد) جاءت عقب نصر بتروناس عام ٨٦٣ . أمام شتاين فانه يؤيد هذا التاريخ الأخير اعتمادا على وثائق ايطالية (ارنست شتاين : Past-consulat et αυςοκρασορία فى أبحاث تذكارية مقدمة إلى بيديز ح ٢ ص ٨٩٩/٩٠٠ م ٢) وهكذا نرى أن المشكلة التوقيعية الناشئة عن هزيمة البلغار وعن تنصرهم بعد خضوعهم مشكلة لم تحل بعد . راجع ميشيل لاسكارس و . أ . فايان « تاريخ تنصير البلغار فى مجلة الدراسات السلافيـة ح ١٣ كراسة ١ و ٢ (١٩٣٣) ص ٦/١٥ وهى مقالة تشير الى بحث زلاترسكى عن هذه المسألة . بالروسية » ح ٢٤ (١٩٠٨) ص ٥٦/٥٨ .

(٤) جنزيوس ص ٩٦ « ويضيف صاحب صلة تيوفان واقعة قصصية » : وهى أن الأميرحين وجد نفسه محاطا من كل ناحية أخذ يتنبأ بالمال عن مصير نفسه . فسأل أسيرا روميا فعلم اسم المكان وما حوله

والراجح أن المعركة وقعت على مرحلتين :

وكان عند بوزن جبل يستطيع الفريقان المتقاتلان الاعتماد عليه . ولهذا لم يكن عجيباً أن يكون هم الروم والعرب السبق إلى أخـذه . فلما أقبل الليل بعث بتروناس جيشاً لإحتلال الجبل وفعل أمير ملطية مثل ذلك فاشتبك الجيشـان . فكانت هذه الجولة للروم وأخذوا الجبل . وأدى ذلك إلى اشتباك عام انتهى بهزيمة العرب .

وتقول المصـادر العربية أن جيش الروم فى هذه المعركة العامة كانت عدته خمسين ألفاً [١] .

ولم ينجح أمير ملطية فى شق طريقه وسط الجيوش الرومية ليسير نحو الشمال أو نحو الجنوب لجمع جيوشه وقصد بها بتروناس . وإنما دعاه لذلك أن الطريق كان أسهل وأوطأ من هذه الناحية وأنه كان لذلك أصلح للعمليات الحربية .

ولـكن جيش الروم صمد لهذا الهجوم واستطاع فوق ذلك رده بينما أطبقت الجيوش الأخرى من الشمال والجنوب وأخذت تضيق الخناق على العرب فصعق الأمير العربى وتقدم يائساً وسط جيش العدو فقتل . وسحق جيشه حتى كاد يبيد [٢]

ولم ينج من هذا الاشتباك إلا ابن الأمير مع قسم يسير من الجيش فجاز به الهليس ودخل جند خرشنه . فلقيه فيه الميرارك مثيراس [٣] فأسره وأسر المنهزمين

== وكان الأسير أخبره أن المكان اسمه بوسنتا ولـكنه نطقه بتوسفنا فعد ذلك فألا بسقوطه (صلة تيوفان ص ١٨١/١٨٢) . .

(١) الطبرى حـ ٣ ص ١٥٠٩ (ابن الأثير حـ ٧ ص ٧٩) (ذيل الأصل ص ٣٢٥) . المسعودى مروج الذهب حـ ٨ ص ٧٣ .

(٢) وتذكر المصادر العربية كذلك موت أمير ملطية فى هذه المعركة . وهذه المصـــادر لا تذكر إلا عدداً تافها من قتلى المسلمين : نحو ألف (الطبرى حـ ٣ ص ١٥٠٩) . ابن الأثير حـ ٧ ص ٧٩ (ذيل الأصل ص ٣٢٥) .

(٣) جنزيوس ص ٩٧ == باليونانية : الميرارك مخيراس . ولا يذكر صاحب صلة تيوفان اسما ويلقب مخيراس : — والى كليزورا فى خرشنه (ص ١٨٣) أما عن امداء معركة ٨٦٣ المختلفـة فى الملحمة البيزنطيه فانظر ذيلا خاصا بهذه المسألة فى آخر المجلد الثانى . وتقتصر هنـا على التذكير بوصف المعركة كما صورها دجنيس . راجع ٥ . جرايجوار : == حكم ميشيل الثالث فى الملحمة البيزنطية فى مجلة بيزنطيون حـ ٧ ، ١٩٢٩ ص ٣٣٢ وما بعدها . وهذا الوصف موجود فى مخطوطه حروتا — فراتا ص ٢٧ الأبيـات ٦١/٧٦ وفى أندروس (مليـارا كس.) ص ٣١ الأبيات ٨٥٠/٨٦٨ وفى اندروس (پاشالس) ص ٢٠ ، وفى الاسكوريال (هليسنج) ص٦٨٠ه الأبيات ٥٠٠/٥١٢ وفى مخطوطه ==

معه وسلمهم إلى بتروناس فعاد بتروناس إلى العاصمة ظافراً ، وأنعم عليــــه بلقب ماجستر [١] .

ومن الجائز أن تكون هذه المعركة هى التى هلك فيها رئيس البيالقة قرباص لأنه يقال فعلا أنه مات عام ٨٦٣ [٢] .

وكانت هذه المعركة فى مرج جرين يوم الجمعة ٣ سبتمبر ٨٦٣ [٣] .

ثم تقدم الروم بعد ظفرهم هذا نحو الشرق فبلغوا ثغور الجزيرة . وكان على بن يحيى [٤] سمع الخبر فى أرمنيــــة فرجع إلى الجزيرة ونهض لقتال الروم مع أهل

= الملحمة ناقص فى هذا الموضع وهو غير مذكور فى المخطوطة السلافية ، وأكثر الوقائع أهمية ما يأتى : رؤساء الاجنــاد يفاجئون بالتطويق ، وقوف جيوش الروم المحيطة كأنها سور ، يأس المحصورين التام عند احساسهم بأنهم حبسوا كما لو كانوا فى قبر ، محاولة الأمير وبعض أصحــابه الخروج واحداثهم ضجة . نجاحه فى الخروج وهرب الأبطال : راجع عبارة الاسكوريال التى ترجمناها فى بيزنطيون ج ٥ ص ٣٣٤ . وبين الملحمة والتاريخ قرون بالضرورة . فالحقيقة أن الذى هرب هو ابن الأمير مع احدى الفرق ولــكن قائد خرشنه أسره بعد ذلك . أما فى الملحمة فان القسم الأول منها يمجد الأمير « حفيد أمبرون » وصوره موفقا فى الهرب مع صحبه وقد حملوا معهم غنائمهم .

ولــكن مخطوطة الاسكوريال ذكرت لنا خمسة من أصحاب الأمير ولــكن العبــارة التى ورد فيها ذلك محرفة أشد التحريف : وأقول انى شققت طريقى مع خمسة من أصحابى هم ابن موسى وابن خلبين وسليل مياكى الشيخ وثلاثة جنود آخرين . وتوجد نفس الرواية فى السيد البطال (هاتى : أسفار السيد البطال ج ٢ ليبزج ١٨٧١ ص ٢٠٥ راجع القراءات الهــامة فى التعليق رقم ٩٧ ص ٣١٣) ولنلاحظ على الأخص عبــارة : وشق عبد الوهاب وبعض كبار أصحابه طريقهم بالحرب من ذلك المكان إلى حصن (إلى حصن لارنجان) ورقة ٢١٩ ، ٢١٨ فنـدوب) وهذا الهروب إلى لارنجان شبيه بالهروب إلى خرشنة .

(١) ويضيف جنزيوس فى آخر سرده عن هذه المعركة : ان بعضهم يقول ان برداس حضر هذا النصر وانه اختير قيصرا بسببه يوم الفصح من السنة العاشرة . وتوافق السنة عام ٨٦٢ لا ٧٦٣ . راجع هيرش دراسات بيزنطية ص ١٥٨/١٥٧ . وانظر ص ٢٥٤ هـ ١ من الأصل .

(٢) فى ٩ ٢٤٩ هـ : ٢٤ فبراير ٨٦٣ — ١١ فبراير ٨٦٤ . المسعودى مروج الذهب ج ٧ ص ٨٥

(٣) الطبرى ج ٣ ص ١٥٠٩ ، يوم الجمعة منتصف رجب ٢٤٩ ، الجمعــة ٣ سبتمبر ٨٦٣ (ذيل الأصل ٣٢٥) المسعودى مروج الذهب ج ٨ ص ٧٣ ، الجمعة ١٥ رجب .

(٤) وكان عين منذ قريب والياً على أرمينية وأذربيجان وهلك على هلوراس (ياقوت ج ٢ ص ٢٠٥) راجع مذكورات : أرمينية الجنوبية ومنابع دجلة : الفهرس

ميافارقين والسلسلة [١] ولكنه قتل فى رمضان من نفس السنة (١٨ اكتوبر / ١٦ نوفمبر ٨٦٣) وهلك معه نحو ٤٠٠ من أصحابه [٢] .

العلاقة بعرب المشرق

٨٦٤ – ٨٦٧

وكان لنصر الروم فى ٨٦٣ أهمية حاسمة من غير شك . فتخلص الروم من عدوين قويين [٣] . ولم يبق إلا البيالقة . ولكن عرب ملطية انما كانوا فى ترنح الهزيمة إلى حين ولهذا لم يستقر السلام استقراراً تاماً فى السنين الأخيرة من حكم ميشيل الثالث .

ففى عامى ٨٦٤ و ٨٦٥ غزا قائد العرب بلكاجور صائفتين مغنمتين . وأخذوا فى الثانية منهما فى مايو عام ٨٦٥ حصناً كان يحوى مؤونة كثيرة وأسروا كثيراً من أشراف الروم [٤] .

ومع ذلك فقد كان موقف المستعين شديد التزعزع . فقد كانت كل أيامه فوضى ابتداء من مكة المكرمة إلى الموصل وحمص وأصفهان . وقامت الاضطرابات فى كل ناحية . وكان الحزب التركى مستبداً بالإمبراطورية مهدداً لسلطان الخليفة نفسه . وروّع المستعين نفسه فحاول الفرار من سامرا إلى بغداد ، فكان ذلك قطعاً تاماً لصلته بالترك . فأقاموا فى الخلافة مقامه المعتز فى سامرا . واستعدت بغداد لحربهم إن أتوا ولكنهم سلموا أمام قوة الجيش التركى ونزل المستعين عن الخلافة للمعتز واعتزل باقى حياته فى المدينة . وكان إعلان المعتز خليفة فى يناير ٨٦٦ [٥] .

---

(١) ابن خرداذبة يذكر سلسلة جبلية بهذا الاسم فى أعالى دجلة . والاسم نفسه يعنى بالعربية « سلسلة » قارن خرداذبة ط . دى خويه ص ١٧٤ ، ١٣٥ . راجع ياقوت ج ٣ ص ١١٥/١١٦ . السلسلانى .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ١٥٠٩/١٥١٠ . ياقوت ج ٢ ص ٦٠٦ (ذيل الأصل ٣٢٥/٢٧٧) المسعودى مروج الذهب ج ٨ ص ٧٤ .

(٣) بيورى (ص ٢٨٤ هـ ٤) وهو يرى أن أغنية النصر التى ذكرها قسطنطين البورفيرى (المراسيم ج ١ ص ٦٩ ص ٣٢٢) قد غنيت فى حلبة السباق يوم الاحتفال بنصر ٨٦٣ : أغنية الأمير الذى هزم وقتل فى الحرب (باليونانية) .

(٤) الطبرى ج ٣ ص ١٥٣٤ ، ١٦١٥ ، ١٦٢١ ابن الأثير ج ٧ ص ١١٠ (ذيل الأصل ٣٢٦)

(٥) قابل نفس الكتاب ج ٢ ص ٣٨٧/٣٨٩ ميور . الخلافة ص ٥٣٠/٥٣١ .

ولا يدخل حكمه فى نطاق الكتاب الحاضر ، ولم يكن ذلك ليؤثر فى شيء لأن المصادر لا تذكر أى نزاع بين الروم وعرب الشام إلى شهر سبتمبر ٨٦٧ وهو العام الذى مات فيه ميشيل الثالث [١] .

العلاقة بعرب المغرب

أ — كريت

ولا تتميز علاقة الروم بعرب المغرب، سواء فى صقلية أو كريت فى السنين الأخيرة من حكم ميشيل الثالث ، بطابع السلام .

فإن عرب كريت خربوا جزيرة ميتيلين ثم نزلوا فى ١٠ أغسطس ٨٦٢ عند أتوس قرب دير ڤاتويدى العتيق. ودخلوا الدير وأسروا رهبانه واحرقوا كنيستهم ثم عادوا إلى كريت .

ولم يلبث العرب إن عادوا مرة ثانية إلى أتوس وأسروا رهبانا منه . فروع سائر سكان أتوس من هذه الهجمات التى لا مفر منها فهجروا أرضهم واقفر أتوس .

وفى عام ٨٦٦ اغار العرب على جزيرة صغيرة اسمها نيون غير بعيد من الأتوس . وكان الراهب السائح الاتوسى ايتيم لجأ اليها مع إخوانه الرهبان . ليتخذوا منها مرفأ هادئاً لوجه الله فحسب فأسرهم العرب ثم لم يلبثوا أن أغاروا على الجزيرة مرة أخرى. ولكن هؤلاء المتعبدين نزحوا عن جزيرة نيون وعادوا إلى أتوس .

وكان من واجب الروم أن يتلمسوا وسائل دفاع ناجعة لدفع عرب كريت .

فقاموا بحملة فى ربيع عام ٨٦٦ على عرب كريت . فلم يكن لها أثر فى حقيقة الأمر لأنها وقفت منذ بدء الأمر بسبب موت برداس .

وكان برداس حين تطلع للسلطان قتل رجلا إدارياً ماهراً هو تيكوتيت فأصبح

---

(١) س . كايجاس . أتوس ١٨٦٣ ص ٢٤ (منشورة فى آتوس) . بورفير أوسبنسكى : تاريخ المسيحية جـ ٣ : الرهبنة (بالروسية) كييف ١٨٧٧ ص ٣٤/٢١/٢٨ . والمصدر الأساسى هو سيرة ايتيم الأتوسى . ل . بتى : بمجلة الشرق المسيحى جـ ٨ (١٩٠٣) ص ١٨٩ . راجع ا . سوكولوف الرهبنة فى الكنيسة الرومية منذ منتصف القرن التاسع الى أول الثالث عشر ، كازن (١٨٩٤) ص ١٢٢٠ . ميلر : جبل أتوس وڤاتوپيدى وجزيرة ثازوس ، باريس ١٨٨٩ ص ٦٤ .

بذلك وكيل الأمبراطور وبدت قوته ونشاطه فمنحه ميشيل لقب قيصر .

ولكن سمار ميشيل الماجنين القوا فى نفسه الريبة ببرداس . ثم أن نشاط برداس كان يرمى إلى إصلاح القضاء واقتلاع الفساد من الجيش وتنظيم الأمور الكنسية وحماية التعليم العام فكان أنصاره يقارنون بينه وبين حياة الأمبراطور الماجنة المشينة التى لا تليق بمقام الأمبراطورية وعلم ميشيل بهذه الانتقادات .فانتهز بازيل وهو الامبراطور بازيل فيما بعد ، وكان أقرب المقربين لميشيل ،فرصة غضب الأمبراطور واتخذ كل عدة لإهلاك برداس .

وأصبح مفهوماً لدى الناس أن أيام برداس معدودة . وسمح الأمبراطور لبازيل ولأرمنى اسمه سباتيوس كان بطريقاً ولوجتيت البريد ، أن يقتلوا عمه [1] .

وفى هذا الوقت بالذات كانت حملة تجهز لاسترداد كريت[2] .

وأحس برداس بمايتهدده من خطر . فاجتمع الإمبراطور وبازيل عندالبطريرك فوتيوس قبل سفرهم لحلفوا على الآثار المقدسة وآكدوا لبرداس أنه يستطيع أن يصحبهم فى الغزو دون خوف . وصلى برداس نفسه ودعى العذراء سيدة المنقذين أن تأخذ بيده (وهى أقدس المنقذين) واتجه إلى أيقونتها ذات الكرامات فتوسل إليها[1] .

وخرج الأمبراطور فى أبريل عام ٨٦٦ للغزو على رأس جيش كبير إلى أن وقف عند شاطىء آسيا الصغرى عند مكان يسمى كيبوى أو الحدائق عند مصب الماندرا . وكانوا قد عزموا أن ينتهوا من أمر برداس هناك [2] .

---

(١) ملاى : تاريخ اليونان ط . تورر جـ ٢ ص ١٩١/١٩٣ .

(٢) صلة همرتولس ص ٧٣٩/٧٤٢ : لبون النحوى ٢٤٣ / ٢٤٥ . سيميون ماجستروس ص ٦٧٨/٦٧٩ جنزيوس ص ١٠٣/١٠٧ سلة تيوفان ص ٢٠٤/٢١٦ ع ٤١ سيد رونس جـ ٢ ص ١٧٩/١٨١ زوناراس ط . دندرف جـ ٤ ص ٢٠/٢٢ ف ١٦ ع ٧ . نسيتاس البفلاجونى : حياة القديس اجناس (ميق .P.G جـ ١٠٥ ص ٥٣٦) .

(٣) أنظر كندا كوف . كنائس الروم وآثار قسطنطينيـــة (مؤتمر أودسا للآثار ١٨٨٤) أودسا ١٨٨٧ ص ١٥ « أقدم ذكر لسيـــدة المنقذين (أم المنقذين) وأرخه عند زوناراس بمناسبة حملة قيصر برداس على كريت » أما الكتاب الأسبقون فيوردون هذه التسمية ويؤكدونها على غير أساس . صلة تيوفان ص ٢٠٤ . سيدرونس جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٤) نسيتاس البفلاجونى ، ميق .P.G ، ١٠٥ ، ٥٣٦ . صلة همرتولس ص ٧٤٠ : باليونانية ووقفوا فى جند تراكيزيا ونزلوا فى كيبوى . جنزيوس ص ١٠٣ وهو لا يذكر إلا كيبوى . صلة تيوفان ص ٢٠٤ : ونزلوا فى جند تراكيزيا عند كيبوى . ويحدد صاحب صلة تيوفان فى بعض تاريخه عن حكم بازيل المقدونى موضع كيبوى : وهو مكان ساحلى فى تراكيزيا قريب من الماندر (ص٢٣٦)=

وفى ٢١ أبريل دخل برداس على الامبراطور يرجوه أن لايتردد وأن يعجل ما استطاع بارسال الجند إلى كريت . وعندئذ ضربه بازيل بسيفه ووثب عليه المتآمرون بحضرة الأمبراطور وقطعوه ولم يرعوا أنه عم وقيصر كما يسمون ولى العهد عادة[١].

وقر الرأى بعد ذلك على تأجيل الحملة . وعاد ميشيل إلى العاصمة وكان أهلها خائفين حانقين عليه ساخطين على اقترافه القتل ناسبين فشل الحملة إلى التنكيل ببرداس[٢].

٣ — صقليـــة

فى السنين الأخيرة من حكم ميشيل لم تمنع انتصارات الروم اليسيرة فى صقلية من أن يزداد سلطان العرب على الجزيرة ومن أن يبذلوا جهدهم لأخذ ما بقى فى يد الروم من المعاقل الهامة فى الجزيرة . وهى سرقوصة . وقد فازوا بما أرادوا فى حكم بازيل المقدونى الذى خلف ميشيل .

أما عرب صقلية فإنهم حين مات أبو العباس ٨٦١ رأسوا على أنفسهم عمه احمد بن يعقوب . وصدقت أفريقيا على هذا الاختيار[٣] . ولكن احمد بن يعقوب عزل منذ فبراير ٨٦٢ وأعلن عبد الله بن العباس بن الأمير الأسبق أميراً مكانه وهو ما لم يقبله وقتئذ بلاط القيروان بأفريقية[٤] .

ويستخلص من هذا أن المصادر تحدد موضع كيبوى فى جند تراكيزيا دون جدال وينبغى على ذلك أن هذا الجند يقع (رغم ما يقول رمزى . الجغرافية التاريخية ص ١١١) جنوبى نهر مياندر . وذلك لأن كيبوى محددة الموقع . ونجد كذلك على الخرائط الإيطالية ، جنوبى مصب المياندر ميناء جيبو أو شيبو أو قيبو أو جيبو يعنى كيبو . راجع توماسشك ، جغرافية آسيا الصغرى فى العصر الوسيط . Sitzungsberic= der K. Akad. d. Wisseusch zu Wieu القسم الفيولوجى التاريخى ج ١٢٤ ص ٣٦ (١٨٩١) .

(١) يذكر جنزيوس (ص ١٠٦) التاريخ الصحيح وكذلك صاحب صلة تيوفان (ص ٢٠٦) فى الحادى والعشرين من شهر أبريل من السنة ١٤ المالية : ٨٦٦ . ولم تبدأ الحملة إلا بعد عيد الفصح . راجع صلة همرتولس ص ٧٤٠ ، وخرج الأمبراطور بعد عيد الفصح . وتفاصيل مقتل برداس واردة مع تفصيل كثير أسطورى عن خوالجه وما سمع من التنبؤ بموته . والفصح عام ٨٦٦ يبدأ فى ٧ أبريل.

(٢) إذا أخذنا بحياة سرج نسيتيات وخطاب لفويتــوس فلا يجب أن نسلم أن الحملة وصلت كريت رغم كل شىء . راجع بيزنطيون ج ٨ (١٩٣٣) ص ٥٢٦ وما بعدها .

(٣) البيان ط . دوزى ص ١٠٦ وعند أمارى ترجمة ج ٢ ص ١٣/١٢ (ذيل الأصل ص ٣٧٧) النويرى عند أمارى نص ص ٤٣٣ ترجمة ج ٢ ص ١٢٢ (ذيل الأصل ص ٣٨٥) ولا يذكر ابن الأثير هذا الوالى .

(٤) ابن الأثير ج ٧ ص ٦٨ . أمارى ترجمة ج ١ ص ٣٨٢ (ذيل الأصل ص ٣٦٨) النويرى عند أمارى نص ص ٤٣٣ وترجمة ج ٢ ص ١٢٣ (وذيل الأصل ص ٣٨٥) .

وساء عبد الله ذلك . فبعث فى ٨٦٢ (٨٤٢ هـ = ٧ مارس ٨٦٢ ـ ٢٣ فبراير ٨٦٣) لغزو الروم رباحاً فانهزم ثم غزا كرة ثانية فأخذ عدة حصون هى جبل أبى مالك وقلعة الأرمنيين (يعنى حصن الارمن) وقلعة المشارعة[١] .

ولكن عبد الله لم يبق فى ولايته الجديدة على صقلية إلا خمسة أشهر بعد انتخابه وذلك أن الأغالبة رفضوا التصديق على انتخابه وأرسلوا مكانه والياً جديداً جاء من افريقية هو الأغلبي خفاجه بن سفيان فوصل إلى بلرم فى يولية عام ٨٦٢ (جمادى الأولى عام ٢٤٨ = ٣ يولية - أول أغسطس ٨٦٢ [٢]) .

فاستقر الأمير الجديد فى بلرم وأرسل ابنه محمداً [٣] نحو سرقوصة . ولكن الروم هزموه وردوه نحو بلرم [٤] .

وفى فبراير او فى مارس عام ٨٦٤ (محرم ٢٥ = ١٣ فبراير / ١٥ مارس ٨٦٤) حل المسلمين لاجىء رومى فاستولوا على مدينة هامة غنية هى نوتو ثم على سكيلى [٥]

---

(١) موقع هذه الحصون الثلاثة غير معروف . أنظر أمارى تاريخ ج ١ ص ٣٤٣) ط ٢ ج ١ ص ٤٨٠/٤٨١) . المكتبة الصقلية ترجمة ج ١ ص ٣٨٢ (ذيل الأصل ٣٦٨) ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٧ ص ٦٩٨ وعند أمارى ترجمة ج ١ ص ٣٨٢ ، ذيل الأصل ٣٦٨) . البيان ط . دوزى ص ١٠٦ وعند أمارى ترجمة ج ٢ ص ١٣ (ذيل الأصل ص ٣٧٨) . اما اسم قلعة ارمنين فهو آت من الارمن الذين تآمروا فى ٧٩٣ فأرسلوا الى صقلية البعيدة وهى « سيبيريا الأمبراطورية الرومية » (أمارى تاريخ ج ١ ص ٢٢٣ ، ط ٢ ج ١ ص ٣٤٨) وقد كتب على جباههم ما يشعر بالمعرة : « الأرمن الغادرون » (باليونانية) . تيوفان تاريخ ط . دى بور ج ١ ص ٤٦٩ . أنظر لانسيادى برولو تاريخ كنيسة صقلية ج ٢ ص ١٩٧ . أما عن تحديد موقع الحصون الثلاثة فارجع إلى هامش الناشر عند امارى تاريخ ط ٢ ج ١ ص ٤٦٩ ، ٤٨٠/٤٨١ حـ وليلاحظ أيضاً أن ترجمة الأرمنين بالأرمن أمر غير ثابت .

(٢) ابن الأثير ج ٧ ص ٦٨/٦٩ وعند أمارى ترجمة ج ١ ص ٣٨٣ (ذيل الأصل ص ٣٦٨) النويرى عند أمارى نص ص ٤٣٣ ، ترجمة ج ٢ ص ١٢٢ (ذيل الأصل ص ٣٨٥) ابن خلدون عند أمارى ج ٢ ص ١٨٣ .

(٣) يذكر ابن الأثير الاسم محمودا (ج ٧ ص ٦٩ ، ذيل الاصل ص ٣٦٩) والراجح أن محمدا هو الأصح . ومن الجائز أن يكون لخفاجة ابنان محمود ومحمد كما يقول امارى . المكتبة العربية الصقلية ترجمة ج ١ ص ٣٨٣ هـ ٢ وتاريخ ط ٢ ج ١ ص ٤٨١ .

(٤) ابن الأثير . تورنبرج ج ٧ ص ٦٩ وعند امارى ترجمة ج ١ ص ٣٨٣ (ذيل الأصل ص ٣٦٩) راجع ابن خلدون (أمارى ترجمة ج ٢ ص ١٨٨) وهو يذكر خطأ ظفرا لمحمد . انظر امارى تاريخ ج ١ ص ٣٤٤ هـ ٢ ط ٢ ج ١ ص ٤٨٢ ، هـ ١) .

(٥) ابن الأثير ج ٧ ص ٦٩ وعند امارى ترجمة ج ١ ص ٣٨٣ (ذيل الأصل ص ٣٦٩) تاريخ كمبردج ط . كورا — لوزى ص ٣٠ : وسلمت نوتو أولا فى سنة ١٢ التالية وعند امارى ترجمة ج ٢٧٨ (ذيل الأصل ص ٣٤٦) ابن خلدون عند امارى ج ٢ ص ١٨٣ .

وهى تقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة [١] .

وفى ٨٦٥ أغار خفاجه على إقليم قصريانه [٢] فبلغ سرقوصة ولكن ابنه محمداً وقع على كمين ففقد ألف أسير [٣] .

ومن الجائز أن نعترف بحملة خفاجه على سرقوصة بعض عمليات حربية قام بها الأسطول الإسلامى فاستولى فى نفس السنة فى خليج سرقوصه على أربعة شلنديات رومية [٤] .

وفى ٨٦٦ (٢٥٢ هـ = ٢٢ يناير ٨٦٦/١٠ يناير ٨٦٧) غزا خفاجة سرقوصة ثم سار عنها نحو الشمال فلما اقترب من إتنا لقيه رسل مدينة تاورمينا وعرضوا عليه المفاوضة . فبعث خفاجة إلى مدينتهم زوجته وابنه محمداً فعقد أهل المدينة معه صلحا لم يلبثوا أن نقضوه ، فاستولى محمد على المدينة وقمع ثورة أهلها .

واسترد العرب فى نفس السنة مدينة نوتو وكانوا افقدوها [٥] ، واستردوا كذلك راجيز وشرطوا أن يسمحوا لبعض أهل المدينة أن يخرجوا من المدينة بأموالهم وأن يصبح كل الباقى ملكا للمسلين أنفالا لهم [١]

---

(١) ملفيدو ، كتاب القرى ص ٥٧٩ . جيوردانى . نهارس عامة ٤٢٢/٤٢٣ . ينو اميكو قاموس طبغرافى جـ ٢ ص ٤٧٠/٤٧٦ .

(٢) من الصعب أن نتصور أن المسلين جلوا فى هـذا الوقت الباكر عن حصن قصريانه بعد ما رأوا ما كلفهم أخذه من عناء . ولهذا يجب اما أن يرسم هذا الاسم رسما آخر فى نص كتاب البيان واما اعتبار المسيحيين أخذوا عدة مواقع حول قصريانه ، أنظر البيان ط دوزى ص ١٠٧/١٠٨ وعند امارى ترجمة جـ ٢ ص ١٣ (ذيل الأصل ص ٣٧٨) ويرى امارى من الجائز أن يكون المسلمون جلوا عن قصريانه (تاريخ جـ ١ ص ٣٤٥ حـ ١ ص ٤٨٣) .

(٣) البيان ط دوزى ص ١٠٨ (ذيل الأصل ص ٣٧٨) .

(٤) تاريخ كمبردج . ط . كوزا — لوزى ص ٣٠ : وأخذوا أربع شلنديات فى سرقوصه فى السنة الخامسة عشرة وفى امارى ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ص ٣٤٦) .

(٥) تاريخ كمبردج ط كوازـــ لوزى ص ٣٠ سلمت للمرة الثانية فى العلم الرابع عشر (باليونانية) وعند امارى ترجمة جـ ١ ص ٢٧٨ (ذيل الأصل ص ٨٣) .

(٦) ابن الأثير ط تورنبرج جـ ٧ ص ٦٩ وعند أمارى ترجمة جـ ١ ص ٣٨٤ (ذيل الأصل ص ٣٦٨/٣٦٩) تاريخ كمبردج ط كوزا — لوزى ص ٣٠ ؛ وسلمت روجوى للمرة الثانية فى السنة الخامسة وعند امارى ترجمة جـ ١ ص ٢٧٩ (ذيل الأصل ص ٣٤٦) .

وفى نفس الوقت استولى خفاجه على مدينة الجيران صلحا [١] وعلى عده مدن أخرى واستولى عنوة على ست مدن أخرى ولـكنه مرض فعاد إلى بلرم .

فلما شفى خفاجه فى صيف ٨٦٧ عاد فيما يظهر إلى غزو سرقوصة وقطانيا وخرب أرضهم وأفسد محاصيلهم وأخذت بعوث المسلمين تجول فى كل أنحاء الجزيرة [٢] . وفى سبتمبر ٨٦٧ قتل الأمبراطور ميشيل كما نعلم ، فتولى العرش بازيل مؤسس الأسرة المقدونية .

٣ — إيطاليا الجنوبية

كان حال إيطاليا شديد الإظلام فى السـنين الستين من القرن التاسع . وكان يمزقها النزاع الداخلى بين بنفنت وسالرن وبين نابلى وكابو وبين كابو وسالرن وبين كابو نفسها وبين رئيس أساقفة كابو وأولاد ابن عمـــه . فكانت إيطاليا لذلك عاجزة عن رد أمير بارى المسلم [٣] عن الحدود الإيطالية .

فلما يئسوا اعترفوا بسلطان الأمبراطورية الجديد لويس الثانى فجمع الأمبراطور للحرب كل سفينة إيطالية وقدم بنفسه إلى مونت كاسان عام ٨٦٧ ولـكن أمير بارى المسلم هزمه [٦] . فلما رأى الأمبراطور ما أصابه من هزيمة قرر الاستعانة على العرب بالاتفاق مع إمبراطور الروم بازيل المقدونى يومئذ .

---

(١) ويقول امارى ان المكان هو « لا تيبادى جوونى » وهو قريب من جرجنت (تاريخ جـ ١ ص ٣٤٨ ، ط ٢ جـ ١ ص ٤٨٦) أما عن تحديد موقع الجيران فراجع ص ١٨٧ من الأصل الفرنسى هـ ٥ ، ومع ذلك فليس من الثابت تماما أن تكون الجيران المذكورة هنا هى نفس حصن الجيران .

(٢) ابن الأثير تورنبرج جـ ٧ ص ٦٩ وعند امارى ترجمة جـ ١ ص ٣٨٤ (ذيل الأصل ص ٣٦٩) ابن خلدون عند امارى ترجمة جـ ٢ ص ١٨٤ .

(٣) امارى تاريخ جـ ١ ص ٣٧٨/٣٧٥ ويبدو أن اسم سلطان مناقض لأوضاع العصر ، وقد ظن البعض أن اسم سودان أو سوجدان أو سوتان المذكور فى المصادر اللاتينية والرومية ليس اسم شخص وإنما لفظ السلطان فى صيغة لاتينية . وقد أثبت طبع البلاذرى فى ١٨٦٦ أن المقصود هو اسم العلم سودان وهو اسم آخر أمير مسلم فى بارى . وانظر الآن الطبعة الثانية من امارى تاريخ جـ ١ ص ٤٩٧/٥٢٥ . وفيه يتناول المؤلف كل هذه المسائل — وقد أهمل ذلك ليبف إيطاليا الجنوبية اقرأ جاى : إيطاليا الجنوبية وامبراطورية الروم ص ٦٤/٧٤ : تلخيص الموقف قبيل قيام بازيل .

وقد خصص لذلك هارتمان الفصل ٧ (ص ٢٣١ وما بعدها) وعنوانه القيصر لويس نصره ونهايته) وانظر خاصة ص ٢٦٥/٢٦٨ . وقد اعتمــد فيه على جاى ولـكنه رجع إلى المصادر الأولى (هرتمان : تاريخ إيطاليا فى العصر الوسيط جـ ٣) .

ذيل
اقتباسات من مؤرخى العرب

— ١ —

ابن قتيبة

(المتوفى فى ٨٨٤ / ٨٨٥ أو فى ٨٨٩)

ولد أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بالكوفة أو ببغداد عام ٢١٣ ﻫ (٨٢٨ م) ودرس علوم الدين فى بغداد ، وولى زمناً قضاء مدينة الدينور من إقليم الجبل ولهذا لقب بالدينورى . ومات ابن قتيبة عام ٢٧٠ / ٢٧١ ﻫ (٨٨٤ / ٨٨٥) . وقيل وهو الأرجح أنه مات فى شهر رجب عام ٢٧٦ ﻫ (نوفمبر ٨٨٩)[1] .

وقد نشر وستنفلد[2] تاريخ ابن قتيبة المعروف بكتاب المعارف .

مقتبسات من ابن قتيبة

(طبعة وستنفلد ص ١٩٩)

ثم توجه المأمون إلى طرسوس فى المحرم سنة خمس عشرة ومائتين (٢٨ فبراير - ٢٩ مارس ٨٣٠) فغزا الروم ، وافتتح حصن قرة وخرشنه وصمله . ثم انصرف إلى دمشق ، ثم مضى إلى مصر . ثم عاد إلى دمشق ، ثم توجه إلى الروم سنة سبع عشرة ومائتين (٧ فبراير ٨٣٩ - ٢٦ يناير ٨٣٣) . وفيها فتحت لؤلؤة وأمر ببناء طوانه . ثم عاد المأمون فسار إلى الرقة .

ثم عاد إلى بلاد الروم فمات على نهر البذندون لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين (٧ أغسطس ٨٣٣) ، فحمل إلى طرسوس ودفن بها .

---

(١) وستنفلد : مؤرخو العرب وكتبهم . جوتنجين ١٨٨٢ . (Abhandlungen der K. Ges. der Wiss. zu Göttingen ج ٢٨) رقم ٧٣ ص ٢٤ . ك . بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ١ ثيمار ، ١٨٩٨ ، ص ١٢٠ / ١٢١ .

(٢) ابن قتيبة : كتاب المعارف : Handbuch der Geschichte نشر وستنفلد ، جوتنجن ، ١٨٥٠ . وقد نشر بعد بالقاهرة على أساس نشره وستنفلد فى ١٣٠٠ ﻫ (١٨٨٣) .

(وفى أيام المعتصم) نزلت الروم زبطرة فتوجه أبو اسحاق غازياً فى جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (٣١ مارس — ٢٩ أبريل ٨٣٨) ففتح عمورية فى شهر رمضان من هذه السنة (٢٧ يوليه — ٢٥ أغسطس ٨٣٨) .

— ٣ —

البلاذرى

كان أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فارسى الأصل . وقد عاش فى القرن التاسع الميلاد فى بغداد . وكان مقرباً للخليفة المتوكل ، وحظى كذلك عند المستعين ونال تقديره . وقد اختاره المعز ليكون مربياً لولده عبد الله ، وهو الشاعر الذى ولى الخلافة يوماً[1] . وقد لقب بعد بالبلاذرى حين تناول مرة سهواً قدراً كبيراً من البلاذر anachronium فاختلط بسبب ذلك عقله ، فأرسل إلى ملجأ بقى فيه إلى أن مات فى ٢٧٩ هـ (٣ إبريل ٨٩٢ — ٢٢ مارس ٨٩٣)[2] .

وكتابه فى التاريخ المسمى بفتوح البلدان عظيم الأهمية لتاريخ عصور الفتح الأولى وقد نشره دى خويه[3] . وقد ترجم بعضه إلى الألمانية أسكار ريشر ، وترجمه إلى الانجليزية فيليب ك . حيتى ومرجوتن ١٩٠٩ .

وروايات البلاذرى الذى عاش فى القرن التاسع لها من القيمة الكبيرة ما لرواية المعاصر المعاينة . ومما يؤسف له أن يكون ما قاله من حروب العرب والروم أيام أسرة عمورية شديد الضآلة متناثراً فى مواضع مختلفة . ولكنا نستطيع أن نتقبل رواياته وترجيحاته على أنها موثوق بها . ولهذا نعتبر ما يروى حقائق تاريخية لا جدال فيها مثل بعث ملك الروم رسولا إلى الخليفة يطلب منه الصلح عام ٢١٠ هـ

---

(١) أنظر عن عبد الله وأثره الشعرى : ك . بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ١ ، فيمار ، ١٨٩٨ ص ٨٠/٨١ .

(٢) وستنفلد : مؤرخو العرب وكتبهم . جوتنجن ، ١٨٨٢ ص ٢٥/٢٦ : رقم ٧٤ . ك . بروكلمان ، نفس المرجع ص ١٤١/١٤٢ .

(٣) البلاذرى « فتوح البلدان : Liber expugnationum regionum . ط . دى خويه . ليدن ١٨٦٥/٦ .

(أبريل ٨٢٥ — أبريل ٨٢٦) مع أن غيره من المؤرخين لم يذكر شيئاً عن هذه الواقعة .

مقتبسات من البلاذرى

(دى خويه ص ١٦٧)

وبنى محمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعيد حصناً بساحل أنطاكية بعد غارة الروم على ساحلها (أو أسطولها) فى خلافة المعتصم بالله .

(دى خويه ص ١٧٠)

وسيسيه مدينة تل عين زربة . وقد عمرت فى خلافة المتوكل على الله على يدى على بن يحى الأرمنى ثم أخربتها الروم .

(دى خويه ص ١٩١ — ١٩٢) .

فلما كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه وأغاروا على سرح أهله فاستاقوا لهم مواشى فأمر المامون بمرمته وتحصينه . وقد وفد طاغية الروم فى سنة ٢١٠ (٢٤ أبريل ٨٢٥ — ١٢ أبريل ٨٢٦) يسأل الصلح فلم يجبه إليه . وكتب إلى عمال الثغور فساحوا فى بلاد الروم ، فأكثروا فيها القتل ودوخوها وظفروا ظفرا حسنا إلا أن يقظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السلمى أصيب . ثم خرجت الروم إلى زبطرة فى خلافة المعتصم بالله أبى اسحق بن الرشيد فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخربوها فأحفظه ذلك وأغضبه فغزاهم حتى بلغ عمورية وقد أخرب قبلها حصونا فأناخ عليها حتى فتحها فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية ثم أخربها ، وأمر ببناء زبطرة ، وحصنها ، ورمّحنها . فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها .

(دى خويه ص ١٩٩)

وقد كان طاغية الروم خرج إلى قاليقلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتى كاد يسقط فأنفق المعتصم عليها خمسمائة ألف حتى حصنت .

صقليـــة

(دى خويه ٢٣٥)

ترجم القطعة التالية إلى الإيطالية أمارى فى المكتبة العربية الصقلية . حـ ١ ، تورينو وروما ، ١٨٨٠ ، ص ٢٦٨ :

وقد فتح آل الأغلب بن سالم الأفريقى منها نيفا وعشرين مدينة . وهى فى أيدى المسلمين [١] . وفتح احمد بن محمد بن الأغلب منها فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله قصريانه = Castrogiovanni وحصن غليانه Gagliano .

كريت (اقريطش)

(دى خويه ص ٢٣٦)

ثم غزاها (أى اقريطش) فى خلافة المأمون أبو حفص عمر بن عيسى الأندلسى المعروف بالاقريطشى ، وافتتح منها حصنا واحداً ، ونزله ، ثم لم يزل يفتح شيئا بعد شىء حتى لم يبق فيها من الروم أحد وأخرب حصونهم .

— ٣ —

اليعقوبى

(المتوفى فى أواخر القرن التاسع)

ابن واضح العقوبى شيعى يكاد يكون معاصراً للحوادث التى يروى أخبارها فى كتابه .

وقد عاش إلى عام ٢٦٠ هـ تقريبا (٨٧٣ — ٨٧٤) فى أرمينية ، وبها على الأرجح كتب كتابا لم يصلنا وهو كتاب ملوك الروم ، وعاش زمنا فى خراسان ورحل إلى الهند ثم استقر فى مصر وحظى لدى الطولونيين . ثم رحل منها إلى المغرب .

---

(١) يفهم منها : أنها لا تزال فى أيدى المسلمين ، وهذا تأويل ا . ريش : البلاذرى ، كتاب فتوح البلدان مترجما إلى الألمانية ، ط ٢ (شتتجارد) ١٩٢٣ ، ص ٢٧٠ .

وفى المغرب كتب اليعقوبى ثلاثة كتب . أولها وهو فتوح المغرب وقد ضاع . أما الكتابان الآخران وهما كتاب الممالك والمسالك[١] وكتاب التاريخ : فقد حفظا[٢] ويقول بروكلمان فى دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ١٢١٦ (مادة اليعقوبى) : ويظهر أنه كتب فى المشرق كذلك تاريخاً عاما وقف فيه عند عام ٢٥٩ (٨٧٢ م) وهذا كل ما نعرفه عن حياة هذا المؤرخ ، وهو قليل[٣]

ينقسم تاريخ اليعقوبى إلى قسمين : القسم الاسلامى وهو المنشور فى الجزء الأول والقسم الإسلامى وهو المنشور فى الجزء الثانى ، ومما يؤسف له أن يضيع من مخطوطة كمبردج ، وهى الوحيدة المعروفة ، مقدمة القسم الأول ؛ لأنه الجزء الذى يعرض فيه بالضرورة لبيان مصادره . وقد كتب اليعقوبى تاريخه حول عام ٨٨٠ وتناول الحوادث إلى ذلك الوقت[٤] ، ثم ختم سرده بملخص لحوادث عام ٨٧٣ (فى خلافة المعتمد ٨٧٠ / ٨٩٢)

وقد اهتم العلماء بأمر مصادر اليعقوبى وخاصة بمصادر القسم الأول . وكتبوا فى ذلك مقالات عديدة[٥] . ولروايات اليعقوبى الخاصة بالعصر الذى نبحثه ذات قيمة لا جدال فيها .

وليس فيه شىء عن عصر ميشيل الثانى .

---

(١) وصف دى خويه فى ١٨٦٠ هذا الكتاب ونشر منه وصف أفريقية والأندلس . دى خويه : وصف المغرب مقتبسا من كتاب الممالك لليعقوبى ، ليدن ١٨٦٠ . وقد طبع الكتاب لأول مرة كاملا على يد يونبول : كتاب الممالك . ليدن ١٨٦١ . ثم طبعة . دى خويه : كتاب البلدان فى مكتبة الجغرافيين العرب ج ٧ ، ليدن ، ١٨٩٢ ص ٢٣١/٣٦٠ .

(٢) ابن واضح المسمى باليعقوبى ، تاريخ ، ط . هوتسما . مجلدان . ليدن ، ١٨٨٣ .

(٣) دى خويه : فى تاريخ العباسيين حسب اليعقوبى (بالألمانية) فى أبحاث مؤتمر المستشرقين الثالث فى سان بطرسبورج ١٨٧٦ ج ٢ ، ك ، ١٥٥ — ٥٦ . دى خويه : مكتبة جغرافيى العرب . ج ٧ ص ٧/٨ من المقدمة . هوتسما اليعقوبى تاريخ . ج ١ . مقدمة ص ٧ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ١ ، فيمار ، ١٨٩٨ . ص ٢٢٦/٢٢٧ .

(٤) نولدكه : ابن واضح وهوتسما فى مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ج ٣٨ (١٨٨٤) ص ١٥٣ .

(٥) راجع مثلا نولدكه فى مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ج ٣٨ (١٨٨٤) ص ١٥٣/١٦٠ . كلامروث : الرحلات فى كتب الروم حسب اليعقوبى (بالألمانية) فى مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ج ٤٠ (١٨٨٦) ص ١٨٩/٢٣٣ ، ٦١٢/٦٣٨ ، ج ٤١ (١٨٨٧) ص ٤١٥ — ٤٤٢ : ويحلل المؤلف فى المقالة عبارات من اليعقوبى خاصة بكتب اليونان الأقدمين .

ولكنه يسوق عن عصر تيوفيل روايات عظيمة الأهمية وإن كانت موجزة وأكثرها أهمية رواياته عن الحملات الحربية أيام تيوفيل فى أعوام ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ و ٨٣٣ [١] . وقد كتب اليعقوبى قبل الطبرى . وهو يكاد يكون معاصراً للوقت الذى نؤرخه . ولهذا يجب أن نتقبل سرده على أنه جدير بالثقة وعلى أنه أحد مصادرنا الاساسية . وله فى حملة زبطرة بعض روايات هامة جداً [٢] .

ولكنه لم يذكر إلا شيئاً قليلا [٣] عن أخذ عمورية . ولكن هذا الإيجاز لم يؤثر شيئاً لان سرد الطبرى المفصل سد هذا النقص .

وإذا قارنا ما رواه اليعقوبى وما رواه الطبرى عن ميشيل الثالث لم نجد اليعقوبى يزيد على الطبرى شيئاً . ولكن فضله على أى حال فى تأييد روايات الطبرى . وقد يضيف إليها من حين إلى حين بعض التفاصيل .

مقتبسات من اليعقوبى

حملة ٨٣٠

(هوتسما ج ٢ ص ٥٦٧ — ٥٦٨)

وخرج المأمون متوجهاً إلى أرض الروم فى المحرم سنة ٢١٥ (مارس ٨٣٠) فغزا الصائفة وافتتح أنقرة نصفاً بالصلح ونصفاً بالسيف وأخربها وهرب منويل البطريق منها وفتح حصن صمالو [٤] ثم انصرف فنزل دمشق .

حملة ٨٣١

(هوتسما ج ٢ ص ٥٦٨)

وغزا المأمون أرض الروم سنة ٢١٦ (١٨ فبراير ٨٣١ — فبراير ٨٣٢) . ففتح

---

(١) اليعقوبى ، ط . هوتسما ، ج ٢ ص ٥٦٧ — ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠/٥٧١ ، ٥٧٣ .
(٢) اليعقوبى . ج ٢ ص ٥٨٠ .
(٣) اليعقوبى . ج ٢ ص ٥٨٠ .
(٤) فى النص . شمال .

اثنى عشر حصناً وعدة مطامير[1] وبلغه أن طاغية الروم قد زحف فوجه العباس ابنه فلقيه فهزمه وفتح الله على المسلمين ووجه إليه تيوفيل ملك الروم بالأسقف صاحبه وكتب إليه كتاباً بدأ فيه باسمه فقال المأمون لا أقرأ له كتابا يبدأ فيه بإسمه . ورده ، وكتب إليه تيوفيل بن ميخائيل : لعبد الله غاية الناس الشرف ملك العرب من تيوفيل ابن ميخائيل ملك الروم من قبل[2] . . . . وسأل أن يقبل منه مائة ألف دينار والأسرى الذين عنده ، وهم سبعة آلاف أسير . وأن يدع لهم ما افتتحه من مدائن الروم وحصونهم ويكف عن الحرب خمس سنين . فلم يجبه إلى ذلك ، وانصرف إلى كيسوم من أرض الجزيرة من ديار مصر .

حملة ٨٣٢

(هوتسما ج ٢ ص ٥٦٩ — ٥٧١)

وكان مقام المأمون بمصر سبعة وأربعين يوماً . قدم لعشر خلون من المحرم وخرج لثلاث بقين من صفر سنة ٢١٧ . وقدم دمشق منصرفا من مصر فأقام أياما ثم شخص إلى الثغر فنزل أذنة معسكرا بها .

وغزا المأمون بلاد الروم فى هذه السنة وهى سنة ٢١٧ (٧ فبراير ٨٣٢—٢٦ يناير ٨٣٣) وسار إلى حصن من حصون الروم يقال له لؤلؤة ، فأقام عليه حينا لم يفتحه فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا اسحاق والرجال . ثم قفل متوجها إلى قرية يقال لها سَلَغوس . وخلف على حصنه أحمد بن بسطام وخلف أبو اسحاق على حصنه محمد بن الفرج بن أبى الليث بن الفضل وصيَّر عندهم زاد سنة وخلف المأمون على جميع الناس عجيف بن عنبسة فمكرت الروم أصحاب لؤلؤة بعجيف فأسروه فمكث فى أيديهم شهرا وكاتبوا ملكهم فسار نحوهم فهزمه الله بغير قتال وظفر من كان فى الحصنين من المسلمين بعسكره فحولوا كل ما كان فيه . فلما رأى ذلك أهل لؤلؤة وأضر بهم الحصار طلب رئيسهم الحيلة فقال بعجيف : أخلى سبيلك على أن تطلب لى الأمان من المأمون فضمن له ذلك فقال أريد رهينة . فقال أنا أحضرك ابنى

(١) أنظر عن المطامير ص ١١١ من الأصل الفرنسى لهذا الكتاب .

(٢) نقص فى النص العربى .

فوجه إلى خليفته أن يوجه إليه بفراشين نصرانيين[١] . . ويحملان . فوجه معهما بجماعة من غلمان نصارى فى زى المسلمين ففعل ذلك فدفعهم عجيف إليهم وخرج . فلما صار إلى المعسكر كتب إليهم : إن الذين فى أيديكم نصارى وأنتم مخيرون فيهم فكتب إليه رئيسهم : إن الوفاء حسن وهو من دينكم أحسن . فأخذ لهم عجيف الأمان . وفتحها وأسكنها المسلمين .

وسار المأمون إلى دمشق[٢] سنة ٢١٨ (٢٧ يناير ٨٣٣ — ١٥ يناير ٨٣٤) .

حملة ٨٣٣

(هو تسما حـ ٢ ص ٥٧٣ — ٥٧٤)

وغزا المأمون بلاد الروم سنة ٢١٨ (٢٧ يناير ٨٣٣ — ١٥ يناير ٨٣٤) . وقد استعد لحصار عمورية وقال أوجه إلى العرب فأتى بهم من البوادى ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى أضرب إلى القسطنطينية . فأتاه رسول ملك الروم يدعوه إلى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى الذين قبله . فلم يقبل . فلما قرب من لؤلؤة أقبل فأقام أياما وتوفى بموضع يقال له البدندون بين لؤلؤة وطرسوس وكانت وفاته يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨ (٨ أغسطس ٨٣٣ وكان اليوم يوم جمعة) . ودفن بطرسوس فى دار خاقان .

حملة تيوفيل على زبطرة وعمورية

(هو تسما حـ ٢ ص ٥٨٠ — ٥٨١)

ودخلت الروم زبطرة سنة ٢٢٣ ، (٣ ديسمبر ٨٣٧ - ٢٢ نوفمبر ٨٣٨) فقتلوا وأسروا كل من فيها وأخرجوهم . فلما انتهى الخبر إلى المعتصم قام من مجلسه نافراً حتى جلس على الأرض . وندب الناس للخروج ووضع الاعطاء وعسكر من يومه بموضع يعرف بالعيون[٣] من غربىّ دجله . وقدم اشناس التركى على مقدمته . وخرج

---

(١) النص غير مضبوط ولا مفهوم .

(٢) وفى الطبرى : الرقة .

(٣) راجع ياقوت : معجم البلدان ط . وستنفلد : جـ ٢ ص ٧٦٦ .

يوم الخميس لست خلون من جمادى الأولى سنة ٢٢٣ ودخل أرض الروم فقصد أرض عمورية. وكانت من أعظم مدائنهم وأكثرها عدة ورجالا، فحاصرها حصارا شديداً. وبلغ طاغية الروم فزحف فى خلق عظيم فلما دنا وجه المعتصم بالأفشين فى جيش عظيم فلقى الطاغية وأوقع به وهزمه وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة. فأوفد طاغية الروم من قبله وفدا إلى المعتصم يقول إن الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا، تعدوا أمرى وأنا أبنيها بمالى ورجالى، وأرد من أخذ من أهلها وأخلى جملة من فى بلد الروم من الأسارى وأبعث إليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة. وفتحت عمورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٢٢٣. فقتل وسبى جميع من فيها وأخذ ياطس خال ملك الروم وأخرب وأحرق كل ما اجتاز به من بلادهم وانصرف

فداء عام ٨٤٥

(هو تسما حـ ٢ ص ٥٨٨ — ٥٨٩)

وكتب طاغية الروم يذكر كثرة من بيده من أسارى المسلمين ويدعو إلى الفداء فأجابه الواثق إلى ذلك ووجه بخاقان الخادم [1]، والمعروف بأبى رمله. والآخر جعفر بن أحمد الحذاء. وكان صاحب الجيش. وولى الثغر أحمد بن سعيد بن سلم الباهلى فصاروا إلى موضع يقال له نهر اللامس على مرحلتين من طرسوس. وحضر ذلك الفداء سبعون ألف رامح سوى من ليس معه رمح. وكان أبو رمله وجعفر الحذاء واقفين على قنطرة النهر فكلما مر رجل من الأسرى امتحنوه فى القرآن فمن قال أنه مخلوق فودى به ودفع إليه ديناران وثوبان. فبلغ عدة من فودى به خمسمائة رجل وسبعمائة امرأة. وكان هذا فى المحرم سنة ٢٣١.

هجوم الاسطول الرومى على دمياط

(هو تسما حـ ٢ ص ٥٩٦ — ٥٩٧)

وصيرت أعمال مصر إلى عنبسه ابن اسحاق الضبي من قبل المنتصر فلم يقم بمصر

---

(١) نقص فى المخطوط.

إلا شهوراً حتى أناخت الروم على دمياط فى خمسة وثمانون مركبا فقتلوا خلقا من المسلمين وأحرقوا ألف وأربعمائة منزل . وكان رئيسهم يقال له . . .[١] .

وسبوا من المسلمات ألف وثمانمائه وعشرين امرأة ومن نساء القبط ألف امرأة ومن اليهود مائة امرأة وأخذ السلاح الذى كان بدمياط [٢] والسقط . وتهارب الناس فغرق فى البحر نحو ألفين . وأقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا .

فداء عام ٨٥٦

(هوتسما جـ ٢ ص ٥٩٩ — ٦٠٠)

ووجه طاغية الروم برسل وهدايا وكانت يسيرة ، فبعث إليه بأضعافها ووجها شنيفاً الخادم ، وكان يقوم بأمنائه ، فعقد له على الفداء فقدم طرسوس سنة ٢٤١ (٢٢ مايو ٨٥٥ — ٩ مايو ٨٥٦)

وعامل الثغور أحمد بن يحيى الأرمنى . وخرج إلى قنطرة اللامس فنادى بالأسرى وكان قد حمل من كل بلد من فيه من أسرى الروم واشترى عبيد النصارى .

(هوتسما جـ ٢ ص ٦٠٦)

ووجه المستعين جعفرا الخياط لغزو الصائفة سنة ٢٤٩) .٢٤ فبراير ٨٦٣ — ١٢ فبراير ٨٦٤) ومعه عمر بن عبد الله الأقطع عامل ملطية فلما دخل إلى بلاد الروم استأذنه عمر أن يوغل وكان فى ثمانية آلاف فأحاط به العدو فأصيب هو ومن معه فى رجب سنة ٢٤٩ . وولى المستعين على بن يحيى الأرمنى أرمينية فى هذه السنة وكان أمرها قد اضطرب فصار إلى ميافارقين وأغارت الروم وتوسطت بلاد المسلمين فاجتمع قوم من أهل ذلك البلد إلى على بن يحيى فكلموه فى لقاء الروم ورفعوه فخرج معهم فلقى عسكر الروم فقاتل قتالا شديداً فقتل وأخذ الروم بدنه وعدوه فتحا عظيما لما كان قد أشجاهم .

---

(١) أنظر بيزنطيون جـ ٨ (١٩٣٣) ص ٥١٦ — ٥١٧ ، ٥٣١ .

(٢) راجع لين : قاموس عربى انجليزى جـ ١ ص ٤ من المقدمة ، ص ١٣٨١ فى معنى سقطى . دى خويه . فهرس مكتبة جغرافى العرب . جـ ٤ ص ٢٦١ .

فى خلافة المعتز (٨٦٦ — ٨٦٩)

(هونسما ج ٢ ص ٦١٢)
ووجه مزاحم بن خاقان إلى ملطية وقد ظهر فيها الروم عدة مرات .

٤

الطـــبرى

(المتوفى عام ٩٢٣)

لا جدال فى أن أهم المصادر فى بحثنا هذا تاريخ عربى هو تاريخ الطبرى .

ولد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن قدير بن خالد الطبرى فى ربيع عام ٨٣٩ م (٢٢٤ هـ) فى مدينة آمل غير بعيد من بحر قزوين فى إقليم طبرستان الفارسى ولهذا سمى بالطبرى [1] .

استفاد الطبرى من خيرة الأساتذة فى بلده ثم رحل إلى مصر والشـــام وإيران والبصرة والكوفة . ونزل بغداد .

كان واسع العلم بالأحاديث الإسلامية وبالقرآن والتاريخ والفقه . وقد وقف نفسه على التعليم حين نزل بغداد ، وكان أول الأمر ينتسب إلى مذهب الشافعى وهو أحد المذاهب الإسلامية المشهورة وذلك أنه أخذ العلم عن تلميذ للشافعى هو الربيع بن سليمان أيام رحلته إلى الفسطاط . ولكنه ابتدع لنفسه بعد ذلك مذهباً

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان : Biographical Dictionnary ترجمة البارون ماك جوكن دى سلان ج ٢ باريس ١٨٤٣ ص ٥٩٧/٥٩٨ . وقد ترجم للمؤرخ العربى ابن عساكر (+ ١١٧٥ — ١١٧٦ م) فى تاريخ دمشق للطبرى . ونشر هذه الترجمة ا . جولدزيهر : آثار الطبرى الأدبية حسب ابن عساكر فى مجلة ڤينا لفنون الشرق (بالألمانية) ج ٩ (١٨٩٥) ص ٣٥٩ — ٣٧١ . راجع نولدكه : تاريخ الفرس والعرب زمن الساسانيين مترجما عن تاريخ الطبرى مع شروح وتكملات (بالألمانية) . ليدن ١٨٧٩ ص ١٣ من المقدمة . وستنفلد : مؤرخو العرب . جوتنجن ١٨٨٢ ، رقم ٣١/٣٢ . دى خويه : الطبرى وأوائل مؤرخى العرب فى دائرة المعارف الإيطالية ، ط ٩ ج ٢٣ (١٨٨٨) س ٣/٤ . بروكلمان تاريخ الأدب العربى ط . ڤيمار ، ١٨٩٨ س ١٤٢ — ١٤٣ .

واتخذ لنفسه تلاميذ كان منهم احمد بن الكامل الملقب بجرير . وقد عاش هذا التلميذ فى القرن العاشر وكان ذا مكانة كبيرة عنـــد معاصريه فى الفلسفة وفقه اللغة والتفسير والتاريخ .

وقد نال الطبرى فى بغداد اضطهاد الحنابلة وهم أتباع مذهب فقهى أسسه احمد ابن حنبل تلميذ الشافعى . وكان ميل الشافعى إلى ردّ الإسلام إلى صيغته الأولى وكان أتباع المذهب أهل تقشف وقسوة . فاتهموا الطبرى بالبدعة لأنه حين كتب كتاباً فى طبقات الفقهاء لم يذكر إمامهم ابن حنبل ولم يعده فقيهاً حقيقياً ولكن مجرد جماع للحديث .

ومات الطبرى فى فبراير ٩٢٣ ببغداد (فى شهر شوال عام ٣١٠ هـ) .

والآثار التى تركها الطبرى كثيرة . وقد انفرد فى الأدب العربى بأنه أول من جمع كل الروايات التاريخية التى عرفها العرب وأنه كتب تاريخاً عاماً بدأه بخلق العالم وانتهى به إلى عصره .

وقد نشر دى خويه هذا التاريخ كله بمعاونة مستشرقين أوربيين آخرين [١] .

ويرى ابن خلكان وهو أحد من ترجم للطبرى أن تاريخه من أوثق التواريخ وأضبطها [٢] .

وكتاب الطبرى مثال فى طريقة الجمع . وهى طريقة لا توجب نقد المراجع ولا عرض الوقائع طبقاً لنظرة خاصة . والمؤلف ينسخ عادة بالحرف ما عرف من المراجع ، ويحذف فى غالب الأحيان — لا فى كل الحالات — اسم الراوى . فإذا كانت هذه الطريقة فى العرض تؤدى غالباً إلى غموض السياق ، وخاصة حين يتقيد الطبرى بمراجعه فيسوق عدة روايات لواقعة واحدة ، فإن لهذه الطريقة من ناحية أخرى مزاياها . وعلمنا بطريقة الطبرى مع رواته يبيح لنا أن نستشف من وراء

(١) السنويات التى كتبها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وغيره . ط . دى خويه . ليدن ، ١٨٧٩ وما بعدها . السلسلة الثالثة وكان كوزيجارتن قد نشر أول هذا التاريخ وترجمه إلى عام ٢٤ هـ (٦٤٤ — ٦٤٥) : جريفسفالديا ١٨٣١/١٨٥٣ فى ثلاث مجلدات . ثم ان الجزء من تاريخ الطبرى الخاص بتاريخ الساسانيين ترجمة نولدكه وعلق عليه تعليقا حسنا : تاريخ الفرس والعرب أيام الساسانيين . ليدن ١٨٧٩

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان . ترجمة بار . م . ج . دى سلان . ج ٢ ص ٥٩٧ .

نصوصه المقتبسة نفس نصوص الذين سبقوه من المؤرخين ممن لم تصلنا كتبهم .

والطبرى هام بالنسبة لنا خاصة لأنه يفرد مكانا واسعاً لعلاقات العرب بالروم فى المشرق ولكنه من ناحية أخرى لا يهتم بتاريخ العرب فى المغرب . ولهذا نجده يهمل لهذا السبب تاريخ فتح العرب صقلية فى القرن التاسع كأنه لا يوجد بالنسبة له ، ولا يقول عنه كلمة .

وتنقسم روايات الطبرى عن أمور الروم أيام أسرة عمورية إلى قسمين ،الأول يحوى روايات موجزة عن حوادث وقعت بالقسطنطينية نفسها . وهى خاصة الحوادث المتعلقة بولاية الأباطرة الروميين . وتوقيته هنا خاطىء دائماً تقريباً . فى عام١٩٣ه‍ (٢٥ أكتوبر ٨٠٨ — ١٤ أكتوبر ٨٠٩) يكتب الطبرى ما يأتى :

« وقتل فى هذه السنة نقفور ملك الروم فى حرب برجان وكان ملكه فيما قيل سبع سنين وملك بعده استيراق Staurace بن نقفور وهو مجروح فبقى شهرين فمات وملك ميخائيل بن جرجيس ختنه على أخته [1] .

ونحن نعلم أن نقفور اعتلى العرش عام ٨٠٢ وأن البلغار قتلوه فى يولية ٨١١ . وكان ثانى من خلفه ميشيل رنجابى زوج پروكوبيا بنت نقفور وهو صهره . والخطأ فى التاريخ فقط .

ومثل ذلك فى عزل ميشيل رنجابى وقد وقع عام ٨١٣ ولكن الطبرى يرويه عام ١٩٤ ه‍ (١٥ أكتوبر ٨٠٩ — ٣ أكتوبر ٨١٠ [2]) . ومثل ذلك أيضا قتل ليون الأرمنى وولاية ميشيل الثانى (٨٢٠) ورواية الطبرى ذلك فى عام ٢٠٠ ه‍ (١١ أغسطس ٨١٥ — ٢٩ يوليه ٨١٦ [3]) ويقع الطبرى كذلك فى خطأ وقع فيه كل مؤرخى العرب وهو الخلط بين ميشيل الثانى العمورى وميشيل الأول رنجابى واعتبار رنجابى حكم مرتين [4] .

(١) الطبرى . س ٣ ص ٧٧٥ .

(٢) الطبرى . س ٣ ص ٧٩٥ .

(٣) الطبرى . س ٣ ص ١٠٠٠ .

(٤) أنظر مثلا ابن الأثير ط . تورنبرج ج ٦ ص ٢٢٥ وهو هنا ينسخ الطبرى بالحرف . المسعودى : كتاب التنبيه والاشراف . ط . دى خويه فى مكتبة جغرافيى العرب . ج ٨ . ليدن ١٨٩٤ ص ١٦٧ . المسعودى : كتاب التنبيه ترجمة ب . كرادى فو . باريس ، ١٨٩٧ ص ٢٣٠ .

وفى عام ٢٠٩ هـ (٤ مايو ٨٢٤ — ٢٣ أبريل ٨٢٥) يكتب الطبرى ما يأتى :—

وفيها مات ميخائيل بن جورجيس صاحب الروم وكان ملكه تسع سنين وملكت الروم عليهم ابنه تيوفيل بن ميخائيل [1] .

ونحن نعلم أن ميشيل التمتام مات عام ٨٢٩ .

وفى عام ٢٢٧ (٢١ اكتوبر ٨٤١ — ٩ اكتوبر ٨٤٢) يكتب الطبرى :

وهلك فى هذه السنة تيوفيل ملك الروم وكان ملكه اثنتى عشرة سنة . وفيها ملكت بعده امرأته تُدَورة وابنها ميخائيل بن تيوفيل صبى [2] .

وهنا نجد تاريخ الطبرى فى غاية الضبط لأن تيوفيل مات حقيقة فى ٢٠ يناير ٨٤٢ . ولكنا نجد مع ذلك أن قوله بملك تيوفيل اثنتى عشرة سنة لا يتفق مع ماجاء به قبل من أن تيوفيل ملك منذ ٨٢٤ — ٨٢٥ إلى هذا العام .

وفى عام ٢٣٣ (١٧ أغسطس ٨٤٧ — ٤ اغسطس ٨٤٨) نجد عند الطبرى ما يأتى :

وفيها وثب ميخائيل بن تيوفيل على أمه تدورة فشمسها [3] وأدخلها الدير وقتل اللغثيط لأنه اتهمها به وكان ملكها ست سنين [4] .

والتاريخ الجارى أن تيودورا (تذورة) أدخلت فى الرهبنة عام ٨٥٦ وأن موت نيوكتيست اللوجوثيط (اللغثيط) كان عام ٨٥٤ [5] .

وفى عام ٢٥٧ (٢٩ نوفمبر ٨٧٠ — ١٧ نوفمبر ٨٧١) يكتب الطبرى .

« وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبى (وقيل له الصقلبى ، وهو من أهل بيت المملكة ، لأن أمه صقلية) على ميخائيل بن تيوفيل ملك الروم فقتله وكان ميخائيل منفردا بالمملكة أربعا وعشرين سنة . وتملك الصقلبى بعده على الروم [6] .

---

(١) الطبرى . س ٣ ص ١٠٧٣ .

(٢) الطبرى . س ٣ ص ١٣٢٩ .

(٣) يستعمل الطبرى فعل شمس بمعنى جعل شماسا أو راهبا للذكر والأنثى حسب البارون روزن . راجع دى سلان قاموس عربى انجليزى ج ١ ص ٤ مقدمة ص ١٥٩٧ (فى صيغة الفعل المجردة من الزوائد) . دوزى : ذيل القواميس العربية . وفيه نفس المعنى .

(٤) الطبرى س ٣ ص ١٣٧٨ .

(٥) ميرالت : التوقيت البيزنطى . سان بطرسبرج ، ١٨٥٥ ص ٤٣١/٤٣٣ .

(٦) الطبرى س ٣ ص ١٨٥٨ — ١٨٥٩ .

وقد مات ميشيل ليلة ٢٣ سبتمبر ٨٦٧ .

ولكننا إذا ألقينا نظرة شاملة على ما اقتبسنا من الطبرى لاحظنا أنه فى أغلب الأحيان يعين سنى الحكم لكل إمبراطور تعيينا دقيقا . وأنه لايخطىء إلا فى تاريخ ولاية هؤلاء الأباطرة وموتهم .

فالطبرى يقول أن ملك نقفور الأول جنكوس (الأصيل) سبع سنين . وهو ما نجده كذلك عند جورج همرتولس[1] وهو يقول بحق أن استيراق (ستاوروس) حكم شهرين ويقول أن رنجابى حكم سنتين . وهو نفس ما نجده عند جورج همرتولس[2] .

ويقول الطبرى أن ليون الأرمنى ملك سبع سنين وستة أشهر . وهو سبع سنين وخمسة أشهر عند المصادر الرومية[3] . وينسب الطبرى لميشيل الثانى تسع سنين وهى مدة تقارب المدة المذكورة فى المصادر الرومية[4] . ويقول الطبرى كما تقول المصادر البيزنطية أن ملك تيوفيل اثنتى عشرة سنة[5] . أما قول الطبرى عن مدة ملك ميشيل الثالث فتختلف اختلافاً كثيراً عن المدة المذكورة فى المصادر اليونانية . وقول الطبرى أن تيودورا حكمت ست سنين وأن ميشيل حكم وحده أربعا وعشرين سنة . وأقوال المصادر البيزنطية مخالفة هذا كل المخالفة[6] . ولكن أخطاء الطبرى هذا سهلة الإصلاح عن طريق المصادر الأخرى .

---

(١) جورج همرتولس . ط . ميرالت . ص ٦٧٢ . ليون النحوى ص ٢٠١ : وفيه ثمان سنوات وتسعة أشهر .

(٢) جورج همرتولس . ص ٦٧٩ : ليون النحوى ص ٢٠٦ .

(٣) جورج همرتولس ص ٦٧٩ : ليون النحوى ص ٢٠٧ : سيميون ماجستروس ص ٦٠٣ . صلة تيوفان ص ٤٠ .

(٤) جورج همرتولس ص ٦٩٤ : ليون النحوى ص ٢١١ : سيميون ماجستروس ص ٦٢٠ : ثمان سنوات وتسعة أشهر . صلة تيوفان ص ٨٣ : تسع سنين وثمانية أشهر .

(٥) جورج همرتولس ص ٦٩٩ : ليون النحوى ص ٢١٣ : سيميون ماجستروس ص ٦٢٤ . صلة تيوفان ص ١٣٩ : ١٢ سنة ، ٣ أشهر .

(٦) حياة القديسة الأمبراطورة تيودورا . ط . و . ريجل (Analecta byzantino russica) بطرسبرج ١٨٩١ ص ١٤/١٥ وقد ذكر فيها أن حكم ميشيل وأمه معا كان ١٤ عاما أو أن حكم ميشيل وحده كان ١٤ عاما . جورج همرتولس ص٧١٧ : ليون النحوى ص٢٨٨ : ١٥عاما مع تيودورا وعشرة =

ولنرجع إلى السياق : القسم الثانى من روايات الطبرى الخاصة بعلاقات الروم بعرب المشرق فى آسيا الصغرى . قسم ذو أهمية أساسية بالنسبة لعصرنا الذى نبحثه فهو يقتبس لنا روايات مختلفة ويمدنا عن هذا الطريق بعدد من الأرقام التوفيقية الهامة ومن التحديدات الجغرافية . ويكمل هذا المصادر الرومية على أحسن وجه لأنها فيما يخص مسائل الشرق لا تمتاز بالدقة والضبط . ولكن جدة روايات الطبرى جدة نسبية لأن كتابه طبع بعد كتاب ابن الأثير وهو ينسخ الطبرى عادة أو يلخصه فى الأجزاء الخاصة بتاريخ المشرق . وسنعود إلى ذلك بعد بشىء من التفصيل . ولكن الطبرى هو النص الأساسى وهو لذلك أعظم قدرا . ومع ذلك فإننا إذا اقتصرنا على الأباطرة الثلاث الذين ندرسهم وهم ميشيل الثانى وتيوفيل وميشيل الثالث وجدنا أن روايات الطبرى ليست جميعا موثوقاً بها .

أما فى أيام ميشيل الثانى فقد كان مركز الحوادث فى المغرب. فقد كان فيه احتلال كريت. وكان فيه كذلك ابتداء فتح صقلية . ونحن نعلم أن الطبرى يجهل عرب المغرب ولهذا لا نجد فيه شيئا عن صقلية ولا نجد فيه إلا سردا موجزا لفتح كريت على يد عرب قادمين من الأندلس بعد مرورهم بمصر (س٣ ص١٠٩٢) . وليس فى الطبرى كلمة عن ثورة توماس . أما حكم الإمبراطور تيوفيل (٨٢٩ — ٨٤٢) . وهو حكم تميز بالتصادم العنيف الكثير مع العرب فإن الطبرى يذكر فيه ست غزوات، وقعت أربع منها أيام المأمون (٨١٣ — ٨٣٣) والاثنتان الأخيرتان ، وهما الأهم، أيام خلافة المعتصم (٨٣٣—٨٤٢) وتاريخ أول نزاع ذكره الطبرى عام ٨٣٠ : فأخذ العرب هذه السنة حصن ماجدة وقرة وسندس وسناق (س٣ ص ١١٠٢ — ١١٠٣) والغزوة الثانية غزوة ٨٣١ أخذ فيها المأمون انطيقو وهرقلة ومطمورة (هكذا) وثلاثة حصون أخرى (س ٣ ص ١١٠٤) . والغزوة الثالثة غزوة ٨٣٢ أخذ العرب فيها حصن لؤلؤة (س٣ ص ١١٠٩ - ١١١١) . وهنا ينقل الطبرى نص

= أعوام وحده وعاما وأربعة أشهر مع بازيل . وفى تاريخ سيميون ماجستروس ص ٦٤٧ : ١٤ عاما مع تيودورا ، ١٢ عاما وحده وعاما وأربعة أشهر مع بازيل . صلة تيوفان ص ٢١٠ : ١٤ عاما مع تيودورا ، ١١ عاما وحده وعاما وثلاثة أشهر مع بازيل : وعلى هذا فان الرقم الذى ذكره الطبرى يقارب مجموع سنى حكم ميشيل وتيودورا معا وحكم ميشيل وحده .

خطاب طويل من تيوفيل إلى الخليفة ورد الخليفة عليه . والغزوة الرابعة غزوة ٨٢٣ وهى الغزوة التى أمر فيها العبـــاس بن المأمون ببناء مدينة الطوانة (س٣ ص ١١١١ — ١١١٢) .

ويذكر الطبرى فى أيام المعتصم حربين كبيرين : فى أولاها أخذ تيوفيل فى ٨٣٧ زبطرة وملطية وسميساط وغيرها (س ٣ ص ١٢٣٤ — ١٢٣٦) والثانية حصار عمورية المشهور وأخذها على يد المعتصم عام ٨٤٨ (س٣ ص ١٢٣٦ — ١٢٥٦) . والوصف المطول لهذه الحملة وصف ذو أهمية خاصة ليس يوجد أتم منه ولا أضبط فيما وصلنا من المصادر حتى ميشيل السورى نفسه .

أما عن حكم ميشيل الثالث (٨٤٢ — ٨٦٧) فإن تاريخ الطبرى يذكر عددا كبيرا من حروب الروم والعرب فى المشرق . وهذا الذكر يقتصر غالباً على التنبيه الموجز عن الغزوة مع ذكر السنة . ثم أن الطبرى لا يذكر بعد موت تيوفيل يعنى منذ ٨٤٢ إلى عام ٨٥١ أى عملية حربية قام بها الروم والعرب . ولكننا نجده فى عام ٢٣١ (٧ سبتمبر ٨٤٥ — ٢٧ أغسطس ٨٤٦) يفصل القول فى الفداء الذى كان هذه السنة (س٣ ص ١٢٣٩ ، ١٣٥١ — ١٣٥٦) . وهنا نجد الطبرى يروى عن ستة رواة واحداً بعد واحد ومنهم أحمد بن سعيد بن سلمة بن قتيبة الباهلى . ومحمد بن عبد الله الطرسوسى الذى كان أسيرا فى يد الروم ومنهم اثنان آخران أحدهما محمد بن كريم . وهو يسرد هذه الروايات على عادة دون أن يصل بينها ودون أن يتحاشى التكرار .

ومن رواته واحد فى الإمكان تعريفه وهو احمد بن حارث واسمه الكامل أبو جعفر احمد بن الحارث بن المبارك الخراز . والخراز تاجر الحرير . وقد كان أحد موالى الخليفة المأمون وكان شاعراً عالما بتاريخ بغـــداد توفى فى ٨٧٠ أو ٨٧٢ (٢٥٦ أو ٢٥٨ هـ) ولا نعرف كتبه إلا بعناوينها[١] .

أما بعد ٨٥١ إلى موت المتوكل فى ٨٥١ فإن الطبرى يذكر كل عام تقريباً غزواً فى أرض الروم :

(١) عام ٢٣٧ (٧ يولية ٨٥١ — ٢٢ يونيه ٨٥٢) صائفة (س٣ ص ١٤١٤)

---

(١) وستنفلد : مؤرخو العرب رقم ٦٤ ص ٢٢ .

(٢) عام ٢٣٨ (٢٣ يونية ٨٥٢ — ١١ يونية ٨٥٣)

ا — سرد مفصل عن حصار الروم دمياط وأخذهم إياها (س٣ ص١٤١٧ — ١٤١٨).

ب — صائفة (س٣ ص ١٤١٩)

(٣) عام ٢٣٩ (١٢ يونية ٨٥٣ — أول يونية ٨٥٤) صائفة (س٣ ص ١٤٢٠)

(٤) عام ٢٤١ (٢٢ مايو ٨٥٥ — ٩ مايو ٨٥٦) غارة الروم على عين زربة وسرد مفصل عن الفداء (س٣ ص ١٤٢٦ — ١٤٢٨)..

(٥) عام ٢٤٢ (١٠ مايو ٨٥٦ — ٩ ابريل ٨٥٧) غارة الروم على سميساط وآمد وتفريق (س٣ ص ١٤٣٤) .

(٦) عام ٢٤٤ (١٢ أبريل ٨٥٨ — ٧ أبريل ٨٥٩) صائفة بغا .

(٧) عام ٢٤٥ (٨ أبريل ٨٥٩ — ٢٧ مارس ٨٦٠) غارة الروم على سميساط وأمر لؤلؤة (س٣ ص ١٤٤٧ — ١٤٤٨).

(٨) عام ٢٤٦ (٢٦ مارس ٨٦٠ — ١٦ مارس ٨٦١) .

ا — أربع غزوات عربية فى أرض الروم (س٣ ص١٤٤٩) .

ب — سرد هام جدا عن فداء الأسرى وإيفاد نصر بن الأزهر إلى قسطنطينية (س٣ص ١٤٤٩ /١٤٥١ [١]) .

أما عن خلافة المنتصر القصيرة (٨٦١ – ٨٦٢) فإن الطبرى يذكر صائفة وصيف عام ٢٤٨ (٧ مارس ٨٦٢ — ٢٣ فبراير ٨٦٣) ثم يذكرها مرة ثانية حين يعرض بشىء من التفصيل ما دعى الخليفة لإبعاد وصيف عن بلاطه (س٣ص ١٤٨٠/١٤٨٥، ١٥٠٨)

أما عن المستعين (٨٦٢ — ٨٦٦) فإن الطبرى يذكر الغزوات الآتية :

١ — عام ٢٤٩ (٢٤ فبراير ٨٦٣ — ١٢ فبراير ٨٦٤) صائفة جعفر بن دنيا وانتصار الروم على عمر فى مرج الأسقف (س ٣ ص ١٥٠٩ — ١٥١٠)

٢ — عام ٢٥٠ (١٣ فبراير ٨٦٤ — أول فبراير ٨٦٥) صائفة بلكاجور (س٣ ص ١٥٣٤)

---

(١) ترجم هذا السرد البارون روزن فى كتابه : الأمبراطور بازيل قاتل البلغار . سان بطرسبرج ١٨٨٣ ص ١٤٥ — ١٤٨ .

٣ — عام ٢٥١ (٢ فبراير ٨٦٥ — ٢١ يناير ٨٦٦) : غزوة بلكاجور (س ٣ ص ١٥٣٤)

أما عن خلافة المعتز (٨٦٦ — ٨٦٩) فإن العام الذى يهم هذا البحث هو عام ٢٥٣ ﻫ (١١ يناير ٨٦٧ — ٣١ ديسمبر ٨٦٧) وذلك أنه فى سبتمبر ٨٦٧ قتل بازيل المقدونى الأمبراطور ميشيل الثالث .

وفى عام ٢٥٣ كان كذلك خروج أهل ملطية وعليهم محمد ابن المعتز واصابتهم (س ٣ ص ١٦٩٣)

ونرى من هذا الملخص الموجز أى قدر نجد من التواريخ المضبوطة ومن الأسماء الجغرافية وغير ذلك من التفاصيل .

وقد كان لهذا الكتاب فى العالم الاسلامى منزلة خاصة . فلم يكد يمر على تأليفه خمسون عاما حتى أخذه الوزير أبو على محمد بن عبدالله البلعمى حول عام ٩٦٣ (٣٥٢ﻫ) وترجمه إلى اللغة الفارسية بأمر حاكم خراسان السامانى : أبو صالح منصور بن نوح .

وفى عام ١٨٣٦ نشر العالم الفرنسى دوبكس الجزء الأول من ترجمة كتاب الطبرى الفارســـية ولكنه لم يتجاوز فى النشر منتصف التاريخ المقدس ووقف عند تاريخ النبى [1] .

فواصل هذا العمل وبلغ به نهايتـه مستشرق فرنسى هو زوتنبرج . عمل على اخراجه بين ١٨٦٧ — ١٨٧٤ فأخرج ترجمة فرنسية فائقة [2] . أما أصل البلعمى الفارسى فليس إلا تلخيصاً للكتاب العربى . والبلعمى يحذف عادة الروايات المختلفة المتعلقة بحادث واحد ولا يبقى منها إلا واحدة .

وسرعان ما انتشرت الترجمة الفارسـية فى الممالك الشرقية المختلفة . ثم ترجمت الترجمة بعد ذلك مرة أخرى إلى التركية وإلى العربية أيضاً وإن كان ذلك عجيباً [3] .

---

(١) لويس دوبكس : تاريخ أبى جعفر محمد الطبرى . ترجمته من الفارسية عن أبى على محمد البلعمى . ج ١ باريس ١٨٣٦ .

(٢) هومان زوتنبرج : تاريخ الطبرى . ترجمته من الفارسية عن أبى على محمد البلعمى ، ٤ مجلدات . باريس ونوجان — لى — روترو ، ١٨٦٧ — ١٨٧٤ . أما القسم الذى كان ترجمه دوبكس . قبل ذلك بثلاثين عاما فينتهى عند السطر الثالث من صفحة ٣٠٥ من المجلد الأول من ترجمة زوتنبرج .

(٣) زوتنبرج : تاريخ الطبرى ج ١ باريس ، ١٨٦٧ ص ١ — ٢ من المقدمة .

أما اليوم وقد وجد نص الطبرى كاملا ونشر، فإن تلخيص البلعمى أصبح عديم الأهمية.

ولا يذكر البلعمى شيئاً عن حروب العرب والروم. فالنص الفارسى مثلا لا يذكر شيئا عن غزوات المأمون مع أننا نجدها مذكورة ذكرا لا بأس به عند الطبرى. والبلعمى لا يذكر الروم إلا حين يعرض لموت المأمون فيلاحظ أن الخليفة كان خرج إلى طرسوس لغزو أرض الروم [١]

أما عن عصر المعتصم فإن البلعمى يذكر علاقة بابك بالامبراطور تيوفيل وغزوة تيوفيل المظفرة على زبطرة [٢] . ولكن العجيب بعد ذلك أن البلعمى يحذف كل شيء عن حملة عمورية . ولا يكاد يذكر شيئا عمن جاء بعد المعتصم من الخلفاء ولا يذكر كذلك من عاصروهم من أباطرة الروم .

أما الترجمة التركية عن الأصل الفارسى فقد طبعت بالقسطنطينية عام ١٨٤٤ (١٢٦٠هـ) .

* * *

اقتباسات من الطبرى

ميشيل الثانى

فتح العرب كريت

٢١٠ هـ (٢٤ ابريل ٨٢٥ — ١٢ أبريل ٨٢٦)

(س ٣ ص ١٠٩٢)

فلما دخل عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر أرسل إلى من كان بها من الأندلسيين وإلى من كان انضوى إليهم يؤذنهم بالحرب أن هم لم يدخلوا فى الطاعة . فأخبرونى أنهم أجابوه إلى الطاعة وسألوه الأمان على أن يرتحلوا من الأسكندرية إلى بعض

---

(١) زوتنبرج : الكتاب المذكور ج ٤ ص ٥٢٢ .

(٢) زوتنبرج : الكتاب المذكور ج ٤ ص ٥٣١ — ٥٣٢ .

أطراف الروم التى ليست من بلاد الإسلام. فأعطاهم الأمان على ذلك ؛ وأنهم رحلوا عنها فنزلوا جزيرة من جزائر البحر يقال لها اقريطش . فاستوطنوها وأقاموا بها . وفيها بقايا أولادهم إلى اليوم .

غزوة ٨٣٠

٢١٥ هـ (٢٨ فبراير ٨٣٠ — ١٧ فبراير ٨٣١)

(س ٣ ص ١١٠٢)

وفى هذه السنة شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم . وذلك يوم السبت فيما قيل لثلاث بقين من المحرم . وقيل كان ارتحاله من الشماسية[1] إلى البردان يوم الخميس بعد صلاة الظهر لست بقين من المحرم سنة ٢١٥ . واستخلف حين رحل عن مدينة السلام عليها اسحق بن ابراهيم بن مصعب . وولى مع ذلك السواد وحلوان وكور دجله . فلما صار المأمون بتكريت[2] قدم عليه محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رحمه الله من المدينة فى صفر ليلة الجمعة من هذه السنة . ولقيه بها فأجازه وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل . وكان زوجها منه فأدخلت عليه فى دار أحمد بن يوسف التى على شاطىء دجله . فأقام بها فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها .

(ص ١١٠٣)

ثم سلك المأمون طريق الموصل حتى صار إلى منبج ثم إلى دابق ثم إلى أنطاكية ثم إلى المصيصة ثم خرج منها إلى طرسوس . ثم دخل من طرسوس إلى بلاد الروم للنصف من جمادى الأولى . ورحل العباس بن المأمون من ملطية . فأقام المأمون على حصن يقال له قرة حتى فتحه عنوة وأمر بهدمه وذلك يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الأولى . وكان قد افتتح قبل ذلك حصنا يقال ما جده ، فمن على أهلها وقيل إن المأمون لما أناخ على قرة لخارب أهلها ، طلبوا الأمان فآمنهم المأمون فوجه أشناس

---

(١) حى من أحياء بغداد .

(٢) مدينة فى الجزيرة على سبعة فراسخ من بغداد . ياقوت : معجم البلدان . ط . وستنفلد ج ١ ص ٧٥٢

إلى حصن سندس فأتاه برئيسه ووجه عجيفاً وجعفراً الخياط إلى صاحب حصن سنان فسمع وأطاع .

وفى هذه السنة انصرف أبو اسحق بن الرشيد من مصر فلقى المأمون قبل دخوله الموصل ولقيه منويل وعباس ابنه برأس العين .

وفيها شخص المأمون بعد خروجه من أرض الروم إلى دمشق .

غزوة ٨٣١

٢١٦ هـ (١٨ فبراير ٨٣١ — ٦ فبراير ٨٣٢)

ص ١١٠٤

من [أحداث هذه السنة] كر المأمون إلى أرض الروم .

اختلف فى ذلك فقيل كان السبب فيه ورود الخبر على المأمون بقتل ملك الروم قوماً من أهل طرسوس والمصيصة وذلك فيما ذكر ألف وستمائة . فلما بلغه ذلك شخص حتى دخل أرض الروم يوم الاثنين لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة . فلم يزل مقيما فيها إلى النصف من شعبان وقيل أن سبب ذلك أن تيوفيل بن ميخائيل كتب إليه فبدأ بنفسه فلما ورد الكتاب عليه لم يقرأه وخرج إلى أرض الروم فوافاه رسل تيوفيل بن ميخائيل بأذنة . ووجه بخمسمائة رجل من أسارى المسلمين إليه . فلما دخل المأمون أرض الروم ونزل على انطيغوا فخرج أهلها على صلح . وصار إلى هرقلة فخرج أهلها إليه على صلح . ووجه أخاه أبا اسحاق فافتتح ثلاثين حصنا ومطمورة . ووجه يحيى بن أكثم من طوانة . فأغار وقتل وحرق وأصاب سبيا ورجع إلى العسكر ثم خرج المأمون إلى كيسوم فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم ارتحل إلى دمشق .

غزوة ٨٣٢

٢١٧ هـ (٧ فبراير ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣)

(ص ١١٠٩ — ١١١١)

وفى هذه السنة دخل المأمون أرض الروم ، فأناخ على لؤلؤة مائة يوم . ثم رحل

عنها وخلف عليها عجيفا فاختدعه أهلها وأسروه فمكث أسيرا فى أيديهم ثمانية أيام ثم أخرجوه وصار تيوفيل إلى لؤلؤة فأحاط بعجيف فصرف المأمون الجنود إليه فارتحل تيوفيل قبل موافاتهم وخرج أهل لؤلؤة إلى عجيف بأمان .

وفيها كتب تيوفيل صاحب الروم إلى المأمون يسأله الصلح وبدأ بنفسه فى كتابه وقدم بالكتاب الفصل[1] وزير تيوفيل يطلب الصلح وعرض الفدية . وكانت نسخة كتاب تيوفيل إلى المأمون . « أما بعد فان اجتماع المختلفين على خطهما أولى بهما فى الرأى مما عاد بالضرر عليهما ولست حريا أن تدع لحظ يصل إلى غيرك خطأ تحوزه إلى نفسك وفى علمك كاف عن أخبارك . وقد كنت كتبت إليك داعيا إلى المسالمة راغبا فى فضيلة المهادنة لتضع أوزار الحرب عنا ونكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا مع اتصال المرافق والفسح فى المتاجر وفك المستأسر وأمن الطرق والبيضه . فإن أبيت فلا أدب لك فى الخمر ، ولا أزخرف لك فى القول . فإنى لخائض إليك غمارها آخذ عليك أسدادها ، شأن خيلها ورجلها ، وأن أفعل فبعد أن قدمت المعذرة ، وأقمت بينى وبينك علم الحجة والسلام » .

فكتب اليه المأمون : أما بعد فقد بلغنى كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت إليه من الموادعة وخلطت فيه من اللين والشدة ، مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الأسارى ورفع القتل والقتال . فلولا ما رجعت إليه من إعمال التؤدة والأخذ بالحظ فى تقليب الفكرة وألا اعتقد الرأى فى مستقبله إلا فى استصلاح ما أوثره فى معتقبه لجعلت جواب كتابك خيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيره ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون فى ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم . ثم أوصل إليهم من الأمداد وأبلغ لهم كافيا من العدة والعتاد ، هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة من مخوف معرتهم عليكم . موعدهم إحدى الحسنيين عاجل غلبه أو كريم منقلب . غير أنى رأيت أن أتقدم إليك بالموعظة التى يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك إلى الوحدانية والشريعة الحنيفية .

---

(١) الـ ف ص ل وزير تيوفيل . ويخطر لى أن يكون ذلك تحريف للفظ سنكيل Syncelle ولعل الأصل كان الفصل بالقاف لا بالفاء . والفرق نقطة . والفصل محرفة من الصقل من سنكيل Syncelle (تعليق الأستاذ كنار) .

فإن أبيت ففديه نوجب ذمه وتثبت نظره . وإن تركت ذلك فني يقين المعاينة لنعوتنا ما يغني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة . والسلام على من اتبع الهدى .

وفيها صار المأمون إلى سلغوس

غزوة ٨٣٣

٢١٨ ﻫ (٢٧ يناير ٨٣٣ — ١٥ يناير ٨٣٤)

(ص ١١١١ — ١١١٢)

وفيها وجه المأمون ابنه العباس إلى أرض الروم وأمره بنزول الطوانه وبنائها ، وكان قد وجه الفعلة والفروض [١] . فابتدأ البناء وبناها ميلا في ميل وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب . وبنى على كل باب حصنا . وكان توجيهه ابنه العباس في ذلك في أول يوم من جمادى . وكتب إلى أخيه ابي اسحق بن الرشيد أنه قد فرض على جند دمشق وحمص والأردن وفلسطين أربعة آلاف وأنه يجرى على الفارس مائة درهم وعلى الراجل أربعين درهما وفرض على مصر فرضاً وكتب إلى العباس بمن فرض على قنسرين والجزيرة ، وإلى اسحق بن ابراهيم بمن فرض على بغداد ، وهم الفا رجل . وخرج بعضهم حتى وافى طوانة ونزلها مع العباس .

ص ١١٣٤

وفي هذه السنة توفى المأمون .

ذكر الخبر عن سبب المرض الذى كانت فيه وفاته .

ذكر عن سعيد العلاف القارىء قال أرسل إلى المأمون وهو ببلاد الروم . وكان دخلها من طرسوس يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة (٩ يولية) . فحملت إليه وهو في البدندون .

ويتبع ذلك ذكر الظروف التى مات فيها الخليفة بعد ترطيب أرجله في ماء نهر البدندون ثم مرضه من أكله بلح ثقيلة [١] ثم توصية خليفته المعتصم عن السياسة

---

(١) الفروض هم الجند الذين يأخذون أجراً من الدولة وضدهم المتطوعة .

(٢) حسب رواية مختلفة أوردها المسعودى .

الدينية . ويذكر الطبرى بعد ذلك اشهاداً كتبه المأمون على نفسه وأشهد عليه الحاضرين (١١٣٤ — ١١٤٠)

(ص ١١٦٤)

وفيها أمر المعتصم بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه بطوانة . وحمل كل ما بها من السلاح والآله وغير ذلك مما قدر على حمله . وأحرق مالم يقدر على حمله . وأمر بصرف من كان المأمون أسكن ذلك من الناس إلى بلادهم

(ص ١١٦٥)

وفيها دخل فيما ذكر جماعة كثيرة من أهل الجبال من همذان واصبهام وماسبذان ومهرجانقذق فى دين الخرمية . وتجمعوا فعسكروا فى عمل همذان . فوجه المعتصم إليهم عساكر . فكان آخر عسكر وجه مع اسحق بن ابراهيم بن مصعب . وعقد له على الجبال فى شوال من هذه السنة (٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ٨٣٣) فشخص إليهم فى ذى القعدة (١٨ نوفمبر - ١٧ ديسمبر) . وقرىء كتابه بالفتح يوم الترويه [١] . وقتل فى عمل همذان ستين ألفا وهرب باقيهم إلى بلاد الروم .

عن قبيلة الزط

٢٢٠ هـ (٥ يناير ٨٣٥ — ٢٥ ديسمبر ٨٣٥) [٢]

(ص ١١٦٨ - ١١٦٩)

ثم نقلوا (أى الزط) إلى الثغر إلى عين زربة فأغارت عليهم الروم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم أحد .

غارة تيوفيل على زبطرة

٢٢٣ هـ (٣ ديسمبر ٨٣٧ - ٢٢ نوفمبر ٨٣٨)

(ص ١٢٣٤ - ١٢٣٦)

---

(١) الترويه هو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة وهو اليوم الذى يستقى فيه الحجيج ويسقى جماله . أنظر هوج : قاموس الاسلام . لندن ١٨٨٥ ص ٦٢٨ . لين : قاموس عربى انجليزى ص ١١٩٥ .

(٢) ثارت فى هذه السنة قبيلة الزط وهى قبيلة خاضعة للعرب ولهذا نقلت . أنظر قبل فى القسم الأول (ص ١٢٥ وما بعدها من الأصل الفرنسى) تجد مزيدا من التفاصيل عن الزط .

وفى هذه السنة أوقع تيوفيل بن ميخائيل صاحب الروم بأهل زبطرة فأسرهم وخرب بلدهم . ومضى من فوره إلى ملطية . فأغار على أهلها وعلى أهل حصون من حصون المسلمين إلى غير ذلك . وسبا من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة ومثّل بمن صار فى يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع آذانهم وآنافهم .

ذكر الخبر عن سبب فعل صاحب الروم بالمسلمين ما فعل من ذلك .

ذكر أن السبب فى ذلك كان ما لحق بابك من تضيّق الأفشين عليه وإشرافه على الهلاك وقهر الأفشين إياه . فلما أشرف على الهلاك ، وأيقن بالضعف من نفسه عن حربه ، كتب إلى ملك الروم تيوفيل بن ميخائيل بن جورجس يعلمه أن ملك العرب قد وجه عساكره ومقاتلته إليه حتى وجه خياطه يعنى جعفر بن دينار وطباخه يعنى إيتاخ . ولم يبق على بابه أحد . فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس فى وجهك أحد يمنعك طمعاً منه ، بكتابه ذلك إليه فى أن ملك الروم إن تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه ، بصرف المعتصم بعض من بإزائه من جيوشه إلى ملك الروم ، واشتغاله به عنه . فذكر أن تيوفيل خرج فى مائة ألف وقيل أكثر ، فيهم من الجند نيف وسبعون ألفاً وبقيتهم أتباع حتى صار إلى زبطرة ومعه من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب جماعة رئيسهم برسيس[1] . وكان ملك الروم قد فرض لهم وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم فى أهم أموره إليه . فلما دخل ملك الروم زبطرة وقتل الرجال الذين فيها وسبى الذرارى والنساء التى فيها وأحرقها بلغ النفير فيما ذكر إلى سامرا . وخرج أهل ثغور الشام والجزيرة وأهل الجزيرة إلا من لم يكن عنده دابة ولا سلاح . واستعظم المعتصم ذلك . فذكر أنه لما انتهى إليه الخبر بذلك صاح فى قصره النفير ثم ركب دابته ، وسمّط خلفه شكالا وسكة حديد وحقيبه . فلم يستقم له أن يخرج إلا بعد التعبية . فجلس فيما ذكر فى دار العامة وقد أحضر من أهل مدينة السلام قاضيها عبد الرحمن ابن اسحق وشعيب بن سهل ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرين رجلا من أهل العدالة فأشهدهم على ما وقف من الضياع . فجعل ثلثا لولده ، وثلثا لله وثلثا لمواليه . ثم

---

(١) برسيس ولعل صحتها نرسيس (= نصر ؟) .

عسكر بغربى دجلة . وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى (أول أبريل ٨٣٣) ووجه عجيف بن عنبسه وعمراً الفرغانى ومحمد كوته وجماعة من القواد إلى زبطرة إعانة لأهلها فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد ما فعل ما قد ذكرناه . فوقفوا قليلا حتى تراجع الناس إلى قراهم واطمأنوا . فلما ظفر المعتصم ببابك ، قال أى بلاد الروم أمنع وأحصن؟ فقيل عمورية ، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإســـلام ، وهى عين النصرانية وبنكها وهى أشرف عندهم من القسطنطينية .

غزوة عمورية

٢٢٣ هـ (٣ ديسمبر ٨٣٧ — ٢٢ نوفمبر ٨٣٨)

(ص ١٢٣٦ — ١٢٥٦)

وفى هـذه السنة شخص المعتصم غازيا إلى بلاد الروم وكان شخوصه إليهـا من سامرا فى سنة ٢٢٤ . وقيل فى سنة ٢٢٣ بعد قتله بابك . فذكر أنه تجهز جهازاً لم يتجهز مثله قبله خليفة قط من السلاح والعدد والآله وحياض الأدم والبغال والروايا والقرب وآلة الحديد والنفط . وجعل على مقدمته أشناس ، ويتلوه محمد بن ابراهيم ، وعلى ميمنته ايتاخ ، وعلى ميسرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، وعلى القلب عجيف بن عنبسه . ولما دخل بلاد الروم أقام على نهر اللامس ، وهو على سلوقية قريبا من البحر ، بينه وبين طرسوس مسيرة يوم ، وعليه يكون الفداء إذا فودى بين المسلمين والروم . وأمضى المعتصم الأفشين حيدر بن كاوس إلى سروج وأمره بالبروز منها والدخول من درب الحوت وسمى له يوما أمره أن يكون دخوله فيه وقد لعسكره وعسكر أشناس يوما جعله بينه وبين اليوم الذى يدخل فيـه الأفشين بقدر ما بين المسافتين إلى الموضع الذى رأى أن يجتمع العساكر فيه وهو أنقرة ، ودبر النزول على أنقرة ، فإذا فتحهـا الله عليه ، صار إلى عمورية إذ لم يكن شىء مما يقصد له من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين ولا أحرى أن تجعل غايته التى يأمها وأمر المعتصم أشناس أن يدخل من درب طرسوس . وأمره بانتظاره بالصفصاف

فكان شخوص أشناس يوم الأربعاء لثمان بقين من رجب (١٩ يونية ٨٣٨) فلما صار أشناس بمرج الأسقف، ورد عليه كتاب المعتصم من المطاميز يعلمه أن الملك بين يديه، وأنه يريد أن يجوز العساكر اللامس، فيقف على المخاضة، فيكسبهم. ويأمره بالمقام بمرج الأسقف. وكان جعفر بن دينار على ساقة المعتصم، وأعلم المعتصم أشناس فى كتابه أن ينتظر موافاة الساقة لأن فيها الأثقال والمجانيق والزاد وغير ذلك. وكان ذلك بعد فى مضيق الدرب لم يخلص. ويأمره بالمقام إلى أن يخلص صاحب الساقة من مضيق الدرب بمن معه، ويُصحر حتى يصير فى بلاد الروم. فأقام أشناس بمرج الأسقف ثلاثة أيام حتى ورد كتاب المعتصم يأمره أن يوجه قائداً من قواده فى سرية يلتمسون رجلا من الروم يسألونه عن خبر الملك ومن معه. فوجه اشناس عمراً الفرغانى فى مائتى فارس. فساروا ليلتهم حتى أتوا حصن قرة، فخرجوا يلتمسون رجلا من حول الحصن، فلم يمكن ذلك. ونذر بهم صاحب قرة فخرج فى جميع فرسانه الذين كانوا معه بالقرة. وكمن فى الجبل الذى فيما بين قرة ودرة، وهو جبل كبير يحيط برستاق يسمى رستاق قرة وعلم عمرو الفرغانى أن صاحب قرة قد نذر بهم فتقدم إلى درة فكمن بها ليلته. فلما انفجر عمود الصبح صير عسكره ثلاثة كراديس وأمرهم أن يركضوا ركضا سريعا بقدر ما يأتونه بأسير عنده خبر الملك، ووعدهم أن يوافوه به فى بعض المواضع التى عرفها الأدلاء. ووجه مع كل كردوس دليلين. وخرجوا مع الصبح فتفرقوا فى ثلاثة وجوه فأخذوا عدة من الروم بعضهم من أهل عسكر الملك، وبعضهم من الضواحى، وأخذ عمرو رجلا من الروم من فرسان أهل القرة. فسأله عن الخبر، فأخبره أن الملك وعسكره بالقرب منه وراء اللامس بأربعة فراسخ وأن صاحب قرة نذر بهم فى ليلتهم هذه وأنه ركب فكمن فى هذا الجبل فوق رؤوسهم. فلم يزل عمرو [1] فى الموضع الذى كان وعد فيه أصحابه. وأمر الأدلاء الذين معه أن يتفرقوا فى رءوس الجبال وأن يشرفوا على الكراديس الذين وجههم إشفاقا أن يخالفهم صاحب قره إلى أحد

(١) ويبدو أن القلق وقع فى مكان عبر الذى كان متوقعا، فأنى أميل إلى تصحيح يسير فى نص الطبرى فاقرأ لم ينزل بدل لم يزل (تعليق من الأستاذ كنار).

الكراديس . فرآهم الأدلاء ولوحوا لهم . فأقبلوا فتوافوا هم وعمرو فى موضع غير الموضع الذى كانوا اتعدوا له . ثم نزلوا قليلا ثم ارتحلوا يريدون العسكر وقد أخذوا عدة ممن كان فى عسكر الملك فصاروا إلى اشناس فى اللامس فسألهم عن الخبر ، فأخبروه أن الملك مقيم منذ أكثر من ثلاثين يوماً ينتظر عبور المعتصم ومقدمته باللامس ، فيواقفهم من وراء اللامس ، وإنه جاءه الخبر قريباً أنه قد رحل من ناحية الأرمنياق عسكر ضخم وتوسط البلاد يعنى عسكر الأفشين ، وأنه قد صار خلفه . فأمر الملك رجلا من أهل بيته ، ابن خاله ، فاستخلفه على عسكره . وخرج ملك الروم فى طائفة من عسكره يريد ناحية الأفشين ، فوجه اشناس بذلك الرجل الذى أخبره بهذا الخبر إلى المعتصم ، فأخبره بالخبر . فوجه المعتصم من عسكره قوماً من الأدلاء وضمن لهم لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم على أن يوافوا بكتابه الأفشين . وأعلمه فيه أن امير المؤمنين مقيم ، فليقم إشفاقاً (ص ١٢٤٠) من أن يواقعه ملك الروم . وكتب إلى أشناس كتاباً يأمره أن يوجه من قبله رسولا من الأدلاء الذين يعرفون الجبال والطرق والمشبهة بالروم . وضمن لكل رجل منهم عشرة آلاف درهم إن هو أوصل الكتاب ويكتب إليه أن ملك الروم قد أقبل نحوه ، فليقم مكانه حتى يوافيه كتاب أمير المؤمنين . فتوجهت الرسل إلى ناحية الأفشين فلم يلحقه أحد منهم وذلك أنه كان وغل فى بلاد الروم ، وتوافت آلات المعتصم وأثقاله مع صاحب الساقة إلى العسكر فكتب إلى أشناس يأمره بالتقدم فتقدم أشناس والمعتصم من ورائه بينهم مرحلة ينزل هذا ويرحل هذا . ولم يرد عليهم من الأفشين خبر حتى صاروا من أنقره على مسيرة ثلاث مراحل ، وضاق عسكر المعتصم ضيقا شديدا من الماء والعلف . وكان أشناس قد أسر عدة أسرى فى طريقه ، فأمر بهم فضربت أعناقهم حتى بقى منهم شيخ كبير . فقال الشيخ : ماتنتفع بقتلى وأنت فى هذا الضيق ، وعسكرك أيضا فى ضيق من الماء والزاد . وهاهنا قوم قد هربوا من أنقره بالقرب منا ههنا ، معهم من الميرة والطعام والشعير شىء كثير . فوجه معى قوما لأدفعهم إليهم ، وخل سبيلى . فنادى أشناس : من كان به نشاط فليركب . فركب معه قريب من خمسمائة (١٢٤١) فارس فخرج أشناس حتى صار من العسكر

على ميل وبرز معه من نشط من الناس . ثم برز فضرب دابته بالسوط فركض قريباً من ميلين ركضاً شديداً ثم وقف ينظر إلى أصحابه خلفه ، فمن لم يلحق بالكردوسى لضعف دابته رده إلى المعسكر . ودفع الرجل الأسير إلى مالك بن كيدر وقال له : متى ماأراك هذا سبيا وغنيمة كثيرة . خل سبيله على ماضمنا له ، فسار بهم الشيخ إلى وقت العتمة ، فأوردهم على واد وحشيش كثير . فأمرج الناس دوابهم فى الحشيش حتى شبعت ، وتعشى الناس وشربوا حتى رووا ثم سار بهم حتى أخرجهم من الغيضة . وسار أشناس من موضعه الذى كان به متوجها إلى أنقرة . وأمر مالك بن كيدر والأدلاء الذين معه أن يوافوه بأنقرة . فسار بهم الشيخ العلج بقية ليلتهم يدور بهم فى جبل ليس يخرجهم منه . فقال الأدلاء لمالك بن كيدر : هذا الرجل يدور بنا فسأله مالك عما ذكر الأدلاء . فقال صدقوا . القوم الذين تريدهم خارج الجبل وأخاف أن أخرج من الجبل بالليل فيسمعوا صوت حوافر الخيل على الصخر فيهربوا . فإذا خرجنا من الجبل ولم تر أحداً قتلتنى ، ولكن أدور بك فى هذا الجبل إلى الصبح ، فإذا أصبحنا خرجنا إليهم فأريتك إياهم حتى آمن أن تقتلنى . فقال له مالك ويحك . فأنزلنا فى هذا (١٣٤٢) الجبل حتى نستريح . فقال رأيك . فنزل مالك ونزل الناس على الصخر ، وأمسكوا لجم دوابهم حتى انفجر الصبح . فلما طلع الفجر قال وجهوا رجلين يصعدان هذا الجبل فينظران مافوقه فيأخذان من أدركا فيه . فصعد أربعة من الرجال . فأصابوا رجلا وامرأة فأنزلوهما فسألهما العلج أين بات أهل أنقرة فسموا لهم الموضع الذى باتوا فيه فقال لمالك خل عن هذين فإنا قد أعطيناهما الأمان حتى دلونا . فخلى مالك عنهما . ثم سار بهم العلج إلى الموضع الذى سماه لهم . فأشرف بهم على العسكر ، عسكر أهل أنقرة وهم فى طرف ملاحة . فلما رأوا العسكر صاحوا بالنساء والصبيان فدخلوا الملاحة ، ووقفوا لهم على طرف الملاحة يقاتلون بالقنا . ولم يكن موضع حجارة ولا موضع خيل . وأخذوا منهم عدة أسرى وأصابوا فى الأسرى عدة ، بهم جراحات عتق من جراحات متقدمة فسألوهم عن تلك الجراحات . فقالوا كنا فى وقعة الملك مع الأفشين . فقالوا لهم حدثونا بالقصة . فأخبروهم أن الملك كان معسكراً على أربعة فراسخ من اللامس ، حتى جاءه رسول

إن عسكراً ضخماً قد دخل من ناحية الأرمنياق . فاستخلف على عسكره رجلا من أهل بيته وأمره بالمقام فى موضعه . فإن ورد عليه مقدمة ملك العرب واقعه إلى أن يذهب هو فيواقع العسكر الذى دخل الأرمنياق . يعنى عسكر الأفشين . فقال أسيرهم نعم . وكنت ممن سار مع الملك فواقعناهم (٦٢٤٣) صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالتهم كلهم، وتقطعت عساكرنا فى طلبهم . فلما كان الظهر رجع فرسانهم فقاتلونا قتالا شديداً حتى خرقوا عسكرنا واختلطوا بنا واختلطنا بهم ، فلم ندر فى أى كردوس الملك . فلم نزل كذلك إلى وقت العصر[1] ثم رجعنا إلى موضع عسكر الملك الذى كنا فيه ، فلم نصادفه . فرجعنا إلى معسكر الملك الذى خلفه على اللامس فوجدنا العسكر قد انتقض وانصرف الناس عن الرجل قرابة الملك الذى كان الملك استخلفه على العسكر . فأقمنا على ذلك ليلتنا . فلما كان الغد وافانا الملك فى جماعة يسيرة . فوجد عسكره قد اختل . وأخذ الذى استخلفه على العسكر فضرب عنقه . وكتب إلى المدن والحصون ألا يأخذوا ممن انصرف من عسكر الملك إلا ضربوه بالسياط ويرجع إلى موضع سماه لهم الملك انحاز إليه ليجتمع إليه الناس ويعسكر به ليناهض ملك العرب ووجه خادماً له خصياً إلى أنقرة على أن يقيم بها ويحفظ أهلها إن نزل بها ملك العرب . قال الأسير فجاء الخصى إلى أنقرة وجئنا معه . فإذا أنقرة قد عطلها أهلها وهربوا منها فكتب الخصى إلى ملك الروم يعلمه ذلك . فكتب إليه الملك يأمره بالمسير إلى عمورية . قال وسألته عن الموضع الذى قصد إليه أهلها يعنى أهل أنقرة . فقالوا لى إنهم بالملاحة فلحقنا بهم . قال مالك بن كيدر فدعوا الناس كلهم خذوا ما أخذتم ودعوا الباقى فترك الناس السبى والمقاتلة وانصرفوا راجعين يريدون عسكر أشناس . وساقوا فى طريقهم غنماً كثيراً وبقراً (١٢٤٤) وأطلق ذلك الشيخ الأسير مالك . وسار إلى عسكر أشناس يوما بالأسرى حتى لحق بأنقرة . فمكث أشناس يوما واحداً ثم لحقه المعتصم من غد فأخبره بالذى أخبره به الأسير فسر المعتصم بذلك . فلما كان اليوم الثالث جاءت البشرى من ناحية الأفشين يخبرون بالسلامة ، وأنه وارد على أمير المؤمنين بأنقرة قال ثم ورد على المعتصم الأفشين بعد ذلك اليوم بيوم بأنقره

(١) العصر صلاة بعد الظهر قرب المساء

فأقاموا بها أياما ثم صير العسكر ثلاثة عساكر ، عسكرا فيه أشناس فى الميسرة ، والمعتصم فى القلب والأفشين فى الميمنة ، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان . وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة وأن يحرقوا القرى ويخربوها ويأخذوا من لحقوا فيها من السبي ، وإذا كان وقت النزول توافى كل أهل عسكر إلى صاحبهم ورئيسهم يفعلون ذلك فيما بين أنقرة إلى عمورية . وبينهما سبع مراحل حتى توافت العساكر بعمورية . قال فلما توافت العساكر بعمورية ، كان أول من وردها اشناس . وردها يوم الخميس ضحوة ، فدار حولها دورة ثم جاء الأفشين فى اليوم الثالث . فقسمها أمير المؤمنين بين القواد كما تدور ، صير إلى كل واحد منهم أبراجا منها على قدر كثرة أصحابه وقلتهم وصار لكل قائد منهم مابين البرجين إلى (١٢٤٥) عشرين برجا وتحصن أهل عمورية وتحرزوا وكان رجل من المسلمين قد أسره أهل عمورية فتنصر . وتزوج منهم لحبس نفسه عند دخولهم الحصن . فلما رأى أمير المؤمنين ظهر ، صار إلى المسلمين وجاء إلى المعتصم وأعلمه أن موضعا من المدينة حمل الوادى عليه من مطر جاءهم شديد لحمل الماء عليه فوقع السور من ذلك الموضع . فكتب ملك الروم إلى عامل عمورية أن يبنى ذلك الموضع فتوانى فى بنائه حتى كان خروج الملك من القسطنطينية إلى بعض المواضع فتخوف الوالى أن يمر الملك على تلك الناحية فيمر بالسور لئلا يراه بنى ، فوجه خلف الصناع فبنى السور بالحجارة حجرا حجرا وصير وراءه من جانب المدينة حشوا . ثم عقد فوقه الشرف كما كان . فوقف ذلك الرجل المعتصم على هذه الناحية التى وصف . فأمر المعتصم فضرب مضربه فى ذلك الموضع ونصب المجانيق على ذلك البناء فانفرج السور من ذلك الموضع . فلما رأى أهل عمورية انفراج السور علقوا عليه الخشب الكبار ، كل واحدة بلزق الأخرى . فكان حجر المنجنيق إذا وقع على الخشب تكسر ، فعلقوا خشبا غيره . وصيروا فوق الخشب البرادع ليترسوا السور فلما ألحت المجانيق على ذلك (١٢٤٦) الموضع انصدع السور فكتب ياطس والخصى إلى ملك الروم كتابا يعلمانه أمر السور . ووجه الكتاب مع رجل فصيح بالعربية وغلام رومى وأخرجاهما من الفصيل فعبرا الخندق ووقعا إلى ناحية أبناء الملوك المضمومين إلى عمرو الفرغانى .

فلما خرجا من الخندق أنكروهما فسألوهما من أين أنتما قالا لهم نحن من أصحابكم قالوا من أصحاب من أنتم فلم يعرفا أحداً من قواد العسكر يسميانه لهم فأنكروهما وجاءوا بهما لعمرو الفرغانى بن اريخا فوجه بهما عمرو إلى اشناس فوجههما اشناس إلى المعتصم فسألهما وفتشهما فوجد معهما كتابا من ياطس إلى ملك الروم يعلمه فيه أن العسكر قد أحاط بالمدينة فى جمع كثير وقد ضاق بهم الموضع وقد كان دخوله ذلك الموضع خطأ وأنه قد اعتزم على أن يركب ويحمل خاصة أصحابه على الدواب التى فى الحصن ويفتح الأبواب ليلا غفلة ويخرج فيحمل على العسكر كائناً فيه ما كان، وأفلت فيه من أفلت وأصيب فيه من أصيب، حتى يتخلص من الحصار ويصير إلى الملك. فلما قرأ المعتصم الكتاب أمر للرجل الذى يتكلم منهما بالعربية والغلام الرومى الذى معه ببدرة فأسلما وخلع عليهما وأمر بهما حين طلعت الشمس فأداروهما حول عمورية فقالا ياطس يكون فى هذا البرج فأمر بهما فوقفا بحذاء البرج الذى فيه ياطس طويلا وبين أيديهما رجلان يحملان لهما الدراهم وعليهما الخلع ومعهما الكتاب حتى فهمهما ياطس وجميع الروم وشتموهما من فوق السور ثم أمر بهما المعتصم فنحوهما وأمر المعتصم أن تكون الحراسة بينهم نوائب فى كل ليلة يحضرها الفرسان يبيتون على دوابهم بالسلاح وهم وقوف عليها لئلا يفتح الباب ليلا فيخرج من عمورية إنسان. فلم يزل الناس يبيتون لذلك نوائب على ظهور الدواب فى السلاح ودوابهم بسروجها حتى انهدم السور ما بين برجين من الموضع الذى وصف للمعتصم أنه لم يحكم عمله. وسمع أهل العسكر الوجبة فتشرفوا وظنوا أن العدو قد خرج على بعض الكراديس حتى أرسل المعتصم من طاف على الناس فى العسكر يعلمهم أن ذلك صوت السور وقد سقط فطيبوا نفساً وكان المعتصم حين نزل عمورية ونظر إلى سعة خندقها وطول سورها وكان قد استاق فى طريقه غنما كثيراً فدبر فى ذلك أن يتخذ مجانيق كبارا على قدر ارتفاع السور يسع كل منجنيق منها أربعة رجال وعملها أوثق مايكون واحكمه وجعلها على كراسى تحتها عجل ودبر فى ذلك أن يدفع الغنم إلى أهل العسكر، إلى كل رجل شاة فيأكل لحمها ويحشو جلدها تراباً ثم يؤتى بالجلود مملوءة تراباً حتى تطرح فى الخندق ففعل ذلك بالخندق وعمل دبابات كبارا تسع كل دبابة عشرة رجال وأحكمها على أن يدحرجوها على الجلود المملوءة تراباً حتى يمتلىء الخندق ففعل ذلك

وطرحت الجلود فلم تقع الجلود مستوية منضدة خوفا من حجارة الروم فوقعت مختلفة ولم يمكن تسويتها فأمر أن يطرح فوقها التراب حتى استوت . ثم قدمت دبابة فدحرجها فلما صارت من الخندق فى نصفه تعلقت بتلك الجلود وبقى القوم فيها فما تخلصوا منها إلا بعد جهد ثم مكثت تلك العجلة مقيمة هناك لم يمكن فيها حيلة حتى فتحت عمورية وبطلت الدبابات والمنجنيقات والسلاليم وغير ذلك حتى أحرقت فلما كان من الغد قاتلهم على الثلمة وكان أول من بدأ بالحرب أشناس وأصحابه وكان الموضع ضيقا فلم يمكنهم الحرب فيه فأمر المعتصم بالمنجنيقات الكبار التى كانت متفرقة حول السور فجمع بعضها إلى بعض وصيرها حول الثلمة وأمر أن يرمى ذلك الموضع . وكانت الحرب فى اليوم الثانى على الأفشين وأصحابه فأجادوا الحرب وتقدموا وكان المعتصم واقفاً على دابته بإزاء الثلمة وأشناس وأفشين وخواص القواد معه وكان باقى القواد الذين دون الخاصة وقوفاً رجالة فقال المعتصم ما كان أحسن الحرب اليوم فقال عمرو الفرغانى الحرب اليوم أجود منها أمس وسمعها أشناس فأمسك فلما انتصف النهار وانصرف المعتصم إلى مضربه فتغدى وانصرف القواد إلى مضاربهم يتغدون وقرب أشناس من باب مضربه ترجل له القواد كما كانوا يفعلون وفيهم عمرو الفرغانى وأحمد بن الخليل بن هشام مشوا بين يديه كعادتهم عند مضربه فقال لهم أشناس يا أولاد الزنا أيش تمشون بين يدى . كان ينبغى أن تقاتلوا أمس حيث تقفون بين يدى أمير المؤمنين. فتقولون أن الحرب اليوم أحسن منها كأن أمس يقاتل غيركم . انصرفوا إلى مضاربكم فلما انصرف عمرو الفرغانى وأحمد بن الخليل بن هشام قال أحدهما للآخر ماترى هذا العبد ابن الفاعلة ، يعنى أشناس ماصنع بنا اليوم . أليس الدخول إلى بلاد الروم أهون من هذا الذى سمعناه اليوم فقال عمرو الفرغانى لأحمد بن خليل وكان عند عمرو خبر . يا أبا العباس سيكفيك الله أمره عن قريب . أبشر فأوهم أحمد أن عنده خبرا فألح عليه أحمد يسأله فأخبره بما هم فيه وقال أن العباس بن المأمون قد تم أمره وسنبايع له ظاهراً ونقتل المعتصم وأشناس وغيرهما عن قريب ثم قال له أشير عليك أن تأتى العباس فتقدم فتكون فى عداد من مال إليه فقال له أحمد هذا أمر لا أحبه يتم فقال له عمرو قد تم وفرغ وأرشده إلى الحارث السمرقندى

قرابة سلمة بن عبيد الله بن الوضاح وكان المتولى لإيصال الرجال إلى العباس وأخذ البيعة عليهم فقال له عمرو أنا أجمع بينك وبين الحارث حتى تصير فى عداد أصحابنا فقال له أحمد أنا معكم إن كان هذا الأمر يتم فيما بيننا وبين عشرة أيام وإن جاوز ذلك فليس بينى وبينكم عمل فذهب الحارث فلقى العباس فأخبره أن عمراً قد ذكره لأحمد بن الخليل فقال له ما كنت أحب أن يطلع الخليلى على شىء من أمرنا أمسكوا عنه ولا تشركوه فى شىء من أمركم . دعوة بينهما . فأمسكوا عنه فلما كان فى اليوم الثالث كانت الحرب على أصحاب أمير المؤمنين خاصة ومعهم المغاربة والأتراك والقيم بذلك إيتاخ فقاتلوا فأحسنوا واتسع لهم الموضع المنثلم فلم تزل الحرب كذلك حتى كثرت فى الروم الجراحات وكان قواد ملك الروم عند ماتزل بهم عسكر المعتصم فاقتسموا البروج لكل قائد وأصحابه عدة أبرجة وكان الموكل بالموضع الذى انثلم من السور رجلا من قواد الروم يقال له وندوا وتفسيره بالعربية ثور فقاتل الرجل وأصحابه قتالا شديداً بالليل والنهار والحرب عليه وعلى أصحابه لم يمدة ياطس ولا غيره بأحد من الروم فلما كان الليل مشى القائد الموكل بالثلمة إلى الروم فقال إن الحرب على وعلى أصحابى ولم يبق معى أحد إلا قد جرح فصيروا أصحابكم على الثلمة يرمون قليلا وإلا افتضحتم وذهبت المدينة فأبوا أن يمدوه بأحد فقالوا سلم السور من ناحيتنا (١) وليس نسألك أن تمدنا فشأنك وناحيتك فليس لك عندنا مدد . فاعتزم هو وأصحابه على أن يخرجوا إلى أمير المؤمنين المعتصم ويسألوه الأمان من الذرية ويسلموا إليه الحصن بما فيه من الخرثى والمتاع والسلاح وغير ذلك . فلما أصبح وكل أصحابه بجنبى الثلمة وخرج فقال إنى أريد أمير المؤمنين وأمر أصحابه ألا يحاربوا حتى يعود إليهم فخرج حتى وصل إلى المعتصم فصار بين يديه والناس يتقدمون إلى الثلمة وقد أمسك الروم عن الحرب حتى وصلوا إلى السور والروم يقولون بأيديهم لاتجيئوا وهم يتقدمون وونذوا بين يدى المعتصم فدعا المعتصم بفرس فحمله عليه وقابل

---

(١) أما نص كتاب العيون المقابل لهذه العبارة فهو : لكل منا ما يكفيه من حفظ المكان الذى عين له . ولهذا يجوز أن نقرأ سلم بتشديد اللام والبناء للمجهول بدل سلم بمعنى بقى سليما أو بدل قوله تلم . والصعوبة فى قبول سلم عدم وجود اليه . ولكن عبارة الطبرى كما هى غير مقنعة على أى حال (تعدى من الأستاذ كنار) .

حتى صار الناس معهم على حرف الثلمة وعبد الوهاب بن علي بين يدى المعتصم فأومأ
إلى الناس بيده أن ادخلوا مدخل الناس المدينة فالتفت وندوا وضرب بيده إلى لحيته
فقال له المعتصم . مالك . قال جئت أريد أن أسمع كلامك وتسمع كلامى فغدرت بى
فقال المعتصم كل شىء تريد أن تقوله فهو لك علي . قال ماشئت . فإنى لست أخالفك
قال إيش لاتخالفنى وقد دخلوا المدينة فقال المعتصم أضرب بيدك إلى ماشئت فهو
لك وقل ماشئت فإنى أعطيكه فوقف فى مضرب المعتصم . وكان ياطس فى برجه الذى
هو فيه . وحوله جماعة من الروم مجتمعين . وصارت طائفة منهم إلى كنيسة كبيرة
فى زاوية عمورية . فقاتلوا قتالا شديداً فأحرق الناس الكنيسة عليهم فاحترقوا عن
آخرهم وبقى ياطس فى برجه حوله أصحابه وباقى الروم وقد أخذتهم السيوف فبين
مقتول ومجروح فركب المعتصم عند ذلك حتى جاء فوقف حذاء ياطس وكان مما يلى
عسكر أشناس فصاحوا ياياطس هذا أمير المؤمنين فصاح الروم من فوق البرج ليس
ياطس ها هنا قالوا بلى . قولوا له إن أمير المؤمنين واقف فقالوا ليس ياطس ها هنا
فمر أمير المؤمنين مغضباً فلما جاوز صاح الروم هذا ياطس هذا ياطس! فرجع المعتصم
إلى حيال البرج حتى وقف ثم أمر بتلك السلاليم التى هيئت فحمل سلم منها فوضع على
البرج الذى هو فيه وصعد عليه الحسن الرومى غلام لأبى سعيد محمد بن يوسف وكلمه
ياطس فقال هذا أمير المؤمنين فانزل على حكمه فنزل الحسن فأخبر المعتصم أنه قد رآه
وكلمه فقال المعتصم قل له فلينزل فصعد الحسن ثانية فخرج ياطس من البرج متقلداً
سيفاً حتى وقف على البرج والمعتصم ينظر إليه فخلع سيفه من عنقه فدفعه إلى الحسن
ثم نزل ياطس فوقف بين يدى المعتصم فقنعه سوطاً وانصرف المعتصم إلى مضربه
وقالوا هاتوه فمشى قليلا ثم جاء رسول المعتصم أن احملوه فحملوه فذهب به إلى
مضرب أمير المؤمنين ثم أقبل الناس بالأسرى والسبى من كل وجه حتى امتلأ العسكر
فأمر المعتصم بسيل الترجمان أن يميز الأسرى فيعزل منهم أهل الشرف والقدر من
الروم فى ناحية ويعزل الباقين فى ناحية ففعل ذلك بسيل ثم أمر المعتصم فوكل
المقاسم قواده ووكل أشناس بما يخرج من ناحيته وأمره أن ينادى عليه ووكل الأفشين
عما يخرج من ناحيته وأمره أن ينادى ويبيع . وأمر ايتاخ بناحيته مثل ذلك وجعفر

الخياط بمثل ذلك فى ناحيته . ووكل مع كل قائد من هؤلاء رجلا من قبل أحمد بن ابى داؤود يحصى عليه . فبيعت المقاسم فى خمسة أيام . بيع منها ما استباع وأمر الباقى فضرب بالنار . وارتحل المعتصم منصرفاً إلى أرض طرسوس .

ولما كان يوم إيتاخ قبل أن يرتحل المعتصم منصرفا وثب الناس على المغنم الذى كان إيتاخ على بيعه وهو اليوم الذى كان عجيف وعد الناس فيه أن يثب بالمعتصم فركب المعتصم بنفسه ركضاً وسل سيفه فتنحى الناس عنه من بين يديه وكفوا عن انتهاب المغنم فرجع إلى مضربه فلما كان من الغد أمر ألا ينادى على السبي إلا ثلاثة اصوات ليتروج البيع فمن زاد بعد ثلاثة أصوات وإلا بيع العلق . فكان يفعل ذلك فى اليوم الخامس فكان ينادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة والمتاع الكثير جملة واحدة . قال وكان ملك الروم قد وجه رسولا فى أول ما نزل المعتصم على عمورية فأمر به المعتصم فأنزل على موضع الماء الذى كان الناس يستقون منه وكان بينه وبين عمورية ثلاثة أميال ولم يأذن له فى المصير إليه حتى فتح عمورية فلما فتحها أذن له فى الانصراف إلى ملك الروم فانصرف وانصرف المعتصم يريد الثغور وذلك أنه بلغه أن ملك الروم يريد الخروج فى أثره أو يريد التعبث بالعسكر . فمضى فى طريق الجادة مرحلة ثم رجع إلى عمورية وأمر الناس بالرجوع ثم عدل عن طريق الجادة إلى طريق وادى الجور ففرق الأسرى على القواد ودفع إلى كل قائد من القواد طائفة منهم يحفظهم ففرقهم القواد على أصحابهم فساروا فى طريق نحواً من أربعين ميلا ليس فيه ماء فكان كل من امتنع من الأسرى أن يمشى معهم لشدة العطش الذى أصابهم ضربوا عنقه فدخل الناس فى البرية فى طريق وادى الجور فأصابهم العطش فتساقط الناس والدواب وقتل بعض الأسرى بعض الجند وهرب وكان المعتصم قد تقدم العسكر فاستقبل الناس ومعه الماء قد حمله من الموضع الذى نزله . وهلك الناس فى هذا الوادى من العطش وقال الناس للمعتصم إن هؤلاء الأسرى قد قتلوا بعض جندنا فأمر عند ذلك بسيل الروى بتمييز من له القدر منهم فعزلوا ناحية ثم أمر بالباقين فأصعدوا إلى الجبال وأنزلوا إلى الأودية فضربت أعناقهم جميعاً وهم مقدار ستة آلاف رجل قتلوا فى موضعين بوادى الجور وموضع آخر . ورحل المعتصم

من ذلك الموضع يريد الثغر حتى دخل طرسوس وكان قد نصبه له الحياض من الأدم حول العسكر من الماء إلى العسكر بعمورية والحياض مملوءة والناس يشربون منها لا يتعبون فى طلب الماء . وكانت الوقعة التى وقعت بين الأفشين وملك الروم فيما ذكر يوم الخميس لخمس بقين من شعبان (٢٢ يولية) وكانت إناخة المعتصم على عمورية يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان (أول أغسطس) وقفل بعد خمسة وخمسين يوماً وقال الحسين . الضحاك الباهلى يمدح الأفشين ويذكر وقعته التى كانت بينه وبين ملك الروم

اثبت المعصوم عزاً لأبى	حسن أثبت من ركن أضم
كل مجـــد دون ما أثله	لبنى كاوس أملاك العجم
إنما الأفشين سيف سله	قدر الله بكف المعتصم
لم يدع بالبند من ساكنه	غير أمثال كأمثال إرم
ثم أهدى سلماً بابكه	رهن خجلين نجياً للندم
وقرا توفيل طعناً صادقاً	فرض جمعيه جميعاً وهزم
وقتل الأكثر منهم ونجا	من نجا لحماً على ظهر وضم

(ص ١٣٠٢).

وفيها (سنة ٢٢٤ — ٢٣ نوفمبر ٨٣٨ — ١١ نوفمبر ٨٣٩) مات ياطس الرومى وصلب بسامرا إلى جانب بابك .

ميشيل الثالث

٨٤٢ — ٨٦٧

خلافة الواثق

فداء عام ٨٤٦

(س ٣ ص ١٣٣٩)

عام ٢٣١ هـ (٧ سبتمبر ٨٤٥ — ٢٧ أغسطس ٨٤٦)

فمن ذلك (من حوادث هذه السنة) ما كان من أمر الفداء الذى جرى على يد خاقان الخادم بين المسلمين والروم فى المحرم (٧ سبتمبر — ٦ أكتوبر ٨٤٥) منها فبلغت عدة المسلمين فيما قيل أربعة آلاف وثلاثمائه واثنين وستين انسانا .

(ص ١٣٥١ — ١٣٥٧)

وفى هـذه السنة تم الفداء بين المسلمين وصاحب الروم واجتمع فيها المسلمون والروم على نهر يقال لها اللامس على سلوقية على مسيرة يوم من طرسوس .

ذكر الخبر عن سبب هذا الفداء وكيف كان .

ذكر عن احمد بن أبى قحطبة صاحب خاقان الخادم وكان الخادم الرشيد وكان قد نشأ بالثغر : إن خاقان هذا قدم على الواثق وقدم معه نفر من وجوه أهل طرسوس وغيرها يشكون صاحب مظالم[1] كان عليهم يكنى أبا وهب فأحضر فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم فى دار العامة عند انصراف الناس يوم الإثنين والخميس فيمكثون إلى وقت الظهر وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون . فعزل عنهم وأمر الواثق بامتحان أهل الثغور فى القرآن . فقالوا بخلقه جميعاً إلا أربعة نفر فأمر الواثق بضربه أعناقهم إن لم يقولوه وأمر لجميع أهل الثغور بجوائز على

(١) جابى ضرائب .

مارأى خاقان . وتعجل أهل الثغور إلى ثغورهم وتأخر خاقان بعدهم قليلا فقدم على الواثق رسل صاحب الروم وهو ميخائيل بن تيوفيل بن ليون بن جرجس يسأله أن يفادى بمن فى يده من أسارى المسلمين فوجه الواثق خاقان فى ذلك فخرج خاقان ومن معه فى فداء أسارى المسلمين فى آخر سنة ٢٣٠ (١٨ سبتمبر ٨٤٤ — ٦ سبتمبر ٨٤٥) على موعد بين خاقان ورسل صاحب الروم : الإلتقاء للفداء فى يوم عاشوراء وذلك العاشر من المحرم سنة ٢٣١ (١٦ سبتمبر ٨٤٥) ثم عقد الواثق لأحمد بن سعيد ابن سلم بن قتيبه الباهلى على الثغور والعواصم وأمره بحضور الفداء فخرج على سبعة عشر من البرد وكان الرسل الذين قدموا فى طلب الفداء قد جرى بينهم وبين ابن الزيات اختلاف فى الفداء قالوا إلا نأخذ فى الفداء امرأة عجوزاً ولا شيخا كبيرا ولا صبيا فلم يزل ذلك بينهم أياما حتى رضوا عن كل نفس بنفس . فوجه الواثق إلى بغداد والرقة فاشترى من يباع من الرقيق من مماليك . فاشترى من قدر عليه منهم فلم تتم العدة . . فأخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز وغيرهن حتى تمت العدة ووجه بمن مع ابن أبى داوود رجلين يقال لأحدهما يحى بن آدم الكرخى [1] ويكنى أبارمله وجعفر بن الحداء ووجه معهما كاتبا من كتاب العرب يقال له طالب ابن داود وأمره بامتحانهم هو وجعفر فمن قال إن القرآن مخلوق فودى به ومن أبى ذلك ترك فى أيدى الروم . وأمر الطالب بخمسة آلاف درهم وأمر أن يعطوا جميع من قال إن القرآن مخلوق بمن فودى به ديناراً لكل إنسان من مال حمل معهم فمضى القوم فذكر عن أحمد بن الحارث أنه قال سألت ابن أبى قحطبة صاحب خاقان الخادم وكان السفير الموجه بين المسلمين والروم ، وجه ليعرف عدة المسلمين فى بلاد الروم فأتى ملك الروم وعرف عدتهم قبل الفداء . فذكر أنه بلغت عدتهم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة . فأمر الواثق بفدائهم وعجل أحمد بن سعيد على البريد ليكون الفداء على يديه . ووجه من يمتحن الأسراء من المسلمين . فمن قال منهم أن القرآن مخلوق وأن الله عز وجل لا يرى فى الآخرة فودى به ومن لم يقل ذلك ترك فى أيدى الروم

---

(١) نسبه الى حى الكرخ .

ولم يكن فداء منذ أيام محمد بن زبيده فى سنة أربعة أو خمسة وتسعين ومائة .

قال فلما كان يوم عاشوراء لعشر خلون من المحرم سنة ٢٣١ . اجتمع المسلمون ومن معهم من العلوج[1] وقائدان من قواد الروم يقال لأحدهما القاس[2] وللآخر طلسيوس (؟) [3] والمسلمون والمطوعة فى أربعة آلاف بين فارس وراجل فاجتمعوا بموضع يقال له اللامس . فذكر عن محمد ابن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلى أن كتاب أبيه أتاه أن من نودى به من المسلمين ومن كان معهم من أهل ذمتهم أربعة آلاف وستمائة إنسان منهم صبيان ونساء ستمائة . ومنهم من أهل الذمة أقل من خمسمائة والباقون رجال من جميع الآفاق . وذكر أبو قحطبة وكان رسول خاقان الخادم إلى ملك الروم لينظر كم عدد الأسرى ويعلم صحة ما عزم عليه ميخائيل ملك الروم أن عدد المسلمين قبل الفداء كان ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة وصبى ممن كان بالقسطنطينية وغيرها إلا أن من أحضره الروم ومحمد بن عبد الله الطرسوسى وكان عندهم فأوفده أحمد بن سعيد بن سلم وخاقان مع نفر من وجوه الأسرى على الواثق فحملهم الواثق على فرس وأعطى لكل رجل منهم ألف درهم وذكر محمد هذا أنه كان أسيرا فى أيدى الروم ثلاثين سنة وأنه كان أسر فى غزاة رامية كان فى العلافة فأسر وكان فيمن فودى به فى هذا الفداء . وقال فودى بنا فى يوم عاشوراء على نهر يقال له اللامس على سلوقية قريبا من البحر وأن عدتهم كانت أربعة آلاف وأربعمائة وستين نفسا النساء وأزواجهن وصبيانهن ثمانمائة وأهل ذمة المسلمين مائة أو أكثر فوقع الفداء كل نفس عن نفس صغيرا أو كبيرا فاستفرغ خاقان جميع من كان فى بلد الروم من المسلمين من علم موضعه قال فلما جمعوا للفداء وقف المسلمون من جانب النهر الشرقى والروم من الجانب الغربى وهو مخاضة فكان هؤلاء يرسلون من

---

(١) يدل اللفظ على ضخامة الجسم وغلظ الطبع والتوحش . ولكن راجع دوزى : ذيل القواميس العربية ج ٢ ص ١٥٩ : فى آخر العصور الوسطى كان هذا الاسم يطلق على كل من غير دينه من مسلم : تنصر أو نصرانى أسلم . وراجع دى خويه : قاموس ذيل الطبرى لغريبه . ليدن ١٨٩٧ : وهو لفظ يطلق خاصة على اشراف الروم ؟ أنظر س عريب ص ٦٤ . وانظر الطبرى س ٣ ص ٢٢٨٥ . سطر ٢

(٢) ويرسم اللفظ نعاس .

(٣) « « لسنوس .

ههنا رجلا وهؤلاء من ههنا رجلا فيلتقيان فى وسط النهر فإذا صار المسلم إلى المسلمين كبر وكبروا وإذا صار الرومى إلى الروم تكلم بكلامهم وتكلموا شبيهاً بالتكبير. وذكر عن السندى مولى حسين الخادم أنه قال عقد المسلمون جسرا على النهر وعقد الروم جسرا فكنا نرسل الرومى على جسرنا ويرسلون (الروم) المسلم على جسرهم فيصير هذا إلينا وذاك إليهم. وأنكر أن يكون مخاضة وذكر عن محمد بن كريم أنه قال لما صرنا فى أيدى المسلمين امتحننا جعفر ويحى فقلنا وأعطينا دينارين دينارين. قال وكان البطرقان اللذان قدما بالأسرى لا بأس بهما فى معاشرتهما قال وخاف الروم عدد المسلمين لقلتهم وكثرة المسلمين فأمنهم خاقان من ذلك وضرب بينهم وبين المسلمين أربعين يوما لا يغيرون حتى يصلوا إلى بلادهم ومأمنهم وكان الفداء فى أربعة أيام ففضل مع خاقان ممن كان أمير المؤمنين أعد لفداء المسلمين عدة كبيرة وأعطى خاقان صاحب الروم ممن كان قد فضـــل فى يده مائة نفس ليكون عليهم الفضل استظهارا مكان من يخشى أن يأسروه من المسلمين إلى انقضاء المدة ورد البـــاقين إلى طرسوس فباعهم قال وكان خرج معنا ممن كان تنصر ببلاد الروم من المسلمين نحو من ثلاثين رجلا فودى بهم، قال محمد بن كريم ولما انقضت المدة بين خاقان والروم الأربعون يوماً غزا أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبه شاتيا فأصابت الناس الثلج والمطر فمات منهم قدر مائتى إنسان وغرق منهم فى البدندون قوم كثير وأسر منهم نحو مائتين فوجد أمير المؤمنين الواثق عليه لذلك وحصل جميع من مات وغرق خمسمائة إنسان. وكان أقبل إلى أحمد بن سعيد وهو فى سبعة آلاف بطريق من عظمائهم لخبز عنه فقال له وجوه الناس إن عسكرا فيه سبعة آلاف لا يتخوف عليه. فإن كنت لا تواجه القوم فتطرق بلادهم. فأخذ نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة وخرج. فعزله الواثق وعقد لنصر بن حمزة الخزاعى يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة (١٨ يناير ٨٤٦).

٢٣٧ ﻫ (٥ يولية ٨٥١ — ٢٢ يونيه ٨٥٢)

ص ١٤١٤:

وغزا الصائفة فى هذه السنة على بن يحى الأرمنى.

هجوم الروم على دمياط

٢٣٨ هـ (= ٢٣ يونية ٨٥٢ — ١١ يونية ٨٥٣)

وفى هذه السنة جاءت للروم ثلثمائة مركب مع عرفا وابن قطونا وأمردنافة وهم كانوا الرؤساء فى البحر (١) مع كل واحد منهم مائتا مركب فأناخ ابن قطونا بدمياط ، وبينها وبين الشط شبيه بالبحيرة يكون فيها الماء إلى صدر الرجل فمن جازها إلى الأرض أمن من مراكب البحر فجازها قوم فسلموا وغرق قوم كثير من نساء وصبيان واحتمل من كانت له قوة فى السفن فنجوا إلى ناحية الفسطاط وبينها وبين الفسطاط مسيرة أربعة أيام وكان والى معونة مصر عنبسة بن اسحاق الضبى . فلما قرب العيد أمر الجند الذين بدمياط أن يحضروا الفسطاط ليتجمل بهم فى العيد . وأخلى دمياط من الجند . فانتهى مراكب الروم من ناحية شطا التى يعمل فيها الشطوى فأناخ بها مائتا مركب من الشلندية يحمل كل مركب مابين الخمسين رجلا إلى المائة فخرجوا إليها وأحرقوا ما وصلوا إليه من دورها وأخصاصها واحتملوا سلاحا كان فيها أرادوا حمله إلى أبى حفص صاحب اقريطش نحو من ألف قناة وآلتها وقتلوا من أمكنهم قتله من الرجال ، وأخذوا من الأمتعة والقند والكتان ما كان عبى ليحمل إلى العراق . وسبوا من المسلمات والقبطيات نحواً من ستمائة امرأة ويقال إن المسلمات منهن مائة وخمس وعشرون امرأة والباقى من نساء القبط ويقال إن الروم الذين كانوا فى الشلنديات التى أناخت بدمياط كانوا نحواً من خمسة آلاف رجل فأوقروا سفنهم من المتاع والأموال والنساء . وأحرقوا خزانة القلوع وهى شرع السفن وأحرقوا مسجد الجامع بدمياط وأحرقوا كنائس وكان من حذر منهم ممن غرق فى بحيرة دمياط من النساء والصبيان أكثر ممن سباه الروم . ثم رحل الروم عنها . وذكر أن ابن الأكشف كان محبوساً فى سجن دمياط حبسه عنبسة فكسر قيده

(١) يرسم الاسم الثالث أمردنافه بالثاء بدل النون وبالفاء بدل القاف ويفترض البعض أن المقصود برداس (جريجوار) أو مرتينا كيوس (بروكس . ص ٢١٤ وخاصة هـ ٣) . أما الاسم الثالث فارجع فيه إلى اليعقوبى : تاريخ ط : هوتسما جـ ٢ ص ٥٩٧ .

وخرج فقاتلهم وأعانه قوم فقتل من الروم جماعة ثم ساروا إلى اشتوم تنيس [١] فلم يحمل الماء سفنهم إليها فخشوا أن توحل فلما لم يحملهم الماء ساروا إلى شنوحها وهي مرسى بينها وبين تنيس أربعة فراسخ وأقل . وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله فخربوا عامته وأحرقوا مافيه من المجانيق والعرادات وأخذوا بابيه الحديد فحملوهما ثم توجهوا إلى بلادهم ، لم يعرض لهم أحد .

الحرب فى آسيا الصغرى

٢٣٨ هـ (= ٢٣ يونية ٨٥٢ — ١١ يونيه ٨٥٣)

ص : ١٤١٩ :

وغزا الصائفة فيها على بن يحى الأرمنى

٢٣٩ هـ (١٢ يونية ٨٥٣ — ١١ يونية ٨٥٤)

ص ١٤٢٠ :

وفيها غزا الصائفة على بن يحى الأرمنى .

٢٤١ هـ (٢٢ مايو ٨٥٥ — ٩ مايو ٨٥٦)

ص ١٤٢٦ :

وفيها أغارت الروم على عين زربة فأسرت من كان بها من الزط [٢] مع نسائهم وذراريهم وجواميسهم وبقرهم . وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم .

ذكر الخبر عن السبب الذى كان من أجله .

ذكر أن تَذُورة صاحبة الروم أم ميخائيل وجهت رجلا يقال له جورجيس ابن فرنافس (= قرياس [٣]) يطلب الفدى لمن فى أيدى الروم من المسلمين وكان المسلمون قد قاربوا عشرين ألفاً فوجه المتوكل رجلا من الشيعة يقال له نصر بن الأزهر ابن فرج ليعرف صحة من فى أيدى الروم من أسارى المسلمين ليأمر بمفاداتهم .

---

(١) أنظر ص ١٢ من الأصل الفرنسى ، عن هذه الأسماء.

(٢) أنظر عن هذه القبيلة الزنجانية ص ٢٢٣ وما بعدها من الأصل الفرنسى .

وذلك فى شعبان من هذه السنة [وعاد نصر [١]] بعد أن أقام عندهم حيناً فذكر أن تذورة أمرت بعد خروج نصر بعرض أسراها وأعراض التنصر عليهم فمن تنصر منهم كان أسوة من تنصر قبل ذلك . ومن أبى عليها قتلته فذكر أنها قتلت من الأسرى اثنى عشر ألفاً . ويقال أن قنقلة [٢] الخصى كان يقتلهم من غير أمرها .

ونفذ كتاب المتوكل إلى عمال الثغور الشامية والجزرية أن شنيفا الخادم قد جرى بينه وبين جورجس رسول عظيم الروم فى أمر الفداء قول . وقد اتفق الأمر بينهما وسأل جورجس هذا هدنة لخمس ليال تخلو من رجب سنة ٢٤١ إلى سبع ليال بقين من شوال من هذه السنة (١٩ نوفمبر ٨٥٥ — ٥ مارس ٨٥٦) ليجمعوا الأسرى ولتكون مدة لهم إلى انصرافهم إلى مأمنهم . فنفذ الكتاب بذلك يوم الأربعاء لخمس خلون من رجب وكان الفداء يقع فى يوم الفطر من هذه السنة (١٢ فبراير ٨٥٩) وخرج جورجس رسول ملكة الروم إلى ناحية الثغور يوم السبت لثمان بقين من رجب على سبعين بغلا اكتريت له وخرج معه أبو قحطبة المغربى الطرطوسى لينظروا وقت الفطر . وكان جورجس قدم معه جماعة من البطاركة وغلمانه بنحو من خمسين إنساناً . وخرج شنيف الخادم للفداء فى النصف من شعبان (٣ ديسمبر ٨٥٥) معه مائة فارس ثلاثون من الأتراك وثلاثون من المغاربة وأربعون من فرسان الشاكرية فسأل جعفر بن عبد الواحد وهو قاضى القضاة أن يؤذن له فى حضور الفداء وأن يستخلف رجلا يقوم مقامه فأذن له وأمر له بمائة وخمسين ألفاً معونة وأرزاق ستين ألفاً فاستخلف ابن أبى الشوارب وهو يومئذ فتى حدث السن وخرج فلحق شنيفا وخرج قوم من أهل بغداد من أوساط الناس فذكر أن الفداء وقع من بلاد الروم على نهر اللامس يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٢٤١ (١٩ فبراير ٨٥٦) فكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانون إنساناً ومن النساء مائة وخمس وعشرين امرأة .

---

(١) مضاف الى الأصل لسد نقص فيه .

(٢) المقصود تيوكتيب . راجع صلة تيوفان س ١٤٨ .

٢٤٢ هـ (١٠ مايو ٨٥٦ — ٢٩ ابريل ٨٥٧)

ص ١٤٣٤ :

وفيها خرجت الروم من ناحيـــة شمشاط بعد خروج على بن يحيى الأرمنى من الصائفة حتى قاربوا امد . ثم خرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا عدة قرى وأسروا نحواً من عشرة آلاف إنسان . وكان دخولهم من ناحية أبريق قريه قربياس . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم فخرج قربياس[1] وعمر بن عبد الله الأقطع وقوم من المتطوعة فى أثرهم فلم يلحقوا منهم أحداً فكتب إلى على بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً .

٢٤٤هـ (= ١٩ أبريل ٨٥٨ — ٧ ابريل ٨٥٩)

ص ١٤٣٦ :

وفيها وجه المتوكل بغا من دمشق لغزو الروم فى شهر ربيع الآخر فغزا الصائفة فافتتح حمله .

٢٤٥ هـ (= ٨ أبريل ٨٥٩ — ٢٧ مارس ٨٦٠)

ص ١٤٣٩ :

وبعث ملك الروم فيها بأسرى من المسلمين وبعث يسأل المفاداة بمن عنده وكان الذى قدم من قبل صاحب الروم رسولا إلى المتوكل شيخاً يدعى أطروبيليس[2] معه سبعة وسبعون رجلا من أسرى المسلمين أهداهم ميخائيل بن توفيل ملك الروم إلى المتوكل . وكان قدومه عليـه لخمس بقين من صفر من هذه السنة (١٣ مايو) . فأنزل على شنيف الخادم ثم وجه المتوكل نصر بن الأزهر الشيعى مع رسول صاحب الروم . فشخص فى هذه السنة . ولم يقع الفداء إلا فى سنة ٤٦ .

ص ١٤٤٧ — ١٤٤٨ :

وفيها أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا نحواً من خمسمائة وغزا على بن يحيى الأرمنى الصائفة . ومنع أهل لؤلؤة رئيسهم من الصعود إليها ثلاثين يوماً . فبعث ملك الروم إليهم بطريقاً يضمن لكل رجل منهم ألف دينار على أن يسلموا إليه لؤلؤة

(١) أنظر ما قلنا قبل ص ٢٣٣ من الأصل الفرنسى ، عن قربياس .

(٢) لعل المقصود هو قسطنطين تريفيليوس Triphylius ، أنظر صلة تيوفان ص ١٢٢ .

فاصعدوه إليهم ثم أعطوا أرزاقهم الفائتة وما أرادوا فسلموا لؤلؤة والبطريق إلى بلكاجور فى ذى الحجة (٢٧ فبراير — ٢٧ مارس ٨٦٠) . وكان البطريق الذى كان صاحب الروم وجهه إليهم يقال له لغثيط [1] . فلما دفعه أهل لؤلؤة إلى بلكاجور ، وقيل أن على بن يحيى الأرمنى حمله إلى المتوكل ، فدفعه المتوكل إلى الفتح بن خاقان ، فعرض عليه الإسلام فأبى . فقالوا نقتلك . فقال انتم أعلم . وكتب ملك الروم يبذل مكانه ألف رجل من المسلمين .

٢٤٦ ﻫ (٢٨ مارس ٨٦٠ — ١٦ مارس ٨٦١)

ص ١٤٤٩ :

فمن ذلك غزو عمر بن عبد الله الأقطع الصائفة . فأخرج سبعة آلاف رأس . وغزوة قربياس فأخرج خمسة آلاف رأس وغزو الفضل بن قارن بحرا فى عشرين مركباً . فافتتح حصن أنطاكية . وغزو بلكاجور فغنم وسبى وغزو على بن يحيى الأرمنى الصائفة : فأخرج خمسة آلاف رأس ومن الدواب والرمك والحمير نحواً من عشرة آلاف .

وفادة نصر بن الأزهر على قسطنطينية [2]

٢٤٦ ﻫ (٢٨ مارس ٨٦٠ — ١٦ مارس ٨٦١)

ص ١٤٤٩ — ١٤٥٠ :

وفيها كان الفداء فى صفر على يد على بن يحيى الأرمنى ففودى بألفين وثلثمائة وسبعة وستين نفساً . وقال بعضهم لم يتم الفداء فى هذه السنة إلا فى جمادى الأولى (٢٤ يولية — ٢٢ أغسطس) وذكر عن نصر بن الأزهر الشيعى وكان رسول المتوكل إلى ملك الروم فى أمر الفداء أنه قال : لما صرت إلى القسطنطينية حضرت دار ميخائيل الملك بسوادى وسيفى وخنجرى وقلنسوتى فجرت بينى وبين خال الملك

---

(١) ويرسم اللفظ أيضا نقيطا وهو ما قد يقابل Niketas .

(٢) قد ترجم هذا النص إلى الروسية فى كتاب البارون روزن : الامبراطور بازيل قاتل البلغار . سان بطرسبرج ، ١٨٨٣ ص ١٤٥ — ١٤٨ .

بطروناس المناظرة وهو القيم بشأن الملك وأبوا أن يدخلونى بسيفى وسوادى فقلت انصرف فانصرفت فرددت من الطريق ومعى الهدايا نحو من ألف نافجة مسك وثياب وحرير وزعفران كثير وطرائف وقد كان أذن لوفود برجان وغيرهم ممن ورد عليه وحملت الهدايا التى معى فدخلت عليه فإذا هو على سرير فوق سرير وإذا البطارقة حوله قيام فسلمت ثم جلست على طرف السرير الكبير وقد هيىء لى مجلس ووضعت الهدايا بين يديه وبين يديه ثلاثة تراجمة غلام فراش كان لمسرور الخادم وغلام لعباس بن سعيد الجوهرى وترجمان له قديم يقال له سرجون[1] فقالوا لى ما نبلغه قلت لا تزيدون على ما أقول لكم شيئاً فأقبلوا يترجمون ما أقول. فقبل الهدايا ولم يأمر لأحد منها بشىء وقربنى وأكرمنى وهيأ لى منزلا بقربه فخرجت فنزلت فى منزلى وأتاه أهل لؤلؤة برغبتهم فى النصرانية وأنهم معه ووجهوا برجلين ممن فيها رهينة من المسلمين. قال فتغافل عنى نحواً من أربعة أشهر حتى أتاه كتاب مخالفة أهل لؤلؤة وأخذهم رسله واستيلاء العرب عليها. فراجعوا مخاطبتى: وانقطع الأمر بينى وبينهم فى الفداء: على أن يعطوا جميع من عندهم وأعطى جميع من عندى وكانوا أكثر من ألف قليلا وكان جميع الأسرى الذين فى أيديهم أكثر من ألفين منهم عشرون امرأة معهن عشرة من الصبيان فأجابونى إلى المحالفة فاستحلفت خاله فحلف عن ميخائيل. فقلت أيها الملك قد حلف لى خالك فهذه اليمين لازمة لك. فقال برأسه نعم ولم أسمعه يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد الروم إلى أن خرجت منها إنما يقول الترجمان وهو يسمع فيقول برأسه نعم أو لا. وليس يتم. وخاله المدبر أمره. ثم خرجت من عنده بالأسرى بأحسن حال حتى إذا جئنا موضع الفداء أطلقنا هؤلاء جملة وهؤلاء جملة. وكان عداد من صار فى أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين منهم عدة ممن كان تنصر وصار فى أيديهم أكثر من ألف قليلا. وكان قوم تنصروا فقال لهم ملك الروم لا أقبل منكم حتى تبلغوا موضع الفداء. فمن أراد أن أقبله فى النصرانية. فليرجع من موضع الفداء. وإلا فليضمن ويمض مع أصحابه. وأكثر من تنصر أهل المغرب. وأكثر من تنصر بالقسطنطينية وكان هنالك صائغان قد تنصرا مكاناً يحسنان إلى الأسرى فلم يبق فى بلاد الروم من المسلمين ممن ظهر عليه الملك إلا سبعة نفر خمسة أتى بهم من صقلية

(١) لعل المقصود Serge : أنظر البارون روزن : نفس المرجع ص ١٤٦ — ١.

اعطيت فداءهم على أن يوجه بهم إلى صقلية ورجلين كانا من رهائن لؤلؤة فتركتهما. قلت اقتلوهما فإنهما رغبا فى النصرانية .

خلافة المنتصر (٨٦١ — ٨٦٢)

ص ١٤٨٠ - ١٤٨١ : ٢٤٨ هـ (= مارس ٨٦٢ — ٢٣ فبراير ٨٦٣)

فمن ذلك : ما كان من إغزاء المنتصر وصيفا التركى صائفة الروم .

« ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان فى ذلك من وصيف »

ذكر أن السبب فى ذلك أنه كان بين احمد بن الخصيب ووصيف شحناء وتباغض. فلما استخلف المنتصر وابن الخصيب وزيره حرض احمد بن الخصيب المنتصر على وصيف ، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازياً إلى الثغر . فلم يزل به حتى أحضره المنتصر فأمره بالغزو . وقد ذكر عن المنتصر أنه لما عزم على أن يغزى وصيفا الثغر الشـــامى ، قال له احمد بن الخصيب ومن يجترىء على الموالى حتى تأمر وصيفا بالشخوص . فقال المنتصر لبعض من الحجبة ائذن لمن حضر الدار ، فأذن له وفيهم وصيف فأقبل عليه فقال له ياوصيف أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور . وهذا أمر لايمكن الإمساك عنه . فإما شخصتَ وإما شخصتُ . فقال وصيف بل أشخص يا أمير المؤمنين . قال يا أحمد انظر مايحتاج إليه على أبلغ ما يكون فأقمه له . قال نعم يا أمير المؤمنين قال ما نعم ! قم الساعة لذلك ياوصيف مر كاتبك يوافقه على مايحتاج ويلزمه حتى يزيح علتك فيه . فأقام أحمد بن الخصيب وقام وصيف فلم يزل فى جهازه حتى خرج فما أفلح ولا أنجح .

وذكر أن المنتصر لما أحضر وصيفاً وأمره بالغزو قال له إن الطاغية يعنى ملك الروم قد تحرك ولست آمنه أن يهلك كل ما عبر به من بلاد الإسلام ويقتل ويسبى الذرارى . فإذا غزوت وأردت الرجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورك ، وأمر جماعة من القواد وغيرهم بالخروج معه . وانتخب له الرجال فكان معه من الشاكرية والجند والموالى زهاء عشرة آلاف رجل . فكان على مقدمته فى بدأته مزاحم بن خاقان أخو الفتح بن خاقان وعلى الساقة محمد بن رجاء وعلى الميمنة

السندى بن بختاشة وعلى الدّراجة نصر بن سعيد المغربى واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته ، وكان على الشرطة بسامرا .

ص ١٤٨٤ — ١٤٨٥

من كتاب كتبه المنتصر عند إغزائه وصيفا مولاه إلى محمد بن عبدالله بن طاهر :

وقد رأى أمير المؤمنين لما يحبه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه والتماس الزلفى له فى إعزاز أوليائه وإحلال البأس والنقمة بمن حاد عن دينه وكذب رسله وفارق طاعته أن ينهض وصيفا مولى أمير المؤمنين فى هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة الروم غازياً لما عرّف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ومحمود تعبئته وخلوص نيته فى كل ما قربه من الله ومن خليفته . وقد رأى أمير المؤمنين والله ولى معونته وتوفيقه أن يكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته ثغر ملطيه لاثنتى عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين وذلك من شهور العجم للنصف من حزيران (١٥ يونيه ٨٦٢) ودخوله بلاد أعداء الله فى أول يوم من تموز (أول يوليه ٨٦٢) . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحى عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ومرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين وترغيبهم فى الجهاد وحثهم عليه واستنفارهم إليه وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله ليعمل ذوو النيات والحسبة والرغبة فى الجهاد على حسب ذلك فى النهوض إلى عدوهم والخفوف إلى معاونة إخوانهم والذياد عن دينهم والرمى من وراء حوزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين ملطيه فى الوقت الذى حده أمير المؤمنين لهم إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليال خلون من المحرم سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وصير (الخليفة) على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبى الوليد الجريرى البجلى . وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالقيام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين ، يغزو فى أوقات الغزو منها إلى أن يأتيه رأى أمير المؤمنين .

خلافة المستعين

٨٦٢ — ٨٦٦

عام ٢٤٨ هـ (= ٧ مارس ٨٦٢ — ٢٥ فبراير ٨٦٣)

ص ١٥٠٨ :

وفيها صرف علي بن يحيى عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وآذربيجان في شهر رمضان من هذه السنة (٢٩ أكتوبر — ٢٧ نوفمبر ٨٦٢) .

وفيها غزا الصائفة وصيف وكان مقيما بالثغر الشامي حتى ورد عليه موت المنتصر ثم دخل بلاد الروم فافتتح حصناً يقال له فروريه[١] .

٢٤٩ هـ (= ٢٤ فبراير ٨٦٣ — ١٢ فبراير ٨٦٤)

ص ١٥٠٩ :

فما كان فيها من ذلك (من الأحداث) غزو جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصناً ومطامير واستأذنه عمر بن عبد الله الأقطع في المصير إلى ناحيـة من بلاد الروم . فأذن له فسار ومعه خلق كثير من أهل ملطيه فلقيه الملك في جمع من الروم عظيم بموضع يقال له إرز[٢] من مرج الأسقف فحاربه بمن معـه محاربة شديده قتل فيها خلق كثير من الفريقين . ثم أحاطت به الروم وهم خمسون ألفا فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين . وذلك في يوم الجمعة للنصف من رجب (٣ نوفمبر ٨٦٤) .

وفيها قتل علي بن يحيى الأرمني .

ذكر الخبر عن سبب قتله .

ذكر أن الروم لما قتلت عمر بن عبد الله خرجوا إلى الثغور الجزرية وكلبوا عليها وعلى حرم المسلمين بها . فبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قافل من أرمينية إلى ميافارقين فنفر إليهم في جماعة من أهل ميافارقين والسلسلة . فقتل في نحو من

---

(١) قد يكون المقصود لفظ φρούριον اليوناني ومعناه الحصن أما اسم الحصن فقد ضاع (الطبري س ٣ ص ١٥٠٨ هـ)

(٢) أنظر صلة تيوفان ص ١٨١ . راجع الطبري س ٣ ص ١٥٠٩ هـ ، ص ٢٥٢ ، ٤١٢ .

اربعمائة رجل وذلك فى شهر رمضان (١٨ أكتوبر — ١٦ نوفمبر ٨٦٢) .

٢٥٠ هـ (= ١٢ فبراير ٨٦٤ — أول فبراير ٨٦٥)

ص ١٥٣٤ :

وغزا الصائفة فيها بلكاجور .

٢٥١ هـ (٢ فبراير ٨٦٥ — ٢١ يناير ٨٦٦)

ص ١٦١٥ :

وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح فيها ذكر فيها مطمورة أصاب فيها غنيمة كثيرة وأسر جماعة من الأعلاج وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥١ (٢٨ مايو ٨٦٥) .

ص ١٦٢١ :

وفيها كانت لبلكاجور صائفة فتح فيها فتوحاً فيما ذكر .

— ٥ —

المسعودى

(المتوفى فى ٩٥٦ أو ٩٥٧)

أبو الحسن على بن الحسين بن على الهذيلى المسعودى أحد الكبار من ممثلى الآداب التاريخية والجغرافية العربية وهو من أكثرهم اتساع أفق ومن أكملهم أخباراً. ولد ببغداد فى أواخر القرن التاسع الميلادى . وكان على علم عظيم ومعرفة وثيقة بالتاريخ والجغرافيا . وقد اكتسب هذا العلم فى أثناء رحلاته الطويلة . زار المسعودى الهند وبلاد سيمور وجزيرة سيلان ، وعبر البحر الأحمر وزار مدغشقر . وزار أرض عمان وجال فى أقاليم بحر قزوين . وقد كان فى ٩٢٦ فى طبريه بفلسطين . ثم أقام بأنطاكية زمناً ، وأقام كذلك فى مدن الثغور الشامية وفى البصرة ودمشق . أما السنين الأخيرة من حيـــاته فإنه قضاها بمصر وبالشام . ومات على الأرجح بالفسطاط فى ٩٥٦ أو ٩٥٧[1] .

(١) كاترمير : تعليق على حياة المسعودى وآثاره فى المجلة الاسيوية س ٣ جـ ٧ (١٨٣٩) ص ٦/ ١١ كريمر : تاريخ الثقافة فى الشرق . جـ ٢ . ڤينا ١٨٧٧ (٤٢٣ — ٤٢٤) . وستنفلد مؤرخو العرب وكتبهم ص ٣٨ رقم ١١٨ . بروكلمان : تاريخ الأدب العربى جـ ١ ڤيمار ١٨٩٨ ص ١٤٣/ ١٤٤ .

وأوسع كتب المسعودى كتاب « تاريخ الزمان الماضى والأمم البائدة » وهو كتاب يتناول الجغرافيا والتاريخ العام . ويظن انه كان فى ثلاثين مجلداً يعرض فيه صاحبه الحوادث إلى عام ٣٣٢ هـ (٩٤٣ / ٩٤٤ م) . ولكن الكتاب لم يصل إلينا إلى الآن[١] . وكذلك لم يصل إلينا كتابه المسمى « بالكتاب الأوسط » وهو تلخيص للكتاب الأسبق .

وقد لخص المسعودى هذين الكتابين فى كتاب واحد أسماه مروج الذهب ، كتبه مرتين[٢] .

فإذا صرفنا النظر عن كتبه الأخرى الكثيرة التى لم يصل منها إلينا شىء . فلنذكر للمسعودى كتاب التنبيه والأشراف وهو موجز كتبه السابقة وهو على حد عبارة المؤلف نفسه مقدمة لكتبه وتكملة لها[٣] .

وهذا الكتاب الأخير عظيم القيمة بالنسبة لنا ، لأنه يحوى كل ماحصله المؤلف من الأخبار بعد أن كتب مروج الذهب الكتابة الأولى – وهى التى وصلت إلينا – يعنى منذ ٣٣٢ هـ (٩٤٣ / ٩٤٤)[٤] .

وكتب المسعودى مما يقرؤه المسلمون والأوربيون على السواء فيجدونه ممتعاً

---

(١) فى أول القرن التاسع عشر قص شيخ قاهرى للسائح الانجليزى بوركهاردت أنه رأى أكثر من عشرين مجلداً من هذا الكتاب فى ملازم من أربع ورقات فى مكتبة جامع أياصوفيا بقسطنطينية . راجع ج . ل بوركهاردت رحلات فى النوبة ج ٢ . لندن ١٨٢٢ ص ٤٨١ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب . نص وترجمة وصفها باربييه دى مينار تسع مجلدات ١٨٦١ — ١٨٧٧ . وقد طبع النص العربى وحده فى بولاق ١٨٦٧ وقد جرى العلماء على الاشارة إلى الطبعة الأوربية . وفى عام ١٨٤١ بدأ سبرنجر فى ترجمة مروج الذهب إلى الانجليزية . ولكنه اقتصر على السبعة عشر فصلا الأولى والفصل الأول منها يتكلم عن القوقاز واللان والخزر والبلغار والترك (فى مجلد واحد . لندن ١٨٤١) . والجزء الثانى من طبعة باربييه دى مينار (باريس ١٨٦٣) يبدأ بالفصل السابع عشر وهو آخر فصل فى طبعة سبرنجر . وقد ترجم عنوان الكتاب بأنه مراعى الذهب والأصل مغاسل الذهب Laverres=Goldwaechereien .

(٣) يوجد وصف مفصل لهذا الكتاب مع اقتباسات عند سلفستر دى ساسى : كتاب التنبيه والاشراف فى تعليقات واقتباسات من المخطوطات . ج ٨ باريس ١٨١٠ ص ١٣٢ — ١٩٩ . أما النص العربى الكامل فقد طبعه دى خويه : مكتبة جغرافى العرب ج ٨ . ليدن ١٨٩٤ . وقد ترجم النص إلى الفرنسية كارا دى فو . باريس ١٨٩٧ (الجمعية الأسيوية : مجموعة الكتب الشرقية) .

(٤) باربييه دى مينار : مروج الذهب ج ٩ باريس ١٨٧٧ ص ٦ من المقدمة .

طليا وذلك راجع إلى تنوع الأخبار التى يسوقها المؤلف وإلى قدرته على جعل سرده حيا فى كتبه . ولذا ترى أن المسعودى يستحق لقب هيرودوت العرب الذى أضفاه عليه كريمر [١]

ونرجع أن كتب المسعودى التى ضاعت كانت تحوى تفاصيل هامة جداً خاصة بموضوعنا . فإن المسعودى يقول فى مروج الذهب : وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره فى فتح عموريه وما كان من حروبه قبل الخلافة فى أسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك . . قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا فى أخبار الزمان والكتاب الأوسط . وقد ذكرنا فى هذا ، يعنى فى كتاب المرج ، لمعا منبهة على ما سلف وباعثة على درس ما تقدم . [٢] ويقول المؤلف كذلك فى كتاب التنبيه (ثم هزيمة الأفشين لتوفيل ملك الروم ثم فتحه عمورية وأسره ياطس بطريقها وهى أعظم مدنهم بعد القسطنطينية . وقد أتينا على شرح هذه الحروب والوقائع فى كتابنا فى أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة). [٣] ولنا أن نعتبر من أن المسعودى اقتبس هذه الأخبار من الطبرى مباشرة إلا إذا كان أخذ عن نفس مصادره .

أما النص الموجود من كتابى المروج والتنبيه فانه لا يكشف لنا فى الحقيقة عن أشياء جديدة ولكنه يمدنا بسلسلة من التفاصيل الطريفة ، خاصة فيما يتعلق بالأفدية . [٤]

---

(١) كريمر : تاريخ الثقافة فى الشرق ج ٢ ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب . ج ٧ ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٣) التنبيه . دى خويه ، ج ٨ ص ٣٥٥ — ٣٥٦ ، كارا دى ڤو : نفس الكتاب ص ٤٥٦

(٤) التنبيه . دى خويه ، ج٨ ص ١٩٠ — ١٩٢ . كارا دى ڤو : نفس الكتاب ص ٢٥٧ — ٢٥٨ . وقد ترجم أخبار المسعودى هذه عن الأفدية سلفستردى ساسى فى تعليق واقتباس من المخطوطات ج ٨ باريس ١٨١ ص ١٩٣ — ١٩٥ راجع : باربيه دى مينار : مروج الذهب ج ٩ باريس ١٨٩٧ ص ٣٥٧ — ٣٥٨ .

ترجمة اقتباسات من المسعودى

— ١ —

اقتباسات من مـــروج الذهب

خـــلافة المأمون

(باربييه دى مينار حـ ٧ ص ٩٤/٩٦)

وفى سنة سبع عشرة ومائتين (٧ فبراير ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣) دخل المأمون مصر وقتل بها عبدوس وكان قد تغلب عليها . وفى سنة ثمان عشرة ومائتين غزا المأمون أرض الروم . وقد كان شرع فى بناء الطوانه مدينة من مدنهم على فم الدرب مما يلى طرسوس وعمد إلى سائر حصون الروم ودعاهم إلى الاسلام وخيرهم بين الاسلام والجزية والسيف وذلل النصرانية فأجابه خلق من الروم إلى الجزية .

قال المسعودى وأخبرنا القاضى أبو محمد عبد الله بن احمد بن زيد الدمشقى بدمشق قال لما توجه المأمون غازيا ونزل البدندون[٢] جاءه رسول ملك الروم فقال له إن الملك يخيرك بين أن يرد عليك نفقتك التى أنفقتها فى طريقك من بلدك إلى هذا الموضع وبين أن يخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم بغير فداء ولا درهم ولا دينار وبين أن يعمر لك كل بلد للمسلمين مما خربت النصرانية . ويرده كما كان وترجع عن غزاتك . فقام المأمون ودخل خيمة فصلى ركعتين واستخار الله عز وجل وخرج فقال له أما قولك ترد على نفقتى فانى سمعت الله تعالى يقول فى كتابنا حاكيا عن بلقيس : وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون . فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون .[٣]

---

(١) اقتبس الأصل الفرنسى هنا ترجمة باربييه دى مينار وكارا دى فو مع تعديل نقل الأسماء إلى الفرنسية . ولم تمس الترجمة المقتبسة إلا فى مواضع يسيرة مشار اليها فى الهامش .

(٢) راجع هامش باربييه دى مينار . جـ ٧ ص ٤١١ .

(٣) استشهد الخليفة بالآية القرآنية رقم ٣٥/٣١ من السورة السابعة والعشرين .

وأما قولك أنك تخرج كل أسير من المسلمين فى بلد الروم : فما فى يدك إلا أحد رجلين : إما رجل طلب الله عز وجل والدار الآخرة فقد صار إلى ما أراد . وإما رجل يطلب الدنيا فلا فك الله أسره . وأما قولك إنك تعمر كل بلد للمسلمين قد خربته الروم فلو أنى قلعت أقصى حجر فى بلاد الروم ما اعتضدت بامرأة عثرت عثرة فى حال أسرها فقالت واجداه واجداه . عد إلى صاحبك فليس بينى وبينه إلا السيف . يا غلام . اضرب الطبل فرحل . فلم يثن عن غزاته حتى فتح خمسة عشر حصناً . وانصرف من غزاته . فنزل على عين[1] البيذندون المعروفة بالقشيره على حسب ما قدمنا فى هذا الكتاب .

خلافة المعتصم

(جـ ٧ ص ١٣٣ — ١٣٧)

وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وعشرين [ومائتين] (٣ ديسمبر ٨٣٧ — ٢٢ نوفمبر ٨٣٨) خرج توفيل ملك الروم فى عساكره ومعه ملوك برجان والبرغر[2] والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم حتى نزل على مدينة زبطرة[3] من الثغر الجنوبى . فافتتحها بالسيف وقتل الصغير والكبير وأغار على بلاد ملطية فضج الناس فى الأمصار واستغاثوا فى المساجد والديار فدخل ابراهيم بن المهدى على المعتصم فأنشده قائماً قصيدة طويلة يذكر فيها ما نزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد وفيها :

يا غارة الله[4] قد عانيت فانتهكى   هتك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت   ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

---

(١) يقول باربييه دى مينار : على نهر . . . وفى النص عين . . . أما عن القشيرة فانظر مروج الذهب جـ ٧ ص ١ .

(٢) أنظر عن برجان ص ٢٠٣ من الأصل الفرنسى .

(٣) ويقول باربييه دى مينار أن لفظ الخزرى الموجود فى النص يجب أن يكون الجزرى . وقد صحح ذلك روزن من قبل فى كتابه الامبراطور باريل قاتل البلغار ، سان بطرسبرج ١٣٨٢ ص ٢٣٨/٢٣٩ ، وصححه كذلك فازلييف .

(٤) فهمها باربييه بمعنى « غيرة الله » وفهمها فازلييف بمعنى « غضب الله » أما فى طبعة ابن الأثير المصرية ١٣٠٣ هـ جـ ٩ ص ٧٣ فتروى فى الهامش ياغارة الله بدل ياغيرة الله بمعنى جند الله . وكذلك ورد فى طبعة ١٣٤٦ جـ ١١ ص ٢٥٣ .

وإبراهيم بن المهدى أول من قال فى شعره يا غارة الله فخرج المعتصم من فورد ناقراً عليه دراعه[١] من الصوف بيضاء وقد تعمم بعامة الغزاة فعسكر غربى دجلة وذلك يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين (أول إبريل ٨٣٨) ونصبت الأعلام على الجسر ونودى فى الأمصار بالنفير والسير مع أمير المؤمنين فسارت إليه العساكر والمطوعة من سائر الإسلام وجعل على مقدمته اشناس التركى ويتلوه محمد بن ابراهيم وعلى ميسرته جعفر بن دينار وعلى ساقته بغا الكبير وعلى القلب عجيف وسار المعتصم من الثغور الشامية ودخل من درب السلامة[٢] ودخل الأفشين من درب الحدث . ودخل الناس من سائر الدروب . فلم يكن يحصى الناس العدد ولا يضبطون كثره . فمن مكثر ومقلل . فالمكثر يقول خمسمائة ألف والمقلل مائتى ألف . ولقى[٣] ملك الروم الأفشين فحاربه فهزمه الأفشين وقتل أكثر بطارقته وأصحابه وحماه رجل من المنتصرة يقال له نصر فى خلق من أصحابه . وقد كان الأفشين قصر عن أخذ الملك فى ذلك اليوم حين ولى وقال هو ملك ، والملوك تبقى بعضها على بعض . وفتح المعتصم حصوناً كثيرة . ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على يديه . وخرج لاوى البطريق منها وسلمها إليه وأسر البطريق الكبير منها وهو ياطس (Aetius) وقتل منها ثلاثين ألفاً . وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق . وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة فى فتحها براً وبحراً . فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون وأن ناساً بايعوه وأنه كاتب طاغية الروم . فأعجل المعتصم فى مسيره وحبس العباس وشيعته .

---

(١) أنظر دوزى « الملابس » ص ١٧٧ ، ١٨١ وانظر ميتز : نهضة الاسلام ص ٣٦٨ .

(٢) درب السلامة يعنى الدروب الكيليكية Pylcies Ciliennes : أنظر ابن خرداذبة ص ١٠٠ ، ٢٣٧ .

(٣) يترجمها باربييه دى مينار بمعنى هاجم : والنص لقى .

قتل بابك وياطس

(جـ ٧ ص ١٣٨ — ١٣٩) :

ومالت خشبة مازيار [١] إلى خشبة بابك فتدانت أجسامهما . وقد كان صلب فى ذلك الموضع ياطس بطريق عمورية وقد انحنت نحوهما خشبته . فنى ذلك يقول أبو الهام لها :

ولقد شفى الأحشاء من برحائها إذ صار بابك جار مازيار

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان إذ هما فى الغار [٢]

فكأنما انحنيا لكيما يطويا عن ياطس خبراً من الأخبار [٣]

— ٢ —

اقتباسات من كتاب التنبيه والاشراف

ميشيل الثانى

(دى خويه جـ ٨ ص ١٦٩ · كارادى فو ص ٢٣٠)

الثانى والأربعون ميخائيل بن جورجس الملك الثانى ملك تسع سنين فى أيام المأمون . وقيل أكثر من ذلك . وقد أتينا على خبره وما كان من أمره .وعوده إلى الملك ثانية [٤] فى كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)

توفيل

(دى خويه جـ ٨ ص ١٦٩ — ١٧٠ ؛ كارادى فو ص ٢٣٠ / ٢٣٢)

الثالث والأربعون توفيل بن ميخائيل ملك أربع عشرة سنة بقية أيام المأمون وأيام المعتصم وصدرا من أيام الواثق . وهو الذى فتح مدينة زبطرة من الثغور الجزرية . فخرج المعتصم نافراً غازيا حتى نزل على عمورية فافتتحها وذلك فى سنة ٢٢٣ .

---

(١) مازيار ثائر خطر فى طبرستان : أنظر ب . دى ميار جـ ٧ ص ١٣٧/١٣٨ والطبرى نفسه ص ٢٢٤

(٢) يريد الشاعر أن بابك لم ينل تأييد الله كما ناله النبي وأبو بكر يوم هجرتهما من مكة .

(٣) حسب طبعتى الديوان (بيروت ١٨٨٩ ، ١٩٠٥) : كأنما انحطا أو ما فى معناه .

(٤) يخلط العرب بين ميشيل الثانى وميشيل الأول رنجابى ويعتقدون أن الأخير حكم مرتين .

وكان دخوله من الثغور الشامية ودخل الأفشين حيدر بن كاوس الأشروسنى فيمن كان معه من الأولياء وعمر بن عبدالله بن مروان الأقطع السلمى صاحب ملطية من الثغور الجزرية فلقيهم الملك توفيل بن ميخائيل فكانت بينهم حروب عظيمـــة . فانكشف الملك وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية ، ممن كان استأمن اليه من ناحية أذربيجان والجبال لما واقعهم اسحق بن ابراهيم بن مصعب الطاهرى وكانوا ألوفا ، ولحق الأفشين بالمعتصم فنزل معه على عمورية . وفى ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخليع الباهلى فى قصيدة له طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين :

أثبت المعصوم [1] غرا لأبى — حسن أثبت من ركن إضم
كل مجد دون ما أثله — لبنى كاوس أملاك العجم
لم يدع بالبذ [2] من ساكنة — غير أمثال كأمثال إرم [3] [4]
وقرى توفيل طعناً صادقا — فض جمعيه جمعاً وهزم [5]

وقد ذكره أبو تمام فى قصيدته التى مدح بها المعتصم وذكر فتح عمورية التى أولها:

السيف أصدق أنباء من الكتب — فى حده الحد بين الجد واللعب [6]

وقال :

لما رأى الحرب رأى العين توفلس — والحرب مشتقة المعنى من الحرب [7]

وقال الحسين بن الضحاك أيضاً : فى كلمة طويلة يخاطب المعتضم :

لم تبق من أنقرة نقرة — واجتحت عمورية الكبرى

---

(١) فهم فازلييف المعصوم مى اخطأ وفهم كارا دى ڤو : الباق .

(٢) جبل : أنظر ياقوت ج ١ س ٣٠٥ .

(٣) حصن بابك فى أذربيجان ، ياقوت ج ١ س ٥٢٩ .

(٤) هى مدينة شداد بن عاد الأسطورية : أنظر دائرة المارف الإسلامية ج ٢ س ٥٥٣ .

(٥) وردت هذه القطعة فى الطبرى ج ٣ س ١٢٥٦ . ويوجد البيت الثالث عند ابن خرداذبة ط . دى خويه ج ٦ س ١٢١ ، ٩٢ .

(٦) أنظر التعليقات الاضافية عن هذه القصيدة .

(٧) كارا دى ڤو : يحوي هذا البيت والذى قبله تلاعبا بالألفاظ : فالحد للسف والحدود والحرب القتال والحرب الغضب .

إن يشك توفيل بتاريخه ... فحق أن يعذر بالشكوى (١)

وقال :

تغنى بنو العيص وأيامهم ... وذكر أيامك لا يفنى

يارب قد أملكت من بابك ... فاجعل لتوفيلهم العقبى

وإنما ذكرنا هذه الشواهد لأن فريقاً ممن لا علم له بسير الملوك وأيامهم ذهبوا إلى أن المواقع للأفشين والذى فتحت عمورية الكبرى فى أيامه هو نقفور الذى كان فى أيام الرشيد . وما ذكرنا أشهر وأوضح إذ كان من الكوائن التى يشترك الناس فى علمها بسبب شهرتها . واستفاضة أبنائها . ولكن الحاجة دعت إلى الإستشهاد .

ميشيل الثالث

(دى خويه ج ٨ ص ١٧٠ — ١٧١ ؛ كارا دى فو ص ٢٣٢ — ٢٣٣)

الرابع والأربعون ميخائيل بن توفيل ملك ثمانيا وعشرين سنة بقية أيام الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين . وكانت أمه تدورة تدبر الملك معه . ثم أراد قتلها لأمر كان منها . فهربت ولحقت بالدير . فترهبت . ونازعه فى الملك رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط (٢) . فلقيه ميخائيل وقد أخرج من فى سجونه من المسلمين للقتال معه . وقواهم بالخيل والسلاح فظفر بابن بقراط فشوه بخلقه ولم يقتله لأنه لم يلبس ثياب الفرفير والخف الأحمر . وقتل ميخائيل بسيل الصقلبى جد قسطنطين بن لاون ابن بسيل الملك على الروم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ فى خلافة المطيع . وكان قتله إياه فى سنة ٢٥٣ (١١ يناير ٨٦٧ — ٣١ ديسمبر ٨٦٧) فى خلافة المعتز . وقيل فى سنة ٢٥٢ (٢٢ يناير ٨٦٦ — ١٠ يناير ٨٦٧)

---

(٣) ويوجد هذا البيت أيضا عند ابن خرداذبة ص ١٠١ ، ٧٤ .

(٤) قال كارا دى فو : ابن هبقراط ؟ ونرى نحن أن تورة ابن بنكراتيوس مأخوذة من قصة حربية لا تزال غامصة علينا (هنرى جريجوار) .

ذكر الافدية بين المسلمين والروم

(دى خويه حـ ٨ ص ١٩٠ — ١٩٢ . كارادىڤو ٢٥٧ — ٢٥٨ . تعليق واقتباس من المخطوطات حـ ٨ باريس ١٨١٠ ص ١٩٤ — ١٩٥ = باربييه دى مينار : مروج الذهب حـ ٩ ص ٣٥٧ — ٣٥٨)

الفــــداء الثالث : فداء خاقان فى خلافة الواثق باللامس فى المحرم سنة ٢٣١ (٧ سبتمبر — ٦ أكتوبر ٨٤٥) والملك على الروم ميخائيل بن توفيل وكان القيم به خاقان الخادم التركى ، وعدة من فودى به من المسلمين فى عشرة أيام أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين من ذكر وأنثى . وقيل أربعة آلاف وسبعة وأربعين على ما فى كتب الصوائف . وقيل أقل من ذلك .

وفى هذا الفداء أخرج أهل زبطرة . وفيه خرج مسلم بن أبى مسلم وكان ذا محل فى الثغور ومعرفة بأهـل الروم وأرضها . وله مصنفات فى أخبار الروم وملوكهم وذوى المراتب منهم وبلادهم وطرقها ومسالـكها . وأوقات الغزو إليها والغـارات عليها . وما جاورهم من الممالك من برجان والأبر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم[1]

وحضر هذا الفداء مع خاقان رجل يكنى أبا رمله ، من قبل أحمد بن أبى دؤاد قاضى القضاة يمتحن الأسارى[2] وقت المفاداة . فمن قال منهم بخلق التلاوة ونفى الرؤية نودى به وأحسن إليه . ومن أبى ترك بأرض الروم . فاختار جماعة من الأسـارى الرجوع إلى أرض النصرانية على القول بذلك . وأبى أن يسلم الانقياد إلى ذلك. فنالته محن ومهانة إلى أن تخلص .

الفداء الرابع : فداء شنيف فى خلافة المتوكل باللامس فى شــــوال سنة ٢٤١ (١٢ فبراير — ١١ مارس ٨٥٦) والملك على الروم ميخائيل بن توفيل . وكان القيم به شنيف الخادم مولاه . وحضر جعفر بن عبد الواحـد الهاشمى القرشى القاضى ، وعلى بن يحيى الأرمنى صاحب الثغور الشامية .

فكان عدة من نودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين ومائتى رجل وقيل ألفى

(١) وعن هذا المؤلف أخذ ابن خرداذبة كلامه عن أقاليم مملكة الروم ص ١٠٠ ، ٧٧ .
(٢) كارا دى ڤو : ترجمها دى مينار يقوم بامتحان ... وترجمها كارا دى ڤو : أن يمتحن .

رجل ومائتى امرأة ، وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الإسلام مائة رجل ونيف . فعوضوا مكانهم عدة أعلاج . إذ كان الفداء لايقع على نصرانى ولا ينفقد .

الفداء الخامس : فداء نصر بن الأزهر وعلى بن يحي فى خلافة المتوكل أيضاً باللامس مستهل صفر سنة ٢٤٦ (٢٧ أبريل ٨٦٠) والملك على الروم ميخائيل ابن توفيل أيضاً .

وكان القيم به على بن يحي الأرمنى أمير الثغور الشامية ونصر بن الأزهر الطائى الشيعى من شيعة ولد العباس المرسل إلى الملك فى أمر هذا الفداء من قبل المتوكل .

وعدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفان وثلثمائة وسبعة وستون من ذكر وأنثى .

(دى خويه ص ٣٥٤ — كارادى فو . ص ٤٥٤)

وخرج المعتصم إلى أرض الروم غازياً فافتتح أنقره ومدينة عمورية فى شهر رمضان سنة ٢٢٣ (٢٧ يوليو — ٢٥ أغسطس ٨٣٨)

(دى خويه ص ٣٥٥ — ٣٥٦ . كارادى فو . ص ٤٥٦)

ثم هزيمة الأفشين لتوفيل ملك الروم . ثم فتحه عمورية ، وأسره ياطس بطريقها وهى أعظم مدنهم بعد القسطنطينية . وقد أتينا على شرح هذه الحروب والوقائع فى كتابنا فى أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة) .

— ٦ —

رياض النفوس

(النصف الثانى من القرن العاشر)

يحوى النص الذى لم ينشر إلى اليوم من مخطوط باريس الوحيد المسمى برياض النفوس مجموعة من تراجم المشهورين من أعيان أفريقية الذين عرفوا بعلمهم أو بتدينهم منذ الفتح العربى إلى عام ٣٥٦ هـ (٩٦٧)[١] . والأخبار مستقاة إلى حد كبير من روايات المعاصرين للحوادث .

(١) البارون دى سلان : كتالوج المخطوطات العربية ، باريس ١٨٨٣ — ١٨٩٥ ص ٣٨١ رقم ٢٠١٥٣

وهذه المجموعة عظيمة الأهمية لأنها تعرض لتاريخ أفريقية فيما بين القرن السابع والقرن العاشر وهي تحوى عدداً وفيراً من الأخبار الطريفة عن صقلية وكانت فى ذلك العصر على اتصال مستمر مع الشاطىء الأفريقى .

ويضيف الحاجى خليفة مؤلف قاموس التراجم كتاب رياض النفوس لأبى بكر عبد الله بن محمد[١] ولكنه لا يحدد العصر الذى عاش فيه[٢] ولكننا نستطيع أن نستخلص من السياق أن المؤلف عاش على الأرجح فى النصف الثانى من القرن العاشر[٣] .

وقد طبع أمارى[٤] عبارات رياض النفوس المتصلة بتاريخ صقلية بنصها العربى وترجمها إلى العربية . ونحن نسوق بعد هذا التعريف نصين مترجمين عن الايطالية راجعهما الأستاذ م . كنار على النص العربى .

ولنذكر كذلك كتاباً عربياً أحدث وهو « معالم الامام » لمحمد بن ناجى . وقد أخذ كثيراً عن رياض النفوس[٥] .

=(ورقم ٧٥٢ من الترقيم القديم) وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج١ فيمار ، ١٨٩٨ ص ١٣٨ ؛ وفى المتحف البريطانى مخطوط (رقم ١٢٩١) مذكور فى كتاب : كتالوج المخطوطات الشرقية المحفوظة فى المتحف البريطانى (العنوان باللاتينية) وعنوان المخطوط مترجما : تراجم علماء القيروان المشهورين بعلمهم وتقواهم وهو الكتاب المسمى برياض النفوس . ج ٢ من الكتالوج ، لندن ١٨٤٦ ص ٧٣٢ ؟ وانظر ملاحظات ك . ا . نللينو عند أمارى : تاريخ ، ط ٢ ج ١ (قطانيا ١٩٣٣) ص ٦٨ .

(٢) حاجى خليفة : أساس الكتب والعلوم . ط . فلوجل ج ٣ ، لندن ١٨٤٢ ص ٥٢١ .

(٣) ويذكر كتاب تونس المؤلف باسم المالكى فقط ويشيرون الى كتابه تبعا لذلك بكتاب المالكى .

(٤) أمارى : المكتبة العربية الصقلية . الترجمة الإيطالية ج ١ ، تورينو ودومه ، ١٨٨٠ ص ٤٢/٤٣ ويقول أمارى فى تاريخ المسلمين فى صقلية (بالإيطالية) ج ١ ، فلورنسه ، ١٨٨٤ ص ٤١ : أن المؤلف عاش آخر القرن العاشر أو أول القرن الحادى عشر على الأكثر ، وتقع وفاته قبل عام ٤٤٩ هـ بقليل (١٠٥٧ م) : وانظر نللينو : نفس الكتاب .

(١) والنص العربى فى كتاب أمارى : المكتبة العربية الصقلية المجموعة من النصوص العربية ، ليبزج ، ١٨٥٧ ص ١٧٦ — ١٩٦ ؛ ثم ترجمه أمارى فى : المكتبة العربية الصقلية الترجمة الإيطالية ، ج ١ ، تورينو ودومه ، ١٨٨٠ ص ٢٩٤ — ٣٢٤ .

(٢) وتوجد اقتباسات من معالم الإمام مترجمة إلى الفرنسية نشرها ا . هوداس ، ر . باسية فى كتاب « بعثة علمية فى تونس عام ١٨٨٢ » الجزائر ١٨٨٤ س ٧٨/١٣٠ وقد طبع كتاب « معالم الامام فى معرفة أهل القيروان » بتونس فى ١٣٢٠ — ١٣٢٥ هـ (١٩٠٢ — ١٩٠٧) فى أربعة مجلدات . وانظر عن هذه الطبعة نقد نللينو فى مجلة الدراسات الشرقية (الإيطالية) ج ٢ ، روما ، ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ص ٤٦٠ — ٤٦١ .

وصاحب هـذا الكتاب ينتمى إلى أسرة كانت معروفة فى مدينة تونس ، وقد عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى . وينقسم كتابه إلى قسمين : الأول يحوى وصفاً موجزاً للمساجد القديمة وتاريخاً لبناء القيروان ويحوى القسم الثانى تراجم لشخصيات مختلفة ممن ولدوا بالقيروان[١] . يعنى أن هذا الكتاب يعرض لما يعرض له رياض النفوس . ويعرض المؤلف فى ترجمة أسد بن الفرات بن سنان قائد العرب فى صقلية إلى أعماله فى الحرب بتلك الجزيرة .

وأخبار معالم الإيمان عن العصر الذى نبحث فيه تكاد تطابق تمام المطابقة الأخبار التى نجدها فى رياض النفوس ، بحيث أننا إذا قرأنا معالم الإيمان لم نجده يضيف إضافات ذات خطر على ما نعرفه من رياض النفوس[٢]

اقتباسات من رياض النفوس

حياة أسد ، فاتح صقلية

(امارى : النص ، ص ١٨١ . الترجمة جـ ١ ص ٣٠٢)

ولاه (أى أسدا) زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب قضاء أفريقية سنة ثلاث ومايتين (٨١٨ / ٨١٩) فأقام قاضياً عليها يقضى بين أهلها بالكتاب والسنة ، حتى خرج لغزو صقلية . فجاهد بها الروم وقاتلهم قتالا عظيما . وكانت له بها آثار مشهورة ومقامات مذكورة ، وافتتح منهـا مواضع كثيرة ، ثم توفى رحمه الله تعالى من جراحات أصابته وهو محاصراً لسرقوسة فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومايتين (١٩ يونيه — ١٧ يوليه ٨٢٨) ودفن بذلك الموضع .

(امارى : نص ص ١٨٢ / ٨٣ . ترجمة جـ١ ص ٣٠٤/٣٠٦)

قال سليمان بن عمران : كنت حضرت فى أيام أبى العباس[١] فى هدنة صقلية ، وقد جمع شيوخ القيروان ووجوههم . وكنت فيمن حضر فكتب بين يديه كتاب

---

(١) وانظر تفاصيل عن المؤلف عند هوداس وباسيه : نفس الكتاب ص ٧٨/٨٠ .

(٢) وانظر ما قيل عن رياض النفوس وعن المعالم عند أمارى : المكتبة الصقلية العربية ، الترجمة الإيطالية ، ذيل ، تورينو ، ١٨٨٩ ص ٨/١٤ وفى المقدمة ص ٦/٧ .

(٣) والى افريقية ولى قبل زيادة الله .

الهدنة ، وقرىء على جماعة الناس . وكان فيه أن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم . فلما قدم فيمة فى هذه الهدنة أيام زيادة الله رفع إليه أن عند الروم أسارى من المسلمين فجمع زيادة الله الناس وأحضر أسداً وأبا محرز وسألها عن ذلك[1] . فأما أبو محرز فقال : نستأنى فى هذا الأمر حتى يتبين . فأما أسد فقال نسل رسلهم عن ذلك . فقال أبو محرز : وكيف نقبل قول الرسل عليهم أو دفعهم عنهم . فقال : ولا تهنوا وتدعوا إلى الإسلام وأنتم الأعلون (القرآن س ٣ — ١٣٣١) فكذلك لا تماسك به ونحن الأعلون . قال فسأل زيادة الله عند ذلك الرسل . فقالوا : نعم حبسوهم لأنهم فى دينهم لا يحل لهم ردهم[2] . قال وكان فى الرسل مسلم . قال فأمر يومئذ زيادة الله بالغزو إليها . فسارع أسد إلى الخروج . وكان زيادة الله تثاقل عن ذلك . وكان أسد يقول : وجدونى رخيصاً فلم يقبلونى . وقد أصابوا من يجرى لهم مراكبهم من النواتية ، فما أحوجهم إلى من يجريها لهم بالكتاب والسنة . قال أحمد بن سليمان [3] : كره علماء أفريقية غزو صقلية للعهد الذى كان لهم ، لأنه لم يصح عندهم أنهم نقضوا العهد .

ولما ولى زيادة الله أسداً على تلك الغزاة ، وعزم عليه فى ذلك . قال له أصلح الله الأمير : من بعد القضاء والنظر فى حلال الله تعالى وحرامه يعزلنى ويولينى الإمارة. فقال له زيادة الله : إنى لم أعزلك عن القضاء ، بل وليتك الإمارة وهى أشرف من القضاء ، وأبقيت لك اسم القضاء . فأنت قاض أمير . فخرج أسد على ذلك ولم يجتمع الإمارة والقضاء لأحد ببلد أفريقية إلا لأسد وحده . قال أبو العرب : وكان خروجه إلى صقلية فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ يونية ٨٢٧ وكان معه فى جيشه نحو من عشرة آلاف فارس .

(أمارى : نص ص ١٨٤ / ١٨٥ — الترجمة حـ ١ ص ٣٠٧ — ٣٠٨)

قال سليمان بن سالم . إن أسداً لما وصل إلى صقلية ، زحف إليه بلاطه ملك صقلية فى خلق عظيم : يقال إنه فى ماية ألف وخمسين ألفا . قال ابن أبى الفضل :

(١) وقد حذفنا هنا مناقشة حادة بين أسد وأبى محرز لأنها ليست ذات أهمية خاصة هنا .

(٢) أما عن تأويل هذه العبارة فانظر : أمارى : تاريخ ط ٢ ط س ٣٨٩ / ٣٩٠ هـ ، ٢

(٣) يجب أن نقرأ : أحمد بن أبى سليمان : انظر المليو عند أمارى : تاريخ حـ ٢ ط ١ ص ٣٩٠ هـ ١

فرأيت أسد بن الفرات ، وفى يده اللواء ، وهو يزمزم . فحملوا عليه وكانت فينا روعة وأقبل أسد على قراءة يس[1] . فلما فرغ منها قال للناس : هؤلاء عجم الساحل . هؤلاء عبيدكم . لاتهابوهم . وحمل باللواء وحمل الناس معه . فهزم الله عز وجل بلاطة وأصحابه . فلما انصرف أسد رأيت والله الدم قد سال مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صار تحت إبطه . ومعنى قول أسد : هؤلاء عجم الساحل : يعنى الذين كانوا هربوا من الساحل لما فتحت افريقية ، فكتب زيادة الله بن الأغلب بفتح صقلية على يد أسد ابن الفرات إلى المأمون . ويقال إن أسدا قال لفيمة النصرانى الرسول : اعتزلنا فلا حاجة لنا بأن تعينونا . وقال : اجعلوا على رءوسكم سيما تعرفون بها لئلا يتوهم واحد منا إنكم من هؤلاء المواقفين لنا ، فيصيبكم بمكروه . فجعلوا على رءوسهم الحشيش ، وكانت تلك سيماهم . قال سليمان بن سالم . وكان أسد وابن قادم قد اختلفا . وذلك أن أسداً لما وصل بالناس إلى صقلية أضر بالناس الجوع حتى أكلوا لحم الخيل . فمشى الناس إلى أبى قادم ، فمضى إلى أسد ، وقال له : ارجع بنا إلى أفريقية فإن حياة رجل مسلم أحب إلينا من الشرك كلهم . فقال له أسد : ماكنت لأكسر عروة على المسلمين ، وفى المسلمين خير كثير . فأبى الناس ذلك . فأراد حرق المراكب فبدرت من ابن قادم كلمة . فقال له : على أقل من هذا قتل عثمان بن عفان . فتناوله أسد بالسوط فضربه ولم يجرده ، وإنما ضربه أسواطاً يسيرة قدر ثلاث أو أربع . وتمادت عزيمته ونصرته ، فقاتل الروم قتالا شديدا حتى قتلهم وهزمهم واستأصلهم ، وسكنها المسلمون واستوطنوها . ثم شاء الله تعالى بذنوب أهلها أن أوقع بهم عدوهم [نسل الله تعالى حلمه وأمانه وعافيته لمن بقى بها من المسلمين وازداد الكره لهم على عدوهم وعونه وتأييده على عدوهم والنوبة عليهم . آمين]

تاريخ كمبردج (أول القرن الحادى عشر)

تاريخ كمبردج مجهول المؤلف . وقد ظل هذا التاريخ معروفاً فى روايته العربية وحدها . ثم اكتشفت منه روايتان يونانيتان . وفى هذا التاريخ أخبار قصيرة مجموعة تكاد تكون مقصورة على سرد أخبار صقلية بين عامى ٨٢٧ ، ٩٦٥ .

(١) السورة ٣٦ واسمها باسم حرفين من حروف الهجاء : ياء وسين .

أما النص العربي فمحفوظ فى مخطوط فى كمبردج تالياً لتاريخ سعيد بن البطريق (ايتوخيوس) وقد نشره لأول مرة كاروزو فى المكتبة التاريخية لملوك صقلية (پانورام ١٧٢٣). وقد نشر ميراتورى[١] الترجمة اللاتينية فقط. ثم نشر النص العربي والترجمة اللاتينية جريجوريو[٢]. وقد استفاد أمارى من هذا التاريخ[٣] وطبع النص العربي أيضاً[٤] مع ترجمة ايطالية[٥].

ثم إنه فى سبتمبر ١٨٩٠ قرأ القسيس بيير باتيفول فى أكاديمية النقوش والآداب الجميلة بحثا عن جزء من النص الأغريقي لتاريخ كمبردج اكتشفه فى مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس. ثم طبع النص اليونانى مع ترجمة لاتينية وضمن هذا الطبع النص المترجم من ترجمة أمارى عن العربية[٦] مع مقابلة باليونانية.

وافترض باتيفول أن النص اليونانى كان مصدراً رجع إليه أحد كتاب العرب ثم أضاف إليه هذا الكاتب روايات أخرى من مصادر عربية[٧].

ثم اشترك القسيس الفرنسى مع العالم الإيطالى كوزا — لوزى فى طبع النص اليونانى أساس مخطوط وجد فى الفاتيكان غير مخطوط باريس الذى تكلمنا عنه. ولعل الأصح أن كوزا — لوزى طبع وحده نص المخطوطين وترجمه[٨].

أما مؤلف التاريخ فقد كتبه على الأرجح فى أوائل القرن الحادى عشر[٩].

---

(١) ميراتورى Rerum italicarum scriptores ج ١ قسم ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٨.

(٢) جريجوريو Rerum arabicarum, quae ad historiam siculum spectant — مجموعة كاملة يا نوراميروس ٣١/٥٩.

(٣) راجع: تاريخ المسلمين فى صقلية (بالإيطالية).

(٤) أمارى: المكتبة العربية الصقلية (مجموعة نصوص عربية) ليبزج ١٨٥٧ ص ١٦٥ — ١٧٦

(٥) أمارى: المكتبة العربية الصقلية. ترجمة إيطالية. تورينو ١٨٨٠ — ١٨٨١ ج ١ ص ١٦٥ — ١٧٦.

(٦) ب. باتيفول: تعليق على مصادر تاريخ كمبردج العربى. أكاديمية النقوش والآداب الجميلة سجل (G.R.) س ٤ ج ١٨ (١٨٩٠) ص ٣٩٤ — ٤٩٢.

(٧) باتيفول: نفس المرجع ص ٤٠١ — ٤٠٢.

(٨) كوزا — لوزى: تاريخ صقلية العربيه المحفوظ فى كمبردج مع نصين يونانيين .. بلرم ١٨٨٠ وثائق لتاريخ صقلية من منشور الجمعية الصقلية للتاريخ القومى س ٤ ج ٢ ص ٦ — ١٣٠).

(٩) كوزا — لوزى. ص - كتاب ص ١٧

وقد طبع كوزا — لوزى النص اليونانى . وقد وضع النص العربى [١] (منقولا عن ب . لاجومينا) المقابل للنص اليونانى . وقد طبع كذلك ترجمة إيطالية للنص اليونانى وترجمة إيطالية أيضا للنص العربى (ترجمها ب . لاجومنيا)[٢] .

وتاريخ كبردج هام لبحثنا هذا وعلى الأخص من ناحية التوقيت . وفيما يلى نكتفى بذكر الترجمة العربية وهى كالاتى :

ص ١٦٥ كتاب تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها المسلمون وأخبار ما جرى فيها من الحروب وتبديل الأمراء وغير ذلك

ابتداء ذلك فى سنة ٦٣٥٣ من تاريخ العالم مايؤرخوه (هكذا) الروم فى كتبهم وفى هذا التاريخ دخل المسلمون إلى صقلية فى النصف من شهر يوليو

(ص ١٦٥ /١٦٦) وفى سنة ٦٣٣٩ (٨٣٠ — ٨٣١ م) أخذت ميناوة وقتل بوروط البطريق

وفى سنة ٦٣٤٠ (٨٣١—٨٣٢) أخذت بانرم

وفى سنة خمسين يتلو التاريخ (يعنى ٦٣٥٠ = ٨٤١/٨٤٢) وقع الجراد بصقلية (غير موجود له مقابل فى النص العربى)

وفى سنة ٣٥٣ (هكذا) (٨٤٤ / ٨٤٥م) أخذت قلاع مودقه

---

(١) ك . سيبولا : النصوص العربية لتاريخ كبردج عن صقليه العربية الذى طبعه كوزا — لوزى (بالايطالية) فى أبحاث أكاديمية العلوم بتورينو جـ ٢٧ (١٨٩٢) ص ٨٣٦ . وراجع كوزا — لوزى : اكتشاف تاريخين روميين عن عرب صقلية وصلتهما بتاريخ كبردج العربى (بالايطالية) ، رومه ، ١٨٩٣ . وقد نشر ألب . ورث . نـ . كبردج مرة ثانية عام ١٨٩٤ حسب مخطوط باريس فقط . ولم يكن يعرف طبعة كوزا — لوزى . انظر الـ . ورث : تاريخ أسبانى (بالألمانية) فرنكفورت ١٨٩٤ ص ١١/١٦ . وراجع ك . كرمباخر : تاريخ الأدب الرومى : ط ٢ ، ميونيخ ١٨٩٧ ص ٣٠٨ . وانظر ك بروكلمان : تاريخ الأدب العربى جـ ١ (١٧٩٨) ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢) انظر تعليقات ڤازلييف عن : تاريخ كبردج فى الطبعة الأولى وهى واجبة التصحيح . ويظهر أنه كان يريد أن يقول أن كوزا - لوزى أعد طبعته حسب مخطوطى الفاتيكان وباريس مع أن كوزا — لوزى طبع المخطوطين منفردين . وكان ڤازلييف يقدر كذلك أن هذا التاريخ الصقلى جزء من تاريخ عام . والواقع أنه لا أثر لهذا التاريخ العام فى مخطوط باريس . أما عن مخطوط الفاتيكان فانه من الواضح أن القسم الصقلى مستقل عن القسم العام الموضوع أولاً . وهذا التاريخ العام يقف عند عام ٦٣٣٤ (٨٢٥— ٨٢٦) وهو لتاريخ الذى يبدأ منه تاريخ صقلية (تعليق ك . نللينو) .

وفى سنة ٣٥٤ (٦) : (٨٤٥ — ٨٤٦م) وقع الحرب بين المسلمين والخزر نيطة فمات من الروم تسعة آلاف .

وفىسنة ٣٥٥ (٦) (٨٤٦/٨٤٧) أخذت لنتينه .

وفى سنة ٣٥٦ (٦) (٨٤٧/٨، أخذت رغوس أولى مرة وكانت مجاعة شديدة (لا مقابل لها فى النص العربى)

وفىسنة٣٦٢(٦) (٨٥٣/٨٥٤م) أخذت بثيرة .

وفى سنة ٦٦ (٦٣) أخذت مراكب على .

وفىسنة٦٧(٦٣) (٨٥٨/٨٥٩) أخذت قصريانه (Castrogiovauni)

وفى سنة ٣٦٨ (٦) (٨٥٩/٨٦٠م)

نزل القندمته (؟)[1]

وفى سنة٧٢ (٦٣) (٨٦٣/٨٦٤م) أسلمت الناطس

وفىسنة٧٣(٦٣)(٨٦٤/٨٦٥م) أخذت الروم أربع شلنديات بسرقوسه

وفى سنة ٣٧٤ : (٦) أسلمت الناطس ثانية

وفىسنة ٧٥ (٦٣) (٨٦٦/٨٦٧) أسلمت رغوس ثانية

— ٨ —

ابن مسكويه

(المتوفى فى ١٠٣٠)

كان أبو على أحمد بن مسكويه بن يعقوب بن مسكويه خازن السلطان عضد الدولة ابن بويه وموضع ثقته ، وكان عالماً باللغة مؤرخاً فيلسوفاً طبيباً . وقد مات بعد أن تقدمت به السن ١٠٣٠[2] (٤٢١ هـ) .

وتاريخ ابن مسكويه يسمى تجارب الأمم وقد ساق فيه الأخبار إلى موت عضد الدولة فى ٩٨٢ / ٩٨٣ (٣٧٢ هـ) . ولم يطبع هذا التاريخ كاملا . وقد طبع كتانى منه

---

(١) ويرى أمارى انه من الجائز أن تدل هذه الرواية المصحفة على قبدقيه . ولكن اللغة اليونانية لا تقر هذا الفرض .

(٢) وستنفلد : تاريخ مؤرخى العرب رقم ١٨٢ ص ٥٩/٦٠ . ك . بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ١ (١٨٩٨) ص ٣٤٢ .

الأجزاء الأول والخامس والسادس مصورة فى مطبوعات جب التذكارية (جـ ٧ ق ١ ، ٥ ، ٦) . وقد طبع الجزء الأخير منه) الخاص بالتاريخ من ٢٩٥ إلى ٣٢٩) اندروز ومرجوليوت وسموه : اضمحلال الخلافة العباسية . اكسفورد : ١٩٢٠ — ١٩٢١ . وقد طبع دى خويه اقتباسات منه خاصة بالتاريخ من سنة ١٩٨ إلى سنة ٢٥١ هـ[1] .

أما عن العصر الذى ندرسه فإنه ليس فى أخبار ابن مسكويه شىء من الجدة المستطرفة . لذلك يعتمد فى أخباره على تاريخ الطبرى .

اقتباسات من ابن مسكويه

توفيل (٨٢٩ — ٨٤٢)

(دى خويه ص ٤٦٤)[2] .

سنة ٢١٥ (٨٣٠) : وفيها خرج المأمون من بغداد لغزو الروم فى شهر محرم فأخذ حصناً وعاد إلى بغداد .

(دى خويه ص ٤٦٤) .

سنة ٢١٦ (٨٣١) عاد المأمون إلى أرض الروم . وسبب ذلك أن المأمون بلغه أن امبراطور الروم أغار على أهل طرسوس والمصيصة وقتلهم وكانوا نحو ألفى رجل . فخرج المأمون غازياً ودخل أرض الروم . ولم يحاصر حصناً إلا استسلم أهله دون قتال حتى أخذ ثلاثين حصناً ثم قصد الطوانة فأسر وقتل وأحرق ثم سار إلى دمشق .

(دى خويه ص ٤٦٤ — ٤٦٥)

سنة ٢١٧ (٨٣٢) : عاد المأمون إلى أرض الروم وسبب ذلك أن كتاباً وصله من ملك الروم بطلب الصلح بدأ فيه الامبراطور بنفسه فغضب المأمون وغزا . فأقر ابنه فى الطوانة بأرض الروم وأرسل معه الفعلة ، فبدأ بها أبنية كبيرة ، وبنى سوراً طوله

---

(١) دى خويه Fragmenta historicorum arabicorum ج ٢ ، ليدن ، ١٨٧١ .

(٢) لا يوجد هذا الكتاب بمكتبتى الجامعتين ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب الملكية معارة لم أستطع الوقوع عليها ولهذا أترجم عن النص الفرنسى وحده (المعرب) .

ثلاثة فراسخ وجعل له أربعه أبواب على كل باب حصن . وكتب لأخيه أبي اسحق بمقدار ما فرض على جند دمشق وما يتبعها وهو أربعة آلاف رجل وأنه جعل لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين درهما . وفرض كذلك على مصر وغيرها . وكتب لاسحق بن ابراهيم صاحب شرطته على بغداد بعدد من فرض على أهلها .

(دى خويه ص ٤٦٧)

وكلام ابن مسكويه عن وفاة المأمون مطابق لكلام الطبرى .

(دى خويه ص ٤٧٠)

سنة ٢١٨ (٨٣٣) : وفيها أمر المعتصم بهدم ماكان المأمون بناه بالطوانة وبحمل ما بها من السلاح وآلة الحرب وما يمكن حمله ، وأمر بإحراق ما لم يستطع حمله . وأمر من كان المأمون أقره بهذه المدينة أن يعودوا إلى بلادهم[١]

أما وقائع زبطرة وملطية عام (٨٣٧) فقد حذفت من النص المنشور من تاريخ ابن مسكويه والمخطوط ناقص فى هذا المكان (وقد وضع دى خويه مكان النقص نقطاً ، ص ٤٨٥) .

أما الرواية الخاصة بغزوة عمورية فإنها تبدأ بوصول أشناس على رأس الطليعة إلى مرج الأسقف (ص ٤٨٥) . وباقى حملة عمورية مروى عند ابن مسكويه رواية واضحة جلية مطابقة تمام المطابقة لرواية الطبرى . وتلاحظ فقط أن بعض العبارات اختصرت . ولكن اختصارات تقع على أشياء غير هامة .

ميشيل الثالث

(٨٤٢ — ٨٦٧)

لايذكر ابن مسكويه إلا تفاصيل يسيرة عن عهد ميشيل الثالث . وهذا القليل موجود فى الطبرى

١ — فداء الأسرى سنة ٢٣١ (٨٤٥) رواية حسنة ، لاجديد فيها ، ملخصة عن الطبرى (ص ٥٣٢ — ٥٢٣)

---

(١) ولا تزيد هذه القطعة شيئا على ما رواه الطبرى عن نفس الواقعة (ج ٣ س ١١٦٤) .

٢ ــ صائفة وصيف سنة ٢٤٨ وأسبابها وقد ذكرها الطبرى أيضا (ابن مسكويه ص ٥٥٧ — ٥٥٨)

٣ ــ رواية موجزة عن موت عمر بن عبيد الله الأقطع وعلى بن يحيى الأرمنى عام ٢٤٩ (ص ٥٦٤)

— ٩ —

ابن الأثير (المتوفى فى ١٢٣٣)

ولد أبو الحسن على بن أبى الكرم أثير الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم عز الدين الأثير الشيبانى فى ١٢ مايو ١١٦٠ (٤ جمادى الأولى عام ٥٥٥ هـ) بجزيرة ابن عمر من مدن الجزيرة ولهذا يسمى أحياناً بالجزرى أيضاً [١] . وبها قضى أيام شبابه . ثم انتقل عام ١١٨٠ (٥٧٦ هـ) مع أبيه وإخوته إلى الموصل فأتم دراسته .

وقد أتيح له أثناء إقاماته الكثيرة ببغداد أن يسمع العلم من مشهورى العلماء وقد رحل بعد ذلك إلى الشام حتى بلغ بيت المقدس . وكان من أحسن العلماء فى الحديث والتاريخ القديم والحديث وأنساب العرب .

ثم عاد إلى الموصل فاستقر بها وانصرف انصرافاً تاماً للعلم . وصار بيته محط العلماء سواء منهم من كان من أهل إقليمه أو من مر به . وقد لقى ابن الأثير فى حلب عام ١٢٢٩ (٦٢٦ هـ) ابن خلكان صاحب التراجم المشهور فرحب به أطيب ترحيب . واستطاع ابن خلكان فى تراجمه أن يتحدث بصفات ابن الأثير العظيمة عن معرفة وأن يصف تواضعه ووثيق صلته بأبيه خلكان [٢] .

وفى عام ١٢٢٩ / ١٢٣٠ م (٦٢٧ هـ) رحل ابن الأثير إلى دمشق . ثم عاد فى السنة التالية إلى حلب . فلم يلبث فيها إلا قليلا حتى رحل إلى الموصل فمات بها فى ١٢٣٣ (فى شهر شعبان سنة ٦٣٠ للهجرة)

---

(١) وستنفلد : مؤرخو العرب ، رقم ٣١٥ ص ١١٣ — ١١٤ . أمارى : المكتبة العربية الصقلية الترجمة الإيطالية ج ١ . تورينو وروما ١٨٨٠ ص ٤٨/٥٠ من المقدمة .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان ط . وستنفلد . جوتنجن ١٨٣٥ — ١٨٥٠ رقم ٤٧١ . ابن خلكان : نفس الكتاب ترجمه البارون ماك جوكن دى سلان ج ٢ ، باريس ١٨٤٣ ص ٨٢٩ a

وأهم كتب ابن الأثير تاريخه الكامل (وهو يحوى الأخبار التاريخية منذ بدء الخليقة إلى سنة ١٢٣٠ / ١٢٣١ (٦٢٨ هـ) وقد نشره تورنبرج [١]

وهو مؤرخ يقدره العلماء إلا أنهم انصرفوا عنه فى السنين الأخيرة بعد أن طبعت مصادره فتركوه والتفتوا إلى المؤرخ الأقدم (يعنى الطبرى)

والواقع أن ابن الأثير يعتمد على الطبرى أكبر الاعتماد . وعنه أخذ ترتيب الحوادث ولم يكد يغير فيه شيئاً [٢] . وهو فى كثير من المواضع ينسخ الطبرى بالحرف أو يلخصه فى مواضع أخرى . ويلاحظ أن ابن الأثير يحذف الإسناد عادة يعنى أنه يحذف إسم الذى يروى الخبر . ثم إن بن الأثير يلخص أو يعدل ما روى الطبرى من خطب وكتب وأشعار كثيرة تلخيصاً وتعديلا كبيراً . وهو على الأخص يحذف تفاصيل كثيرة كان من شأن وجودها عند الطبرى إشاعة الغموض فى سرده . [٣]

أما فيما يخص العصر الذى ندرسه فإن ابن الأثير يعتمد فى أخبار المشرق فيه على الطبرى .

ميشيل الثانى

فتح كريت على يد مسلمين قادمين من مصر

(ابن الأثير جـ ٦ ص ٢٨١ — ٢٨٢ = الطبرى س ٣ ص ١٠٩٢)

تيوفيـــــل

١ — غزو العرب ماجده سنة ٨٣٠ وقرة وسندس وسنان . نص ابن الأثير (جـ ٦ ص ٢٩٤) نسخ لنص الطبرى مع شيء من الإختصار

٢ — غزو العرب سنة ٨٣١ انطيغو وهرقله الخ . ابن الأثير (جـ ٦ ص ٢٩٥ — ٢٩٦) يختصر فى خبرها الطبرى (س ٣ ص ١١٠٤) .

٣ — أمر لؤلؤة (٨٣٢) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٩٧ والطبرى س ٣ ص ١١٠٩) ولكنه يحذف نص الخطاب الطويل الذى أرسله المأمون إلى تيوفيل ورد

---

(١) ابن الأثير : الكامل ط . ك . ج . تورنبرج فى ١٢ مجلدا للنص ومجلدين للفهارس (ج ١٣ ، ١٤) . ليدن ١٨٥١ — ١٨٧٦ .

(٢) أنظر مثلا راى أمارى فى أنه سهل التناول يمكن اتخاذه دليلا ويضيف أن أسلوبه دقيق وأنه غير متحيز . ج ١ (١٨٨٠) ص ٤٩ من المقدمة .

(٣) راجع ك . بروكلمان : العلاقـــة بين الكامل فى التاريخ لابن الأثير وبين أخبار الرسل والملوك للطبرى . ستراسبورج ، ١٨٩٠ ص ٧ .

المأمون على توفيل (الطبرى س ٣ص ١١٠٩ — ١١١١) ويقتصر على القول : إن ملك الروم طلب الصلح فلم يجب اليه (ج ٦ ص ٢٩٧)

٤ — ترميم أسوار الطوانه سنة ٨٣٣ . يذكره ابن الاثير (ج ٦ ص ٣١١) كما يذكره الطبرى (س ٣ ص ١١١١ — ١١١٢) . ولكن ابن الاثير يهمل بعض الشيء ذكر ضرب البعث لطوانه ويضع مكان سرد الطبرى المطول (س ٣ ص ١١١٢) بضع عبارات دون تحديد جغرافى .

ويفترض بروكلمان أن ابن الاثير فى هذا الموضع قد رجع إلى ابن مسكويه مباشرة [1] .

ولكننا مع ذلك نتمسك برأينا وهو أن ابن الاثير فى هذه الحالة وفى حالة أخبار الروم والعرب إنما ينسخ الطبرى أو يلخصه بطريقة مباشرة .

واليك مقابلة بين نصوص الطبرى وابن الأثير .

ابن الأثير (ج ٦ ص ٣١١)

ووجه ابنه العباس إلى طوانه وأمره ببنائها وكان قد وجه الفعلة فابتدأوا فى بنائها ميلا فى ميل وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وجعل على كل باب حصناً . وكتب إلى البلدان ليفرضوا على كل بلد جماعة ينتقلون إلى طوانه وأجرى لكل فارس مائة درهم ولكل راجل أربعين درهما .

الطبرى (س ٣ص ١١١١ / ١١١٢)

وفيها وجه المأمون ابنه العباس إلى أرض الروم وأمره بنزول الطوانه، وبنائها. وكان قد وجه الفعلة والفروض فابتدأ البناء وبناها ميلا فى ميل ، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ وجعل لها أربعة أبواب وبنى على كل باب حصناً وكان توجيهه ابنه العباس فى ذلك فى أول يوم من جمادى وكتب إلى أخيه أبى اسحق بن الرشيد أنه قد فرض على جند دمشق وحمص والأردن وفلسطين أربعة آلاف رجل . وإنه يجرى على الفارس مائة درهم وعلى الراجل أربعين درهما ، وفرض على مصر فرضاً .

---

(١) بروكلمان . ملاقة .. ص ٤٦ .

وانظر نص ابن مسكويه الذى اقتبسناه من قبل . وقد أخذ ابن مسكويه عن الطبرى (دى خويه : Fragmenta ص ٤٦٤ / ٤٦٥

فاذا قارنا هذه النصوص الثلاثة (ابن مسكويه ، ابن الأثير ، الطبرى) لاحظنا أنه لا داعى للتأكيد بأن ابن الأثير أخذ هذه العبارات التى رأيناها عن ابن مسكويه ولم يأخذها من مصدره الأول وهو الطبرى ، ٥ . ٦ — وابن الأثير ينسخ الطبرى بعــد حذف تفاصيله فى سرد عمليات توفيل الحربية وعمليات المعتصم فى زبطره وملطيه وغزوة عمورية .

(ابن الأثير ج ٦ ص ٣٢٩ / ٣٤٦ — الطبرى س ٣ ص ١٢٣٤ — ١٢٥٦) .

ميشيل الثالث

١ — السرد الخاص بالفداء سنة ٢٣١ سرد مفصل عند الطبرى (س ٣ ص ١٣٥١ — ١٣٥٧) وهو ملخص عند ابن الأثير ولكنه مطابق له (ج ٧ ص ١٦/ ١٧) وفرق آخر وهو أن الطبرى يدخل فى سرده تعليقات أخذها من مصادر مختلفة فاتخذت شكلا فيه شيء من الإضطراب . أما ابن الأثير فإنه لخص ذلك تلخيصاً أكثر سلامة من الإضطراب فى الحقيقة .

ابن الاثير . فداء سنه ٢٣١

ج ٧ ص ١٦ — ١٧

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم . واجتمع المسلمون فيها على نهر اللامس على مسيرة يوم من طرسوس . واشترى الواثق من ببغداد وغيرها من الروم . وعقد الواثق لأحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلى على الثغور والعواصم ، وأمره بحضور الفداء هو وخاقان الخادم . وأمرهما أن يمتحنا أسرى المسلمين . فمن قال القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى فى الآخرة ، فودى به وأعطى ديناراً . ومن لم يقل ذلك ترك فى أيدى الروم . فلما كان فى عاشوراء سنة احدى وثلاثين ، اجتمع المسلمون ومن معهم من الأسرى على النهر . وأتت الروم ومن معهم من الأسرى . وكان النهر بين الطائفتين . فكان المسلمون يطلقون الأسير ، فيطلق الروم الأسير من المسلمين ، فيلتقيان فى وسط النهر ويأتى كل أصحابه فإذا وصل الاسير إلى المسلمين كبروا .

وإذا وصل الاسير إلى الروم صاحوا حتى فرغوا (يعنى من أمر الفداء)

وكان عدة أسرى المسلمين ٤٦٠٠ نفساً ، والنساء والصبيان = ٨٠٠ ، وأهل ذمة المسلمين مائة نفس . وكان النهر مخاضة تعبره الاسرى وقيل بل كان عليه جسر . ولما فرغوا من الفداء ، غزا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلى شاتياً . فأصاب الناس ثلج ومطر . فمات منهم مائتا نفس ، وأسر نحوهم . وغرق بالبدندون خلق كثير . فوجد الواثق على أحمد . وكان قد جاء إلى أحمد بطريق من الروم ينذره . فقال وجوه الناس لأحمد : إن عسكراً فيه سبعة آلاف لا يتخوف عليه . فإن كنت كذلك فواجه القوم ، واطرق بلادهم . ففعل وغنم نحواً من ألف بقرة وعشرة آلاف شاة . وخرج فعزله الواثق . واستعمل مكانه نصر بن حمزة الخزاعى فى جمادى الأولى .

٢ — صائفة سنة ٢٢٧

(ابن الأثير جـ٧ ص ٤٣ = الطبرى س ٣ ص ١٤١٤)

٣ — سنة ٢٢٨

(ا) سرد غارة الروم على دمياط ، سرد نسخة ابن الأثير (جـ٧ ص ٤٥) ولخصه ولكنه سرد مطابق لرواية الطبرى (س ٣ ص ١٤١٧ — ١٤١٨)

(ب) صائفة

(ابن الأثير جـ٧ ص ٤٦ = الطبرى س ٣ ص ١٤١٩)

٤ — صائفة سنة ٢٢٩

(ابن الأثير جـ٧ ص ٤٧ = الطبرى ص ١٤٢٠)

٥ — سنة ٢٤١

(ا) الغاره على زبطرة

(ابن الأثير جـ٧ ص ٥٢ = الطبرى س ٣ ص ١٤٢٦)

(ب) سرد مفصل عند الطبرى خاص بالفداء (س ٣ ص ١٤٢٦ — ١٤٢٨) يقابله سرد موجز عند ابن الأثير

٦ — سنة ٢٤٢

أمر سميساط وآمد وتفريق

(ابن الأثير جـ٧ ص ٥٣ = الطبرى س ٣ ص ١٤٣٤)

٧ — صائفة ٢٤٤

(ابن الأثير جـ ٧ ص ٥٥ = الطبرى س ٣ ص ١٤٣٦)

٨ — سنة ١٤٥ أمر سماط ولؤلؤه

يوجز ابن الأثير (جـ ٧ ص ٥٧) سرد الطبرى (س ٣ ص ١٤٤٧ — ١٤٤٨)

٩ — سنة ٢٤٦

(ا) أربع غزوات عربية فى أرض الروم

(ابن الأثير جـ ٧ ص ٥٩ = الطبرى س ٣ ص ١٤٤٩)

(ب) يقابل سرد الطبرى المفصل عن الفداء وإيفاد نصر بن الأزهر إلى قسطنطينية (س ٣ ص ١١٤٩ — ١٤٧١) . سرد موجز عند ابن الأثير هو عبارة عن إشارة فقط قال « وفيها كان الفداء على يد على بن يحيى الأرمنى ففودى بألفين وثلثمائة وسبع وستين نفساً .

١٠ — سنة ٢٤٨

(ا) أمر ابعاد وصيف عن البلاط . أوجزه ابن الأثير (جـ ٧ ص ٧٢) عن الطبرى (س ٣ ص ١٤٨٠ وما بعدها)

(ب) صائفة وصيف .

(ابن الأثير جـ ٧ ص ٧٨ = الطبرى س ٣ ص ١٥٠٨)

١١ — صائفة سنة ٢٤٩

(ابن الأثير جـ ٧ ص ٧٩ = الطبرى س ٣ ص ١٥٠٩ — ١٥١٠)

١٢ — صائفة سنة ٢٥١ (غزو بلكاجور)

(ابن الأثير جـ ٧ ص ١١٠ = الطبرى س ٣ ص ١٦١٥)

ونرى من هذا أن تاريخ ابن الأثير لا أهمية له بالنسبة لعصرنا فى دراسة الحروب الرومية العربية . فقد طبع الطبرى . وابن الاثير إنما ناسخ ماقاله أو ملخص له.

ابن الأثير وتاريخ صقلية

لاحظنا من قبل أن الطبرى لايهتم بتاريخ المغرب وأن ابن الاثير يعنى به ولهذا السبب كان ابن الاثير عظيم الأهمية لانه يسوق لنا تاريخاً على شىء من التفصيل خاصاً بفتح العرب صقلية .

ولكن أمر المصادر التى رجع اليها ابن الاثير فى هذا القسم من التاريخ لا تزال للأسف مسألة غامضة . وكل ما نستطيع افتراضه هو أن ابن الأثير أخذ عن مراجع قديمة قيمة . ثم إن ابن الأثير اعتبر بدوره مصدراً أخذ عنه من جاء بعده [١] .
ولهذا السبب عرفت كل روايات ابن الأثير عن أمر صقليه ونشرت وترجمت إلى اللغة الإيطالية على يد العالم الإيطالى أمارى (ص ٩٢ — ١٠٦ والترجمة ج ١ ص ٣٦٥ وما بعدها) [٢] قبل أن يطبع تورنبرج ابن الأثير .

نصوص من ابن الأثير عن فتح العرب صقلية

ميشيل الثانى

خبر فتح صقلية أيام زيادة الله بن الأغلب وما كان بها من الحروب إلى أن مات

(تورنبرج ج ٦ ص ٢٣٥ — ٢٣٨ . أمارى . الترجمة ج ١ ص ٣٦٤ — ٣٦٨ ؛ فانيان ص ١٨٧ — ١٩٠) .

فى سنة اثنتى عشرة ومائتين جهز زياده الله جيشا فى البحر ، وسيرهم إلى جزيرة صقلية . واستعمل عليهم أسد بن الفرات ، قاضى القيروان ، وهو من أصحاب مالك وهو مصنف الأسدية فى الفقه على مذهب مالك . فلما وصلوا اليها ملكوا كثيرا منها

وكان سبب انفاذ الجيش أن ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقليه بطريقا اسمه قسطنطين سنة إحدى عشرة ومائتين (١٣ ابريل ٨٢٦ — أول إبريل ٨٢٧)

فلما وصل اليها (هذا البطريق) إستعمل على جيش الأسطول رجلا روميا اسمه فيمى ، كان حازما شجاعا . فغزا إفريقيه وأخذ من سواحلها تجارا ونهب وبقى هناك مدة . ثم إن ملك الروم كتب إلى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمى مقدم الأسطول وتحذيبه . فبلغ الخبر إلى فيمى ، فأعلم أصحابه ، فغضبوا له وأعانوه على المخالفة . فسار فى مراكبه إلى صقلية واستولى على مدينة سرقوسه فسار إليه قسطنطين ، فالتقوا

(١) بروكلمان : العلاقة .. ص ٥٧ .

(٢) أمارى : المكتبة العربية الصقلية المشتملة على النصوص العربية الخاصة بصقلية ، ليبزج ١٨٥٧ ص ٢١٤ — ٣١٧ أمارى : المكتبة العربية الصقلية : الترجمة الإيطالية ج ١ تورينو وروما ، ١٨٨٠ ص ٣٨٣ — ٥٠٧ . أما الأجزاء الخاصة بتاريخ صقلية من ابن الأثير فهى مترجمة فى حوليات المغرب وأسبانيا (بالفرنسية) مع تعليقات ، نشرها فانيان ، الجزائر ، ١٩٠١ .

واقتتلوا فانهزم قسطنطين وسار إلى مدينة قطانية . فسير إليه فيمى جيشا فهرب منهم فأخذ وقتل وخوطب فيمى بالملك . واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطة . فخالف فيمى وعصاه واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل ، وهو والى مدينة بلرم وجمعا عسكرا كثيرا فقاتلا فيمى . وانهزم فاستولى بلاطة على مدينة سرقوسة .

وركب فيمى ومن معه فى مراكبهم إلى افريقية . وأرسل إلى الأمير زياده الله يستنجده ويعده بملك جزيرة صقليه .

فسير (الأمير) معه جيشا فى ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومائتين . فوصلوا إلى مدينة مازر من صقلية . فساروا إلى بلاطة الذى قاتل فيمى . فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون . وأمروا فيمى ومن معه أن يعتزلوهم . واشتد القتال بين المسلمين والروم . فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم وهرب بلاطة إلى قلورية فقتل بها . واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصل إلى قلعة تعرف بقلعة الكراث[1] ، وقد اجتمع اليها خلق كثير . فخدعوا القاضى أسد بن الفرات وذلوا له .

فلما رآهم فيمى مال إليهم وراسلهم أن يثبتوا ويحفظوا بلدهم فبذلوا لأسد الجزية وسألوه أن لا يقرب منهم فأجابهم إلى ذلك . وتأخر عنهم أياما . فاستعدوا للحصار ودفعوا اليهم ما يحتاجون اليه ، فامتنعوا عليه . وناضبهم الحرب . وبث السرايا فى كل ناحية ، فغنموا شيئاً كثيراً وافتتحوا عمراناً[2] كثيرة حول سرقوسة ، وحاصروا سرقوسة براً وبحراً ، ولحقته الأمداد من افريقيه ، فسار اليهم والى بلرم فى عساكر كثيرة . فخندق المسلمون عليهم وحفروا خارج الخندق حفراً كثيرة . فحمل الروم عليهم فسقط فى تلك الحفرة كثير منهم فقتلوا وضيق المسلمون على سرقوسة فوصل أسطول من القسطنطينية فيه جمع كثير . وكان قد حل بالمسلمين وباء شديد سنة ثلاث عشرة ومائتين (٢٢ مارس ٨٢٨ — ١٠ مارس ٨٢٩) هلك فيه كثير منهم ، وهلك

(١) باسم النبات المعروف

(٢) المقصود الكهوف حسب الترجمة . وقد جاء فى التعليق أن المقصود كما يقول أمارى هو المحاجر المشهورة الواقعة حول سرقوسة . ويلاحظ الأستاذ كنار أن هذا اللفظ لا يعنى قط (صدر الجمل) (راجع الطبعة الرومية ص ٩٥ هـ ١) .

فيه أميرهم أسد بن الفرات . وولى الأمر على المسلمين بعده محمد بن أبي الجوارى .

فلما رأى المسلمون شدة الوباء ووصول الروم تحماوا فى مراكبهم ليسيروا ، فوقف الروم فى مراكبهم على باب المرسى . فمنعوا المسلمين من الخروج . فلما رأى المسلمون ذلك أحرقوا مراكبهم وعادوا ورحلوا إلى مدينة ميناو لحصروها ثلاثة أيام ، وتسلموا الحصن . فسار طائفة منهم إلى حصن جرجنت ، فقاتلوا أهله وملكوه وسكنوا فيه . واشتدت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا ثم ساروا إلى مدينة قصريانة ومعهم فيمى . فخرج أهلها إليه فقبلوا الأرض بين يديه فأجابوه إلى أن يملكوه عليهم وخدعوه ثم قتلوه .

ووصل جيش من القسطنطينية مددا لمن فى الجزيرة . فتصافوا هم والمسلمون فانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير ودخل من سلم قصريانه وتوفى محمد بن أبي الجوارى أمير المسلمين وولى بعده زهير بن غوث .

ثم إن سرية المسلمين سارت للغنيمة فخرج إليهم الروم وقد اجتمعوا وحشدوا وتصافوا مرة ثانية . فانهزم المسلمون أيضاً وقتل منهم نحو ألف قتيل . وعادوا إلى معسكرهم ، وخندقوا على أنفسهم . فحصرهم الروم . ودام القتال بينهم . فضاقت الأقوات على المسلمين فعزموا على بيات الروم . فعلموا بهم ففارقوا الخيم وكانوا بالقرب منها . فلما خرج المسلمون لم يروا أحداً . وأقبل عليهم الروم من كل ناحية فأكثروا القتل فيهم ، وانهزم الباقون ، فدخلوا ميناو . ودام الحصار عليهم حتى أكلوا الدواب والكلاب . فلما سمع من فى مدينة جرجنت من المسلمين ما هم عليه هدموا المدينة وساروا إلى مازر ، ولم يقدروا على نصرة إخوانهم .

تيوفيـــــل

(ثورنبرج ج ٦ ص ٢٣٨ — ٢٤٠ ، امارى : الترجمة ج ١ ص ٣٦٨ — ٣٧٢ ، فانيان ص ١٩١ — ١٩٤) .

ودام الحال كذلك إلى أن دخلت سنة أربع عشرة ومائتين ، وقد أشرف المسلمون على الهلاك وإذ قد أقبل أسطول كبير من الأندلس خرجوا غزاة . ووصل

فى ذلك الوقت مراكب كثيرة من أفريقية مدداً للمسلمين فبلغت عدة المسلمين ثلاثمائة مركب .

فنزلوا (أى الأمداد) إلى الجزيرة . فانهزم الروم عن حصار المسلمين . وفرج الله عنهم . وسار المسلمون إلى مدينة بلرم فحصروها ، وضيقوا على من بها . فطلب صاحبها الأمان لنفسه ولأهله ولماله . فأجيب إلى ذلك . وسار فى البحر إلى بلاد الروم . ودخل المسلمون البلد فى رجب سنة ٢١٦ (١٤ أغسطس — ١٢ سبتمبر ٨٣١) فلم يروا فيها إلا أقل من ثلاثة آلاف إنسان . وكان فيه لما حصروه سبعون ألفا . وماتوا كلهم .

وجرى بين المسلمين أهل أفريقية وأهل الأندلس خلف ونزاع . ثم اتفقوا . وبقى المسلمون إلى سنة ٢١٩ (١٦ يناير ٨٣٤ — ٤ يناير ٨٣٥) . وسار المسلمون إلى مدينة قصريانة . فخرج من فيها من الروم . فاقتتلوا أشد قتال . ففتح الله على المسلمين وانهزم الروم إلى معسكرهم . ثم رجعوا فى الربيع فقاتلوهم فنصر المسلمون أيضاً . ثم ساروا سنة ٢٢٠ (٧ يناير ٢٥ ديسمبر ٨٣٥) وأميرهم محمد بن عبدالله إلى قصريانة، فقاتلهم الروم ، فانهزموا وأسرت امرأة لبطريقهم وابنه وغنموا ما كان فى عسكرهم . وعادوا إلى بلرم . ثم سير محمد بن عبد الله عسكراً إلى ناحية طيرمين عليهم محمد بن سالم ، فغنم غنائم كثيرة ثم عدا عليه بعض عسكره فقتلوه ، ولحقوا بالروم .

فأرسل زيادة الله من أفريقية الفضل بن يعقوب عوضاً منه ، فسار فى سرية إلى ناحية سرقوسة فأصابوا غنائم كثيرة وعادوا . ثم سارت سرية كبيرة ، فغنمت وعادت فعرض لهم البطريق ملك الروم بصقلية وجمع كثيراً ؛ فتحصنوا من الروم فى أرض وعرة وشجر كثيف ، فلم يتمكن من قتالهم . وواقفهم إلى العصر . فلما رأى أنهم لا يقاتلون عاد عنهم فتفرق أصحابه وتركوا التعبية ، فلما رأى المسلمون ذلك حملوا عليهم حملة صادقة فانهزم الروم وطعن البطريق وجرح عدة جراحات، وسقط عن فرسه . فأتاه حماة أصحابه واستنقذوه جريحاً وحملوه ، وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ومتاع ودواب . فكانت وقعة عظيمة .

وسير زيادة الله من أفريقية إلى صقلية أبا الأغلب ابراهيم بن عبدالله أميراً عليها

فخرج فوصل إليها منتصف رمضان (١٢ سبتمبر ٨٣٥) فبعث أسطولا فلقوا جمعاً للروم فى أسطول فغنم المسلمون ما فيه [1] . فضرب أبو الأغلب رقاب كل من فيه . وبعث أسطولا آخر إلى قوصرة ، فظفر بحراقة [2] فيها رجال من الروم ورجل متنصر من أهل أفريقية فاتى بهم فضرب رقابهم. وسارت سرية أخرى إلى جبل النار (اتنا) والحصون التى فى تلك الناحية ، فأحرقوا الزرع وغنموا وأكثروا القتل .

ثم سير أبو الأغلب سنه ٢٢١ (٢٦ ديسمبر ٨٣٥ — ١٣ ديسمبر ٨٣٦) سرية إلى جبل النار أيضاً فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بأبخس الأثمان وعادوا سالمين.

وفيها جهز أسطولا ، فساروا نحو الجزائر فغنموا غنائم عظيمة وفتحوا مدناً ومعاقل وعادوا سالمين .

وفيها سير أبو الأغلب أيضاً سرية إلى قسطلياره [3] فغنموا وسبوا ، ولقيهم العدو فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم .

وسير سرية إلى مدينة قصريانة فخرج اليهم العدو فاقتتلوا ، فانهزم المسلمون وأصيب منهم جماعة . ثم كانت وقعة أخرى بين الروم والمسلمين فانهزم الروم وغنم المسلمون منهم تسعة مراكب كبار برجالها وشلندس [4] .

فلما جاء الشتاء وأظلم الليل رأى رجل من المسلمين [غفلة] [5] من أهل قصريانة فقرب منه ورأى طريقاً فدخل منه، ولم يعلم به أحد. ثم انصرف إلى العسكر فأخبرهم

---

(١) يوجد نقص فى المخطوط ولكن المعنى ظاهر .

(٢) هى سفينة حارقة : أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) لعل المقصود كاستلوشيو (راجع أمارى : تاريخ ج ١ ص ٣٠٥ . وأمارى : المكتبة : الترجمة ج ١ ص ٣٧١) أو لعل المقصود (كاستلو) آنى (أمارى تاريخ ط ٢ ج ١ ص ٤٣٨ هـ ١)

(٤) ويرسم اللفظ شندس فى نص أمارى (ص ٢٢٦) ونص تورنبرج (ص ٢٤٠) والسين الأخيرة خطأ من الناسخ من غير شك وصحتها الياء (والمقصود شلندى) أو يكون جائزا أن يكون المقصود المثنى (شلنديين) كما يعتقد أمارى : المكتبة ، النص ، ص ٢٢٦ هـ ٧ والترجمة ج ١ ص ٣٧١ . وانظر فاسيليف ص ١٩٣ (شلنديان) .

(٥) كلمة غير مفهومة فى نص أمارى (ص ٢٢٧) وعند تورنبرج (ص ٢٤٠) . ويرسم ابن خلكان الكلمة نقلا عن ابن الأثير دمول (عورة) (أمارى ، ص ، ص ٢٢٧ هـ ١) . ويقترح فليشر أن توضع كلمة عربية بمعنى عدم الانتباه مثل غرة (أمارى ، النص ص ٥١) ويرى أمارى ان من الممكن أن نقرأ الكلمة (عثرة) (المكتبة ، الترجمة ج ١ ص ٣٧١) ولعل الأصح أن نقرأ غرة أنظر نللينو عند أمارى : تاريخ ، ط ٢ ج ١ ص ٤٣٩/٤٤٠ هـ ٣ .

فجاءوا معه فدخلوا من ذلك الموضع وكبروا وملكوا ربضه وتحصن المشركون منهم بحصنه . فطلبوا الأمان فأمنوهم . وغنم المسلمون غنائم كثيرة . وعادوا إلى بلرم .

وفى سنة ٢٢٣ وصل كثير من الروم فى البحر إلى صقلية . وكان المسلمون قد حاصروا جفلوذى (Cefalu) وقد طال حصارها . فلما وصل الروم رحل المسلمون عنها . وجرى بينهم وبين الروم الواصلين حروب كثيرة .

ثم وصل الخبر بوفاة زيادة الله بن ابرهيم بن الأغلب أمير افريقية فوهن المسلمون ثم تشجعوا وضبطوا أنفسهم .

(جـ ٦ ص ٣٥٠ — أمارى : الترجمة جـ ١ ص ٢٧٣ / ٢٧٤ . فانيان ص ٢١٠) .

وسير (أخو زيادة الله وهو أبو عفان الأغلب بن ابرهيم) سرية سنة ٢٢٤ (٢٣ نوفمبر ٨٣٨ — ١١ نوفمبر ٨٣٩) إلى صقلية فغنمت وسلمت .

وفى سنة ٢٢٥ (١٢ نوفمبر ٨٣٩ — ٣٠ أكتوبر ٨٤٠) استأمن عدة حصون من جزيرة صقلية إلى المسلمين منها حصن البلوط (Caltabellotta) وابلاطنو (Platani) وقرلون (Corleone) ومرو (Caltamauro أو Marineo) .

وسار أسطول المسلمين إلى قلورية ففتحها ولقوا أسطول صاحب القسطنطينية فهزموه بعد قتال . فعاد الاسطول مهزوما فكان فتحا عظيما .

وفى سنة ٢٢٦ (٣١ أكتوبر ٨٤٠ — ٢٠ أكتوبر ٨٤١) سارت سرية للمسلمين بصقلية إلى قصريانة فغنمت وأحرقت وسبت ، فلم يخرج إليها أحد . فصارت إلى حصن الغيران[1] وهو أربعون غارا فغنمت جميعها .

ميشيل الثالث

٨٤٢ — ٨٦٧

(جـ ٧ ص ٣ . أمارى : الترجمة جـ ١ ص ٢٧٤ / ٢٧٧ . فانيان ص ٢١٦ / ٢١٨) .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

ذكر غزوات المسلمين فى جزيرة صقلية

---

(١) غيران جمع غار بمعنى كهف ، وحصن الغيران معناه حصن الكهوف

فى هذه السنة سار الفضل بن جعفر الهمذانى ، فى البحر ، فنزل مرسى مسينى[١] وبث السرايا فغنموا غنائم كثيرة . واستأمن اليه أهل نابل . وصاروا معه

وقاتل الفضل مدة سنتين . واشتد القتال ، فلم يقدر على أخذها (يعنى مسينى) . فمضى طائفة من العسكر واستداروا خلف جبل مطل على المدينة ، فصعدوا اليه ونزلوا إلى المدينة وأهل البلد مشغلون بقتال جعفر ومن معه . فلما رأى أهل البلد أن المسلمين دخلوا عليهم من خلفهم انهزموا وفتحوا البلد .

وفيها فتحت مدينة مسكان .

وفى سنة ٢٢٩ (٣٠ سبتمبر ٨٤٣ — ١٧ سبتمبر ٨٤٤) خرج أبو الأغلب العباس بن الفضل فى سرية . فبلغ شرة[٢] فقاتله أهلها قتالا شديداً فانهزمت الروم وقتل منهم ما يزيد على عشرة آلاف رجل . واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر . ولم يكن بصقلية قبلها مثلها .

وفى سنة ٢٣٢ (٢٨ ابريل ٨٤٦ / ٦ أغسطس ٨٤٧) حصر الفضل بن جعفر مدينه لنتينى . فأخبر الفضل أن أهل لنتينى[٣] كاتبوا البطريق الذى بصقلية لينصرهم

فأجابهم وقال لهم إن العلامة عند وصولى أن توقد النار ثلاث ليال على الجبل الفلانى . فإذا رأيتم ذلك فى اليوم الرابع أصل إليكم . فنجتمع أنا وأنتم على المسلمين بغتة . فأرسل الفضل من أوقد النار على ذلك الجبل ثلاث ليال . فلما رأى أهل لنتينى النار أخذوا فى أمرهم وأعد الفضل ما ينبغى أن يستعد به وكمن الكمناء . وأمر الذين يحاصرون المدينة أن ينهزموا إلى جهة الكمين فإذا خرج أهلها عليهم قاتلوهم . فإذا جاوزوا الكمين عطفوا عليهم . فلما كان اليوم الرابع خرج أهل لنتينى وقاتلوا المسلمين وهم ينتظرون وصول البطريق . فانهزم المسلمون واستجروا الروم حتى جاوزوا الكمين ، ولم يبق بالبلد أحد إلا خرج . فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم

---

(١) روايه أمارى (ترجمة ج ١ ص ٢٧٤) ودعها باليسان ص ٢١٦ . وفى نص أمارى العربى (ص ٢٢٩) ونص نويرى (ج ٧ ص ٣) (وفى هاتين السنتين) وفى بعض المخطوطات (مدينة مسينى)

(٢) فى نص أمارى ص ٢٢٩) ونص نويرى (ج ٧ ص ٣) . ويعتقد أمارى أن من الجائز يكون المقصود بمدينة بوترة (أمارى ، النص ، ص ٢٢٩ ، ٨) ؛ الترجمة ج ١ ص ٢٧٥ .

(٣) ولكن النص يذكر مسينى وهى رواية خاطئة .

وخرج الكمين من خلفهم ، ووضعوا فيهم السيف فلم ينج منهم إلا القليل . فسألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم ، ليسلموا المدينـــة . فأجابهم المسلمون إلى ذلك ، وأمنوهم ، فسلموا المدينة .

وفيها أقام المسلمون بمدينة طارنت من أرض انكبرده وسكنوها (Tarente Langobardie) .

وفى سنة ٢٣٣ (١٧ أغسطس ٨٤٧ — ٤ أغسطس ٨٤٨) وصل عشر شلنديات من الروم فأرسوا بمرسى الطين[1] . وخرجوا ليغيروا ، فضلوا الطريق ، فرجعوا خائبين ، وركبوا البحر راجعين فغرق منها سبع قطع .

وفى سنة ٢٣٤ (٥ أغسطس ٨٤٨ — ٢٥ يوليه ٩٤٩) صالح أهل رغوس وسلموا المدينة إلى المسلمين بما فيها ، فهدمها المسلمون وأخذوا منها ما أمكن حمله .

وفى سنة ٢٣٥ (٢٦ يوليه ٩٤٩ — ١٤ يوليه ٩٥٠) سار طائفة من المسلمين إلى مدينة قصريانة فغنموا وسلبوا وأحرقوا وقتلوا فى أهلها . وكان الأمير على صقلية للمسلمين محمد بن عبد الله بن الأغلب فتوفى فى رجب من سنة ٢٣٦ (٨ يناير — ٦ فبراير ٨٥١) فكان مقيما بمدينة بلرم لم يخرج منها ، وإنما كان يخرج الجيوش والسرايا فتفتح فتغنم . فكانت إمارته تسع عشرة سنة .

ذكر ولاية العباس بن الفضل صقلية وما فتح فيها

(ج ٧ ص ٤٠ أمارى : الترجمة ج ١ ص ٣٧٧ — ٣٨٢ فانيان ص ٢٢٥ — ٢٢٩)

قد ذكرنا سنة ٢٢٨ أن محمد بن عبدالله أمير صقلية توفى سنة ٢٣٦ (١٥ يوليه ٨٥٠ — ٤ يوليه ٨٥١) . فلما مات اجتمع المسلمون بها على ولاية العباس بن الفضل ابن يعقوب فولوه أمرهم . فكتبوا بذلك إلى محمد بن الأغلب أمير افريقية . فأرسل إليه عهداً بولايته . فكان العبـاس إلى أن وصل عهده يغير ويرسل السرايا وتأتيه الغنائم فلما قدم اليه عهده بولايته خرج بنفسه وعلى مقدمته عمه رباح . فأرسل فى سرية إلى قلعة أبي ثور (Caltavuturo) فغنم وأسر . وعاد فقتل الأسرى . وتوجه إلى مدينة قصريانه فنهب وأحرق وخرب ليخرج اليـه البطريق فلم يفعل فعاد العباس

---

(١) واسمه اليوم منذلو Mondello راجع أمارى : المكتبة ، الترجمة ج ١ ص ١٢٠ ، ٣٧٦

وفى سنة ٢٣٨ (٢٢ يونيه ٨٥٢ — ١١ يونية ٨٥٣) خرج حتى بلغ قصريانة ومعه جمع عظيم . فغنم وخرب وأتى قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس فغنم من جميع هذه البلاد وخرب وأحرق ونزل على بثيره وحصرها خمسة أشهر . فصالحه أهلها على خمسة آلاف رأس .

وفى سنة ٢٤٢ (١٠ مايو ٨٥٦ — ٢٩ أبريل ٨٥٧) سار العباس فى جيش كثيف ففتح حصونا جمة[1] .

وفى سنة ٢٤٣ (٣٠ أبريل ٨٥٧ — ١٨ إبريل ٨٥٨) سار إلى قصريانة فخرج أهلها فلقوه فهزمهم وقتل فيهم فأكثر . وقصد سرقوسه وطبرمين وغيرهما ، فنهب وخرب وأحرق . ونزل على العصر الجديد وحصره وضيق على من به من الروم . فبذلوا له ١٥ ألف دينار . فلم يقبل منهم وأطال الحصر فسلموا إليه الحصن على شرط أن يطلق مائتى نفس فأجابهم إلى ذلك . وملكه وباع كل من فيه سوى مائتى نفس وهدم الحن .

ذكر فتح قصر يانة

فى سنة ٢٤٤ (١٩ أبريل ٨٥٨ — ٧ أبريل ٨٥٩) فتح المسلمون مدينة قصريانة وهى المدينة التى بها دار الملك بصقلية وكان الملك قبلها يسكن سرقوصة فلما ملك المسلمون بعض الجزيرة نقل دار الملك إلى قصريانة لحصانتها .

وسبب فتحها أن العباس سار فى جيوش المسلمين إلى مدينة قصر يانة وسرقوسة وسير جيشاً فى البحر فلقيهم أربعون شلندى للروم . فاقتتلوا أشد قتال . فانهزم الروم . وأخذ منهم المسلمون عشر شلنديات برجالها . وعاد العباس إلى مدينته . فلما كان الشتاء سير سرية فبلغت قصر يانة فنهبوا وخربوا وعادوا ومعهم رجل كان له عند الروم قدر ومنزلة . فأمر العباس بقتله . فقال : استبقنى ولك عندى نصيحة . قال : وما هى . قال : أملكك قصريانة . والطريق فى ذلك أن القوم فى هذا الشتاء وهذه الثلوج آمنون من قصدكم إليهم . فهم غير محترسين . ترسل معى طائفة من

---

(١) تذكر بعض المخطوطات حصونا خمسة بدل جمة .

عسكركم حتى أدخلكم المدينة . فانتخب العباس ألفى فارس أنجاد أبطال . وسار إلى أن قاربها وكمن هناك مستتراً وسير عمه رباحا فى شجعانهم . فساروا مستخفين فى الليل والرومى معهم مقيد بين يدى رباح . فأراهم الموضع الذى ينبغى أن يملك منه فنصبوا السلاليم وصعدوا الجبل ثم وصلوا إلى سور المدينة قريبا من الصبح والحرس نيام . فدخلوا من نحو باب صغير فيه ، يدخل منه الماء وتلقى فيه الأقذار . فدخل المسلمون كلهم فوضعوا السيف فى الروم وفتحوا الأبواب . وجاء العباس فى باقى العسكر فدخلوا المدينة وصلوا الصبح يوم الخميس منتصف شوال (٢٤ يناير ٨٥٩) وبنى فيها فى الحال مسجداً . ونصب فيها منبراً . وخطب فيه يوم الجمعة . وقتل من وجد فيها من المقاتلة . وأخذوا ما فيها من بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك . وأصابوا فيها ما يعجز الوصف عنه .

وذل الشرك يومئذ بصقلية ذلا عظيما .

ولما سمع الروم بذلك ، أرسل ملكهم بطريقا من القسطنطينية فى ثلثمائة شلندى وعسكر كثير فوصلوا إلى سرقوسة فخرج اليهم العباس من المدينة ولقى الروم وقاتلهم فهزمهم فركبوا فى مراكبهم هاربين وغنم المسلمون منه مائة شلندى . وكثر القتل فيهم ولم يصب من المسلمين ذلك اليوم غير ثلاثة نفر بالنشاب .

وفى سنة ٢٤٦ (٢٨ مارس ٨٦٠ — ١٦ مارس ٨٦١) نكث كثير من قلاع صقلية وهى سطر (Sutera) وأبلا [1] (Avola ?) وأبلاطنو (Platano) وقلعة عبد المؤمن (Caltabellotta) وقلعة أبى تور (Caltavuturo) وغيرها من القلاع . فخرج العباس إليهم فلقيهم عساكر الروم فاقتتلوا فانهزم الروم وقتل منهم كثير . وسار إلى قلعة عبد المؤمن وقلعة أبلاطنو فحصرها فأتاه الخبر بأن كثيراً من عساكر الروم قد وصلت فرحل اليهم فالتقوا بجفلودى (Cefalu) وجرى بينهم قتال شديد . فانهزمت الروم وعادوا إلى سرقوسة . وعاد العباس إلى المدينة . وعمّر قصر يانة وحصنها وشحنها بالعساكر .

وفى سنة ٢٤٧ (١٧ مارس ٨٦١ — ٦ مارس ٨٦٢) سار العباس إلى سرقوسه

---

(١) أمرى : تاريخ ج ١ ص ٣٣٤ ؛ ط ٢ ج ١ ص ٤٧١) المكتبة الترجمة ج ١ ص ٣٨١

فعم . وسار إلى غيران قرقنا . فاعتل ذلك اليوم . ومات بعد ثلاثة أيام ، ثالث حمادى الآخرة (١٤ أغسطس ٨٦١) . فدفن هناك فنبشه الروم وأحرقوه . وكانت ولايته إحدى عشرة سنة . وأدام الجهاد شتاء وصيفاً وغزا أرض قلورية وانكبردة وأسكنها المسلمين .

ذكر ولاية خفاجة بن سفيان صقلية وابنه محمد وغزواتهما

(ج ٧ ص ٦٨ — ٦٩ . أمارى : الترجمة ج ١ ص ٣٨٢ — ٣٨٤ . فانيان ص ٢٣٧ — ٢٣٨) .

قد ذكرنا سنة ٢٣٦ أن أمير صقلية العباس توفى سنة ٢٤٧ . فلما توفى ولى الناس عليهم ابنه عبدالله بن العباس . وكتبوا إلى الأمير بإفريقية بذلك . وأخرج عبد الله السرايا ففتح قلاعاً متعددة منها جبل أبي مالك وقلعة الأرمنين (؟) وقلعة المشارعة (؟) فبقى كذلك خمسة أشهر . ووصل من إفريقية خفاجة بن سفيان أميراً على صقلية . فوصل فى جمادى الأولى سنة ٢٤٨ (٣ يوليه : ١ أغسطس ٩٦٢) .

فأول سرية أخرجها سرية فيها ولده محمود . فقصد سرقوسه . فغنم وخرب وأحرق وخرجوا إليه فقاتلهم . فظفر . وعاد فاستأمن إليه أهل رغوس . وقد جاء سنة ٥٢ أن أهل رغوس استأمنوا فيها على مانذكره ولا نعلم أهذا اختلاف من المؤرخين أم هما غزاتان . ويكون أهلها قد غدروا بعد هذه الدفعة . والله أعلم

وفى سنة ٢٥٠ (١٣ فبراير ٨٦٤ — أول فبراير ٨٦٥) فتحت مدينة نوطس وسبب ذلك أن بعض أهلها أخبر المسلمين بموضع دخلوا منه إليها البلد فى المحرم (١٣ فبراير — ١٣ مارس) . فغنموا منها أموالا جليلة ، ثم فتحوا شكله بعد حصار .

وفى سنة ٢٥٢ (٢٢ يناير ٨٦٦ — ١٠ يناير ٨٦٧) سار خفاجة إلى سرقوسة ثم إلى جبل النار . فأتاه رسل أهل طيرمين يطلبون الأمان . فأرسل اليهم امرأته وولده فى ذلك . فتم الأمر ثم غدروا . فأرسل خفاجة محمداً فى جيش إليها ، ففتحها وسبى أهلها .

وفيها أيضاً سار خفاجة إلى رغوس فطلب أهلها الأمان ليطلق رجل من أهلها [1]

---

(١) يذكر النص كما رواه أمارى وتورنبرج (رجل) . ولكن أمارى يلاحظ بحق أن المعنى يقتضى ذكر عدد الرجال .

بأموالهم ودوابهم ، ويغنم الباقى . ففعل ، وأخذ جميع مافى الحصن من مال ورقيق ودواب وغير ذلك . وهادنه أهل الفيران وغيرهم وافتتح حصوناً كثيرة ثم مرض فعاد إلى بلرم .

وفى سنة ٢٥٣ (١١ يناير ٨٦٧ — ٣١ ديسمبر ٨٦٧) سار خفاجه من بلرم إلى مدينة سرقوسه وقطانية . وخرب بلادها ، وأهلك زروعها ، وعاد . وسارت سراياه إلى أرض صقلية ، فغنموا غنائم كثيرة .

— ١٠ —

مجهول دى خويه

كتاب العيون

القرن الثالث عشر

فى ليدن مخطوطة عربية هى تاريخ لمؤلف مجهول يتناول فيها الحوادث منذ خلافة الوليد بن عبد الملك إلى موت المعتصم . وعنوانها : كتاب العيون .

وقد طبع الجزء الأخير منها الخاص بزمن الخليفة المعتصم : المستشرق الهولندى ساندنبرج ماتيسن .[١]

وقد طبع الفصلين الأولين الخاصين بخلافتى الوليد وسليمان : أنشباخ[٢] .

أما تاريخ الخلفاء عمر الثانى ويزيد الثانى وهشام فقد طبعه دى خوية[٣]

ثم إن دى خوية ودى يونج[٤] نشرا كل هذا التاريخ المجهول المؤلف مرة واحدة ولسنا نعرف مؤلف هذا التاريخ ولا الزمن الذى عاش فيه . والراجح الظاهر

---

(١) ساندنبرج ماتيسن : تاريخ الخليفة المعتصم من مخطوط عربى طبع لأول مرة : ليدن ١٨٤٩ .

(٢) ا . أنشباخ مختارات من الأدب الشرقى موضوعها خلافة الوليد وسليمان من كتاب العيون . ليدن ١٨٥٣ .

(٣) تاريخ خلافة عمر الثانى ويزيد الثانى وهشام مختارات من كتاب العيون والحدائق فى أخبار الحقائق عن مخطوط ليدن المطبوع لأول على يد م . ج . دى خويه . ليدن ١٨٥٥ .

(٤) Fragmenta (مختارات ج ١ وهو الجزء الثالث من كتاب العيون الذى طبعه دى خويه ودى جونج ، ليدن ١٨٦٩ .

أن المؤلف كتب تاريخه قبل عام ١٢٥٨ (٦٥٦ هـ) أى قبل استيلاء المغول على بغداد ولكن هذا التاريخ جدير بأكبر العناية . وقد كان دى خويه ينزله فوق منزلة ابن الأثير .[١]

ولا يذكر هذا التاريخ شيئاً عن عصر ميشيل الثانى ولكنه يذكر لنا معلومات طريفة عن حملات المأمون الأربع خاصة . والشيء الموثوق به أن المؤلف رجع إلى مراجع مضبوطة موثوق بها ، وإن كنا نأسف لأنا نجهل هذه المراجع . ولهذا الوثوق لم نفرق فى عرضنا للحوادث بين الروايات المأخوذة عن كتاب العيون وبين الروايات المأخوذة عن الطبرى .

اقتباسات

من كتاب العيون[٢]

غزوات المأمون

(ص ٣٧٤ — ٣٧٧)

وفى سنة ٢١٥ (٢٨ فبراير ٨٣٠ — ١٧ فبراير ٨٣١) غزا المأمون أرض الروم وهى أول غزاة غزاها بنفسه فى أرض الروم فى خلافته فأخذ حصنى قرة وسنان فلما قفل من غزاته سار إلى دمشق .

ثم علم أن صاحب الروم غزا وقتل نحو ألفين من أهل طرسوس والمصيصه فسار من دمشق . ودخل أرض الروم حتى بلغ هرقلة ، ثم قسم جيشه عدة أقسام ، فأرسل ابنه العباس على حصن يسمى الانطيقون[٣] فأخذه ثم سار إلى حصن يسمى الأخرب فأخذه دون قتال ثم أخذ حصناً يسمى خصين . وأرسل أخاه أبا اسحق على

---

(١) دى خويه : Fragmenta ، ج ٢ ، ١٨٧١ ، مقدمة ص ١ . وبروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ١ ، ١٨٩٨ ص ٣٤٤ . وقد ذهب حديثا العالم الانجليزى ا . و . بروكس إلى أن هذا التاريخ يرجع إلى النصف الثانى من القرن الحادى عشر وأنه كتب فى أسبانيا : أنظر بروكس : غزوة ٧١٦/٧١٨ حسب المصادر العربية (مجلة الدراسات الهلينية ج ١٩ « ١٨٩٩ » ص ١٩) وانظر نفس المؤلف والموضع ج ٢٨ ، ١٨٩٨ ص ١٨٢ .

(٢) لم أجد هذا الكتاب ولهذا أترجم المعنى عن الأصل الفرنسى (المعرب) .

(٣) أنظر عن هذا الاسم قبل ص ١١١ هـ ٣ من الأصل الفرنسى .

الحصون الاثني عشر المسماة خردلة [١] . فأخذها دون قتال وخربها وأحرقها ماعدا الذى استطاع حمله وما عدا بعض أشياء أخرى وفى للسكان بما وعدهم من الأمان . وأخذ المأمون مطامير .

وفيها أهدى توفيل ملك الروم إلى المأمون خمسمائة أسير وكان المأمون فى أذنه حينئذ قبل مسيره فى هذه الغزوة .

وفيها سار العباس بن المأمون غازياً فلقى ملك الروم واقتتلوا فهزم الله الطاغية وبدد العباس جيشه وغنم غنائم كثيرة . وسار المأمون حتى بلغ كسيوم فأقام عندها .

وفى سنة ٢١٧ (٧ فبراير ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣) وصل إلى المأمون من صاحب الروم خطاب بطلب الصلح بدأ فيه الطاغية بنفسه . فسار المأمون لحربه غاضباً . وأمر بإحضار الفعلة والفؤس والجند وفرض الفروض على جميع النواحى وحاصر حصن لؤلؤة وكان به عدد كبير من المقاتلة والسلاح وكان من أشد حصون الروم على المسلمين . فأقام على هذا الحصن زمناً فلم يستطع أخذه صلحاً ولا عنوة . فبنى حياله حصنين جعل فى أحدهما جبله وفى الآخر أبا اسحق . وسار بعد ذلك نحو حصن سلغوس وقد خلف على رأس من بقى فى الحصنين عجيف بن عنبسة ولكن الروم أسرته فبقى شهراً فى أيديهم . وطال انتظار الروم لإمدادات الامبراطور بالعدة والسلاح وبقوا محاصرين حتى جاءهم ملك الروم .

فخرجت مرابطة الحصنين خرجة لحربه فهزمه الله بعزته دون قتال . وأخذ المسلمون الذين كانوا فى الحصنين ما وجدوا فى ساحة القتال . فلما رأى أهل لؤلؤة ذلك طلب قائدهم الأمان من عجيف بن عنبسة وأطلق سراحه على أن ينال له الأمان من المأمون . فلما بذل المأمون الأمان أخذ عجيف الحصن وجعل فيه المسلمين . وسار المأمون عندئذ من سلغوس إلى دمشق وسار منها إلى مصر فبلغ « القاهرة » فأقام بها شهراً ثم سار لحرب ثوار مصر فقتل وأسر وآمن من بقى على أن يخرج من مصر وينزل فى سهل البصرة .

وفى سنة ٢١٨ (٢٧ يناير ٨٣٣ — ١٥ يناير ٨٣٤) مات المأمون وكان بالبدندن وهو نهر بأرض الروم .

---

(١) أنظر ياقوت ج ٢ ص ٨٦٥ : خرديلة وهى مذكورة فى حصون كبادوكيا .

خلافة المعتصم

(٨٣٣ — ٨٤٢)

يروى كتاب العيون أمر زبطرة وأمر غزوة عمورية رواية واضحة منطقية ولكنها أقل تفصيلا من رواية الطبرى . والروايتان متطابقتان . والتطابق فى كثير من الأحيان يكاد يكون لفظيا .

ص ٣٨٩ — ٣٩٠ : غارة توفيل على زبطرة وملطية

ص ٣٩٠ / ٣٩٥ : غزوة عمورية

ص ٣٩٩ :

وفى سنة ٢٢٤ (٢٣ نوفمبر ٨٣٨ — ١١ نوفمبر ٨٣٩) مات توفيل ملك الروم فملك الروم تودره (تيودورا) ذات العيون الزرق . وكان ابنها واسمه ميشيل بن تيوفيل بن ميشيل لايزال طفلا فى وصايتها .

— ١١ —

ابن العذارى

آخر القرن الثالث عشر

يتناول التاريخ المسمى «البيان المغرب» تاريخ المسلمين فى أفريقية والأندلس[١] ويقول المؤلف نفسه ، وهو يتسمى بغير اسمه ، أنه كتب تاريخه أواخر القرن السابع الهجرى يعنى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى وقد أثبت دوزى معتمدا على قاموس التراجم لابن الخطيب ، أن مؤلف هذا التاريخ كان يسمى

(١) طبع دوزى النص العربى لهذا التاريخ المسمى بالبيان المغرب لابن عذارى (المراكشى) وسماه بالفرنسية تاريخ افريقية وأسبانيا ، ليدن ١٨٤٨ — ١٨٥١ ، بجلدان . راجع دوزى تصحيحاته على نصوص البيان المغرب لابن عذارى (المراكشى) ، ليدن ١٨٨٣ . وقد ترجم الكتاب الى الفرنسية ا . فانيان وعلق عليه (الجزائر ١٩٠١/١٩٠٧) فى مجلدين . أما ما يخص صقلية فيوجد فى الجزء الأول وقد نشر ا . ليفى بروفنسال قطعا أخرى خاصة بتاريخ أسبانيا (باريس ١٩٣٠) . وقد نشرت قائمة طويلة بأغلاط الترجمة الفرنسية التى ترجمها فانيان ، وقد نشرها ب . شفارتز فى الأبحاث السمينارية فى اللغات الشرقية ببرلين ج ١٠ (١٩٠٧) ج ٢ (دراسات عن آسيا الغربية) ص ٢٤٢/٢٨١ .

بابن عذارى المراكشى . ولكننا لا نعرف أى شىء عن حياته[١]

ويتناول ابن عذارى فى تاريخه فتح العرب صقلية فى كثير من التفصيل . ولهذا يعد كتابه ذا أهمية عظيمة لبحثنا [٢].

اقتباسات من ابن عذارى[٣]

(دوزى ص ٩٥ . فانيان جـ ١ ص ١٢٨ وما بعدها)

وفى سنة ٢١٢ (٢ أبريل ٨٢٧ — ٢١ مارس ٨٢٨) أرسل زيادة الله إلى صقلية جيشاً غازياً عدته سبعمائة فارس وحمله على ٧٠ سفينة . ورغب القاضى أسد بن الفرات إلى زيادة الله فى الإشتراك فى الغزو فجعله على الغزاة وجمع بذلك بين ولاية الحرب والقضاء . وسار معه أكبر أعيان أفريقية من العرب والجند والبربر والأندلسيين وأهل العلم والرأى فكانوا عدداً وفيراً ذا عدة فائقة .

فخرجوا فى ربيع الأول (٣١ مايو — ٢٩ يونيه ٨٢٧) وأغاروا على حصون الروم ومدنهم وأسروا أسرى كثيرة وغنموا كثيراً من الخيول والبغال وغيرها وكان ما وقع فى يد المسلمين من الغنائم كثيراً . وسار القاضى أسد على رأس الجيش إلى سرقوصة وحاصرها براً وبحرا . ووصله مدد من أفريقية وأسبانيا وغيرها .

وفى سنة ٢١٣ هـ (٢٢ مارس ٨٢٨ — ١٠ مارس ٨٢٩) مات أسد بن الفرات فى شهر رجب (١٥ سبتمبر — ١٤ اكتوبر ٨٢٨) فى أثناء حصاره سرقوصة . فلما مات هرب من كان عنده من رهائن الروم . ووقع الموتان فى جيش المسلمين فاغتموا لذلك غماً شديدا وولوا عندئذ على أنفسهم ابن أبى الجوارى .

---

(١) دوزى : تاريخ افريقية ج ١ ، مقدمة ص ٧٧/٧٩ . أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، الترجمة الإيطالية ، تورينو وروما ، ١٨٨٠ ، ج ١ ص ٥٤ من المقدمة . وأمارى : تاريخ ط ٢ ج ١ ص ٧٩ — ٩٠ . والرسم الصحيح لاسم المؤلف هو ابن المذارى . راجع وستنفلد تاريخ كتاب التاريخ العرب وكتبهم رقم ٣٧٣ ص ١٥١ . وبروكلمان . تاريخ الأدب العربى ج ١ ص ٣٣٧ .

(٢) وقد نشر المواضع الخاصة بتاريخ صقلية وعلق عليها وترجمها الى الايطاليـة أمارى . أما النص العربى فمنشور فى المكتبة العربية الصقليـة ، ليبزج ١٨٨٧ ص ٣٥٢/٣٧٥ . أما الترجمة الايطالية فمنشورة فى المكتبة العربية الصقلية ، الترجمة الايطالية ح ٢ ص ١/٤٠ . وتوجد كذلك ترجمة أسبانية لما يخص الأندلس من تاريخ ابن عذارى : دون فر . فرانديز جنزاليس : تاريخ الأندلس لابن عذارى المراكشى ، غرناطة ١٨٦

(٣) لم أعثر على الكتاب فى مكاتبنا العامة وهذا كان من الأسهل ترجمته (المعرب) .

وفى سنة ٢١٤ ﻫ (١١ مارس ٨٢٩ — ٢٧ فبراير ٨٣٠) سارت من الأندلس إلى صقلية نحو ثلاثمائة سفينة عليها الأصبغ بن وكيل المعروف باسم فرجلوس . فلما علم المحاصرون من المسلمين بوصولهم إلى الجزيرة استنجدوا بهم فوعدوهم (بالمعونة) .

وفى سنة ٢١٥ ﻫ (٢٨ فبراير ٨٣٠ — ١٧ فبراير ٨٣١) كانت الغزوة التى غزاها فرجلوس ومن وصل معه من القواد على السفن إلى صقلية. فأخذوا حصوناً وغنموا غنائم وأسرى من أرض الروم ثم أتاهم من المسلمين الذين كانوا بالجزيرة استصراخ فقبلوا معونتهم على أن تكون ولاية الجيش لفرجلوس . وساروا نحوهم وأخذوا فى أثناء سيرهم حصوناً وغزوا حتى بلغوا مينيو ففرح بقدمهم من كان (محاصرا) بها من المسلمين . فأحرقوا المدينة وخربوها وعادوا ، وسار المسلمون بعد ذلك نحو جلواليا فحاصروها وأخذوها . وأصاب الطاعون عددا كبيرا من المسلمين فماتوا منه . ومات فرجلوس وقواد آخرون . فتراجع المسلمون وتبعهم العدو وقتل منهم خلقاً كثيرا فى مواقع يطول سردها . فأصلحوا سفنهم وعادوا إلى الأندلس .

وفى سنة ٢١٦ (١٨ فبراير ٨٣١ — ٦ فبراير ٨٣٢) ولى صقلية أبو فهر .

وفى سنة ٢١٧ (٧ فبراير ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣) سار أبو فهر محمد (بن) عبد الله التميمى من أفريقية إلى صقلية فهرب منها عثمان بن قرحب .

وفى سنة ٢٢٠ (٥ يناير — ٢٥ ديسمبر ٨٣٥) غزا محمد بن عبد الله بن الأغلب والى صقلية فلما لقى المسيحيين هربوا فعاد بالغنائم إلى بلرم .

وأغار المسلمون فى هذه السنة غارات عديدة فى صقلية وفى أسبانيا برا وبحرا .

وفى هذه السنة وصل ابن الأغلب إلى بلرم وهى مدينة صقلية واليا عليها فى شهر رمضان (٢٩ أغسطس — ٢٧ سبتمبر) بعد أن كاد يهلك فى البحر . وغرق بعض سفنه وأخذ بعضها وأخذ المسيحيون إحدى حراقاته[1] فحاربهم محمد بن السندى بباقى الحراقات وتبعهم حتى قطع الليل بينهم .

(دوزى ص ٩٩)

وفى سنة ٢٢٢ ﻫ غزا المسلمون فى صقلية فقصدوا جبل النار (إتنا) وعادوا سالمين وقد ظفروا وغنموا .

---

(١) قد شرح هذا اللفظ من قبل ص ١٣٢ ﻫ ٣ من الأصل الفرنسى .

وفى هذه السنة أخذ المسلمون حصن مدنار وعده مسالح فى غزاة ولى عليها الفضل بن يعقوب وكان الذى أرسله أبو الأغلب [1]. وفيها كانت غزوة أخرى وليها عبد السلام بن عبد الوهاب ، وكان الذى بعثه أبو الأغلب . فقاتله العدو وهرب المسلمون وفقدوا عدداً كبيراً من الناس . وأخذ عبد السلام وبقى أسيراً إلى أن افتدى فيما بعد .

ولاية العباس بن الفضل ـ رحمه الله ـ صقلية

(دوزى ص ١٠٤)

عام ٢٣٦ = ١٥ يوليه ٨٥٠ — ٤ يوليه ٩٥١

لما مات والى صقلية أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب ولى مسلمو صقلية على أنفسهم العباس بن الفضل وكتبوا إلى محمد بن الأغلب يعلمونه ذلك . فقبل ذلك وبعث إلى العباس بكتاب ولايته على صقلية . فغزا العباس غزوات كثيرة بعيدة وقاتل الروم قتالا كثيراً فأوقع بهم هزائم مخزية .

وفى سنة ٢٣٧ (٥ يوليه ٨٥١ — ٢٢ يونيه ٨٥٢) غزا العباس فى صقلية أرض الروم فغنم غنائم كثيرة وأسر أسرى كثيرة وأخذ أرضهم .

وفى سنة ٢٣٨ (٢٣ يونيه ٨٥٢ - ١١ يونية ٨٥٣) سار العباس بن الفضل والى صقلية غازياً أرض الروم فقتل الله الكفرة وبعث العباس برؤوس القتلى إلى بلرم . وأحرق محاصيلهم ووطىء أرضهم وأخذ أسرى كثيرة ثم عاد إلى صقلية .

وفى سنة ٢٣٩ (١٢ يونيه ٨٥٣ — أول يونيـــه ٨٥٤) كان الجهاد فى صقلية إذ خرجت صائفة عليها العباس بن الفضل . فأحرق محاصيل المسيحيين وبعث بعوثه فى كل ناحية وغنم فى قصر يانة وقطانيا وسرقوسة وغيرها غنائم . وحاصر مدينة بنزة ستة أشهر حتى صالحه أهلها على أن يسلموه ستة آلاف أسير فأخذها ثم عاد إلى مدينة بلرم . وأخذ كذلك مدينة سهرينه .

وفى سنة ٢٤٠ (٢ يونية ٨٥٤ — ٢١ مايو ٨٥٥) جاهد أهل صقلية . فغزا

---

(١) نقرأ ابن الأغلب ؛ راجع فابيان ص ١٢٥ ﻫ ٤

أرض الروم العباس بن الفضل والى الجزيرة . فأسر وخرب وهدم وبعث بعوثاً كثيرة فعادت اليه بغنائم كثيرة .

وفى سنة ٢٤١ (٢٢ مايو ٨٥٥ — ٩ مايو ٨٥٦) عاد العباس بن الفضل إلى غزو الروم فى صقلية . فخرب محاصيلهم وبعث فى جميع أنحاء بلادهم بعوثاً عادت اليه بغنائم كثيرة . وأقام هو بنفسه ثلاثة أشهر فى جبل لا سبيل اليه وكان يخرج منه كل يوم مغيراً حول قصريانه فيقتل ويظفر ويبعث البعوث فى النواحى فتعود بالغنائم . فبعث أخاه على بن الفضل للغزو بحراً فظفر وعاد بالغنائم وبرءوس قتلى كثيرين .

وفى سنة ٢٤٢ (١٠ مايو ٨٥٦ — ٢٩ أبريل ٨٥٧) جاهد أهل صقلية فغزا واليها العباس بن الفضل الروم فى صائفة فغنم وأسر . ثم سار إلى حصن[1] . . . . وغلب على أكثر هذه الناحية وصالحه كثير من أهلها

وفى سنة ٢٤٣ (٣٠ أبريل ٨٥٧ — ١٨ أبريل ٨٥٨ جاهد أهل صقلية فغزا الصائفة العباس بن الفضل ، فأسر وغنم . وحاصر أهل قصر الحديد شهرين فصالحوه على أن يدفعوا له خمسة عشر ألف دينار وصالحه كذلك أهل حصن شلغودة(Cefalu) على أن يخرجوا عن مدينتهم فيخربها المسلمون فلما خرجوا هدمها المسلمون .

وفى سنة ٢٤٤ (١٩ أبريل ٨٥٨ — ٧ أبريل ٨٥٩) غزا العباس والى صقلية أرض الروم وعاد بغنائم كثيرة . وغزا أخوه بحرا فقصد جزيرة اقريطش فقتل وأسر وغنم ثم انهزم المسلمون فقتل عدد كبير منهم وفقدوا عشرين سفينة .

وفى سنة ٢٤٧ (١٧ مارس ٨٦١ — ٦ مارس ٨٦٢) مات العباس بن الفضل والى صقلية فى اليوم الثالث من جمادى الأول (١٥ يولية ٨٦١) . فاختار أهل الجزيرة عمه أحمد والياً عليهم وكتبوا إلى صاحب أفريقية أبو ابراهيم أحمد بن محمد ابن الأغلب فكتب اليهم بالقبول .

وفى سنة ٢٤٨ (٧ مارس ٨٦٢ — ٢٣ فبراير ٨٦٣) كانت غزوة رباح فظفر وعم أولا ثم انهزم وأخذ العدو طبوله ورباباته وأخذ بعض أصحابه أيضاً ثم ظفر وأخذ مدينة جبل أبى مالك (Erice) وكل ما حوته وأحرقها . وبعث بعوثاً كثيرة فظفرت وغنمت

(١) نقص فى الاصل .

وفى سنة ٢٥١ (٢ فبراير ٨٦٥ — ٢١ ينـاير ٨٦٦) كانت غزوة البعث المسمى « بعث الألف الفارس » وكان خفاجة والى صقلية قصد قصر يانه وخرب محاصيلها وسار بعدها إلى سرقوصة فواقع أهلها وعاد ثم بعث عليهم ابنه محمداً على رأس بعث فوضع كميناً وقتل من العدو ألف فارس فسمى البعث « بعث الألف الفارس ».

وفى سنة ٢٥٢ (٢٢ فبراير ٨٦٦ — ١٠ يناير ٨٦٧) غزا خفاجة والى صقلية أرض الروم وأخذ حصوناً كثيرة ثم مرض . وعاد إلى بلرم محمولا فى محفة .

— ١٢ —

النويرى (المتوفى فى ١٣٣٢)

كان أبو العباس احمد بن عبد الوهاب بن احمد شهاب الدين النويرى عالماً جليلا ومؤرخاً وفقيهاً ، أصله من نويرة وهى مدينة صغيرة من مصر ؛ مات فى سن الخمسين فى يونية ١٣٣٢ (فى رمضان ٧٣٢ هـ) [1] .

وكان ابن الأثير مرجعه الأساسى فى موسوعته التاريخيـــة التى كتبها المسماة « نهاية الأرب » وكتابه هذا رغم تأخر عصره يحوى أخباراً عظيمة الأهمية عن صقلية ، لأنه نقل أخبارها عن قدماء المؤرخين الذين لم تصل الينا كتبهم مثل ابن الرقيق وابن رشيق وابن شداد وغيرهم . ولهذا نجد عنده من دقائق الأخبار مالا نجده قط فيما نعرف الآن من المصادر [2] .

والأخبار الخاصة بصقلية عند النويرى مطبوعة فى مكتبة أمارى الصقلية [3] . ومترجمة أيضاً . وهى موجودة أيضاً فى « تاريخ المسلمين فى اسبانيا وأفريقية » (بالاسبانية) لمؤلفه النّجـَويرى ، وقد نشر النص العربى وترجمه فى هذا التاريخ جسبار رميرو (غرناطه ١٩١٧ — ١٩١٩ مجلدان) ونص ج . ر . رميرو وترجمته محتاج

(١) وستنفلد : تاريخ مؤرخى العرب وكتبهم رقم ٣٩٩ ص ١٦٠ ، حيث تجدد ذكر كتب النويرى وطبعاتها

(٢) أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، الترجمة لا طاليه ج ١ ورنو وروما ١٨٨٠ ص ٥٦ — ٥٧ وأمارى : تاريخ ط ، ٢ مج ، قطانيا ١٩٣٣ ص ٨٢/٨٣

(٣) والنص العربى مذكور عند أمارى : المكتبة العربية الصقلية : الترجمة الايطاليه بها ، تورينو وروما ١٨٨١ ص ١١٠ — ١٦٠ . وراجع وستنفلد فانه طبعة أمارى لم نذكرها لأنها ظهرت فى السنة التى ظهر فيها كتاب وستنفلد .

التعديل (راجع ا . نللينو فى مجلة الدراسات الشرقية (الايطالية) جـ ٨ (١٩٢٠) ص (٨٢٠ — ٨٣٤) وإن كان هذا الناشر المترجم يملك مخطوط Real Academia de la Historia de Madrid وكان وجود هذا المخطوط فى يده ميزة لمافضلها . ثم إنه ابتدىء بنشر الكتاب كله فى ١٩٢٣ ، ولم يصل مانشر منه للآن إلى القسم التاريخى .

اقتباسات من النويرى

(أمارى ص ٤٢٧)

سنة ٢١٢ (٢ أبريل ٨٢٧ — ٢١ مارس ٨٢٨)

وفى سنة إحدى ومائتين[1] (٣٠ يولية ٨١٦—١٩ يولية ٨١٧) ولى ملك قسطنطينية على صقلية قسنطين البطريق الملقب بسودة فعمر أسطولا وسيره إلى بر أفريقية . وولى عليه فيمى الرومى . وكان مقدماً من بطارقته[2] . فاختطف من بعض سواحلها تجارا . وبقى مدة فوصل كتاب صاحب القسطنطينية إلى قسنطين يأمره بعزل فيمى . وأن يعذبه بشىء بلغه عنه . فاتصل ذلك بفيمى . فمضى إلى مدينة سرقوسة فملكها ، ونزع يده من الطاعة . فخرج اليه قسطنين فالتقوا واقتتلوا فانهزم قسنطين وقتل . وخوطب فيمى بالملك . وكان ممن انقطع اليه علج[3] من الأمنين[4] يقال له بلاطة ، فقدمه وولاه على ناحية من الجزيرة . فخالف على فيمى ، وخرج اليه وقاتله ، فانهزم فيمى ، وقتل من أصحابه ألف رجل ودخل بلاطة مدينة سرقوسة . وركب فيمى ومن معه فى البحر ، وتوجه إلى أفريقية إلى زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب يستنصر به .

فجمع زيادة الله وجوه أهل القيروان وفقهائها ، واستشارهم فى إنفاذ الأسطول إلى جزيرة صقلية . فقال بعضهم : نغزوها ولا نسكنها ولا نتخذها وطناً . فقال

---

(١) يجب أن تقرأ سنة إحدى عشرة ومائتين (١٣ أبريل ٨٢٦ — أول أبريل ٨٢٧) .

(٢) مقدم . راجع نللينو عند أمارى : تاريخ ، ط ٢ ج ١ ص ٣٧٥ هـ ١ .

(٣) علج يعنى كافر عند النويرى وغيره وهو كافر مسيحى غير عربى . وانظر نللينو عند أمارى : تاريخ ج ١ ص ٤٦٥ هـ ١ (والذيل صفحة ٤٢ بالترقيم الرومانى) .

(٤) ولعل المقصود الأرمن . أمارى النص ص ٤٢٧ ، الترجمة ج ٢ ص ١٤ وراجع نللينو عند أمارى تاريخ ط ٢ ج ١ ص ٣٧٥ : هـ 3 ص ٤١٣ هـ ١

سحنون بن قادم رحمه الله . كم بينها وبين بلاد الروم ؟ قالوا . يروح الإنسان مرتين وثلاثه فى النهار ويرجع . قال : ومن ناحية افريقية ؟ فقالوا : يوم وليلة . قال لو كنت طايراً ما طرت عليها [١] وأشار من بقى بغزوها ،ورغبوا فى ذلك ، وسارعوا اليه. فخرج أمر بزيادة الله إلى فيمى بالتوجه إلى مرسى سوسة والإقامة هناك إلى أن يأتيه الأسطول . وجمع الأسطول والمقاتلة ، واستعمل عليهم القاضى أسد بن الفرات . وأقلع الأسطول من مدينة سوسه يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة ومائتين (١٤ يونيه ٨٢٧) . وهو نحو ماية مركب سوى مراكب فيمى وذلك فى خلافة المأمون ،

فوصل (أسد) مازر يوم الثلاثاء . فأمر بالخيل فأخرجت من المراكب . وكانت سبعمائة فرس وعشرة آلاف راجل . وأقام ثلاثة أيام ، فلم يخرج اليه إلا سرية واحدة فأخذها . فإذا هى من أصحاب فيمى ، فتركها . ثم رحل من مازر على تعبيته قاصد بلاطة ، وهو بمرج ينسب إليه . فعبىء القاضى أصحابه للقتال . وأفرد فيمى ومن معه ولم يستعن بهم . والتقوا واقتتلوا ، فانهزم بلاطة ومن معه ، وقتل منهم خلق كثير. وغنم المسلمون ما معهم . ولحق بلاطة بقصرياتة . ثم غلبه الخوف فخرج إلى أرض قلورية فقتل بها .

ثم سار القاضى أسد إلى الكنيسة التى على البحر وتعرف بافيمية ، واستعمل على مازر أبا زكى الكنانى ، ثم سار إلى كنيسة المسلقين (وقيل السلقين والشلقين) فلقيه طائفة من بطارقة سرقوسة ، فسألوه الأمان خديعة ومكراً . واجتمع أهل الجزيرة إلى قلعة الكرات ، وجمعوا فيها جميع أموال الجزيرة . وذل أهل سرقوسة وذلوا بأيديهم فلما شاهد ذلك فيمى . داخلته حمية الكفر فأرسل اليهم أن يثبتوا ، وأن يجدوا فى الحرب ويستعدوا . وأقام القاضى أسد فى موضعه أياماً . وتبين له أنهم مكروا به حتى أصلحوا حصنهم وأدخلوا اليه جميع ما كان فى الربض وفى الكنائس من الذهب والفضة والميرة . فتقدم وناصبهم للقتال وبث السرايا فى كل ناحيه فغنموا به وسبوا شيئاً كثيراً وأتوه بالسبي والغنائم . وأتته الأساطيل من

(١) ويلاحظ أمارى هنا تلاعبا بالألفاظ فان اسم سحنون اسم طائر من طيور المغرب معروف بد كائه

افريقية والأندلس. وشدد القاضى الحصار على مدينة سرقوسة . فسألوه الأمان ؛ فأراد أن يفعل ؛ فأبى عليه المسلمون ؛ وعاودوا الحرب . فمرض القاضى أسد فى خلال ذلك . ومات فى شعبان سنة ٢١٣ ﻫ (١٥ اكتوبر — ١٢ نوفمبر ٨٢٨)

ذكر ولاية محمد بن أبى الجوارى

سنة ٢١٣ = ٢٢ مارس ٨٢٨ — ١٠ مارس ٩٢٩

قال ولما توفى القاضى أسد ابن الفرات ، ولى المسلمون على أنفسهم محمد بن أبى الجوارى . فضيق على أهل سرقوسه . فوصل من القسطنطينية أسطول كبير وعساكر فى البر . فعزم المسلمون على العود إلى إفريقيـــة . فرحلوا عن سرقوسه وأصلحوا مراكبهم وركبوها . فوقفت مراكب الروم على المرسى الكبير ومنعوهم من الخروج . فأحرق المسلمون مراكبهم ، ورحـــلوا إلى حسن منار ، ومعهم فيمى ، فملكوا الحصن وسكنوه . وملكوا حصن جرجنت وسكنه طائفة من المسلمين . ثم خرج فيمى إلى قصر يانة . فخرج اليه أهلها وبذلوا له الطاعة وخدعوه وقالوا له : نكون نحن وأنت والمسلمون على كلمة واحدة ، ونخلع طاعة الملك . وسألوه أن يرجع عنهم ذلك اليوم لينظروا فيما يصالحون عليه . فرجع عنهم يومه ذلك . ثم جاءهم من الغد فى نفر يسير ، فخرجوا يقبلون الأرض بين يديه . وكانوا قد دفنوا سلاحا فى تلك البقعة . فلما اقترب منهم أخرجوا السلاح ، وثاروا به فقتلوه .

ثم وصل تودط (Théodote) البطريق من القسطنطينية فى عساكر عظيمة من الأرمن وغيرهم . وتوجه إلى قصر يانة . وخرج بجموعه القاء المسلمين . فالتقوا فانهزم تودط وقتل من عسكره خلق كثير ، وأسر من بطارقتهم تسعون بطريقاً .

ثم توفى محمد بن أبى الجوارى فى أول سنة ٢١٤ (١١ مارس ٨٢٩ — ٢٧ فبراير ٨٣٠). فولى المسلمون عليهم زهر بن برغوث . وكان بينه وبين تودط حروب كثيرة وحاصر المسلمين فى حصنهم وضاقت عليهم الميرة ، وقلت الأقوات حتى أكلوا دوابهم ولم يزالوا كذلك حتى قدم أصبغ بن وكيل الهوارى فى مراكب كثيرة من الأندلس قد خرجوا غزاة . وقدم سليمان بن عافيه الطرطوسى بمراكب . فأرسل المسلمون اليهم وسألوهم النصرة . وأرسلوا اليهم دواب . فخرجوا وقصدوا تودط وهو مقيم

على مغاو . فانصرف إلى قصر يانة . وارتفع الحصار عن المسلمين . وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٢٢٥ (٢٦ يوليه — ٢٣ أغسطس ٨٣٠)

ذكر فتح مدينة بلرم

(سنة ٢١٥) . كان ابتداء حصارها فى جمادى الآخرة سنة ٢١٥ ﻫ (٢٦ يولية — ٢٣ أغسطس ٨٣٠) . ودام إلى شهر رجب سنة ٢٢٠ (يوليه ٨٣٥) . وفتحت بالأمان . وذلك فى ولاية محمد بن عبد الله بن الأغلب

وفى سنة ٢٢٥ (١٢ نوفمبر ٨٣٩ — ٣٠ اكتوبر ٨٤٠) استأمنت قلاع كثيرة من قلاع جزيرة صقلية منها حرحه وقلعة البلوط (Caltabellotta) وابلاطنو (P atani) وقلعة قرلون (؟) (Corleone) ومرد (Marineo أو ?Caltamauro) وغير ذلك .

ذكر وفاة محمد بن عبد الله بن الاغلب

وولاية العباس بن الفضل بن يعقوب

سنة ٢٣٦ (١٥ يولية ٨٥٠ — ٤ يوليه ٨٥١)

وفى سنة ٢٣٦ ، توفى محمد بن عبد الله بن الأغلب لعشر خلون من شهر رجب (١٧ يناير ٨٥١) فكانت ولايته تسع عشرة سنة . وكان فى مدة ولايته لايخرج من مدينته بلرم ، بل كان يخرج السرايا مع ولاته . فلما اجتمع الناس على ولاية العباس ابن الفضل فولوه وكتبوا بذلك إلى الأمير محمد بن الأغلب أمير القيروان . فولاه الجزيرة . فكان يخرج بنفسه تارة وبسراياه أخرى ،وهو يخرب فى بلاد العدو وينكى وينال منهم ومن بلادهم ، ويصالحونه على الأموال والرقيق .

ذكر فتح قصر يانة وهى دار مملكة الروم بجزيرة صقلية

سنة ٢٤٤ (١٩ أبريل ٨٥٨ — ٧ أبريل ٨٥٩)

قال المؤرخ : كانت سرقوسه دار ملك الجزيرة إلى أن فتح المسلمون بلرم ، فانتقل الروم إلى قصر يانة لحصانتها ، وجعلوها دار ملكهم . فلما كان فى سنة ٢٤٤

خرج العباس بن الفضل ، فوصل إلى قصريانة وسرقوسه . وأخرج أخاه عليا فى المراكب الحربية فى البحر ، فلقيه الاقريطش فى أربعين شلنديا ، فقاتلهم أشد القتال فهزمهم وأخذ منهم عشر شلنديات برجالها ، ورجع

ثم سير العباس سرية إلى قصريانة فغنموا ، وقد أسروا ، بعلج . فأمر العباس بقتله . فقال له العلج : استبقنى ولك عندى نصيحة . فخلا به وسأله : ما النصيحة ؟ فقال : أدخلك قصريانة . فعند ذلك خرج العباس فى كانون [1] فى أنجد رجاله ، والعلج معه ، وهو فى ألف فارس وسبعمائة راجل . فجعل على كل عشرة مقدماً . ثم سار بهم ليلا حتى نزل على مرحلة من جبل الغدير . وقدم عمه رباحا فى خيار أصحابه وأقام هو بموضعه وهو مستتر ومضى عمه رباح بمن معه يدبون دبيباً حتى صاروا إلى جبل المدينة ، والعلج معهم . فأراهم الموضع الذى ينبغى أن توضع عليه السلالم ، فتلطفوا بالصعود إلى الجبل . وذلك الوقت قريب الصبح وقد نام الحراس . فلما وصلوا إلى السور دخلوا من خوخة كانت فى السور يدخل منها الماء ووضعوا السيف وفتحوا الأبواب . وأقبل العباس يجد السير ، وقصد باب المدينة ودخلها صلاة الصبح من يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال (٢٤ يناير ٨٥٩) [2] . وقتل من وجد بها من المقاتلة . وكان بها بنات البطارقة وأبناء ملوك الروم . فوجد المسلمون بها مالا يحصى من الأموال . وبنى العباس فيها مسجداً فى يومه ونصب فيه منبراً وخطب عليه الخطيب يوم الجمعة . وما زال العباس يداوم الغزو بنفسه إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى فى يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ (١٥ أغسطس ٨٦١) فكانت ولايته إحدى عشرة سنة .

سنة ٢٤٧ (= ١٧ مارس ٨٦١ — ٦ مارس ٨٦٢)

قال : ولما مات العباس ولى الناس على أنفسهم احمد بن يعقوب ثم ولوا عبد الله

---

(١) اسم سورى يطلق على شهرين أولهما ديسمبر والآخر يناير .

(٢) حتى ١٥ شوال لأن هذا الشهر سنتئذ كان تسعة وعشرين يوما ٢٤ يناير ٨٥٩) ولكن يوم ١٥ شوال يجب أن يكون يوم أربعاء حسب التوقيت المدنى ويوم ثلاثاء حسب التوقيت الفلكى الذى يتبعه أمارى : تاريخ ج ١ ص ٣٣٢ هـ ١ ط ٢ ج ١ ص ٤٦٨ هـ ١) فيجب أن يصحح التاريخ ليكون ١٦ شوال (٢٥ يناير ٨٥٩) .

ابن العباس ، وكتبوا إلى أمير القيروان ، فولى خمسة أشهر . ووصل اليهم خفاجة ابن سفيان فى سنة ٢٤٨ (٧ مارس ٨٦٢ — ٢٣ فبراير ٨٦٣) . وداوم الغزو إلى أن اغتاله رجل من جنده عند منصرفه من غزاته وقتله . وذلك فى يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سنة ٢٥٥ (١٥ يونيـــة ٨٦٩) . ويقال أن الذى قتله خلفون ابن أبي زياد الهوارى .

— ١٣

مؤرخو العرب المتأخرون

ولا نقتبس هنا شيئاً من مؤرخي العرب المتأخرين لأنهم لا يحملون الينا أى خبر جديد . وإنمـا نكتفى بالاشارة الموجزة إلى مايذكر هؤلاء المؤرخون عن الحوادث المتصلة بعصر الأسرة العمورية .

أما ابن الطقطاقة فقد مات أوائل القرن الرابع عشر . ولا نكاد نعرف عن حياته شيئاً . وقد ألف كتاباً فى تاريخ الخلافة والوزارة معروفاً باسم الفخرى . وفيه نجد ذكرا موجزاً لحمله عمورية مع بعض أبيات لأبى تمام [1]

أما المكين وهو من مؤرخي القرن الثالث عشر (+ ١٢٧٣) فإنه يذكر الأخبار الآتية : [2]

١ — ذكر عارض لغزوة سنة ٢١٥

٢ — ذكر غزوة سنة ٢١٧ (ص ١٣٨) = ابن الأثير (ج ٦ ص ٢٩٧) = الطبرى (س ٣ ص ١١٠٥)

---

(١) الفخرى : تاريخ الخلافة والوزارة لابن الطقطاقة . طبعة عربيه جديدة قدمها هرتفج درنبورج . باريس ١٨٩٥ ص ٣١٦/٣١٨ . أما الطبعات السابقة فهى طبعة و أهلوردت : تاريخ الدول الإسلامية منذ البدأ نهاية خلفاء بغـداد (بالألمانية) لابن الطقطاقة ، جوتا ، ١٩٦٠ . ونجد أخبار كاملة عن المؤلف عند درنبورج ، فى قدمته ص ٣/١٤ . وانظر أيضا وستنفلد كتاب التاريخ العرب رقم ٣٧٥ ، ص ١٥٢ . ولدينا ترجمة للفخرى قام بها عمار ونشرها فى ج ١٦ من مجلة Archives Marocaines .

(٢) رجعنا إلى الطبعة الآتية Elmacinus : Historia Saracena arabice et latine opera ac studio (تاريخ العرب بالعربية واللاتينية : نص ودراسة) ط . توماس اربنيس : ليدن ١٦٢٥ : ولدينا ترجمة فرنسية ترجمته عن اللاتينية قام بها ب . ڤاتييه ، باريس ١٨٥٨ .

٣ — ذكر موجز دقيق لغزوة سنة ٢١٦ (ص ١٣٧)

٤ — ذكر بناء الطوانة سنة ٢١٨ (ص ١٣٨) = ابن الأثير (جـ ٦ ص ٣١١) = الطبرى (س ٣ ص ١١١١ — ١١١٢)

٥ — ذكر هرب الخرمية إلى أرض الروم (ص ١٤١)

٦ — تخريب المعتصم تحصينات الطوانة ر ص ٤١١ = ابن الأثير (جـ ٦ ص ٣١٠) = (الطبرى س ٣ ص ١١٦٤)

٧ — ذكر موجز دقيق لأخذ زبطرة وملطية (ص ١٤٢)

٨ — أخذ عمورية، ويذكره المكين فى بضع عبارات

٩ — غارة الروم على عين زربه سنة ٢٤١ (ص ١٥٠)

١٠ — غارة الروم سنة ٢٤٢ (ص ١٥٠)

١١ — حروب العرب والروم سنة ٢٤٦ (ص ١٥١)

١٢ — الفداء سنة ٢٤٦ (١٥١)

أما أبو الفداء المتوفى سنة ١٣٣١ فإن تاريخه لا يحوى شيئاً جديداً لم يقله من جاء قبله. وهو يذكر ما يأتى: [1]

١ — غزوة سنة ٢١٥ (جـ ٢ ص ١٥٢)

٢ — غزوة سنة ٢١٦ (جـ ٢ ص ١٥٤)

٣ — غزوة سنة ٢١٧ (جـ ٢ ص ١٥٤)

٤ — أحداث زبطرة وعمورية: ذكر موجز (جـ ٢ ص ١٧٠ — ١٧٢)

٥ — انتصار الروم على العرب فى سنة ٢٤٩ (٨٣٦) فى مرج الأسقف (جـ ٢ ص ٢٠٨)

أما ما يخص صقلية من كتب أبى الفداء فهى مترجمة عند أمارى.

أما ابن خلدون المتوفى فى ١٤٠٦، فيذكر فى تاريخه الأخبار الآتية: [2]

١ — أربع غزوات عربية فى أرض الروم أيام المأمون

---

(١) رجعنا إلى تاريخ أبى الفداء (نص وترجمة لاتينية) ط ويزكيوس Réiskius ، هافنيا ١٠٩٠

(٢) رجعنا إلى كتاب العبر وديوانه المبتدأ والخبر لابن خلدون ط بولاق ١٢٨٤ هـ فى سبع مجلدات.

٢ — تخريب المعتصم تحصينات المأمون فى الطوانة (ج ٣ ص ٢٥٦)
٣ — غارات زبطرة وعمورية (ج ٣ ص ٢٦١ / ٢٦٢)
٤ — فداء سنة ٢٣١ (ج ٣ ص ٢٧٢)
٥ — حرب الروم والعرب أيام المعتصم (ج ٣ ص ٢٧٧ — ٢٧٨)

أما مايخص صقلية من أخبار عند ابن خلدون فقد ترجمه أماري (المكتبة ج ٢ ص ١٦٣ — ٢٤٣)

أما المقريزى المتوفى ١٤٤٢ فإنه يذكر مايأتى عند أخذ دمياط سنة ٢٣٨ « وأول ما أنشىء الأسطول بمصر فى خلافة أمـــير المؤمنين المتوكل على الله أبى الفضل جعفر بن المعتصم عندما نزل الروم دمياط فى يوم عرفة سنة ٢٣٨ (٢٢ مايو ٨٥٣) . وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحق . فملكوها وقتلوا بها جمعاً كثيراً من المسلمين وسبوا النساء والأطفال : ومضوا إلى تنيس فأقاموا باشتومها » [١] .

ونجد كذلك عند المقريزى أخباراً فى غاية الطرافة خاصة بابتـــداء إنشاء الأسطول المصرى [٢] .

ولـكن المقريزى حين ذكره حصار دمياط الذى نقلناه آنفاً ، يذكر غارة جديدة للروم على نفس المدينة فى السنة التالية :

فلما كانت سنة سبع (اقرأ تسع) (سنة ٢٣٩ هـ = ١٢ يونية ٨٥٣ — أول يونية ٨٥٤) طرق الروم دمياط فى نحو مائتى مركب . فأقاموا يعبثون فى السواحل شهراً وهم يقتلون ويأسرون . وكان للمسلمين معهم معارك [٣]

ويذكر المقريزى فوق ذلك أخباراً عن الأفدية . وقد رأينا أن المسعودى تكلم عنها [٤]

---

(١) المقريزى : الخطط . بولاق ، ١٢٧٠ (١٨٥٢) ج ٢ ص ١٩٠/١٩١ . ونجـد نفس العبارة فى الكلام على دمياط فى ج ١ ص ٢١٤ (= ط . ج . ڤيت ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ج ٤ ، ١٩٢٣/١٩٢٤ ص ٤٠) مع ذكر من أسر من الذميين ومع بعض أبيــات من الشعر . والمقريزى يروى هنا من الكندى .

(٢) ترجمت هذه الفقرة فى كتاب البارون فون روزن عن الامبراطور بازيل قاتل البلغار (بالروسية) سان بطرسبرج ١٨٨٣ ص ٢٧٤ — ٢٧٦ .

(٣) أنظر هـ . هاماكر : تقى الدين احمد المقريزى : حملات الروم والفرنج على دمياط منذ ٧٠٨ إلى ١٢٢١ امستردام ١٨٢٤ ص ٩ (نص) ، ص ٢١ (ترجمة) .

(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٩١ .

ويأخذ المقريزى أخباره فى ذلك على الأرجح من المسعودى [١] ولهذا لانجده يضيف على مافيه شيئا جديداً .

أما ما ذكره المقريزى عن صقلية فقد ترجمه أمارى (جـ ٢ ص ٥٧٢ — ٥٨٧ ، ٢٥٩ — ٢٦٦) . وهو مترجم كذلك فى الترجمة الفرنسية لكتاب النجوم الزاهرة (اقتباسات خاصة بتاريخ المغرب . جمعها ف . فانيان . قسطنطين ١٩٠٧) .

أما أبو المحاسن المتوفى فى ١٤٦٩ فهو من مؤرخى القرن الخامس عشر وقد اختصر تواريخ من قبله وأفرد مكاناً فسيحاً إلى حد كبير للعصر الذى ندرسه . وأما ما يخص صقلية فى كتابه فهو مترجم عند أمارى (جـ ٢ ص ٧٠٤ / ٧٠٦) :

١ — غزوة سنة ٢١٥ : تناولها بإيجاز شديد (جـ ١ ص ٦٣٠ — ٦٣١) [٢]

٢ — غزوة سنة ٢١٦ : تناولها بإيجاز أيضاً (جـ ١ ص ٦٣٥) وهو يسمى يحى ابن أكثم القاضى

٣ — سنة ٢١٧ : غزوة وكتاب من توفيل إلى المأمون (جـ ١ ص ٦٤٢)

٤ — سنة ٢١٨ : إشارة إلى تحصين الطوانه (جـ ١ ص ٦٤٣)

٥ — سنة ٢٢٠ : إشارة إلى ثورة قبيلة الزط (جـ ١ ص ٦٥٠ و ٦٥٣)

٦ — كلمات قليلة عن الغارة على زبطرة والغارة على عمورية (جـ ١ ص ٦٥٩ . وانظر كذلك ص ٦٥٢)

٧ — سنة ٢٣٢ : الفداء (جـ ١ ص ٢٨٤) . يقتصر على كلمات قليلة .

٨ — سنة ٢٣٨ : كلمات قليلة عن حصار دمياط (جـ ١ ص ٧٢١ . انظر كذلك ص ٧٢٣ — ٧٢٤)

٩ — سنة ٢٣٩ . يذكر أبو المحاسن فى هذه السنة أخبارا عن غزوة على بن يحيى الأرمنى وهى غزوة لا نجد لها ذكرا عند الطبرى ولا عند غيره من المؤرخين . وإنما

---

(١) تابع الصفحة السابقة : أنظر باربييه دى منيار : مروج الذهب جـ ٩ ص ٣٠٦ ؛ البارون روزن نفس المكان ص ٢٧٢ .

(٢) رجعنا إلى طبعة بوبول وماتيس . ليدن جـ ١ . وقد طبع الكتاب مرة أخرى فى القاهرة ابتداءً من عام ١٩٢٩ : والمجلدات الأربعة الأولى بلغت إلى عام ٤٢٧ . أما طبعة بوبول فقد استمر بها و . وبوبر فى بركلى جـ ٢ ق ٢ ، جـ ٣ ، جـ ٤ ، جـ ٦ ، جـ ٧ (١٩٠٩ وما بعدها)

يذكر هؤلاء صائفته (الطبرى س ٣ ص ١٤٢٠ = ابن الأثير جـ٧ ص ٤٧) دون إضافة شيء . وفيما يأتى قول أبى المحاسن (جـ ١ ص ٧٣٠ — ٧٣١) :

« وفيها غزا الأمير على بن يحيى الأرمنى بلاد الروم . . فأوغل على بن يحيى المذكور فى بلاد الروم حتى شارف القسطنطينية . فأحرق ألف قرية وقتل عشرة آلاف علج وسبى عشرين ألفاً وعاد سالما غانما » .

١٠ — سنة ٢٤١ : ذكر الفداء (جـ ١ ص ٧٣٥) .

١١ — سنة ٢٤٢ : ذكر الغزو (جـ ١ ص ٧٣٨) .

١٢ — سنة ٢٤٤ : غزوة بغا

١٣ — ٢٤٥ : ذكر غزوة سميساط (جـ ١ ص ٧٥٢) .

١٤ — ٢٤٦ : ذكر موجز لغزوة لا إسم لها (جـ ١ ص ٧٥٥)

١٥ — ٢٤٨ : ذكر غزوة وصيف (جـ١ ص ٧٦٠) .

١٦ — ٢٤٩ : غزوة هذه السنة وموت على بن يحيى الأرمنى . ولكن أبا المحاسن يسوق هذه الجملة فى أخبار سنة سابقة حين ذكره ولايته مصر لأول مرة (جـ١ ص ٦٦٩)

١٧ — سنة ٢٥٣ : غزوة محمد بن معاذ فى أرض الروم وبلوغه ملطية (جـ١ ص ٧٧٤)

١٨ — يذكر أبو المحاسن فى أخبار سنة ٢٤٥ (٨ أبريل ٨٥٩ — ٢٧ مايو ٨٦٠) بمناسبة كلامه على ولاية يزيد بن عبد الله مصر : غارة رومية على دمياط . (ص ٧٤٠ — ٧٤١) ، فيقول :

« المحرم سنة ٢٤٥ (أبريل ٨٥٩) : خرج (يزيد) من مصر إلى دمياط لما بلغه نزول الروم عليها . فأقام بها مدة لم يلق حربا . ورجع فى شهر ربيع الأول من السنة إلى مصر . وعند حضوره إلى مصر بلغه ثانيا نزول الروم إلى دمياط . فخرج أيضا من مصر لوقته وتوجه إلى دمياط ، فلم يلقهم . فأقام بالثغر مدة ثم عاد إلى مصر .

ملحق بالذيل (ا)

— ١ —

ابن طيفور (المتوفى فى ٨٩٣)

ولد أبو الفضل أحمد بن أبى طيفور ببغداد سنة ٢٠٤=٨٠٩ . ومات سنة ٢٨٠ =٨٩٣ . ويرتفع نسبه إلى أحد جند خراسان الذين أسسوا الدولة العباسية . وأصل هذا الجندى من مرو الروذ ، كان ابن طيفور كاتباً فى الدواوين واعظاً شاعراً محدثاً كثير الحفظ للحديث . وقد كتب أكثر من خمسة وأربعين كتاباً أثبتها فهرست ابن النديم . ولم يبق من كتابه الذى تناول تاريخ بغداد وسماه كتاب بغداد إلى خلافة الخليفة المهتدى (٢٥٦ = ٨٧٩) إلا الكتاب السادس . وهو كتاب يحوى أخباراً من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٢١٨ (٨١٩ — ٨٣٣) يعنى أنه يحوى جزءاً من خلافة المأمون . وقد طبعه ﻫ . كلر[1] وترجمه إلى الألمانية . وقد وضع ابن لابن طيفور ذيلا لكتاب أبيه وساق فيه التاريخ إلى سنة ٣٢٠ (٩٣٢) . ولم يصل إلينا هذا الذيل أيضاً .

وقد أخذ عن تاريخ بغداد كثير ممن جاء بعده من المؤرخين وخاصة صاحب كتاب الأغانى . وهو يعد مرجع الطبرى الأساسى فى أخبار العصر العباسى . وقد أثبت كلر أن الطبرى يكاد يكون نسخة منه كلمة بكلمة . وأخبار ابن طيفور عن خلافة المأمون تسوق تفاصيل ذات أهمية أساسية (أنظر سنة ٢١٥ﻫ) أهملها الطبرى ولعله أهملها عامداً[2] .

ولم يصلنا من ابن طيفور للآن إلا المجلدين الحادى عشر والثانى عشر من مختارات شعرية ونثرية عنوانها «كتاب المنثور والمنظوم» ، وقد درسه البارون روزن[3]

---

(١) المجلد السادس من كتاب بغداد لاحمد بن أبى طاهر طيفور طبعة وترجمة الدكتور ﻫ كلر ج١ : النص العربى : ج٢ الترجمة الألمانية (وفى مقدمتها دراسة هامة لابن طيفور وعلاقته بالطبرى) ليبزج ١٩٠٨

(٢) أنظر روتشتين : مجلة جمعية المستشرقين الألمانية ج٦٤ ص ٢٤٤ وما بعدها .

(٣) دراسات الجمعية الأسيوية الأثرية ج٨ ، سان بطرسبرج ١٨٨٩ .

ويحوى الجزء الثانى عشر رسائل من إنشاء الكتاب فى العصر العباسى الأول وهى لذلك ذات أهمية للأدب وللتاريخ[١] .

اقتباسات من ابن طيفور

غـــزوة ٨٣٠

(ط . ه كلر ص ٢٦٢).

قال أحمد بن أبى طاهر ولما دخلت سنة خمس عشر (هكذا) ومائتين عزم المأمون على الشخوص إلى الثغر ، ص ٢٦٣ .

قال وخرج أمير المؤمنين من الشماسية إلى البردان يوم الخميس صلاة الظهر لست بقين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وهو اليوم الرابع وعشرون من أذار (٢٤ مارس سنة ٨٣٠) ثم سار حتى أتى تكريت وفيها[١] قدم محمد بن على بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب من المدينة فى صفر ليلة الجمعة (٢ صفر = أول أبريل سنة ٨٣٠) فخرج من بغداد حتى لقى أمير المؤمنين بتكريت فأجازه وأمره أن يدخل عليه امرأته ابنة أمير المؤمنين . فأدخلت عليه فى دار أحمد بن يوسف التى على شاطىء دجلة ، فأقام بها ، فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة . ثم أتى منزله بالمدينة . فأقام به . قال ثم رحل المأمون عن تكريت وسار حتى أتى الموصل ، ثم سار من الموصل إلى نصيبين ثم سار من نصيبين إلى حران ثم سار من حران إلى الرهاء . ثم سار إلى منبج ثم سار من منبج إلى دابق ثم سار إلى أنطاكية ثم سار حتى أتى المصيصة . ثم خرج منها إلى طرسوس ثم رحل من طرسوس إلى أرض الروم للنصف من جمادى الأولى (١٠ يوليه ٨٣٠)

---

(٤) نشر كثير من هذه الرسائل فى المجلد الثالث من عصر المأمون لأحمد فريد رفاعى (فى ثلاثة أجزاء) القاهرة ١٩٢٨ وفى رسائل البلغاء التى نشرها محمد كرد على ، القاهرة ١٩١٣ : وانظر ش ابن طيفور ومقاله كلى التى ذكرناها ومقاله هوار فى دائرة فى دائرة المعارف الإسلاميه ومقاله روانتين ضمن المقالات التذكارية المهداة لنلدكه ج ١ ص ١٦٠ . وبروكلمان فى Litt. Zentralblatt (١٩٠٩) أنوسترانسف — نايريمان :الأثر الفارسى فى الأدب العربى ، بمباى ١٩١٨ .

(١) ترجمة الكلمة Hier.

ورحل العباس بن المأمون من ملطية فأقام أمير المؤمنين على حصن يقال له قرة حتى فتحه عنوة . وأمر بهدمه وذلك يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الأولى (٢١ يوليه ٨٣٠ ولكنه يوم خميس) قال وقرى للمأمون فتح ببغداد من بلاد الروم يوم الجمعة لعشر خلون من رجب (٢ سبتمبر ٨٣٠) وجاء المأمون بعد ذلك فتح قرة من بلاد الروم لثلاث عشرة بقين من رجب (٩ سبتمبر ٨٣٠) (ص ٢٦٤) .

قال ولما فتح المأمون حصن قرة وغنم ما فيه اشترى السبي بستة وخمسين ألف دينار ثم خلاّ سبيلهم وأعطاهم ديناراً ديناراً .

وخرج ابنه العباس على درب الحدث فى شهر رمضان (٢٢ أكتوبر — ٢٠ نوفمبر ٨٣٠) . وغدر به منويل الرومى الذى قدم عليه بغداد ، ودخل معه أرض الروم . فلما خرج العباس وكان استخلفه فيما افتتح من الحصون . فلما خرج من عنده غدر به ، وأخرج من كان خلفه عنده من المسلمين وأخذ ما كان عنده من السلاح وصالح ملك الروم .

فلما خرج أمير المؤمنين من أرض الروم أقام بطرسوس ثلاثة أيام ثم سار منها حتى نزل دمشق فلم يزل بها مقيما إلى أن انقضت سنة ٢١٥ .

غـــزوة ٨٣١

ص ٢٦٤ .

فلما كانت سنة ٢١٦ (١٨ فبراير ٨٣١ — ٦ فبراير ٨٣٢) ورد الخبر على أمير المؤمنين أن ملك الروم قتل قوماً من أهل طرسوس والمصيصة وهم فيها ذكروا نحواً من ١٦٠٠ رجل وكان رئيسهم رجل يقال له أبو عبدالله المرورّذى . فلما بلغ المأمون ذلك خرج حتى دخل أرض الروم يوم الأثنين لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة ٢١٦ (٤ يوليه ٨٣١) فلم يزل مقيما فيها إلى النصف من شعبان (١٣ سبتمبر — ١١ أكتوبر ٨٣١) وهو اليوم الرابع وعشرون من ايلول (سبتمبر) .

وذكر أنه فتح نيف (هكذا) وعشرين حصناً عنوة وصلحاً سوى المطامير وأنه أعتق كل شيخ كبير وعجوز .

فلما خرج المأمون من أرض الروم وأتى كيسوم أقام يومين أو ثلاثة ثم ارتحل

إلى دمشق ثم خرج أمير المؤمنين من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة بقين من ذى الحجة (٢٣ يناير ٨٣٢ ولكنه يوم ثلاثاء) إلى مصر .

غـــزوة ٨٣٢

لا يذكر ابن طيفور شيئاً عن هذه الغزوة . وإنما يذكر أن المأمون بلغ دمشق عائداً من مصر فى ٢٠ ربيع الأول عام ٢١٧ (٢٥ أبريل ٨٣٢) ص ٢٦٧ . وكان المأمون فى أذنه (أنظر الطبرى) فى ١٦ جمادى الأولى (١٩ يونيه عام ٨٣٢) .

ويروى ابن طيفور بعد ذلك (ص ٢٨٤ وما بعدها) نص الكتب التى تبادلها المأمون والامبراطور . وهو يبدأ كلامه ذلك دون تمهيد آخر بهذه الكلمات قال أحمد بن أبى طاهر : كتب ملك الروم إلى المأمون . . الخ . ونجد ترجمة هذه الكتب ونصها فى الطبرى وفى اقتباساتنا [١] .

---

(١) ولا تختلف رواية ابن طيفور عن رواية الطبرى إلا اختلافات يسيرة نذكر منها لفظة شوكة وأن ابن طيفور روى : الشرك ونذكر لفظ لقوت الذى رواه ابن طيفور فكان معونة والمعنى ظاهر .

الكندى (٢٨٣ — ٣٥٠ = ٨٩٧ / ٩٦١)

أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى مؤرخ نسابه حافظ على الأخص تاريخ مصر . وقد ولد بها فى ١٧ يناير ٨٩٧ ومات بالفسطاط فى ١٥ أكتوبر ٩٦١. وقد ألف «كتاب تسمية ولاة مصر وهو الكتاب الذى نشره و. جست مع كتاب آخر للكندى هو كتاب أخبار قضاة مصر . ويتناول هذا الكتاب الأخبار إلى زمن الفاطميين .

أما القطع التى تهم بحثنا فهى :

١ — طرد أهل قرطبة من الإسكندرية فى ربيع الأول سنة ٢١٢ (يونيه ١٢٧) على يد عبدالله بن طاهر ص ١٨٤ .

٢ — هجوم الروم على دمياط فى ٢٣٨ / ٨٥٣ ص ٢٠١ . وعنه أخذ المقريزى (انظر ص ٢٠١) .

وفى ولايته (ولاية عنبسة بن اسحق) نزلت الروم دمياط يوم عرفة سنة ٢٣٨ فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعاً كثيرا من المسلمين وسبى النساء والأطفال وأهل الذمة ، فنفر اليهم عنبسة بن إسحق فغشى فى جيشه . ونفر كثير من الناس إليهم فلم يدركوهم ، ومضى الروم إلى تنيس ، فأقاموا بأشتومها فلم يتبعهم عنبسة .

ثم يذكر المؤلف أبياتاً من الشعر ثم يسوق ذكر بناء حصن دمياط . ولكن الكندى ، كما يلاحظ بروكس ، لم يتكلم عن إنشاء الأسطول المصرى ولم يتكلم عن غارة الروم فى السنة التى بعدها . ولكن المقريزى المتأخر ذكر ذلك .

---

(١) كتاب ولاة مصر وقضاتها أو كتاب الأمراء (الولاة) وكتاب القضاة للكندى ط ريفون جست ليدن — لندن ١٩١٢ (وسلسلة جب التذكارية ج ١٩)

(٢) ترجم هذه العبارة ا . و . بروكس : العلاقة بين الأمبراطورية ومصر حسب مصادر عربية جديدة فى مجلة الدراسات البيزنطية (المجلة الألمانية) ج ٢٢ (١٩١٣) ص ٣٩٠ — ٣٩١

ب - تعليقات اضافية

إشارات الشاعرين أبي تمام والبحتري

الى حرب الروم

(ماربوس كنار)

أبو تمام (٨٠٧–٨٤٦) والبحترى (٨٢٠–٨٩٧) من شعراء البلاط المقربين للخلفاء والولاة والقواد والوزراء العباسيين . وكثيرا ما يتغنون فى أشعارهم بفعال أبطالهم الممدوحين فى حرب الروم . وقد يقع أن تجد فى بعض أبياتهم ذكراً لإسم مكان فى آسيا الصغرى أو الغور لا نجده عند غيرهم . ولهذا رجع اليهم الجغرافيون مثل ياقوت والبكرى . ومع ذلك فإنه يصعب على المؤرخين أن يتخذوا الشعراء كمصادر تاريخية لبعدهم عن الدقة فى التوقيت وتحديد المكان فى إشاراتهم إلى أحداث حرب الروم . فإنهم لم يكتبوا شعرهم ليقصوا التاريخ ولكن ليمدحوا . فيحيطون ما يذكرون من الوقعات بعبارات شعرية حتى لنتكلف الجهد قبل أن نستخلص منها شيئاً يسيراً من التاريخ ، وقد لا تخرج بعد العناء إلا بمجرد فروض . ومع ذلك فإن قراءة شعر هذين الشاعرين تدلنا على أن المؤرخين أهملوا بعض الوقائع الهامة وقدرا كبيراً من التفاصيل .

ونقتبس فيما يلى موجزاً يسيرا عن كلام أبي تمام والبحترى فى حرب الروم .

أبو تمام[1]

١ — قصيدة قالها للمأمون (ا ، ص ٢٤٧/٢٥٠ ؛ ب ، ص ٢٧٩/٢٨٢) .

الأبيات ٣٨ وما بعدها . إشارة إلى هزيمة للروم .

الأبيات ٤٤ وما بعدها . عرض رؤسائهم جملة على الخليفة مجروحين يغطيهم الدم

---

(١) (ا) = طبعة بيروت ١٨٨٩ .

(ب) = « « ١٩٠٥ وهذه الطبعة الأخيرة هى التى اعتمدت مرجوليوث فى فهرست الديوان فى .J.R.A.S ١٩٠٥ ص٧٦٣ وما بعدها وهو يرى فى هذه المقالة أن دراسة المؤرخين للشعراء أمر غير يسير « وقد يمر وقت طويل قبل أن يجمع مؤرخون الإسلام كل ما فى دواوين الشعراء » .

٢ — قصيدة قالها للمعتصم عن غزوه عمورية (ا ، ص١٥١ — ١٥٨ ؛ ب ص ١٢/٧) . والقصيدة مشهورة . وقد رأينا من قبل أن المؤرخين ذكروا أبياتا منها .

ونحن نشير إلى واقعة تفصيلية غير عظيمة الأهمية من الناحية التاريخية وهى تنبؤ المنجمين فى أمر وقوع المدينة (الأبيات الرابع وما بعده . راجع البيت ٥٨) . وتذكر كذلك ظهور شهاب أثناء الحصار (البيت السادس) وهو أمر يؤكده ميشيل السورى (ج ٣ ص ٩٧) .

٣ — قصائد قالها لأبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى .

وهو شخصية يتردد ذكرها على لسانى شاعرينا ، وهو مذكور كذلك فى أيام المأمون سنة ٢١٠ = ٨٢٥ (الطبرى س ٣ ص ١٠٩٣) . وكان له ذكر خاصة فى حرب بابك (أنظر ابن خلكان ط . دى سلان ج ٢ ص ٦٥٨ والطبرى فى السنوات ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣) . وهو ممن اشتركوا فى غزوة عمورية (الطبرى س ٣ ص ١٢٥٢ راجع ١٢٦٢ — ١٢٦٣) . ويذكر ابن الأثير أنه ولى أرمينية واذربيجان فى سنة ٢٣٥ = ٨٤٩/ ٨٥٠ . ومات عام ٢٣٦ = ٨٥٠/ ٨٥١ أيام المتوكل وأصله من مرو .

ولا يكاد يذكر مؤرخو العرب شيئاً عن دوره فى حرب الروم ، لا نستثنى من ذلك إلا إشارة موجزة إليه فى أمر عمورية مؤداها أن أحد عبيده صعد إلى الحصن يحمل الأمر لياطس أن ينزل . ولكن دوره يجب أن يكون دورا هاما إذا نظرنا إليه فى أشعار أبى تمام والبحترى . أما ميشيل السورى (ج ٣ ص ٩٠٦ ومابعدها) فيحدثنا أنه ولى الشام والجزيرة منذ ٨٣٩ على الأرجح وأن مقره كان فى حلب على الأغلب وأنه غزا سنة ٨٣٩ وسنة ٩٤٠ أرض الروم فظفر وانهزم . ولا بد أنه غزا مرات كثيرة آسيا الصغرى أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل . أما تلقيبه بالثغرى ففيه إشارة إلى حروبه مع الروم ومع بابك لأن لفظ الثغر تطلق أيضا عند الكلام على أذربيجان .

ا — ا : — ص ٢٩ / ٢٢ ؛ ب ص ٢٥ / ٢٩

الأبيات ٣٠ / ٤٧ : شاتيته التى أخذفيها وأحرق حصنى ذى الكلاع وا كشوتاه[1]

---

(١) ذو الكلاع هى كيبسترا فى كياد و كياد = زنجبار كالبسى أو قرا حصار . أنظر دى جرفانيون ما كان على شاهق . ٬ الس كيا دو كيا (بالفرنسية) ص ٣٧ — ٣٨ . ا كشوتاه مجاورة لذى الكلاع =

والتي حارب فيها جند ثغور الروم (البيت ٤٧ : أسود الضواحي) .

(ب) ا ، ص ٩٧ ، ١٠٠ ؛ ب ، ص ١٠٧/ ١١١

الأبيات ٤٤/ ٤٥ إشارة موجزة لغزوات أبي سعيد في أرض الروم .

(د) ا ، ص ١٢٩ ، ١٣٢ ؛ ب ، ص ١٤٥ ، ١٤٩ .

الأبيات ١١ وما بعدها إشارة إلى تقدم فرسان أبي سعيد في آسيا الصغرى (كان خيوله طير أوكارها في درو ليه البيت ١١) وإشارة إلى هرب الروم (البيت ١٦) وإشارة إلى اسمي مكان في البيت ٢١ : الحمة البيضاء (بمعنى العين البيضاء) والقفل وهو حصن في قول البكري .

الأبيات ٢٤ وما بعدها إشارة إلى منويل قال فيها إنه لم تمسسه السيوف ولا الرماح ولم يهرب لأنه ظل معتصما بمكان أمين وهو في رأي الشاعر كالانهزام . فظل منويل يشهد عن بعد القتال المحتدم . فلما انهزم جنده لم يقدر إلا أن يلقى الفلول بالعبرات

ومن العسير أن نحدد زمن هذه الواقعة ، إن صحت ولم يكن الشاعر بالغ فيها . والذي يبدو على أي حال أن المقصود لم يكن هزيمة أنزن سنة ٨٣٨ وهي التي جرح فيها منويل وهرب .

الأبيات ٤٤ / ٥٥ : جاء فيها أن أبا سعيد بقي بأرض الروم زمنا طويلا لا يلقى كيدا كما لو كان مقيما بأرض الإسلام .

د — ا — ص ١٩١ , ١٩٥ ؛ ب — ص ٢١٥ وما بعدها .

الأبيات ١٣ وما بعدها : يصف فيها الشاعر توغل أبي سعيد في أرض الروم مظفرا مطلقا فرسانه على صخرة الامبرطورية . فوطيء أولا الضواحي ثم توغل في أجناد كبادوكيا وهي جند الفا طلوق والبقلار ثم توغل في سير يثير الغبار من وراء جيشه إلى جند الأنسيق . ونشر حول درو ليته الرعب والموت والحريق

ويدل البيت ٢٦ أنه تقدم حتى بلغ الخليج (البسفور أو الدردنيل) .

الأبيات ٢٩ وما بعدها : إشارة إلى معركة اهتزت لها مدينة قسطنطين وسوق

= على الأرجح وإن كان ياقوت ح ١ ص ٣٣٣ يقول إنها في ارمينية . ثم إن اقتران الأسم في الكلام — الشوتاه قد يدل على الأخلاق على مكانين عتسمين ما قرا حصلو ورحمار كالبسي

الفاروق (= سوق قسطنطينية) [١] .

الأبيات ٣٥ وما بعدها : إشارة إلى كثرة أسرى الروم .

البيت ٤٥ : إشارة إلى بيع الأسرى وأن أبا سعيد لم يطلب تفسأ بالتفريق بين الأولاد وآبائهم .

الأبيات ٤٧ وما بعدها : إشارة إلى معركة على نهر عقرقس . ويذكر أبو تمام هذا القتال ثلاث مرات ، ويذكره البحترى مرتين . فهو من غير شك قتال هام . وسنرى بعد أن البحترى حضره[٢] .

وبوادى عقرتس لم يُعَـرِّدْ عن رسيم إلى الوغى وعنيق
جأر الدين وستغاث بك الاســــلام من ذاك مستغاث الغريق
يوم بكر بن وائل بِقِيضات[٣] دون يوم المحمَّر الزنديق
يوم حلق اللمات ذاك وهذا اليو م فى الروم يوم حلق الحلوق

ويدل هذا الشعر على أن القتال فى وادى عقرقس يمكن أن يسمى أيضاً بيوم المحمر (أو يوم الخرمية) وإن القتال كان فى آسيا الصغرى كما يذكر ياقوت أيضاً .
والخُرَّمى المقصود الذى نجده عند الروم لايمكن أن يكون إلانصراً أو نصيراً المسمى أحياناً تيوفوب أحد قواد بابك . وقد تحول إلى جانب الروم فى ٢١٨=٨٣٣ بعد هزيمة الخرمية فى الجبال (أنظر الطبرى وميشيل السورى) . ونحن نعلم أنه فى سنة ٨٣٨ أثناء حملة عمورية أنقذ توفيل من الموت فى معركة أنزن ، وأنه قتل مع أصحابه الخرمية عام ٨٣٩ أو عام ٨٤٠ كما ذكر ميشيل السورى أمر ذلك ، وبيان ذلك أن أبا سعيد وجنده قدموا معينين لبشير قائد أبى سعيد حين غلبه نصر — تيوفوب واسترد منه أسراه[٤] .

---

(١) ورد ذكر مدينة قسطنطين أيضا فى شعر البحترى ص ١٨٩ ، البيت الثالث ، من قصيدة قالها لأبى سعيد نقال والمصود على الأرجح القسطنطينية . ولكن ثمت مدينة اسمها مدينة قسطنطين غير القسطنطينية (الطبرى عام ٨٨١ وهى مدينة أخذها مسلمة) ويقول ياقوت أن الفاروق لقب القسطنطينية .

(٢) ياقوت ج٣ ص ٦٩٧ ؛ وانظر بعد .

(٣) هى وقعة مسهودة فى الجاهلية . ياقوت ج٤ ص١٢٨ الأغانى ج٤ ص١٤٢ . أماعن لفظ محمر فانظر فهرس كلمات الطبرى .

(٤) انظر عن نصر خاصة مقالة قيمة كتبها جريجوار « منويل ليوفرب » فى مجلة بيزنطيون ح ٩ ١٩٣٤ ص١٨٣ / ٢٠٤

ولا شك أن هذه المعركة الأخيرة هى التى تسمى وادى عقرقس لأن شعر المتنبى يصف موقفاً هو الذى وصفه ميشيل السورى بالضبط . فقد تحرج موقف الإسلام بعد هزيمة بشر فانقذه سير أبى سعيد . وكان له يوم حلقت فيه الحلوق ويقول ميشيل مثل ذلك وهو أن الخرمية استقتلوا بعد موت رئيسهم حتى قتلوا عن آخرهم وقطعت رءوسهم وحملت إلى المصيصة ثم ملحت لتبعث إلى الخليفة . ويدل حضور البحترى هذه الوقعة (أنظر بعد) يتعارض مع أى تاريخ سابق على عام ٨٣٩ أو عام ٨٤٠ . والراجح أن البحترى وهو سورى من منبج لم يعرف أبا سعيد قبل أن يجيء والياً على الشام فلما قدمها جاءه الشاعر الشاب (وكان فى سن العشرين عام ٨٤٠) وخصه بشعره .

البيتان ٥٨/٥٧ : إشارة إلى سنجاريوس (صاغرة ستذل : أنظر ابن خرداذبة ص ١٠١) وإلى قرة (سبايا أخذن فى قرة) . ويذكر كذلك مكان اسمه أو قضاه .

ومن الممكن أن يكون ذلك إشارة إلى وقائع سابقة (فإن صاغرة نهر عمورية فيما يقول ابن خرداذبة) ؛ ولكن الأرجح أن هذه القصيدة كلها خصصت لحملات أبى سعيد فى ٨٤٠/٨٣٩ .

هـ — ا ٤ ص ٢٦١ — ٢٦٤ ؛ ب ص ٢٩٤ — ٢٩٨

قصيدة قيلت كلها فى حملات أبى سعيد على نصر والخرمية فى ٨٤٠/٨٣٩ يبدؤها الشاعر بذكر وقعة وادى عقرقس وإنها الرد المنطقى على معركة ٢١٨ هـ = ٨٣٣ م وهى المعركة التى ألجأت فلول الخرمية إلى أرض الروم .

البيتان ١٩/١٨ :

جدعت لهم أنف الضلال بوقعة — تخرمت فى غمَّائها من تخرما

لئن كان أمسى فى عقرقس أجدعا — فمن قبل ما أمسى بميمذ أخرما[1]

البيت ٢١ :

قطعت بناوى الكفر منهم بميمذ — واتبعتها بالروم كفا ومعصما

ويجب أن تكون ميمذ وقعة ٢١٨ — ٨٣٣ . وذلك أن أبا تمام تغنى بها فى قصيدة

---

(١) تلاعب بالألفاظ : تخرم معناها هلك أو تخرمت أذنه أو أصبح خرميا

قالها لإسحق بن مصعبة الطاهرى الذى تولى القيادة العليا يومئذ[1] . وقد جاء فى مطلع هذه القصيدة (ا ص ٢٨٥ وما بعدها ؛ ب ص ٣٢١ وما بعدها) أن الخرمية أخذوا على غرة وقتلوا على غرة وقتلوا وبعث القائد إلى المعتصم ستين ألف أذن . ولكن أبا تمام لم يذكر هنا اسم ميمذ ولم يتكلم عن أبى سعيد ، ومع ذلك فإن أمر الآذان يوحى بأن المقصود واقعة واحدة هى وقعة ميمذ[2] .

ثم يذكر الشاعر بأخذ البد حصن بابك (الأبيات ٢٢ وما بعده) ثم يطنب فى ذكر وقعة كان لأبى سعيد فيها دور المنقذ الذى جاء فى الوقت المناسب معيناً وكأنه مدفوع فيما فعل بوحى إلهى صادق . ويظهر أن ذلك ينطبق على موقف بشير إذ أنقذه أبو سعيد حين التقائه بنصر — تيوفوب . والأوضح من ذلك أن الشاعر يقول بعد ذلك فى البيتين ٤٤ ، ٤٥ « إن يكن الهليس نصرانياً فقد علموا أن وادى عقرقس مسلم » .

وإن يكُ نصرانياً النهرُ آلسٌ فقدوجدوا وادىعقرقس مسلما
به سبتوا فىالسبت بالبيض والقنا سباتا ثووا منه إلى الحشر نوما

الأبيات ٤٨/٤٩ .

ولم يبق فى أرض البقلار طائر ولا سَبُعٌ إلا وقد بات مؤلما
ولا رفعوا فى ذلك اليوم أثلبا ولا حجرا إلا رأوا تحته دما

٤ — قصيدة قيلت لخالد بن يزيد الشيبانى .

وشخصية الممدوح أقل ظهوراً من شخصية أبيه يزيد . ولى للمأمون على الموصل وديار ربيعة . ومات أيام الواثق فى عام ٢٣٠ = ٨٣٥ بأرمينية وكان بعث إليها بجيش . ولا يذكر المؤرخون أنه قام بدور ما فى حرب الروم .

(ا) ص ٣٢/٣٦ ؛ (ب) ص ٣٠/٣٤ .

(١) كان صاحب الشرطة فى بغداد أيام أربعة من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وانظر عن الوقعة الطبرى ج ٣ ، ص ١١٢٥ .

(٢) وفى قصيدة أخرى قلت لإسحق بن ابراهيم أيضا (ا — ٢٧١ وما بعدها . ب — ٣٠٥ وما بعدها) هذا البيت (رقم ٣٢) :

الأبيات ٣٢ وما بعده : إطناب فى وصف هرب الامبراطور أمام جند خالد . واستيلاء الفزع على كل أرض الروم[1] .

البيت ٣٦ : بعثُ توفيل كتاباً لخالد ، فلم يأته جواب .

ومن العسير أن نحدد الواقعة المشار إليها . ولكن ذكر هرب الامبراطور دون قتال يذكر بأمر لؤلؤة عام ٢١٧ = ٨٣٢ أيام المأمون (؟)

البحترى[2]

١ — قصيدة قالها للمتوكل جاء فيها ذكر فداء ووفد روى جاء من أجل ذلك (ص ٢٣/٢٤) .

الأبيات ١٩/٢٩ : يصف البحترى خوف رسل الروم فى بلاط الخلافة وإعجابهم فى عبارات نقلها عنه المتنبى فيما بعد . ولكن الشعر لا يورد من التفاصيل ما يحدد لنا هل المقصود فداء ٨٥٥ أم فداء ٨٦٠ .

٢ — قصيدة قيلت لأبى سعيد .

(ا) ص ٢٤٥/٢٤٨

البيت ٤٠ ومابعده : قدم جيشا أبى سعيد من طرسوس وقاليقلا (أرز الروم) واجتمعا باردندون[3] وجاسوا خلال جند البوسيلير (البقلار) وطردوا الأعداء عن ضفاف سنجاريوس (صاغرى ويقال صاغرة . أنظر فوق : أبو تمام ٢ ، د) .

البيت ٤٧ : إشارة إلى وقعة عقرقس وإنقاذ أبى سعيد المسلمين فيها ونصره .

البيتان ٥٣/٥٤ :

همـــه فى غد بتفليق هام فى قرى العازرون والمـازرونا
ولعمرى ما ماء زمزم أحلى عنده من دم بزار مينـا

والمقصود على الأرجح ما كان لمعركة ٨٣٣ من صدى عند الروم .

(١) جاء ذكر ثلاثة أمكنة فى آسيا الصغرى وهى صاغرة القصوى وطمين وقرنطاوس .

(٢) ط . بيروت ١٩١١

(٣) رودندوس ؟ أنظر هـ. جريجوار : مجلة الاتصال العلمى الهلينى (Bull. de Correspond hellénique) ج٣٢ ص ١١٨ وما بعدها .

البيت ٥٦ :

غير وان في طاعة الله حتى يطمئن الإســلام في طمينا

(أنظر عن طمين ص ٣٩٩ من الأصل الفرنسى) .

(ب) ص ٢٥٧ — ٢٥٩

البيتان ٣٤/٣٥ : إشارة إلى غارة على ذى الكلاع (أنظر : أبو تمام ٢ ، ا) .

(حـ) ص٧٠—٧١٢

البيت ٩ : ذكر ليلة طالت فى طمين .

الأبيات ١٠ وما بعده . وصف خروج الشاعر لغزو الروم مع أبى سعيد وابنه يوسف وعمدهم إلى الهجوم على حماة الضواحى .

البيت ١٢ :

ولابد أن تيودورا كانت وصيته حينئذ وأن المقصود جملة متأخرة عن ٨٤٢ .

البيتان ١٧ / ١٨ : إشارة إلى غزو أرض الروم فى سنتين متعاقبتين .

الأبيات ٤١ ومابعده : إشارة إلى منويل :

وفى يوم منوين(sic) وقدلس الهدى بأظفاره أوهم أن يتناولا

دفعت عن الإسلام مالو يصيبه لما زال شخصاً بعدها متضائلا

لئن أخروها عن مساعيك إنها لتقــدم أيام الرجال الأوائلا

تلافيت ألفا فى ثمــانين منهم فشجعتهم حتى رددت الجحافلا

د — ص ٧١٢ — ٧١٥ (من قافية الهمزة)

الأبيات ٢٦ ومابعده : إشارة إلى غزوة لأبى سعيد امتلأت « ربة الروم » لها فزعا فبعثت إليه برسول فى نفس المساء[1] . وكانت صدور الخيل قد بلغت ساحل البحر ولم يوقفها إلا البسفور .

وكانت هذه الحملة بطبيعة الحال بين عام ٨٤٢ وهو تاريخ وصاية تيودورا وبين ٨٥٠ وهو تاريخ موت أبى سعيد .

الأبيات ٣٤ ومابعده : إشارة إلى تقتيل روم على جيحان (نهر بريام)

---

(١) يذكر النص فذورة بدل تدوره (تيودورا) ونوفل بدل توفل (تيوفيل) .

الأبيات ٣٧ ومابعده : إشارة إلى شاتية بلغت خرشنة .

لم يكن جمعهم على الموج إلا   زبدا طار عن قنـــاك جفاء
حين أبدت إليك خرشنة العليـ   ـا من الثلج هامة شمطـــاء

ويذكر الطبرى عام ٨٤٥ بعد فداء الواثق شاتية غرق فيها كثير من الجند فى نهر البدندن فهل كل ذلك حملة واحدة .؟

والراجح من جهة أخرى أن خرشفة حوصرت فامتنعت وصمدت :

البيت ٤٥ : إشارة إلى غزوة سريعة بلغت انقره والعود بالأسرى وتخفيف الاسراع ولم يذكر البيت المدينة ولكنه ذكر قبر امرىء القيس وهو بأنقرة حسب القصص (وإن كانت بعض رواياتها تجعله فى قيصرية[1] .

د — ص ٧٤٤ — ٧٤٨ (من قافية الهمزة)

الأبيات ٤١ ومابعده : مدح لفعال أبى سعيد فى حرب الروم . ولكن هذه الأبيات لاتشير إلى شىء بالذات . أما الأبيات ٥٢ ومابعده فتذكر منويل والراجح أن الشاعر يذكر فيها هربه فى معركة أنزن عام ٨٣٨ .

أشلى على منويل أطراف القنا   فنجا عتيق عتيقـــة جرداء
ولو أنه أبطا لهن هنيـــة   لصدرن عنه وهن غير ظماء
فلئن تبقاء القضـــاء لوقته   فلقد عممت جنوده بفناء
أثكلته أشياعه وتركته   للموت مرتقبا صباح مساء
حتى لو ارتشف الحديد أذا به   بالوقد من أنفاسه الصعداء

هـ — ٣ — قصائد قيلت ليوسف بن محمد أبى سعيد :

ولا يعرف التاريخ عن ابن أبى سعيد إلا أنه خلف أباه فى حكومة أذربيجان وأرمينية . ولكنه اشترك مع أبيه قبل موته فى غزو الروم وغزا بنفسه .

ومات يوسف عام ٢٣٧ = ٨٥١ / ٨٥٢ أثناء ثورة كبيرة فى أرمنية

---

(١) ف . تيشنر : وصف العمرى لأناطوليا Al'Umari's Berichtüber Anatolien ، ليبزج ، ١٩٢٩ س ١١ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى : ج ١٤ س ١٥٣ . وانظر ياقوت ج ١ س ٣٩١ ، ج ٣ س ٦٧٨ .

(ا) عدة إشارات غير محددة: ص ٢٤٨/٢٤٩ الأبيات ٦ وما بعده، ص ٢٦٢/٢٦٤: الأبيات ١٤ ومابعده (ذكر أناطوليا وكبادوكيا، وأنه أقام فى جند ابسيقيون شهرا) والأبيات ٢٦ ومابعده (البيت ٢٩: ذكر قرة).

(ب) ص ٤٥٨ — ٤٦٠ : البيت ٤٠ : الشاعر يذكر يوسف بأنه شهد معه موقعة عقرقس.

(ح) ص ٧٢٧ — ٧٣٠

يشير البيت الثالث من الآخر إلى نصر الروم فى مرعش وما تبعه من انتصاف يوسف. والمقصود على الأرجح الوقائع التى ذكرها ميشيل السورى ح ٣ ص ١٠٢ عام ١١٥٢ — ٨٤٠: وهى أن الروم بعد أن هزموا أبا سعيد استولوا على الحدث ومرعش وأرض ملطية.

(ى) ص ٦٧٥ — ٦٧٩

الأبيات ٢٧ ومابعده: إشارة إلى غزوة خرجت من طرسوس ومرت بالجوزات والصفصاف (دروب كيليكيا) وخرشنة ومأوة وقضاضبة والخضى (خصين؟) وطلب تيودورا من ملكهم: البيت ٣٦) الصلح فلم تجب إليه.

كانت هذه الغزوة إذن سابقة على ٨٤٢ (وصاية تيودورا). ولكننا لانستطيع تحديد وقتها بأكثر من ذلك لأننا لانعرف كم من الوقت ظل أبو سعيد وابنه قائمين عند الثغور الشامية الجزرية.

٤ — قصيدة قيلت للهيثم الغنوى، والطبرى لايذكره إلا فى حرب بابك ص ٢٤ — ١٢٦: البيت ١٥ (من قصيدة على قافية الميم)

وأزار أرض الروم أطراف الظباء   حتى أقام ملوكهم فى المقسم

ويقدم الناشر هذه الكلمة الأخيرة مقسم على أنها اسم مكان.

٥ — وفى ص ٣٩٨ قصيدة طويلة للبحترى مدح بها أحمد بن دينار بن عبد الله ووصف المركب التى ركبها فى غزوة الروم بحراً[١].

وهذا الشخص غير ذائع الذكر. وهو على الأرجح بن دينار عبد الله من موالى

(١) وقد استشهد محمد كرد على فى خطط الشام ج ٥ ص ٣٧ / ٣٩ بعدة أبيات منها وعلق عليها.

هارون الرشيد وكان له دور حربى سياسى أيام المأمون ويقول أبو المحاسن ج ١ ص ٦٦٥ أنه ولى دمشق مدة فى ٢٢٥ = ٨٤٠ . وولى أحمد فى وقت ما ولايات هامة ولكنها لم تذكر (ولاية سوريه ؟) وقد خلف فيها أباه . ويستنتج هذا من كتاب كتبه إليه محمد بن مكرم[١] . فهل كانت ولايته الأسطول فى أثناء تلك الولايات ؟

أما المؤرخون فلم يذكر أحد منهم غزوة بحرية كان عليها أحمد بن دينار . ولكن قد يمكن التقريب بين هذه الغزوة التى يذكرها البحترى وغزوة يذكرها مؤرخو الروم ويذكرون اسم رئيسها أبو دينار وهو تحريف من ابن دينار (وقد أرخها فازلييف بعام ٨٤٢ . ويقول مؤرخو الروم أن هذه الحملة التى كانت تقصد قسطنطينية انتهت بكارثة بسبب عاصفة . ولا يذكرون موقعة بحرية . ولكن البحترى يصور لنا بحارة أحمد بن دينار يقذفون بالنار الأغريقية «الرجال ذوى اللحى الحمر» وينتصرون انتصاراً باهراً فيلوذ بالهرب «ابن قيصر» .

٦ — ويحسن كذلك أن تذكر أن البحترى عرف قائداً من كبار القواد فى حرب الروم وهو على بن يحيى الأرمنى . وقد كان لعلى هذا خاصة من الشعراء (انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، القاهرة ١٣٣١ = ١٩١٣ ج ١ ص ١٣٨) ولكن البحترى يبغضه ، وانظر على الأخص القصيدة ص ٩٨ ، البيت ٢ والقصيدة ص ١٨٦ التى يقارنه فيها بثور حنيذ استحق الذبح ويتهمه بغل غنائم المسلمين وبالتقيب يوم حرب الكفرة ، ولهذا الكره لانجد فى أشعار البحترى أى ذكر لغزوات على الكثيرة .

وجملة الأخبار التى نجدها عند أبى تمام والبحترى وهما أكبر شعراء العرب فى العصر الذى ندرسه أخبار على شىء من الضآلة ونقص التحديد . ولكنها مع ذلك تؤيد تأييداً طريفاً بعض روايات المؤرخين الروم والسريان مثل النضال بين أبى سعيد ونصر يتوفوب وهرب منويل فى وقعة اثزن وغزوة ابن دينار البحرية وهى تدلنا كذلك على نقص أخبار المؤرخين العرب فى عدد من الوقائع والتفاصيل . ونخرج من قراءة الشعر وصعوبته بشعور واضح هو أننا لانزال نجهل الشىء الكثير عن حروب الروم والعرب فى القرن التاسع .

---

(١) أنظر هذا الكتاب عند أحمد رفاعى : عصر المأمون : القاهرة ١٩٢٧ ج١ ص ١٩٧

ذيل : وقعة وادى عقرقس : أنامدين فى تحديد مكان الوقعة لإرنست هونجمان. وفيما يلى أسباب ذلك : يروى قسطنطين البورفيرى أنه (حول ٨٩٥) اقتطع من جند البقلار أربعة أقسام منها عقرقس ولكن تحديد مكان هذا القسم الأخير والثلاثة الأخرى غير ممكن على وجه الضبط . ولكن المؤكد أنه يقع بين بحيرة تاتا ونهر الهليس . أما الشاعر العربى فيذكر أن عقرقس من جند البقلار (مثل عقرقس عند البورفيرى) . وفى ذلك تأييد لتحديد المكان . راجع قسطنطين البورفيرى : إدارة الامبراطورية (باللاتينية) فصل ٥٠ (ص ٢٢٥) ط . بون .

— ٢ —

الوفود من عام ٨٣١ الى ٨٥٢ (١)

للأستاذ ماريوس كنار

تلك مشكلة تستحق الحل : وهى أن مؤرخى العرب يذكرون خمس وفادات فى هذه الفترة القصيرة من الزمن . وفى ذلك بعض المبالغة على الأرجح .

١ — ٢١٦ = ١٨ فبراير ٨٣١ — ٦ فبراير ٨٣٢ .

(ا) كانت غزوة ٨٣١ فيما يقال لأن الامبراطور كتب للخليفة كتاباً وأخر إسمه عن إسمه . فأبى الخليفة أن يقرأ الكتاب وخرج غازيا (الطبرى) .

(ب) فلما بلغ المأمون أذنة جاءه رسل الإمبراطور وعرضوا عليه ٥٠٠ أسير (الطبرى وكتاب العيون) .

أما عن النقطة الأولى فلنا أن نشك لأن الطبرى نفسه يذكر سبباً آخر (وهو انتهاب طرسوس والمصيصة) وعلل به غزو المأمون (وهو يقدم الخبر بعبارة وقيل)

أما عن النقطة (ب) فلنا أن نشك كذلك فإن عرض ٥٠٠ أسير لا محل له إلا إذا كانت النقطة (ا) هى السبب فى استئناف الحرب ، وكان الإمبراطور ، بعد اخفاقه أولا فيما حاول بالكتابة ، أراد أن يستميل الخليفة بعرض ٥٠٠ أسير .

وعلى أى حال فهذه الوقائع كانت قبل يوليه عام ٨٣١ .

---

(١) انظر قبل ص ١١٨ — ١١٩ من الأصل الفرنسى

٢ — ٢١٦ :

بعد نصر العباس على توفيل وقبل خروج الخليفة إلى كيسوم يعنى قبل آخر سبتمبر ١٢١ ينفرد ياقوت بذكر ما يأتى : ا) كتاب توفيل المأمون وإباء الخليفة قراءته (أنظر ١ — ا) ثم كتاب آخر فيه عرض الصلح الخ . وعلى راس الوافد أسقف من أصحاب توفيل .

وهذه الوفادة صحيحة من غير شك وليست تكراراً للسابقة ، ولعل الصحيح هو العكس ٣ ، ٤ — ٢١٧ = ٧ فبراير ٨٣٢ — ٢٦ يناير ٨٣٣ .

(٣ — ا) يذكر كتاب العيون كتاب توفيل الذى طلب فيه الصلح وبدأه بنفسه ويذكر نهوض المأمون للغزو إثر ذلك وغزوه لؤلؤه .

(٤ — ب) أما الطبرى فيذكر وفادة ولا يحدد تاريخها ويروى نص الكتاب الذى طلب فيه الإمبراطور الصلح ورد الخليفة عليه فى استعلاء . أما الرسول فيسمى الفصل وهو وزير توفيل . ويروى ابن طيفور أيضاً نفس النص مطابقا لنص الطبرى ولم يحدد التاريخ . وهو المصدر الذى نقل عنه الطبرى .

ولا نستطيع أن نفهم من نص الطبرى أن هذه الوفادة كانت بعد أخذ لؤلؤ بسبب ذكرها بين أخذ هذا الحصن وسير الخليفة إلى سلغوس وذلك أن ابن طيفور يذكر الوفادة فى عقب عبارة عن مقام الخليفة بدمشق ولا يذكرها فى الفصل المخصص لحرب الروم ولهذا يجوز لنا أن نفترض أن الوفادة وصلت دمشق إما بين اكتوبر عام ٨٣١ و ٢٤ يناير عام ٨٣٢ (وهو تاريخ سير المأمون إلى مصر) ويوافق ذلك عام ٢١٦ وإما بين ٢٥ ابريل ٨٣٢ وسير المأمون إلى الثغور عام ٦١٧ .

وأنا أميل شخصياً إلى قبول التاريخ الأخير وإن روى اليعقوبى أن المأمون لم يقم بدمشق إلا عدة أيام . ويدل نص خطاب الإمبراطور نفسه ونص الرد أن الكتابين كتبا فى فترة بين حملتين ويرجح أن يكون ذلك فى أول السنة المسيحية قبل حلول موعد الصائفة . يعنى أن ذلك كان قبل أمر لؤلؤة .

وفى هذه الحالة يجب إدماج الفقرتين ٣ ، ٤ المذكورتين آنفا .
أما فى الحالة الأخرى فيجب فصلهما .

فإن لم تكن الوفادة بلغت دمشق ، فإنها لابد أن تكون بلغت أدنة حيث أقام الخليفة زمناً أطول . وكان لا يزال بها فى ١٩ يونية عام ٨٣٢ (١٦ جمادى الأولى عام ٢١٧) وبها أيضاً أمر بقتل على بن هشام وإلى إقليم الجبال .

٥ — ٢٣٨ = ٢٧ يناير ٨٣٣ — ١٥ يناير ٨٢٤ .

فى هذه السنة يذكر اليعقوبى والمسعودى وصول رسل الإمبراطور إلى المأمون بعد دخول المأمون أرض الروم مباشرة يعنى فى يولية (ويذكر الطبرى أنه سار فى اخر جمادى الآخرة الذى يبدأ فى ٢٤ يونيه) ، ولا شك أن الوفادة التى يذكرها ابن مسكويه عام ٢١٧ هى نفس الوفادة (ويدل ذكر الطوانة على أن المؤرخ أخطأ فى سنة) .

ولهذا اعتقد أن اليعقوبى والمسعودى إنما يعنيان نفس الحوادث ولا يعنيان الوفادة التى ذكرها الطبرى فى السنة السابقة . وهذا عكس ما ذهب اليه فازلييف . ولو فرضنا أن الوفادة التى ذكرها الطبرى عام ٢١٧ إنما كانت اخر عام ٨٣٢ ، لكان بين الوفادتين فترة يمنع طولها من الخلط بينهما .

والحاصل أن الوفادات المذكورة بين ٨٣١ ، ٨٣٣ خمسة . فإذا حذفنا الوفادة التى ذكرت فى أول ٨٣١ وإذا اعتبرنا الوفادتين المذكورتين عام ٢١٧ وفادة واحدة : بقى عندنا ثلاث وفادات ١) وفادة آخر ٨٣١ ٢) وأخرى عام ٨٣٢ ٣) وثالثة عام ٨٣٣ .

— ٣ —

مشكلة مرج الأسقف [1]

للأستاذ ماريوس كنار

لا أزال أميل إلى أنه من الصعب إيجاد صلة لغوية بين مرج الأسقف وملاكوبيا وأصعب من ذلك أن تذهب إلى حدوث تحرير اشتقاق الاسم على السنة العامة . وعندى إن الإسم العربى يجب أن يتصل بحال من الحالات بذكر أسقف نازيانزى .

(١) راجع ص ١٤٩ ومابعدها من الأصل الفرنسى

ولا محيص لنا عن الرجوع إلى جغرافيي العرب فى تحديد موقع مرج الأسقف فهى كل ما نملك ، ومقتضاها أن مرج الأسقف تقع على الطريق الواصل بين دروب كيليكيا وأذرولية بعد اجتياز بليسة — فلسة (ابن خرداذبه) بنحو تسعة أميال (١٧ كم تقريبا) (الادريسى) . وعلى هذا لا نستطيع أن نتصور أن مرج الأسقف هى نازيانزى — نينزى أوكوپيا إلا إذا قلنا بوقوع خطأ أو نقص فى نصوص الجغرافيين العرب مثل ١٩ مثلا أو عشرين .

وأمر الهليس أمر شديد الغموض كذلك ويقينى الداخلى أن معسكر الإمبراطور لم يكن وراء الهليس وإن الإمبراطور لم يكن ينتظر الايقاع على غرة بجيش الخليفة عند عبور هذا النهر . فإن المعتصم حين أراد السير من مطامير إلى أنقرة لم يخطر بباله قط أن يجتاز حنيّة الهليس وذلك أن الطريق المستقيم كان يمتد على ضفة هذا النهر اليسرى[1] . وعندى أن الامبراطور إنما عسكر وراء الهيلاس وأنه كان ينوى أخذ جيش المعتصم على غرة عند مخاضة على هذا النهر . وأنا أفترض خلطاً فى النسخ بين هيلاس وهليس واللامس .

ثم إن الامبراطور حين سار للقاء جيش الأفشين ترك قسما من جيشه أمام جيش المعتصم . ويذكر الطبرى أن هذا الجيش تفرق بعد ذلك فأخذ عمر الفرغانى فى جبال قرة — درة (وعندى أن درة هى نورا — هلقديرى وليست دوارا) ؛ وفى ذلك تأييد للتحديد المقترح . فإن بلوغ الفلول هذا الموضع بهذه السرعة لم يكن متيسراً لو أن معسكر الامبراطور كان على أربع فراسخ من وراء الهليس يعنى على أكثر من مائة كيلو متر من إقليم قرة مع قياس المسافة خطا مستقيما .

---

(١) راجع ص ١٥٢ هـ ١ من الأصل الفرنسى

— ٤ —

منويل ولوفيل

ووفادة حنى النحوى

حب الروايات العربيـــة

للأستاذ هنرى جريجوار

كانت الطبعة الروسية من هذا الكتاب تحوى تعليقاً طويلا عن هذه الوفادة. وقد رأينا استبداله بمجرد تلخيص لدراسات نشرناها من قبل فى مجلة بيزنطيون[1]. وقد أدمجت نتائج هذه الدراسات فى سياق الترجمة الفرنسية وفى هوامشها.

لاحظ ا. و. بروكس (مجلة الدراسات البيزنطية ح١، ١٩٠١، ص ٢٩٧ بالألمانية) أخطاء التوقيت الذى ذهب إليه ڤازلييف حين قال أن هرب منويل والتجاءه إلى العرب حدث عام ٨٣٠. أما اليعقوبى فإنه ذكر أن منويل هرب من أنقره عام ٨٣٠. وقد رأينا من قبل أن هذه العبارة تنصرف إلى عودة منويل إلى أرض الروم ولا تنصرف إلى هربه. وأنقرة خطأ وليس صحتها قورون كما قال ڤازلييف وإنما صحتها جيرون القريبة من الحدث[2] ورواية اليعقوبى ورواية ابن الأثير تؤيدان رواية جنزيوس (ص ٧٢ / ٧٣). وعلى هـذا يجب الأخذ حتما بإحدى الروايات التى رواها صلة تيوفان فى أمر التجاء منويل إلى العرب، وهى الرواية التى تجعل هربه أيام ميشيل الثانى (يعنى قبل ٧٢٩)[3]. ولدينا عن منويل معلومات على كثير من الدقة تسند إليه القيام بدور خاص أيام ميشيل الأول رنجابى وأيام ليون الخامس الأرمنى[4]. وقد نشك فى أن هذه المعلومات مشوبة بشىء من القصص

---

(١) أنظر مقالاتنا المنشورة فى بيزنطيون ج٨ (١٩٣٣) ص ٥٢٠ ومابعدها، ج٩ (١٩٣٤) ص ١٨٣/٣٠٤

(٢) أنظر الأصل الفرنسى ص ٩٩ هـ ٣؛ مجلة بيزنطيون ج ٩ (١٩٣٤) ص ١٩٨ هـ ١

(٣) صلة تيوفان ص ١٢٠ — ١٢١

(٤) صلة تيوفان ص ٥٨: وتقدمت بروكوبيا ومنويل بالنصح الى ميشيل رانجابى أن يقاوم ولكن ميشيل مال بطبعه الهادىء إلى الاعتراف ، وقبلت ذلك زوجته بروكوبيا ومنويل الذى قدم على رأس جيش من عند العرب ولكنه عرف عن أعراق الأرض بدماء المواطنين ،

لأننا نتبين فيها نفس اليد التي جهدت في تصوير منويل كل مرة على أنه أرثوذكسي مخلص . وقد أثبتنا أن ذلك من أثر أحد كتاب السير ممن نشأ في « يرمنويل » . فإن منويل تولى منصباً هاماً أيام الغاصب ليون الأرمني وكان عدواً للصور [١] . ولم يكن رهبان الدير الذين آل إليهم تراث هذا البطل ليستطيعوا أن يقولوا أن مؤسس ديرهم خدم امبراطورين عدوين للصور وإلا كان ذلك طعناً في أرثوذكسيته ولا أن يقولوا أن أكثر مخاطراته أنه التجأ إلى جوار الخليفة وأقام عنده وقاد جيوش الكافرين . فكتبوا سيرته من جديد . ولهذا أولوا التجاءه إلى العرب — وهو أخطر ضعف وقع فيه — بأنه كان هرباً من اضطهاد تيوفيل ونكرانه وظلمه . وانتهى ذلك بالكاتب إلى تقديم تاريخ المعركة التي أنقذ فيها بطله الامبراطور تيوفيل فلم يلق منه إلا النكران [٢] . وقد رأينا أن سرد هذه الواقعة موضوع على أساس سرد صحيح هو سرد معركة ٨٣٨ . ثم إن سمعة منويل الحربية حين كان دمستق الجيش عام ٨٣٨ لم تكن بريئة من كل ريبة . فإن رواية ساقها الروم والعرب على السواء تقول أنه هرب وترك الامبراطور [٣] وأن المنقذ الحقيقي الذي نجى الامبراطور لم يكن منويل وإنما هو اللاجىء الأرمني تيوفوب — نصر . فأسطورة منويل كما تظهر لأول مرة فيما كتب اللوجوتيت ترمي إلى تشريف منويل في هذا الموقف وتنسب إليه فخر اليوم . ثم إن هذه البطولة المشكوك فيها أكبر الشك وضعت قبل هربه ووضع هربه في حكم توفيل . ثم زعموا أن منويل لم يمت من جراحه عام ٨٣٨ وأنه أنقذ من مرض مميت على يد أحد الرهبان الأستوديت وأن هذا الراهب اشترط عليه إن شفي أن ينقذ الأرثوذكسية [٤] . والغرض من هذه الرواية التدليل على أرثوذكسيته .

---

(١) صلة تيوفان ص ٢٤ : وقد ورد فيها باليونانية سبعة أسطر هذه ترجمتها : « وكان منويل اختار ميشيل رئيساً أعلى للجيش من بين البطارقة وعده أهلا لولا الحرب على الأرمن . فقال (منويل) ما كان يجب أن تمد لحربي لأني أصبحت ناصح الملك وبروكوبيا ، فرد عليه صاحبه في أنفه : ما كان يجب لك أن ترفع يدك على صاحب نعمتك وربيب صباك فسكت على ذلك وأكبر في نفسه فضله .

(٢) بيزنطيون ج ٩ (١٩٣٤) ص ١٩٩ — ٢٠١

(٣) بيزنطيون ج ٩ (١٩٣٤) ص ١٨٨ — ١٩١ : « منويل وتيوفوب في سرد واقعة ٨٣٨ »

(٤) ولعل هذا الدور إنما قام به قريب أصغر من أقرباء الإمبراطورة هو سرج النيقيات وكان ماجستير ولوجوتيت ، وقد تعرضت ذكراه للعنة (ولعل ذلك كان القرابة لفوتيوس) ومع ذلك بقيت ذكراه في احدى سير القديسين وفي سكسار القسطنطينية ولم تبق في سواها

ولكن هذه القصة غير موثوق بها عقلا لأنها تنسب للاستوديت دوراً خاصاً مع أننا نعلم أنهم لم يشتركوا اشتراكا فعالا فى الانتصار للايقونات المقدسة لأنهم كانوا مغاضبين للبطريرك ميتود . ثم إن فى هذه القصة سمة مختلقة أخذت من قصة أخرى هى قصة منويل آخر شفى أو بعث على يد نيقولا الأستوديتى . ولسنا نعرف نصاً تاريخياً ولا سيرة من السير تنسب أى دور سياسى أو غير سياسى لمنويل أيام ميشيل وتيودورا ماعدا المصدر الذى أخذ عنه جنزيوس وصاحب صلة تيوفان وهو ينسب إليه ما يأتى : (١) الفضل الأكبر فى إعادة الأرثوذكسية . (٢) واشتباكه مع تيوكتيت ثم انسحابه وتنبؤه بموته (٣) والانعزال فيه دير مع قطع العزلة من وقت لوقت . (٤) وإغاثة ميشيل الثالث فى معركة أنزن الثانية (عام ٧٦٠ ؟) . وهذا أمعن فى الإحالة . فإن معركة أنزن الثانية زعم متخيل . والانتحال هنا من الظهور بحيث لايدع مجالا للشك . فلو صح ذلك لكان منويل كبير قواد ميشيل رنجابى فى ٨١٣ هو الذى أنقذ بعد ذلك بسبع وأربعين سنة ميشيل الثالث فى معركة مماثلة للتى أنقذ فيها تيوفيل فى ٨٣٨ فى نفس الظروف ، والغريب أيضاً أن يكون الإنقاذ بعد مناقشة معادة بنفسها فى الحالتين؟ ومثل هذا التحوير فى التاريخ لايمكن أن يكون إلا من صنع أحد كتاب السير المتأخرين .

هذه هى الأسطورة التى نشأت حول عام ٩٣٥ فى دير منويل بعد أن أصلحه رومان ليكابين . ولكن حياة منويل التاريخية محدودة بتاريخين ٨١٣ ، ٨٣٨ .

أما عن تيوفوب فقد أثبتنا أن أحد الأديرة وهو « دير تيوفوب » الزاعم بأنه يضم جثمانه ، اختلق له سيرة مشابهة .

أما تيوفون التاريخى فكان من رجال بابك ثم لجأ إلى أرض الروم بعد هزيمة بابك الأولى (٨٣٤) . وكان اسمه فى الحقيقة نصراً ، وقد دخل فى النصرانية وسمى عند التعميد باسم تيوفوب ، وكان الذى سماه تيوفويل . وعهد إليه بقيادة جيش من الحلفاء الخرمية اللاجئين إلى الروم كما لجأ هو . وقد أذاع رجاله وأذاع الروم كذلك أنه ينتمى إلى أصل فارسى ملكى ليزيدوا من نفوذه . ونحن نتبين فى أسطورته هذه الفكرة الذائعة فكرة ميلاد أمير « ميلادا سريا » مع جهله أصله .

حضر تيوفوب — نصر كما حضر منويل زبطرة معركة ٨٣٨ المشهورة وسجل له صاحب الصلة وجنزيوس ذكرى الدور الذى قام به فى هذه المسألة الأخيرة . وذلك أنه هو الذى أنقذ تيوفيل لامنويل . ويؤيد المسعودى هذه الرواية . وهو الذى ناله « ظلم توفيل » لامنويل . وذلك أن توفيل شك بعد الهزيمة فى وفاء جند الفرس الذين يقودهم نصر — تيوفوب ولعله كان محقاً فى شكه . فأصدر أوامر أحنقت هؤلاء الجند فثاروا وأعلنوا فى بفلاجونيا تيوفوب إمبراطوراً . ولكن القائد الفارسى استطاع أن يهدى الثورة وأن يؤكد بذلك ولاءه . وبقى فى خدمة الامبراطور . ثم هزمه بشير عام ٨٤٠ وقتله فى معركة يسميها العرب « معركة وادى عقرقس . فاحتزوا رأسه وأرسلوه إلى الخليفة . . .

ولكن هذه الخاتمة على جلالها لم ترض الرهبان الذين جعلوا من أنفسهم حماة لسمعته ، وكذلك كان أمر منويل . وكانوا يزعمون أن الدير يحوى جثمانه فلم يسلموا بأنه مات فى ساحة الشرف . وكذلك لم يسلم من بقى من الفرس بموت « بطلهم الخالد » . وبقى الرهبان على الغموض الذى أحاط اختفاء « سيدهم » إنه لم يقتل بيد العرب فى وادى من وديان أناطوليا ولكن بيد توفيل الفاسق فى أحد سراديب القصر[١] .

سفارة حنى النجوى

لم يبسط ليون الخامس على منويل عقابه لبقائه نصيراً وفياً لميشيل الأول إلى النهاية . وكان ميشيل تقياً مقدساً للصور عزيزاً على الكنيسة . وتحول منويل بعد ذلك نصيراً لليون الخامس ولعله ناصر توماس أيضاً . فلما ولى ميشيل الثانى لجأ إلى العرب . ونحن نعلم أن « توفيل العادل » حين ولى افتتح سياسة مضادة لسياسة ميشيل الثانى فى كثير من النواحى . فإن حياة القديس انطوان الجديد تصوره لنا يأسو أما أحدثه قمع ثورة توماس قمعاً فادحاً من جراح فى آسيا الصغرى خاصة . ولهذا كان من الطبيعي أن يسمى توفيل منذ ولايته إلى استدعاء منويل . وليس هناك ما يدعو لعدم تصديق المؤرخين الروم حين يجعلون وقادة حنّى النحوى تمهيداً لرجعته وحين يجعلون هذه الرجعة عام ٨٣٠ . والواقع وهو ماتبينه بروكس (نفس

المرجع ص ٢٩٨) أن هذه الوفادة كانت أول حكم توفيل فما تبع توفيل عادة قديمة وأعلم الخليفة بقيامة بالملك ثم إن كان منويل عم تيودورا كما يقال فإن ذلك سبباً آخر للعفو عنه .

— ٥ —

سنة الرجوع إلى الارثوذكسية

نص فازلييف

كان الاعتقاد أن الرجوع إلى الأرثوذكسية يعنى عبادة الصور بعد محنة تكسير الايقونات كان فى ١٩ فبراير ٨٤٢ . وقد آن الأوان الآن بعدما وصلت إليه الأبحاث الحديثة من نتائج أن نرفض هذا التاريخ الذى لا سند له .

أما مؤرخو الروم وهم چورج همرتولس وجنزيوس وصاحب صلة تيوفان وسيدرونس وزوناراس فإنهم لم يحددوا تاريخ الرجوع إلى الأرثوذكسية . ولكن ما هو إلا نقرأهم حتى ندرك أن الزمن لم يطل بين موت الامبراطور توفيل (فى ٢٠ يناير ٨٤٢) وبين ١٩ فبراير من نفس السنة . وإن هذا الزمن لا يتسع قط لكل الإجراءات الممهدة لمثل هذا العمل الكبير وخاصة عزة البطريرك چان ورفضه الاعتزال أول الأمر ثم إحلال ميتود محله ثم استدعاء الأرثوذكسيين المحبوسين أو الذين نفوا أيام توفيل ثم الأعمال الممهدة لدعوة المجمع ومن يجب حضورهم فيه من ممثلى جميع أقطار الامبراطورية ، ودعوة السينود ثم قرار هذا المجمع فى صالح الأرثوذكسية . وكل هذا لا يمكن أن يقع فى شهر واحد . ولهذا كان دى بور محقاً حين قال أن غرض كتاب الروم الأرثوذكسيين من تجنب كل تدقيق فى التوقيت أن يسوقوا خبر انتصار الأرثوذكسية على أسرع طريق وأكثره كرامات .

وقد يحسن أن ننظر فى « الخطبة التاريخية فى عيد إرجاع الصور » Oratio Historica in pstumRestitionis Imaginum لتقتنع فوق اقناعنا أن تاريخ فبراير ٨٤٢ تاريخ مستحيل . وقد نشر هذه الخطبة كومبيفس قديماً وريجل حديثاً وهاهو تحليل لها :

حين مات توفيل أمر الإمبراطور بدعوة جميع المدنيين ورجال الدين المنفيين أو المحبوسين أو المحرومين من أملاكهم بفعل النظام السالف (ص ٨٢٦) وعزل البطريرك حنى النحوى (ص ٧٢٦ / ٧٢٧) . وانتخب ميتود بإجماع عام من كل الارثوذكسيين (٧٢٧) . ثم يجيء سرد الواقعة وتتخلله تنبؤات ومنه نستخلص بعض وقائع تاريخية . حتى ذلك أن أحد زهاد ذلك العصر قصد جوانيس وكان يعيش على جبل أولمب . فلما بلغه قرر اقرارهما على زيارة زاهد فى نيقو ميديه هو إيزاى فزاراه وأقاما عنده ثلاثة أيام ثم أمرهما إيزاى أن يقصدا القسطنطينية وأن يقنعا ميتود بإرجاع عقيدة الصور . فلما بلغا قسطنطينية قصد هو وميتود وجميع رجال الدين والرهبان الإمبراطوره تيودورا وتوسلا إليها بإرجاع الأيقونات (ص ٧٢٧/٧٣٠) فأظهرت تيودورا استحسانها لهذا الإرجاع ، لكنها طلبت إلى ميتود قبل كل شيء أن ينال من الله العفو عن توفيل وما اقترف من اضطهاد (٧٣٠ / ٧٣١) . وجمع ميتود الزهاد والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسه والرهبان وكل الشعب الارثوذكى كبيرة وصغيره وأخذ يتعبد فى حرارة طول أسبوع الصيام الأول (٧٣٤) وفعلت تيودورا مثل دلك . فلما كان يوم الجمعة رأت تيودورا رؤية فيها وعد بالعفو عن توفيل (٧٣٤ / ٧٣٥) . فأمرت بجمع كل الارثوذكس من مطارنة وأساقفة ورؤساء أديره ورجال دين ومدنيين فى الكنيسة الكبرى : يوم الأحد الأول من الصيام المقدس .

وأعيدت العقيدة فى الصورة ساعة الصلاة الرسمية التى أقيمت لذلك . وتقرر مراعاة هذا العيد كل عام يوم الأحد من الصيام الأكبر (ص ٧٢٨ / ٧٢٩) .

والغريب أن يتم كل ذلك فى ثلاثين يوما !

ولكننا اليوم نملك بعض وقائع جديدة فى ذلك .

أول ذلك أن ب . فان جين نشر فى Acta Sanctorum سيرة لم تكن معروفة إلى اليوم عن حياة القديس جوانيس[1] من تأليف الراهب سابا وعنه على الأرجح أخذ ميتافرست .

---

(١) أنظر سيميون متيافرست : سيره جوانيس . مين P.G ج ١١٦ ع ٣٥ / ٩٢

وفى هذا النص حددت وفاة جوانيس أدق تحديد : مات فى ٣ أو ٤ نوفمبر من السنة الخامسة لولاية ميشيل وتيودورا وهو فى الثالثة والتسعين من عمره وفى السنة الثانية والخمسين من رجعته وفى عام ٦٣٥٥ من خلق العالم فى السنة المالية العاشرة[١]

والثالث أو الرابع من نوفمبر من السنة المالية ، من السنوات الأربعين ، يوافق عام ٨٤٦ وعلى هذا تكون وفاة جوانيس فى ٣ / ٤ نوفمبر ٨٤٦ .

أما حياة جوانيس التى كانت معروفة قبل ذلك وهى من تأليف ميتافرست فتقول أن البطريرك ميتود الذى ولى أيام إرجاع الارثوذكسية مات فى ١٤ يونيه بعد موت جوانيس بثمانية أشهر[٢] ، يعنى ١٤ يونيه ٨٤٧[٣] .

وكل المصادر الرومية على اختلافها فى أمر البطاركة لا تختلف فى أن بطركة متيود دامت أربع سنين[٤] .

وعلى هذا ، يجب أن يوضع انتخابه عام ٨٤٣ لا فى ٨٤٢ .

ويدل هذا الظرف وحده أن السينود الذى اجتمع لإرجاع الارثوذكسية أيام ميتود لم يكن عام ٨٤٢[٥] .

وفى رأيى أن إحدى العبارات التى وردت فى سيرة جوانيس من تأليف ساباس لها فى هذه المسألة أهمية حاسمة .

فإن ساباس يروى كيف تنبأ جوانيس لصاحبة إيستراتيوس بانتهاء اضطهادات توفيل فى القريب ثم يقول العبارة الآتية :

---

(١) Acta Sanctorum نوفمبر ٢ ص ٤٣٣ . وانظر أيضاً ٣١٨

(٢) مبي P.G. ج ١١٦ ع . ٩٢ فقرة ٥ .

(٣) أما عن آراء العلماء المتناقضة فى التاريخ الذى توفى فيه متيود (٨٤٦ أو ٨٤٧) فانظر Acta Sanctorum نوفمبر ٢ ص ٣١٨ — ٣١٩

(٤) اربع سنين وثلاثة أشهر : تاريخ نقفور ط . دى بورس ١٢٠ ؛ Menologium فى مبنى P.G. ج ١١٧ ع . . ٥ — اربع سنين : حياة قديس اجناس فى مبنى P.G. ج ١١٧ ع ٥٠١ ؛ جيتربوس ص ٩٩ . صله يتوماس ص ١٩٣ فقرة ٣٠ ؛ روناسس ح ٤ ص ١٤ — اربع سنين وشهران . نقفور فى مبى P.G. ح ١٠٠ ع ٤٦٠ ؛ فيتشر كتالوج بطاركة قسطنطينية . . . ليبزج ١٨٨٤ ص ٢٩١

(٥) راجع : إيفان اندرف بطاركة قسطنطينية ، سرجييف بوزاد ص ٢٠٢ / ٢٤٠ ولى متيود = كرسى البطركة أول ابريل عام ٨٤٢ ومات فى ١٤ يولية ٨٤٦ . ولم يكن يعرف سيرة جوانيس من تأليف ساباس .

(وانتهى الإضطهاد) بعد (أن دام) ست سنين ونصفا من ضلال ليون وثمان سنين وتسعة أشهر من فتور ميشيل ، واثنتا عشرة سنة وثلاثة أشهر من الاضطهاد الضال الذى جرده ابنه توفيل على الأرثوذكسية وسنة بعد أن دعت امرأته تيودورا وابنه ميشيل المؤمنين . وفى السنة الثانية من حكمهما المبرور برضاء المسيح تولى رئاسة الكنيسة القديس الورع ميتود وذلك بعد أن استعادت زينتها التى ألبسها إياها الرسل (قديما) . وقد تنبأ بقيام ميتود الأب جان الضال المبطل الذى عزل »[1] .

ويتضح من هذه العبارة وضوحا تاما أن انتخاب ميتود والمجمع الذى أرجع الارثوذكسية كانا فى السنة الثانية من حكم تيودورا وميشيل وكل ما يدل عليه اللفظ أنه حدث فى السنة الأولى تخفيف عن أنصار الصور وتغيير فى سياسة الحكومة الدينية . ويقصد بذلك أى سنيود .

فإذا طرحنا أربع سنين وثلاثة أشهر وهى مدة البطركة كما يقول نقفور ويروى بازيل Meneloge : من تاريخ وفاة ميتود وهو تاريخ ثابت مؤكد (١٤ يونيه ٨٤٧) فتكون ولايته على ذلك فى منتصف مارس ٨٤٣ .

وعلى هذا لانجد أمامنا إلا تاريخا واحداً تمكنا لنضع فيه إرجاع الأرثوذكسية وهو الأحد الأول من الصيام الأكبر فى مارس ٨٤٣ . وحول هذا الوقت على الأرجح انتخب ميتود[2] .

— ٦ —

تحاج اهل الأديان

فى القرنين الثامن والتاسع

(إرمان آبل)

يأتى التحاج الدينى موازياً للنضال السياسى بين الروم ممثلين فى أنصار عقيدة

---

(١) Acta Sanctorum . نوفمبر ٢ ص ٣٧٢ ، وانظر أصاس ٣٢٠

(٢) وانظر هذا الموضوع .مفصلا فى Acta Sanctorum . فبراير ٢ ص ٣١٨/٣٢٥ دىبور الاضطهاد بين الروس والروم فى المجلة البيزنطية (بالألمانية) جـ ٤ (١٨٩٥) ص ٤٤٩/٤٥٣ . وراجع ايضاح . ب بورى الأمبرطورية الرومانية الشرقية ص ١٤٧ ومابعدها

خلقدونية وبين العرب . وكان إذا ولى السلطان خليفة جديدا أوجب على نفسه طبقاً لتقليد يرتفع إلى النبي أن يرسل إلى الملوك المجاورين كتاباً يدعوهم فيه إلى الدخول فى الإسلام . وكان من الضرورى أن يكون لهذا الخطاب رد . وإلى ذلك كان من الضرورى حماية أهل الثغور من خطر التحول عن المسيحية وهو خطر كان يتزايد بتقدم العرب فى كل نواحى حياتهم تقدماً محسوساً كل يوم . وكان كذلك من الضرورى أن تنشر وأن تروج الكتابات الدينية فى سوريا نفسها وفى مصر أيضاً وأن تنظم مناعة المسيحيين الخاضعين للمسلمين من الناحية المعنوية بعد أن ظلوا على إيمانهم وأصبحوا أهل ذمة . فقد كان فى حالهم هذا شىء من الإذلال والتزامات كان الرهبان يجاهدون من أجلها عن طريق الإكثار من أعمال البر ، لأنهم اعتبروا ذلك التزاما معنويا وماديا على أنفسهم . وكان سكان البلاد المسيحيون من الخلقدونيين لا زالوا يستعملون اللغة اليونانية فى أرض الإسلام زمن يوحنا الدمشقى أيام الأمويين وزمن أبى قرة فى أوائل العباسيين . وكانت كتبهما المناهضة للأسباب وهى كتب شديدة فى طعنها مكتوبة باليونانية . ويدل ذلك على إنها كتبت خصيصا للمسيحيين تأييداً لإيمانهم . ومع ذلك بدأ أبو قرة فى مجاراة استعمال العربية . وكتب بها كذلك أيام المأمون أبوكاليبس بحيرة وكذلك الحوار الموضوع بين عبد المسيح الكندى وعبد الله الهاشمى . وكلها كتب خلقدونية النزعة أريد إيصالها إلى أيدى المسلمين لإعلاء شأن المسيحيين فى أعينهم وللطعن الخفى فى دينهم .

وهذه الكتب تبسط الأفكار الأساسية المتصلة بأصول الدين وتاريخ نصوصه وتفسيرها . وهى مدار جميع الأفكار العامة التى فاض بها القرنان الثامن والتاسع على أرض سوريا الخصبة . مثل الرد على الجبر والقول بالقضاء والقدر . ودراسة أصول النص القرآنى وبسط العلاقة بين الله والعالم ونشوء قول المعتزلة بخلق القرآن واعتباره « كلمة الله » عند المسيحيين ، وهى جميعها أفكار داخلة فى حدود العقيدة الإسلامية . وإلى ذلك اقتبس العرب فى العراق وديار بكر وديار مضر والفرات الأوسط والثغور طرائق الفلاسفة فى البحث الدينى . كل ذلك ظاهر فى أدب الجدل وهو أدب ضخم كان من أكبر آثاره إيجاد جو مثالى نشأ فيه فى القرن العاشر

اثر ولسفى جليل هو نظام الفارابى المتأثر بالافلاطونية الحديثة وقد أنشأ هذا الأدب الجدلى آثاراً باللغتين العربية واليونانية . وقد اشترك فيـه المسلمون والمسيحيون على السواء .

أما يوحنا الدمشقى فإنه يناقش بعض الآيات القرآنيـة ويرد على مقالة الجبرية وينتقد الوحى القرآنى وعادات الاسلام فى العبادات والأخلاق ، أما أبو قرة فإنه يسوق حججاً يرفض بها بعثة محمد رسولا . وهو يجادل بعض الأقوال الفلسفية جدلا منطقياً : مثل الخلق المستمر . ونصيب الله فى أعمال المخلوقات وهى أقوال يجر اليها الدخول فى الإسلام . وأبو قرة هو أول من احتج فى الكلمة بحجتين لا بد من الالتزام بأحدهما : إذا قلنا بخلق المسيح لزم أن يكون الله بقى زمناً دون كلمة وروح ولزم أن يكون القرآن الذى هو كلمة الله مخلوقاً . وقد قام أبو قرة كذلك بعرض عقيدة النصارى عرضاً تاماً . وكان الجدل يومئذ يحتج بنصوص الخصم وبنصوص الدين المدفوع عنه وبطرق الاحتجاج المنطق . وكان فى أيام المأمون ظهور رسالة بحيرا الراهب (أبوكاليبس) وهى أثر نصف أسطورى كتب على مقال سير الكتاب وعلى أساسه نشأت ونمت أسطورة الراهب الأريوسى الذى ألهم محمد . وهكذا سجلت قصة بعث النبى ونشأة القرآن . ومن مرامى هذه القصة إنشاء سابقة تاريخية لتؤسس عليها مطالب المسيحيين بحسن المعاملة . وكان من رد الفعل الذى أدت اليه أن كثرت فتاوى الفقهاء بنسخ بعض الآيات لما فيها من توصية صريحة بالمسيحيين . وكان من رد الفعل أيضاً أن ظهر فى وضوح ميل إلى التقريب بين المسيحيين والمشركين . ثم يأتى النظام بعد ذلك بقليل فيحاول أن يفسر القول ببنوة المسيح تفسيراً وفق فيـه إلى حد كبير بين الاصلاح المسيحى وبين مقالات المسلمين ، وتمسك مع ذلك بقول المعتزلة فى القرآن ويعين النظام كذلك الحدود التى ينسخ فيها دين جديد ديناً قديمـا . ويؤلف حنين بن إسحق كذلك مؤلفا ، صار منذ ظهوره عمدة واستلهمه من يوحنا الدمشقى وعرض فيه لشرائط الدين الحق .

ثم كان هجوم عربى قوى إذا أرسلوا إلى ميشيل الثالث مقالتـين احتجوا فيهما بمبدأ السببية فرفضوا فكرة وجود ابن لله مشارك له فى الخلود وفى الصفات . وهى

رسائل معتمدة على كتب كثيرة بالذات من كتب الفيلسوف الكبير الكندى محص فيها على ضوء النقد المنطق الخالص كل النتائج المترتبة على قبول مبدأ السببية . وكان أهم ماتضمنه الرد حججا مقتبسة من كتاب كبير ألفه نيستاس وعرض فيه للقرآن فكان أول مسيحى حلل القرآن تحليلا مسهبا . ثم ظهر باللغة العربية فى أيام المتوكل كتاب محاورة بين مسيحى اسمه الكندى ومسلم اسمه الهاشمى وتضمن نقداً لنص القرآن وأطال فى تاريخ النص واستوثق أشد إطالة واستيثاق وانتفع بكل ما بلغه النقد المنطق والأخلاق والفقهى من نتائج يومئذ .

وفى أثناء ذلك ظهرت رسالة طويلة للجاحظ وأهميتها فيما عرضت له فى الناحية الاجتماعيه . وقد مال الجاحظ فيها إلى تأييد سياسة المتوكل الشديدة نحو أهل الذمة . أما أبو القاسم بن ابراهيم البلخى فإنه صب نقــــده خاصة على فكرة البنوة . وقد عرض فيه لتاريخ العقيدة المسيحية عرضا متيناً هو أمتن ماتجد فى الآداب العربية

وينتهى القرن التاسع بمؤلفين رئيسين . الأول كتاب ضخم مبنى كله على النقد المنطقى ألفه أبو عيسى الوراق ومحص فيه كل عقائد النصارى بمذاهبهم الثلاثة فى صورها النهائية ومقالاتها المتطرفة . أما الرسالة التهكمية الشاملة الدقيقة التى استوحت خاصة حجاجا مع عبد المسيح الكندى وهى رسالة ألفها برتليمى الرهاوى فى شكل رد على كتاب لعالم مسلم لخصه المؤلف فى المقدمة ثم عرض صورة كاريكاتورية الصبغة لتصور المسيحيين المتحيزين فى أواخر القرن التاسع وجه الإسلام .

ملحوظة : حول عام ٨٥٠ يقع كتاب مشكوك فيه منسوب لمرتد اسمه على بن ربان الطبرى احتج فيه للإسلام بنصوص مقدسة من نصوص المسيحية نفسها .

ثبت مختصر بالمراجع

(ا) نصوص خاصة بالجدل الدينى[1]

يوحنا الدمشقى : فى حـ P . G ٩٤ ع ١٨٥٦ وما بعده ، و ع ٧٦٤ وما بعده ، حـ ٩٦ ع ١٣٤١ ومابعده . وتيودور أبو قره (Abukara) P . G حـ ٩٧ ع ١٤٦٢ وما بعده . وانظر غير هذا ما يأتى :

جراف : كتب تيودور أبى قرة أسقف حران العربيـــة [أبحاث فى الأدب المسيحى وتاريخ العقائد حـ ١٠ كراس ٤/٣] بادربون ، ١٩١٠ بالالمـانية .

نفسه : الأدب المسيحى العربى ، ستراسبورج ١٩٠٩ (دراسات ستراسبورج اللاهوتية حـ ٧) من ٧٤ صفحة (بالألمانية) .

نفسه : رسالة تيودور أبى قرة عن الخالق والدين الحق (أبحاث فى تاريخ فلسفة العصور الوسطى) مونستر ، ١٩١٣ (بالألمانية) .

بول سبات : عشرون رساله فلسفية ودينية دفاعية من تأليف العرب المسيحيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر . القاهرة ١٩٢٩ (بالفرنسية)

لويس شيخو س. ، ج. : عشرون رسالة لاهوتية من تأليف العرب المسيحيين (من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر) ط ٣ . بيروت . ١٩٢٠ .

الكندى: رسالة عبد الله بن اسمـاعيل الهاشمى إلى عبد المسيح بن اسحق الـكندى ورسالة الكندى إلى الهاشمى ، ط انتون تين . لندن ، ١٨٨٠ م .

نفسه : دفاع الـكندى عن الدين ، للسير وليم موير ؛ لندن ١٨٨٧ (بالانجليزية)

---

(١) وقد رجعنا عند البدأ لمقالة القرآن بقاموس اللاهوت الكاثوليكى ج ٣ ص ١٨٣٥ وإلى مقالة اشتد تقادم معلوماتها كتبها ستاين شندر : أدب الجدل والدفاع الدينى فى اللغة العربية . وهى مقالة منشورة فى دراسات لمعرفة الشرق (Abh. f. die K. des Morgen) ج ٦ (١٨٧٧) ص ٤٥٦ وما بعده . ولا نذكر هنا دائرة المعارف الاسلامية ولا المكتبة الشرقيـة (Bill. Or) للسمعانى ولا الباترولوجيا الشرقية لشابو ولا الباترولوجيا اليونانية لمينى . فانها مراجع معروفة لا مفر من الرجوع اليها .

وقد رجعنا دائما لطبعات القرآن الشرقية والتفاسير مثـل الطبرى والزمخشرى والبيضاوى والرازى ورجعنا كذلك لصحيح البخارى .

نسيتاس الفيلسوف : فى P . G حـ ١٠٥ ورقة ٦٧٠ ومابعدها ، وانجلو .

ماى : مكتبة الآباء الحديثين حـ ٤ ص ٤٠٨/٣٢٢ ، ٤٢١/٤٠٩ ، رومه ١٨٤٧ .

الجاحظ : ثلاث رسائل لعثمان بن بحر الجاحظ . ط . جوسوا فنكل . القاهرة ١٩٢٦

برتليمى الرهاوى : (باليونانية) : Ἔλεγχος Ἀγαρηνοῦ (الاحتجاج على الهاجريين) فى الباتولوجيا اليونانية حـ ١٠٤ ع ١٨٣ ومابعده .

بحيرا : مخطوط عربى باريسى ٢١٥ ورقة ص ١٥٥ — ١٧٦ : خبر بحيرا الراهب مع الرجل العربى ، ماحكاه عن نفسه لمرهب الراهب . .

جوتهيل : أسطورة مسيحية عن بحيرة (مجلة العلوم الآشوريه (الألمانية) ، ١٩٠١/١٨٩٨) أبو عيسى الوارق (مقالة بالانجليزية) عن يحيى بن عدى : مخطوطات عربية باريسية ١٦٧ ، ١٦٨ .

على بن ربان الطبرى : كتاب الدين والملك ط . ا منجانا ، لندن ١٩٢٣ ، ١١٤ صفحة (مشكوك فى صحته) .

ا . دى ماتيو : الاحتجاج على النصارى للقاسم بن ابراهيم الزيدى . مقالة بالإيطالية فى R . d . S . O. حـ ٩ ، ٣ ؛ رومة ١٩٢٢ .

الكتب الحديثة

ج . جولدزيهر : دراسات اسلامية (بالألمانية) حـ ٢ ؛ هالى ، ١٨٩٠

نفسه : محاضرات عن الاسلام (بالألمانية) ، مونستر ، ١٩١٠

م . هورتن : النظم الفلسفية فى النظر الدينى فى الاسلام (بالألمانية) ، بون، ١٩١٢

نفسه : كتاب الفارابى فى الحساب فى (أبحاث فى تاريخ فلسفة العصور الوسطى) (بالألمانية) حـ ٥ ، ١٩٠٣ .

دنكان ب . مكدونالد : اللاهوت الاسلامى والفقه والنظرية الدستورية (بالانجليزية) ، نيويورك ، ١٩٠٣ .

ثنسنك : العقيدة الاسلامية ، كمبردج ، ١٩٣٢ (بالانجليزية)

ج . دوجات : تاريخ الفلاسفة واللاهوتيين المسلمين ، باريس ١٨٧٨ (بالفرنسية)

ج . دى بور : De Vijslegeerte in den Islam ، هارلم ، ١٩٢١ (بالهولندية) .
هـ . س . نيبرج : كتاب الانتصار والرد على بن الراوندى الزنديق تأليف أبى الحسين عبد الرحمن بن عثمان الخياط ، القاهرة ، ١٩٢٥
و . ا . شيد . الاسلام والكنائس الشرقية ، فيلادلفيا ١٩٠٤
ا . س . تريتون : الخلفاء ورعاياهم غير المسلمين . مطبعة جامعة اكسفورد ١٩٣٠ (بالانجليزية) .
ا . بريية : يحى بن عدى : فيلسوف عربى مسيحى القرن العاشر . باريس ١٩٢٠ (بالفرنسية) .
و . م . پاتون : أحمد بن حنبل والمحنة ، ليدن ، ١٨٩٧ (بالانجليزية) .
دى فليجر : كتاب القدر ، ليدن ، ١٩٠٣ .
ماكس مايرهوف : من الاسكندرية إلى بغداد ، برلين ، ١٩٣٠ (فى مجموعة الأبحاث التى تنشرها الأكاديمية الروسية القيصرية للعلوم حـ ١٨ ، ص ٢٩٠—٤٢٩)
ج . جوتربوك : الاسلام فى ضوء الردود البيزنطية ، برلين ، ١٩١٢ (بالألمانية)
ك . هـ . بكر : دراسات اسلامية ، حـ ١ ، ليبزج ، ١٩٢٤ ، ص ٤٣١ — ٤٣٢ : فى تاريخ الاسلام الدينى .
س . و ميور : الردود الاسلامية ، أدنبرة ، ١٨٩٧
ج . جراف : الردود الاسلامية على الاسلام (الكتاب الأصفر) حـ ٢ ، ١٩٢٦
ا . فرشتر : الاسلام والمسيحية فى العصور الوسطى . برسلاو ، ١٩٣٠ .

— ٧ —

توقيت ولاة البطركة فى قسطنطينية

من ٨١٥ — إلى ٨٦٧

(نص فازلييف)

برى أنه ليس من ناقلة القول أن نبين إلى أى حد تختلف المصادر فى تحديد توقيت ولاة البطركة فى القرن التاسع . ولهذا الخلاف سننظر فى الفترة الممتدة بين ٨١٥ إلى ٨٦٧ ، يعنى منذ ولاية البطريرك تيودوت إلى انتخاب إجناس للمرة الثانية . ولنقل منذ الآن أن أكبر الخلاف متعلق بالبطاركة أنطوان ويوحنا النحوى .

١ — تيودوت

١ — جورج هرتولس ، ص ٦٧٩ ؛ وانظر ص ٦٨٣ = ليون النحوى ص ٢٠٨ : عزل ليون الأرمنى البطريرك نقفور وجعل مكانه تيودوت وذلك بعد سنتين من ولاية العرش .

٢ — كاتب مجهول عندليون برداى ، ص ٣٦٠ (فى نفس كتاب ليون النحوى) عزل (أى تيودوت) فى الفصح χειροτονήσαντες αὐτὸν (Θεόδοτον) τὸ Πασχα

٣ — تيوفان : تاريخ ، ط . دى بور ج ١ ص ٣٦٢ : وحكم تيودوت الكنيسة خمسة عشر عاما .

٤ — نقفور : .Chr. Synt ط . دي بور ص ١٢٠ : حكم تيودوت خمسة عشر عاما

٥ — جنزيوس ، ص ١٦ : وتولى تيودوت عرش البطركة بغير حق فى يوم ارتفاع ربنا المسيح الحي (باليونانية) .

٦ — صلة تيوفان ، ص ٢٨ : وتولى تيودوت الكاسيتراس العرش المقدس بالقوة فى يوم فصح الله Θεόδοτος ὁ Κασσιτερᾶς τὸν τῆς ἱεραχίας θρόνον ἆθλον ἔλαμβανε κατα τὸν τοῦ Θείου Πασχα καιρόν.

٧ — نقفور كاليستى Enarratio de episcopis Constautinopolit ضمن مجموعة مينى (P. G.) ج ١٤٧ ع ٤٦٠ : مدة بطركة ثيودوت ست سنوات .

٨ — فر . فيشر : كتالوج (أنظر التعليق الملحق رقم ٥ : ٦ سنوات (ص٢٩١ من الأصل الفرنسى) .

فإذا اعتمدنا على هذه القضايا استطعنا تحديد تاريخ تولى تيودوت .

ويقول جورج همرتولس (ليون النحوى) إن ذلك كان ٨١٥ . ويقول كاتب مجهول معاصر روى سيرة ليون الأرمنى ، ويقول كذلك صاحب صلة تيوفان أن تيودوت رسم فى الفصح . وأعيادالفصح فى عام ٨١٥ تبدأ يوم الأحد أول أبريل ودامت ولاية تيودوت ست سنوات (تيوفان ونقفور (Call وكتالوج فيشر) . ويخطىء نقفور إذ يجعل الولاية خمسة عشر عاما .

وعلى هذا يكون تيودوت تولى البطركة من أول ابريل ٨١٥ إلى عام ٨٢١[1] .

٢ — أنطوان

١ — جورج همرتولس ، ص ٧٠٠ = ليون النحوى ص ٢١٣ : توج انطوان الامبراطور تيوفيل .

٢ — تيوفان ، ط . دى بور جـ ١ ص ٣٦٢ : وبقى أنطوان بطريكا ستة عشر عاما

٣ — نقفور : .Chr. Synt ، ط . دى بور ص ١٢٠ : وبقى انطوان بطريكا اثنتى عشرة سنة .

٤ — نقفور : .Call) ، ضمن مينى .P.G جـ١٤٧ ع ٤٦٠ : ثلاثة عشر عاما .

٥ — فر . فيشر : كتالوج : ثلاثة عشر عاما .

ومعنى هذا أن أربعة مصادر مختلفة تذكر أرقاما مختلفة . ولهذا كان الاختيار بينها صعبا . ولكننا لحسن الحظ نعرف تاريخ قيام البطريك التالى وهو حتى النحوى (٢١ أبريل ٨٣٢) . وعلى هذا يكون الرقم : اثنى عشر عاما . الذى يرويه نقفور هو الأصح .

وعلى هذا تكون بطركة انطوان من ٨٢١ إلى شهر ابريل ٨٣٢ .

---

(١) وانظر أيضا إيفان اندريف : بطاركة قسطنطينية منذ مجمع خلقدونية إلى فوتيوس (بالروسية) ، سرجييف بوراد ، ١٨٩٥ ص ٢٠٠ : قبل عام ٨٢١ .

٣ - حنا النحوى

١ — تيوفان ، دى بور ، جـ ١ ص ٣٦٢ : ست سنين وشهرا .

٢ — جورج همرتولس ، ص ٧٠٧ = ليون النحوى ، ص ٢٢١ : بعد عودته من الوفادة .

٣ — نقفور : .Chr. Synt ط دى بور ص ١٢٠ : تسع سنين .

٤ — زوناراس ، ٤ ، فصل ١٦ ع ١ ؛ دندولف جـ ٤ ص ٢ : ست سنوات .

٥ — نقفور : Call . ضمن مينى ,P.G ، جـ ١٤٧ ع ٤٦٠ ثمان سنوات وثلاثة أشهر

٦ — فر . فيشر : كتالوج : ثمان سنوات وثلاثة أشهر (ص ٢٩١) .

ونعتقد أن حنا النحوى عزل فى عام ٨٤٢ . وانظر مثلا نستياس البفلاجونى : حياة القديس إجناس ، ضمن مينى .P.G ، جـ ١٠٤ ع ٥٠٠ : وذبل وقار الكنيسة المقدسة . وذلك أن يوحنا الذى سمى بالاسم المشئوم : ينى ، أفسد عرش البطركة والكنيسة (باليونانية) .

وهذا التوقيت يتفق مع التسع سنوات التى وليها نقفور . أما ميتود فقد تولى البطركة فى السنة التالية يعنى عام ٨٤٣ .

وعلى هذا تكون بطركة حنى النحوى من ٢١ أبريل ٨٣٢ إلى عام ٨٤٢[١] .

٤ — ميتود

أنظر عن مدة بطركته (أربع سنوات وثلاثة أشهر حسب كتالوج بيت المقدس) وعن مصدر هذه الرواية : التعليق الملحق الخامس .

ولى ميتود البطركة من مارس ٨٤٢ إلى ١٤ يونيه ٨٤٧ .

٥ — اجناس (البطركة الأولى)

١ — سيرة القديس إجناس : مينى ، .P. G ، جـ ١٥٠ ، ع : ٥١٢ : فكان مجموع حكمه المقدس لأول مرة أحد عشر عاماً (باليونانيه) . ومعنى هذا أن بطركة إجناس

---

(١) أنظر ايمان اندريف : نفس الكتاب ، س ٢٠٢/٢٠٤ : وأقيل جان (حنا) من كرسيه فى فبراير — مارس ٨٤٢ . وضعه : قوله فى سلسلة البطاركة .

الأولى دامت أحد عشر عاماً ، وهى رواية معاصرة عن نيستاس البفلاجونى : أنظر أيضاً : نفسه ع ٥٢٩ : وحكم إجناس البطركة قريباً من اثنى عشر عاماً (باليونانية) .

٢ — نقفور : Call ، مينى ، P. G. ، جـ ١٤٧ ، ع ٤٦٠ : أحد عشر عاماً .

٤ — Menologium Basilianum P. G. ، مينى ، P. G ، جـ ١١٧ ، ع ١٢٤ أحد عشر عاما وخمسة أشهر .

٥ ، ٦ — فيشر : كتالوج : عشر سنين . وكتالوج[٢] بيت المقدس : اثنى عشر عاماً فإذا حسبنا من ١٤ يونيه ٨٤٧ وهو تاريخ وفاة ميتود : أحد عشر عاماً وخمسة أشهر حسب رواية نقفور أو على الأصح صاحب صلته وحسب توقيت بازيل للشهداء (Menologium Basilium) ، لكان نوفمبر عام ٨٥٨ هو تاريخ عزل إجناس .

ولكن نسيتاس البفلاجونى حين عرض لعودة إجناس إلى البطركة عام ٨٦٧ ، لاحظ أن هذه العودة كانت يوم الأحد ٢٣ نوفمبر عام ٨٥٨ (ع : ٥٤١ / ٥٤٤) . وعلى هذا ولى إجناس البطركة لأول مرة من عام ٨٤٧ إلى ٢٣ نوفمبر ٨٥٨ .

٦ — فوتيوس (البطركة الأولى)

١ — نقفور : Chr. Synt. ، ط . دى بور ، ص ١٢ . ثمان سنوات وتسعة أشهر

٢ — سيرة القديس إجناس . مينى ، P.G ، جـ ١٠٥ ع ٥٤٠ . عزل فوتيوس بعد ولاية بازيل إمبراطورا وحده مباشرة (٢٤ سبتمبر ٨٦٧) .

٣ — نقفور : Call ، مينى ، P.G. ، جـ ١٤٧ ، ع ٤٦٠ : تسع سنين .

٤ — فيشر : كتالوج : تسع سنين .

٥ — كتالوج بيت المقدس (فوجت : صدى الشرق (١٠٩٣٣) ص ٢٧٦) ثمان سنوات وثمانية أشهر واثنى وعشرين يوما .

وبما أن نستياس البفلاجونى يقول أن فوتيوس عزل بعد ولاية بازيل مباشرة ، وإن بازيل ولى فى ٢٤ سبتمبر عام ٨٦٧ : فلنا أن نقدر أن التاريخ الراجح الذى

(١) أ . فوجت : صدى الشرق جـ ٣٢ (١٩٣٢) ، ص ٢٧٥/٢٧٨ .

وقع فيه العزل هو ٢٥ سبتمبر ٨٦٧ . (انظر ميرالت ، ص ٤٤٦ ، دى بور فى مجلة الدراسات البيزنطية (بالألمانية) ج ٤ (١٨٩٥) ص ٤٥٤) .

ويقول نفس المؤرخ أن فوتيوس صار بطريركا « يوم عيـــد الميلاد » (ع : ٥١٢) .

فإذا حسبنا من ٢٥ سبتمبر ٨٦٧ ورجعنا إلى الوراء الثمان السنين والتسعة الأشهر التى ذكرها صاحب صلة تاريخ نقفور على أنها مدة بطركة فوتيوس ، نتج لدينا تاريخ ٢٥ ديسمبر عام ٨٥٨ (وانظر دى بور : نفس الكتاب ص ٤٥٠) .

وعلى هذا ولى فوتيوس البطركة من ٢٥ديسمبر عام٨٥٨ إلى ٢٥ سبتمبر عام٨٦٧

٧ — أجناس (البطركة الثانية)

وتذكر سيرة القديس إجناس تاريخا دقيقا محددا بالوقائع لعودة إجناس إلى البطركة : يوم الأحد ٢٣ نوفمبر ٨٦٧ فى السنة الأولى من حكم بازيل (وذكر التاريخ باليونانية) ع ٥٤١ من نفس المرجع .

وهذا ملخص قائمة البطاركة من ٨١٥ إلى ٨٦٧

تيودوت	أول أبريل ٨١٥ — ٨٢١
أنطوان	٨٢١ — أبريل ٨٣٢
حنا النحوى	٢١ أبريل ٨٣٢ — ٨٤٢
متيود	مارس ٨٤٣ — ١٤ يونيه ٨٤٧
إجناس (البطركة الأولى) . .	٨٤٧ — ٢٣ نوفمبر ٨٥٨
فوتيوس (البطركة الأولى) .	٢٥ ديسمبر ٨٥٨ — ٢٥ سبتمبر ٨٦٧
إجناس (البطركة الثانية) . .	أعيد فى ٢٣ نوفمبر ٨٦٧

— ٨ —

سير القديسين اليونانيين

التى يمكن اعتبارها مصادر تاريخية عن بعض الوقائع الواردة فى هذا المجلد

(جرمين لوبيـــه)

حكم ميشيل الثانى (٨٢٠ — ٨٢٩) .

الوقائع	القديسون
٨٢١/٨٢٣ : ثورة توماس	برباروس ص ٤٠٧ فقرة ٣ داود وسيميون وجورج الميتيلى ص ٢٣١/٢ فقرة ١٧ نيقولا الاستودى ، ع : ٩٠٠ تيودورا الاستودى (ميشيل) ع٣١٧ فقرة ٦١ تيودورا الاستودى (مجهول) ع٢٢١ فقرة ١١٩ انطوان الأصغر فقرة ١ ص١٩٣ ؛ فقرة ٣١ ص ٢٠٩
بين ٨٢٣ ، ٨٢٩ ظهور أسطول عربى أمام ميناء أنطاكية فى بمفيليا	انطوان الأصغر : فقرة ١٥/١٦ ص١٩١/١٩٢
٨٢٦ : غارة العرب الأفارقة (الموريسى) على جزيرة إيجين	. اتاز الايجينى ص ١٧٠ فقرة تيودورا التسالونيكية ص ٣ فقرة ٦
٨٢٦ : استيلاء العرب على كريت	تيودورا (الامبراطورة) ص ٩
٨٢٦—٨٢٧ وقع كريت وصقلية تحت سلطان العرب	برباروس ص ٤٠٨ فقرة ٣
غارة العرب على ايتوليا أيام ميشيل الثانى . كارثة دراجامست	نفسه ص ٤٠٨/٤٠٩ فقرة ٣/٤
غارة العرب على كريت	اجناس ع ٥٢٩

غارة عرب كريت على جزيرة لسبوس أول القرن التاسع	تيودوت اللسبوسى ص ٢٢٩ فقرة ١٥
٨٢٧ : أخذ العرب صقلية	يوسف كاتب الأناشيد ج ١ ص ٢ فقرة ٢ يوسف كاتب الأناشيد ج ٢ ع ٩٤٤ فقرة ٦ ليون . لوقا ، ص ٩٩ فقرة ٤ تيودورا ص ٩
الربع الأول من القرن التاسع (؟) تخريب صقلية على يد الفندال	ليون — لوقا ص ٩٩ فقرة ١
٨٢٩ : موت ميشيل الثانى الثأثاء	نيقولا الاستوديتى ع ٩٠٠

حكم تيوفيل (٨٢٩ — ٨٤٢)

٨٢٩ (؟) فتح العرب جزائر السيكلاد	تيودورا ص ٩
٨٢٩ (؟) مرسوم امبراطورى يأمر نساء الروم وأراملهم وعزابهم بالزواج من المقيمين بالمملكة من البرابرة	أثناز الإيجينى ص ١٧٠ فقرة ٢
٨٢٩ — ٨٤٢ : تيوفيل مع العرب فى آسيا الصغرى	ايدوسيم (السيرة الأولى) ص ٨
٨٣٠ — ٨٣٥ : غارات العرب على صقلية	إلى الأصغر ص ٤٩٠ فقرة ٣/٧ ، ١٠
٨٣٢ : اضطهاد تيوفيل لتيودور وتيوفان الكاتب	داود وسيميون وجورج المتيلينى ص ٢٣٨ فقرة ٢٣
٨٣٢ : جدال طول حول سينات أصحاب الإيقونات وكان ايتيم أول فريستاتهم المشهورة	إيتيم الساردى ص ٢٨/٢٩
حوادث النزاع حول الصور	داود وسيميون وجورج المتيلينى ص ٢٣٢ — ٢٣٣ فقرة ١٨/١٩ اجناس ع ٤٩٢ — ٤٩٣
الثلث الأول من القرن التاسع : غارة العرب على قطانيا	أثناز الميتونى ص ٣٤ فقرة ٤

الحدث	المصدر
الثلث السراقنة حول إفسوس	جريجوار الديكابوليتى ص ٩٣ فقرة ٢٩ ص ٥٥ فقرة ١١
« ثور السلاف	جريجوار الديكابوليتى ص ٦١ فقرة ١٧
« الحرب مع السراقنة	جوانيس (سابا) ص ٣٧٨ فقرة ٥٠
« السراقنة فى إيجين وجزر بحر إيجه	لوقا الأصغر ص ٢٦
٨٣٨ : حصار العرب عمورية وأخذهم إياها	ايسترات الأجَورى ص ٣٨٢ فقرة ٣١ جوانيس (بطرس) ص ٤٢٥ فقرة ٦٢
٨٣٨ : إرسال العرب أسرى الروم بعد عمورية إلى سامرا	تيودورا ص ٩ بطرس الأتوسى ص ١٨/٩ فقرة ١١

حكم ميشيل الثالث (٨٤٢ – ٨٦٧)

الحدث	المصدر
٨٤٢ — ٨٤٣ : موت توفيل واستدعاء سينود . وإعادة عقيدة الصور وانتخاب متيود بطريركا فى قسطنطينية	داود وسيمون جورج المتيليني ص ٢٤٣ فقرة ٢٦ ص ٢٥٠ فقرة ٥٠ أيثيم الأصغر ص ١٧٥ فقرة ٨ ايفارست ص ٣٠١ فقرة ٦ هيلاريون (Synax. Select) ص ١٧٣٤ أجناس ع ٥٠٠ ايرين ص ٦٠٢ / ٦٠٣ فقرة ١ / ٤ جوانيس (سابا) ص ٣٧٢ ص ٤٦ يوسف كاتب الأناشيد حـ١ ص ٦/٧ فقرة ٦/٨ مارى الصغرى ٩٦٢ فقرة ٢ ميتودع ١٦٥٣ فقرة ٢ نيقولا الاستودى ع ٩٠١ تيودور الاستودى (مجهول) ع ٢٢٤ فقرة ٣
٨٤٢ (؟) أسطول عربى يتهدد قسطنطينية	تيودورا ص ٩ — ١١
٨٤٣ : خلاف فى الكنيسة أيام ميتود	جوانيس (سابا) ص ٣٧٢ فقرة ٤٧

حول اطلاق سلاح رافضة الصور   ميتود ع ١٢٥٧ فقرة ١٦

٨٤٢—٨٨٦ — بطركة ميتودوإجناس   أيتيم الأصفر ص ١٧٨/١٧٩ فقرة ١٢
وفوتيوس

٨٣٤ — ٨٤٦ : أنصار ديرستوديت   جوانيس (بطرس) ص ٤٣١ فقرة ٦٩
ضد ميتود   ميتود ع ١٢٥٧ فقرة ١٦

٨٤٤ — ٨٥٦ (؟) مرسوم تيودورا   ايسترات الاجورى ص ٣٨٢ فقرة ٢٢
ضد البيالقة

إشارة إلى اضطهاد البيالقـة على   مكاريوس البلـكيتى ص ١٥٩ فقرة ١٤
يد تيودورا

٨٥٥ : زواج ميشيل الثالث   ايرين ص ٦٠٣/٦٠٤ فقرة ١٠٠٥

٨٥٦ : برداس يأمر بقتل تيوكتيت   نيقولا الاستودى ع ٩٠٥
الاوجوبيت : ميشيل يبعد   تيودورا (الامبراطورية) ص ١٤
أمه عن السلطان بمشورة برداس

٨٥٨—٨٦٧ : الانقسام أيام فوتيوس   إغارست ص ٣٠٦ فقرة ١٣
إجناس ع ٥٠٥ وما بعده ، ع ٥١٧
نيقولا الاستودى ع ٩٠٨

٨٦٠ : غارة الروس على البرويفتيد   أجناس ع ٥١٦
وقسطنطينية

« : غارة الروس على امستريس   جورج الامستريس ص ٦٦ فقرة ٤٣

٨٦٢ : (١٠ أغسطس) العرب فى أتوس   ايثيم الاصغر ص ١٨٥ فقرة ٢١

٨٦٢ (أغسطس — سبتمبر) انتصار   داودسيمون وجورج المتيلينى ص ٢٥٢ فقرة ٣١
بتروناس على عمر أمير ملطية وتنبؤ
جورج بذلك

٨٦٢ : غارة ميشيل الثالث على عرب   نيقولا الاستودى ع ٩١٣
كريت

٨٦٦ : ٢١ ابريل: موت قيصر برداس	داود وسيمون وجورج المتيليني ص ٢٥٢ فقرة ٣١
	إجناس ، ع ٥٣٦
	إيرين ،ص ٦١٦ فقرة ٣٨ — ٤٠
	نيقولا الاستوديتى ، ع ٩١٣
٨٦٦ السراقنة فى جزيرة نيون	ايتيم الأصغر ص ١٨٩ فقرة ٢٤
٨٦٧ موت ميشيل الثالث	بازيل الأصغر ص ٢٠٠ فقرة ٢
	إفارست ص ٣٠٨ فقرة ١٦
	إجناس ، ع ٥٤٠
	إيرين ص ٦١٦ فقرة ٣٨/٤٠
	مارى الصغرى ص ٦٩٢ فقرة ٢

طبعات سير القديسين المشار اليها

فى هذا الثبت [1]

حياة القديس انطوان الأصغر	پاپادوپولوس — كيراميوس : مجموعة تنبؤات فلسطينية سوريانية (سان بطرسبرج ۱۹۰۷) ص ۱۸۶ / ۲۱۶
حياة القديس أتناز أسقف ميتون	أعمال القديسين فى فبراير/۲ص۱۱۲۵ — ۱۱۳۰ [2]
« « « الإيجى	« « « أغسطس/۳ص۱۷۰ — ۱۷۵
« « بار بروس	پاپادوپولوس — كيراميوس : أنالكت مقدسى ج ۱ س ۴۰۵ — ۴۲۰
« بازيل الاصغر	أعمال القديسين فى مارس /۳ ص ۲۰ — ۳۲
	ا . ه . ڤيزيلوفسكى : Sbornik Atd. russk. jazgka Ak. Nauk ج ۴٦ (۱۸۹۰) ص ٦٦ /٥ — ۱۴۷ : «حول نهاية تيودور الصحراوية» (باليونانية)
	ج ۵۳ (۱۸۹۲) ص۱۴۷ — ۳۵۱ . وفيلنسكى فى Zapiski Imperators kags Novorossijskago Universiteta (أودسه ، ۱۹۱۱) ، « تأمل جريجوريوس » وباليونانية
حياة القديسين داود وسيمون وجورج المتلينى فى جزيرة لسبوس	+ فان دن جين: أنالكت بولانديا ج ۱۸ (۱۸۹۹) ص ۲۱۱ — ۲۵۹
حياة القديس إيلى الاصغر القلورى (من كالابريا)	أعمال القديسين ، أغسطس ۳ ص ۴۸۹ — ۵۰۹ ترجمة لاتينية (لم ينشر النص اليونانى)

---

(۱) الطبعات المعلمة بعلامة هى التى أشار إلى صفحاتها الثبت التاريخى السابق .

(۲) أشير دائما فى هذا الثبت إلى الطبعة الجديدة من أعمال القديسين (۱۸۷٦) .

حياة القديس ايدوسيم | السيرة الأولى ، ط . كر . لوبارف :
Pamj atniki drevnej pisimennosti
سان بطرسبرج ١٨٩٣
السيرة الثانية ، ط . كر . لوبارف :
Izvestija Arch. Instituta v Kpole
ج ١٣ (١٩٠٨) ص ١٥٢ - ٢٥٢ (نص يونانى ص ١٩٩/٢١٩)

حياه القديس ايسترات الأجورى | باپادوپولس — كيراميوس : انالكت مقدسى ج ٤ (سان بطرسبرج ١٨٩٧) ص ٣٦٧ — ٤٠٠

حياة القديس إيثيم الساردى | غير منشورة : me. Laudianus, 9 مخطوط فى المكتبة البودليه فى أكسفورد ورقة ٢٠٧ — ٣٢٤ ظهرها .
+ سيرة (متأخرة التأليف) ضمن مناقب القديس ايثيم أسقف سارد ، ط ٢ (أثينا ، ١٨٥٢) ص ١٩ - ٣٢ ، ط ، ٣ (قسطنطينية ١٨٩٧) ص ٢٧ / ٤١

حياة القديس ايثيم الأصغر التسالونيكى | + ل . پيتى : مجلة الشرق المسيحى (بالفرنسية) ج ٧ (١٩٠٣) رقم ٢ ، ٤ ص ١٦٨ - ٢٠٥

حياة القديس إفارست | + أنالكت بولاندنيا ج ٤١ ص ٨٨ — ٣٢٥

حياة القديس جورج الأمسترى | + فازليفسكى : إبحاث الأكاديمية الأمبراطورية للعلوم (١٨٩٧) السلسلة الثامنة ، ١ رقم ١ ، ص ٢٧ — ٥١

حياة القديس جريجوار الديكاپولى | تيوفيل يوحنا : « ذكرى الكلمات الصالحة » (باليونانية)
فينا (١٨٨٦) ص ١٢٩
+ فر . دفورنيك : سير القديس جريجوار الديكاپولى والسلاف المقدونيون فى القرن التاسع (بالفرنسية) باريس (١٩٢٦)

حياة القديس هيلاريون الدلماسى	أعمال القديسين ، يونيه ١ ، ص٧٥٩ – ٧٦٠ (لم ينشر النص اليونانى) Syn. Eccl. C. P. (Syn. selecta) ع ٧٣١ — ٧٣٤
حياة القديس إجناس	+ P.G. ج ١٠٥ ع ٤٨٨ وما بعده
حياة القديسة إرين	+ أعمال القديسين ، يوليه ٦ ص ٦٠٢ وما بعدها
« القديس چوانيس البيطيني	+ أعمال القديسين ، نوفبر ٢ ص ٣٥٧ وما بعدها + نفسه ص ٤٠٤ وما بعدها P.G. ج ١١٦ ع ٣٦ — ٩٢ + (١) پاپادوپولس – كيراميوس: مؤلفات لاتينية ويونانية حول أخبار فريتوس (Monumenta graeca ad latina ad historiam Photii pertinentia) سان بطرسبرج ١٩٠١ ص ١/١٤ (٢) أعمال القديسين ، ابريل ١ ، ص ٢٤ – ٤١ من المقدمة و ص ٢٦٦ + P.G ج ١٠٥ ع ٣٣٩ — ٣٧٥
حياة القديس ليون ـ ليوقا	+ أعمال القديسين ، مارس ١ ، ص ٩٨ (ترجمة لاتينيه) كايتانس : سير قديسى صقلية ج ٢ ص ٨٠ (ترجمة لاتينيه)
حياة القديس لوقا الأصغر	+ أعمال القديسين ، فبراير ج ٢ ص ٨٢ / ١٠٠ P.G ج ١١١ ص ٤٤١ / ٤٨٠ + ب . كريموس : دراسات فوسيديه ج ١ (أثينا ، ١٨٧٤) ص ٢٥ — ٦٢

حياة القديس مقار البلكيتى	+ ج . فان د ن غين ، أنالكت پولنديانا ، جـ ١٦ ص ١٤٢ — ١٦٣
حياة القديسة ماريه الصغرى	+ أعمال القديسين، نوفمبر ٤، ص٦٨٨ وما بعدها
حياة القديس ميتود	أعمال القديسين، يونيه ٢ ،ص ٩٦٠ وما بعدها + P.G ، جـ ١٠٠ ، ع ١٢٤٤ وما بعده
حياة القديس نيقولا الأستودى	+ P G ، جـ ١٠٠ ، ع ٨٦٣ — ٩٢٥
حياة القديس بطرس الآتوسى	+ ك . ليك : أيام الرهبنة الأولى على جبل أتوس (بالانجليزية) (اكسفورد ١٩٠٩) ص ١٨ — ٣٩
حياة القديسة تيوكتيت اللسبوسية	+ أعمال القديسين ، نوفمبر ٤ ، ص ٢٢٤ وما بعدها
حياة القديسة تيودورا الامبراطورية	× ريجل : أنالكت بيزنطية روسية (سان بطرسبرج ١٨٩١) ص ١ / ١٩
حياة القديسة تيودورا التسالونيكية	ا د . ارسينى (چورچف ١٨٩٩) ا . كورتز : أبحاث الأكاديمية الامبراطورية للعلوم فى سان بطرسبرج ١٩٠٢ ، السلسلة الثامنة ، التاريخ والفقه اللغوى ، جـ ٦
حياة القديس تيودور الأستودى	(١) × P.G جـ ٩٩ ، ع ٢٣٣ وما بعده (٢) × P.C جـ ٩٩ ع ، ١١٣ وما بعدها

— ٩ —

توقيت

للعلاقات بين الروم والعرب

أيام أسرة عمورية

(٨٢٠ — ٨٦٧)

— ١ —

ميشيل الثانى

(٨٢٠ · ٨٢٩)

خلافة المأمون

٨٢٠ ، ٢٥ ديسمبر	اعتلاء ميشيل العرش
٨٢١ — ٨٢٣	ثورة توماس
٨٢١	ميشيل يستدعى إلى قسطنطينية أو ينفى إلى اليونان عده رهبان من أنصار الصور (وعلى الأخص بيودورالأستودى) خشية أن يتفقوا مع توماس
٨٢١ — ديسمبر	ابتداء حصار قسطنطينية الأول على يد توماس — الهجمة الأولى وتراجع توماس بعدها
٨٢٢ ، مارس أو أبريل	هجوم توماس ثانيـة على قسطنطينيـة
٨٢٢ — ٨٢٣	توماس يحاصر القسطنطينية ثانية
٨٢٣ (أولها)	معركة القناة المبنية ، حرب غير حاسمة بين توماس

	وأمورتاج خان البلغار وتراجع البلغار
٨٢٣ (الربيع)	توماس يعسكر فى سهل ديابازيس وانهزامه أمام ميشيل ثم اعتصامه فى أركاديوپوليس
٨٢٣ ، مايو — أكتوبر ؟	ميشيل يحاصر توماس فى أركاديوپوليس
٨٢٣ ، منتصف أكتوبر	أخذ توماس وقتله
٨٢٥	ميشيل الثانى يوفد للمأمون . غزو العرب آسيا الصغرى
٨٢٥	بعث المامون قائده ابن طاهر لأهل الأندلس الفارين من اسبانيا والذين استولوا على الاسكندرية
٨٢٦	غزوة مصر الأولى فى ناحية كريت
٢٨٧ ، يونية (أو ديسمبر ؟)	رضاء الأندلسيين بترك مصر والاستقرار فى كريت . ونزولهم فى خليج سودا بكريت (٢٨٧ — ٨٢٨ ؟)
٨٢٦ — ٨٢٧	ميشيل الثانى يعين قسطنطين والياً (استرتيج) على صقلية وثورة ايفيميوس فى صقلية
٨٢٧ ، ١٤ يونيه	الأسطول العربى وأسطول ايفيميوس يغادران خليج سوسة إلى صقلية
٨٢٧ ، يوليه	انتصار أسد فى صقلية على القائد الرومى بلاطه
٨٢٧ — الخريف — ٨٢٨	حصار العرب سرقوصة دون عناء
٨٢٧	موت أسد أمام سرقوصة — قتل ايفيموس
٨٢٨ — ٨٢٩ وبعد ذلك	غزوات الروم على كريت العربية : فوتينوس [1] ، كراتير ، أوريفاس
٨٢٩ — أول نوفمبر	موت الأمبراطور ميشيل الثانى

---

(١) أيام ميشيل الثانى حسب ا . و . بروكس .

— ٢ —

تيوفيل

(٨٢٩ — ٨٤٢)

خلافة المأمون ٨١٣/٤٣٣ والمعتصم ٨٣٣/٨٤٣

التاريخ	الحدث
٨٢٩ أكتوبر	تخريب العرب سواحل خبد تراسيزيان . وانهزامهم فى لاتروس على يدقسطنطين كنتوميت ؟ [٣] وانهزام الأسطول الرومى قرب جزيرة تازوس. تخريب العرب جزر السيكلاد والأتوس.
٨٢٩ — ٨٣٠	وفادة حنى النحوى الى الخليفة
٨٣٠ — ، بعد ٢٠ مارس	خروج الروم عن بغداد وسيره لغزو الروم
٨٣٠ ، منتصف يوليه	المأمون وابنه العباس ومعهما اللاجىء الرومى منويل (وكان لجأ إلى الخلافه أيام الرشــــيد) يخرجون من طرسوس ويغزون أرض الروم
٨٣٠ ، ٢١ يوليه	أخذ العرب حصن « قورن » (= قرة)
٨٣٠ ، الصيف	وصول أمداد عربية اسبانية وأفريقية إلى صقلية .
٨٣٠ ، أغسطس	انتصار العرب فى مينو على القائد الرومى تيودوت
٨٣٠ ، أغسطس	العرب يبدأون حصار بلزم
٨٣٠ ، نهايتها	عودة منويّل ، اللاجىء الرومى إلى أرض الامبراطورية
٨٣١ ، الربيع	غزو تيوفيل طرسوس والمصيصة وعودة الأمبراطور إلى قسطنطينية محتفلا بالنصر
٨٣١ ، ٤ يوليه — نهاية سبتمبر	غزوة المأمون الثانية أرض الروم . أخذه أنطيغو وحصونا أخرى فى كبادوكيا

---

(٣) تاريخ انتصار كنتوميت فى أكتوبر ٨٢٩ مشكوك فيه ، أنظر ص ٨٩ هـ ١

٨٣١ ، أغسطس — سبتمبر	استسلام بلرم للعرب
٨٣١ ، الخريف	قدوم رسل ملك الروم مرة أخرى إلى المأمون (ولعل حنا النحوى كان مرة أخرى على رأسهم) خطاب تيوفيل إلى المأمون
٨٣٢ ، ١٦ فبراير ٤ أبريل	مقام المأمون فى مصر لقمع ثورة بها
٨٣٢	قدوم الوالى العربى الجديد أبو فهر محمد بن عبد الله إلى صقلية
٨٣٢ ، ٢١ أبريل	انتخاب حنا النحوى بطريركا
٨٣٢ ، مايو — أغسطس	حصار العرب حصن لؤلؤة وأخذهم إياه
٨٣٢	رسل تيوفيل إلى المأمون، تكاتب الامبراطور والخليفة
٨٣٣ ، ٢٥ مايو	بناء العباس الطوانة . تجهز المأمون للحرب . رسل أخرى وتكاتب مرة أخرى
٨٣٣ ، الصيف	غزو المأمون أرض الروم
٨٣٣ ، ٧ أغسطس	موت المأمون بالبدندق
٨٣٣ ، الخريف	تخريب حصن الطوانة
٨٣٣ ، نهايتها	خروج اسحق بن ابرهيم لحرب بابك
٨٣٤ ، أولها	نصر — تيوفوب أحد قواد بابك نيحاز إلى الروم
٨٣٤ ، أولها	انهزام الجيش الرومى فى قصر يانه بصقلية على يد أبى فهر
٨٣٤ ، الربيع	هزيمة الجيش الرومى مرة أخرى على يد أبى فهر فى صقلية
٨٣٥	شغب الجند العربى فى صقلية وموت أبى فهر
٨٣٥ ، قبل سبتمبر	انهزام الجيش الرومى على يد والى صقلية العربى الجديد الفضل بن يعقوب أمام سرقوصه وقصريانة
٨٣٥ ، سبتمبر	وصول والى صقلية الجديد أبى الأغلب إلى صقلية
٨٣٦	غزو العرب إقليم إتنا وناحية جصن كاستليشيو

٨٣٦	إخفاق العرب أمام كاستلليشيو
٨٣٦	عمليات الأسطول العربي فى أنحاء الجزر (الإيولية ؟)
٨٣٦	الحلف بين نابلى وعرب صقلية
٨٣٧	إخفاق العرب أمام قصريانة بصقلية
٨٣٧	غزوة تيوفيل المظفرة فى آسيا الصغرى على زبطرة وملطية وشمشاط . انتصار تيوفيل مرة أخرى
٨٣٧ ، الشتاء	استسلام قصريانة للعرب أو على الأقل مفاوضتها إياهم تراجع العرب
٨٣٧ — ٨٣٨	بعث الكسيس موزيلى إلى صقلية
٨٣٨ ، أول أبريل	خروج المعتصم من سامر وسيره إلى عمورية
٨٣٨ ، الربيع	حصار العرب سفالو بصقلية — وصول أمداد رومية (لعلها وصلت مع الكسيس موزيلى)
٨٣٨ ، الربيع	انتصار الروم فى صقلية أمام سفالو (ولعل قائدهم كان الكسيس موزيلى)
٨٣٨ ، ١١ يونيه	موت الأمير الأغلبى زيادة الله بأفريقية
٨٣٨ ، ١٩ يونيه	دخول القائد العربى اشناس أرض الروم من ناحية درب طرسوس
٨٣٨ ، ٢٢ يونيه	انهزام تيوفيل أمام الأفشين فى سهل داسيمون
٨٣٨، يوليه — أغسطس	ثورة الجند الفرس ، إخضاعهم — وفاء نصر تيوفوب
٨٣٨ ، أول أغسطس	ابتداء حار عمورية
٨٣٨ ، ١٢ أغسطس	(لا ٢٤ سبتمبر وهو تاريخ غير صحيح ورد فى الطبعة الأولى) أخذ العرب عمورية
٨٣٨ ، ٨٤٠	حروب أبى سعيد وبشير مع الروم . انهزام نصر تيوفوب وموته
٨٣٩ — ٨٤٠	أخذ العرب عدة حصون فى صقلية
٨٣٩ ، ١٧ يونيه	استقبال لويس التقى فى انجلهايم رسل تيوفيل

٨٣٩ نوفبر	وصول رسل تيوفيل إلى اسبانيا قاصدين بلاد عبد الرحمن الأوسط الأموى
٨٤٠	رسل تيوفيل إلى البندقية
٨٤٠	الأسطول البندقى يتعرض للعرب فى أترنت (تارنت) وانهزامه بها
٨٤١	انهزام أسطول البنادقة فى خليج كورنيرو على يد العرب . غزو العرب ناحية كلتا جيرونى فى صقلية
٨٤١	انتصار الروم عند مرعش وملطية ــ تبادل الهدايا دون فداء بين الروم والخلافة
٨٤١	رسل تيوفيل إلى بلاط الفرنج للمرة الثانية
٨٤١	انتصار قسطنطين كنتوميتس فى لاتروس[1] ؟
٨٤٢	ظهور الأسطول الرومى أمام أنطاكية
٨٣٢ ، ٥ يناير	موت المعتصم
٨٤٢ ، ٢٠ يناير	موت الامبراطور تيوفيل

(١) التاريخ بعام ٨٤١ تأريخ فرضى ؛ أنظر ص ٨٩ هـ ١ وص ٤٣٨ هـ ١ من الأصل العربى .

— ٣ —

ميشيل الثالث

(٨٤٢ — ٨٦٧)

خلافة الواثق (٨٤٢ / ٨٤٧) المتوكل (٨٤٧ / ٨٦١)
المنتصر (٨٦١ / ٨٦٢) والمستعين (٨٦٢ / ٨٦٦)
والمعتز (٨٦٦ / ٨٦٩)

٨٤٢	أخذ العرب باري
٨٤٢	فشل الأسطول العربي بقيادة أبي دينار (جعفر بن دينار والى طرسوس ؟) عند خليج خليدونية في آسيا الصغرى
٨٤٣ ، ١١ مارس	إعادة العقيدة الأرثوذكسة
٨٤٣ ، ١٨ مارس	(الأحد الأول بعد إعادة الأرثوذكسية) خروج تيوكتيت لفتح كريت
٨٤٣	أخذ العرب مسينا بصقلية
حول ٨٤٤ ؟	فشل تيوكتيت عند موربوتاموس في آسيا الصغرى
٨٤٤	فداء الأسرى في آسيا الصغرى (فداء غير هام)
٨٤٥	أخذ العرب حصن مودنكا في صقلية
٨٤٥ ، سبتمبر	تبادل الأسرى مع عرب المشرق على ضفاف نهر اللامس
٨٤٥ — اكتوبر — نوفمبر	شأن أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة بأرض الروم . فشل العرب
٨٤٦ ، ١٨ يناير	تولية الثغور واليا جديدا هو نصر بن حمزة الخزاعي
٨٤٦ ، أولها	انهزام الجيش الرومي قرب مدينة بوتيرا بصقلية وهو جيش أمداد أخذت من جند خرشنة
٨٤٦ ، أغسطس	غارة العرب على رومه

٨٤٦ ، سبتمبر	حصار العرب جايبت
٨٤٦ ، ١٦ نوفمبر	انهزام الامبراطور لويس الثانى فى إيطاليا الجنوبية (١) على يد العرب
٨٤٧/٨٤٦	حصار العرب مدينة ليونتينى لصقلية وأخذهم إياها
٨٤٧ ، ١٠ أغسطس	موت الخليفة الواثق .
٨٤٧ — ٨٤٨	محاولة الروم النزول بخليج مونديلو بصقلية وإخفاقهم
٨٤٨	استسلام حصن راجيز بصقلية للعرب
٨٤٩ — ٨٥٠	العرب يحرقون قصريانة
٨٥١ — ٨٥٢ — ٨٥٣	غزو على بن يحيى الأرمنى بآسيا الصغرى
٨٥١ ، ١٧ يناير	موت والى صقلية العربى : أبو الأغلب ابراهيم
٢٥٢ — ٨٥٣	تخريب خلفه أبى الأغلب العباس بن الفضل بن يعقوب جنوب شرقى صقلية وإخضاعه بوتيرا
٨٥٣ ، ٢٢ مايو	غارة الروم على دمياط بمصر
٨٥٣ — ٨٥٤	عودة الروم إلى دمياط (؟) (١)
٨٥٤ — ٨٥٥ — ٨٥٦	غزو العرب بأرض صقلية
٨٥٥	غارة الروم على أناظرية
٨٥٥ ، نهايتها	مفاوضات فى سبيل فداء الأسرى
٨٥٦ ، فبراير	تبادل الأسرى عند اللامس
٨٥٦ ، الصيف	غزوة على بن يحيى الأرمنى ، والرد عليها عقبها بهجوم بتروناس وبلوغه شمشاط وآمدة وتفريق
٨٥٥ ، ١٩ نوفمبر	الخليفة يتلقى خطاباً بطلب الهدنة
٨٥٧ — ٨٥٨	استسلام سفالو
٨٥٨	انتصار الأسطول العربى وفشله فى صقلية
٨٥٨	أمر الامبراطور ميشيل الثالث باصلاح أسوار انيقية

---

(١) ارجع الى عام ٨٥٩ ، يونية يولية . وانظر أيضاً ص ٢١٧ من الأصل .

٨٥٨ ، الصيف	استيلاء بغا على صمالو
٨٥٩	سقوط قصر يانة
٨٥٩	تبادل الرسل بين ميشيل والخليفة
٨٥٩	غارة ميشيل وبرداس على سميساط
٨٥٩ ، ١٠ يونية	أمر ميشيل الثالث بإصلاح أسوار أنقرة .
٨٥٩ ، يونية — يوليه	ظهور الأسطول الرومى مرة أخـــرى أمام دمياط (أو رفح = پلوز ؟) .
٨٥٩ ، الخريف	حلول هزيمة خطيرة بالأسطول الرومى تحت قيادة قسطنطين كندوميت أمام سرقوصه وضياع عدة حصون رومية .
٨٦٠ ، مارس	غزوة على بن يحيى الأرمنى بأرض الروم ، وانخـذال حصن لؤلؤة .
٨٦٠ ، مارس	بعث نصر بن الأزهر إلى قسطنطينية .
٨٦٠ ، الربيع	فداء الأسرى .
٨٦٠ ، ١٨ يونيه	هجوم الروس على قسطنطينية .
٨٦٠ ، الصيف	غزو أمير ملطية عمر بن الله وقربياس وعلى بن يحيى الأرمنى وفضل بن قارن وأخذ الأخير إنطاكيه . وقيام أسطول كريت العربى بتخريب جزر السيكلاد . تخريب امستريس على يد الروس أثناء تراجعهم من القسطنطينية
٨٦١ ، الصيف	غزو العباس فى نواحى سرقوصة .
٨٦١ ، ١٤ أغسطس	موت العباس والى صقلية العربى .
٨٦١ ، ٩ / ١٠ ديسمبر	موت الخليفة المتوكل
٨٦٢ ، فبراير	تولية والى صقلية الجديد عبد الله بن العباس .
٨٦٢ ، مايو	غزو وصيف بأطراف آسيا الصغرى .
٨٦٢	أخذ رباح ثلاثة حصون بصقلية .

٨٦٢ ، يونية	موت الخليفة المنتصر .
٨٦٢ ، يوليه	وصول والى صقليه الجديد خفاجه بن سفيان إلى صقلية
٨٦٢ ، أغسطس	غزو العرب جبل أتوس .
٨٦٣ ، الصيف	غزو أمير ملطية جند ارمنياقوس وأخذ العرب مدينة أماسيه (أميسوس) .
٨٦٣ الصيف	انهزام أمير ملطية على يد پتروناس .
٨٦٣ ، ١٨ اكتوبر – نوفبر	انتصار الروم على على بن يحيى .
٨٦٤ ، فبراير – مارس	افتتاح عرب صقلية مدينتى نوتو وسيكلى .
٨٦٤ ، الصيف	غزوة بلكاجور بآسيا الصغرى .
٨٦٥	غزوة خفاجة فى صقلية نواحى قصريانه وسرقوصة وفشله ظهور الأسطول الإسلامى فى خليج سرقوصه .
٨٦٥ ، الصيف	غزوة القائد العربى بلكاجور باسيا الصغرى .
٨٦٦ ، يناير	اعتزال الخليفة المستعين واستخلاف المعتز .
٨٦٦	هجوم العرب على جزيرة نيون الصغيرة قرب أتوس .
٨٦٦ ، بعد ٧ أبريل	ميشيل الثالث وخروجه لأخذ كريت .
٨٦٦ ، ٢١ أبريل	قتل برداس فى وقت قيام الحملة إلى كريت وذلك عند كيبوى فى آسيا الصغرى .
٨٦٦	أخذ العرب مدينة تادرمين بصقية واستردادهم نوتو وراجيز بعد انخذالهما .
٨٦٧ ، الصيف	تخريب العرب أرض سرقوصة وقطانيا .
٨٦٧ ، ليله ٢٣ ويوم ٢٢ سبتمبر	موت الإمبراطور ميشيل الثالث .

١٠

إضافات وتصليحات

ص ١٤٨ من الأصل الفرنسى : كان الأستاذ ماريوس كنار يشك إلى الآن فى أن عمرا الأقطع اشترك فى غزوة عمورية وكان لا يثق بالرواية القصصية الأسطورية التى تشركه فى حوادث عام ٨٣٨ . ولكنه حول رأيه وهو عالمنا المشارك لنا فى عملنا فبعث إلينا بالتعليق الهام الآتى عن الأمير عمرو المشهور : « ١ — لا بد أن يكون عمرو ابنا لعبيد الله بن الأقطع الذى سلم الروم حصن كمخ بين عامى ٨٠٩ — ٨١٣ ليطلق الروم سراح ابنه الأسير (بلاذرى ١٨٥) . (٢) لا بد أن يكون عمرو اشترك فى غزوة عمورية ويروى الطبرى ذلك رواية غير مباشرة (وكان غاب على ذلك) ، وهو المقصود من غير شك لا أبوه فى أثناء خروج العباس على المعتصم ، وقد ذكر اسمه فى هذه المناسبة : ابن الأقطع (الطبرى ٣ — ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠) . وكان من رجال الأفشين ولا بد أنه كان معه فى معركة أنزن ولكنه لم يسمى بعمرو »

ومن هذا نرى أن جنزيوس محق حين يذكر أمير ملطية بين مقاتلة العرب عام ٨٣٨

ص ٢١٤ : قدوم قسطنطين الفيلسوف رسولا إلى العرب فى ٨٥٠ — ٨٥١ :

جاء فى الفصل السادس من سيرة قسطنطين (سيريل) أن الفيلسوف أرسل وهو ابن ثمانين سنه ، بعثه ميخائيل الثالث رسول إلى العرب مع سكرتيره الأول جورج (أو السكرتير الأول جورج البلاطينى ؟) . ويعتقد م . ف . دفورنك أن السكرتير الأول غير جورج وأنه فوتيوس بالذات وكان سكرتيرا أولا حول عام ٨٥٠ وبعثه حينئذ عند عرب المشرق حول ٨٥٠ — ٨٥١ . أنظر ف . دفورنك : أساطير قسطنطين وميتودكما يراها الروم . ٩٠ وما بعدها ص ٣٥٤ وما بعدها . ونحن نحيل على هذا المؤلف الهام حيث نوقشت هذه المسألة .

ويبدو أن ذكر وفادة ٨٥٠ / ٨٥١ لم يرِ فى أى مصدر من المصادر التاريخية العربية والرومية .

أما التعليقات الإضافية عن « العمليات الحربية عند دمياط وكريت » وهى التى أشير اليها فى مجله بيزنطيون ج٩ (١٩٣٤) ص ٨٩٠ فستظهر فى نفس المجله ج١ (١٩٣٥)

ملحق

من واجبنا المحبب فى ختام هذا المجلد الأول من طبعة كتاب الروم والعرب الحديثة أن نتقدم بالشكر مرة أخرى الذين عاونونا فى عملنا ، ونذكر فى أولهم الأستاذ أرمان آبل . فهو الذى حرر التراجم العربية الواردة فى التذييل وهو صاحب التعليق الفذ على الجدل الدينى فى القرنين الثامن والتاسع (ص ٤٢٢ وما بعدها . ونذكر الآنسه ج . لوبيه فهى صححت مسودات الكتاب كله أكثر من مرة وهى التى زودت كتاب فازلييف هذا بتعليق هام عن سير القديسين فى القرن التاسع باعتبارها مصادر تاريخية (ص ٤٣١ وما بعدها من الأصل الفرنسى) . وزميلنا العالم الأستاذ نيقولا أدونتز فهو الذى وضع كثيرا من الأفكار المبتكرة . ونذكر الأستاذ ر . جروسن فهو الذى خصص لهذا العمل الذى يجب أن يعمد عملا تساهميا ساعات كثيرة من وقته . ونذكر أخيرا الأب الجليل ب . بيترز . وهو ممن واصلوا أعمال بولاند ، وقد ساهم فى هذا الكتاب الجديد مساهمة فعالة لا يبتغى من ورائها شيئاً ، فزاد ديننا من العرفان للمعونة العلمية وهو دين كبير ندين به له ولكرم بيت على ثقة هو « متحف البولانديين »

أما الأستاذ بولڤتيك فقد راجع العمل فى مجموعة مراجعة دقيقة فأعجبنا بطريقة العملية الاستشراقية الكاملة . وقد خلص الكتاب من بضعة أخطاء .

أما الفهارس والمراجع فستوضع فى المجلد الثانى من كتاب الروم والعرب . وسيذكر ثبت المراجع كل الطبعات الواردة فى الاستشهادات مع ذكر عناوينها الأصلية ، ولهـــذا أبحنا لأنفسنا ترجمة العناوين الروسية فى الهوامش فى كثير من الأحيان .

ولم نشر للتواريخ العامة التى نشرت حديثا ولا إلى خيرها أيضا ونعنى تاريخ كمبردج الحديث Cambridge Mediaeval History .

فهرس الموضوعات